



مرکز تحقیقات اسلامی

اصفهان

گامی



ارشد
علیه
ص

www.ghaemiyeh.com
www.ghaemiyeh.org
www.ghaemiyeh.net
www.ghaemiyeh.ir

مَنْهَاجُ الْبَرِّيَّةِ

فَتْحُ مَنَاجِزِ الْبَلَاغَةِ

لِلْأَمِينِ

الْعَلَّامِ الْمُحَرَّرِ الرَّابِعِ بِرَحْمَةِ اللَّهِ الْكَافِي

لِلنُّزُولِ فِي مَنَاجِزِ

الْجُزْءِ الرَّابِعِ عَشَرَ

مِنْ مَشُورَاتِ

الْكُتُبِ الْأَسْلَمِيَّةِ

عَلَيْهِ تَشْرِيعُ بَنِي رَجَبٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه

نويسنده:

آيت الله العظمى سيد ابوالقاسم خوئى

ناشر چاپى:

المكتبه الاسلاميه

ناشر ديجيتالى:

مرکز تحقیقات رایانه‌ای قائمیه اصفهان

فهرست

فهرست	۵
منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه (عربى - فارسى) جلد ۱۴	۱۴
مشخصات كتاب	۱۴
تتمه باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام و أوامره	۱۵
تتمه الخطبه المأتان و الثامن	۱۵
تتمه المعنى	۱۵
تتمه تنبيه على مذهب الصوفيه	۱۵
اشاره	۱۵
المقام الثامن فى الاخبار الواردة فى ذم الصوفيه	۱۶
بيان	۳۳
خاتمه	۳۵
استدراك	۳۶
الترجمه	۳۷
و من كلام له عليه السلام و هو المأتان و التاسع من المختار فى باب الخطب	۳۸
اشاره	۳۸
اللغه	۴۰
الاعراب	۴۱
المعنى	۴۱
اشاره	۴۱
و ينبغى تذييل المقام بامور مهمه	۴۹
اشاره	۴۹
الاول	۴۹
الثانى	۵۳
الثالث	۶۲

٦٢	أما الأخبار الخاصيه
٦٤	و أما الاخبار العاميه
٧١	الرابع
٧٢	تذنيب
٧٢	تكملة
٧٦	الترجمه
٧٩	و من خطبه له عليه السلام و هى المأتان و العاشره من المختار فى باب الخطب
٧٩	اشاره
٨٠	اللغه
٨٢	الاعراب
٨٢	المعنى
٨٧	الترجمه
٨٨	و من خطبه له عليه السلام و هى المأتان و الحاديه عشر من المختار فى باب الخطب
٨٨	اشاره
٨٨	اللغه
٨٩	الاعراب
٨٩	المعنى
٩٣	الترجمه
٩٤	و من خطبه له عليه السلام و هى المأتان و الثانيه عشر من المختار فى باب الخطب
٩٤	اشاره
٩٤	اللغه
٩٥	الاعراب
٩٥	المعنى
٩٥	اشاره
٩٥	الفصل الاول
٩٨	الفصل الثانى

الترجمه	١٠٠
و من خطبه له عليه السلام و هي المأتان و الثالثه عشر من المختار فى باب الخطب	١٠١
اشاره	١٠١
اللغه	١٠٢
الاعراب	١٠٣
المعنى	١٠٤
اشاره	١٠٤
تذييل	١٢١
بيان	١٢٤
الترجمه	١٢٤
و من دعاء كان يدعو به عليه السلام كثيرا و هو المأتان و الرابع عشر من المختار فى باب الخطب	١٢٦
اشاره	١٢٦
اللغه	١٢٦
الاعراب	١٢٧
المعنى	١٢٧
الترجمه	١٣٣
و من خطبه له عليه السلام خطبها بصفين و هي المأتان و الخامسه عشر من المختار فى باب الخطب	١٣٤
اشاره	١٣٤
الفصل الاول	١٣٤
اشاره	١٣٤
اللغه	١٣٦
الاعراب	١٣٧
المعنى	١٣٨
اشاره	١٣٨
تذييلان	١٤٤
الاول	١٤٤

التذييل الثانى ١٤٨

ثم حقوق الافعال ١٥١

ثم حقوق الائمه ١٥٢

ثم حقوق الرعيه ١٥٢

و أما حق الرحم ١٥٣

الترجمه ١٦٠

الفصل الثانى ١٦٢

اشاره ١٦٢

اللغه ١٦٤

الاعراب ١٦٤

المعنى ١٦٥

اشاره ١٦٥

تكمله ١٧٣

بيان ١٧٧

الترجمه ١٨٢

و من كلام له عليه السلام و هو المأتان و السادس عشر من المختار فى باب الخطب ١٨٣

اشاره ١٨٣

اللغه ١٨٤

الاعراب ١٨٥

المعنى ١٨٥

اشاره ١٨٥

تنبيه ١٨٨

الترجمه ١٩٧

و من كلام له عليه السلام و هو الماتان و السابع عشر من المختار فى باب الخطب ١٩٨

اشاره ١٩٨

اللغه ١٩٩

٢٠٠ الاعراب

٢٠٠ المعنى

٢٠٠ اشاره

٢٠٢ تذييل

٢٠٤ ايضاح

٢٠٥ الترجمة

٢٠٦ و من كلام له عليه السلام و هو المأتان و الثامن عشر من المختار في باب الخطب

٢٠٦ اشاره

٢٠٦ اللغة

٢٠٦ الاعراب

٢٠٦ المعنى

٢٢٠ الترجمة

٢٢١ و من كلام له عليه السلام و هو المأتان و التاسع عشر من المختار في باب الخطب

٢٢١ اشاره

٢٢١ الفصل الاول

٢٢١ اشاره

٢٢٢ اللغة

٢٢٤ الاعراب

٢٢٥ المعنى

٢٣٤ الترجمة

٢٣٦ الفصل الثاني

٢٣٦ اشاره

٢٣٧ اللغة

٢٣٨ الاعراب

٢٣٩ المعنى

٢٤٦ الترجمة

٢٤٧ ----- الفصل الثالث

٢٤٧ ----- اشارة

٢٤٨ ----- اللغة

٢٤٩ ----- الاعراب

٢٥٠ ----- المعنى

٢٥٨ ----- الترجمة

٢٦١ ----- و من كلام له عليه السلام و هو المأتان و العشرون من المختار فى باب الخطب

٢٦١ ----- اشارة

٢٦٣ ----- اللغة

٢٦٤ ----- الاعراب

٢٦٥ ----- المعنى

٢٦٥ ----- اشارة

٢٦٨ ----- اما الفصل الاول

٢٦٩ ----- و اما الفصل الثانى

٢٧٤ ----- و اما الفصل الثالث

٢٨١ ----- الترجمة

٢٨٣ ----- و من كلام له عليه السلام و هو المأتان و الحادى و العشرون من المختار فى باب الخطب

٢٨٣ ----- اشارة

٢٨٦ ----- اللغة

٢٨٧ ----- الاعراب

٢٨٩ ----- المعنى

٣٠٠ ----- الترجمة

٣٠٣ ----- و من كلام له عليه السلام و هو المأتان و الثانى و العشرون من المختار فى باب الخطب

٣٠٣ ----- اشارة

٣٠٤ ----- اللغة

٣٠٦ ----- الاعراب

المعنى ٣٠٦

اشاره ٣٠٦

تكمله ٣١٤

بيان ٣١٧

الترجمه ٣٢٢

و من دعاء له عليه السلام و هو المأتان و الثالث و العشرون من المختار فى باب الخطب ٣٢٤

اشاره ٣٢٤

اللغه ٣٢٤

الاعراب ٣٢٥

المعنى ٣٢٥

اشاره ٣٢٥

تبصره ٣٣٣

تذييل ٣٣٣

الترجمه ٣٣٦

و من خطبه له عليه السلام و هى المأتان و الزابعه و العشرون من المختار فى باب الخطب ٣٣٦

اشاره ٣٣٦

اللغه ٣٣٧

الاعراب ٣٣٩

المعنى ٣٣٩

اشاره ٣٣٩

تكمله ٣٥٣

تنبيه ٣٥٥

الترجمه ٣٥٧

و من دعاء له عليه السلام و هو المأتان و الخامس و العشرون من المختار فى باب الخطب ٣٥٨

اشاره ٣٥٨

اللغه ٣٥٩

الاعراب ٣٦٠

المعنى ٣٦٠

اشاره ٣٦٠

تذييل ٣٧٢

الترجمة ٣٨٦

و من كلام له عليه السلام و هو المأتان و السادس و العشرون من المختار فى باب الخطب ٣٨٧

اشاره ٣٨٧

اللغة ٣٨٧

الاعراب ٣٨٨

المعنى ٣٨٨

اشاره ٣٨٨

تنبيهان ٤٠٣

اشاره ٤٠٣

الاول ٤٠٣

التنبيه الثانى ٤١٣

بيان ٤١٥

الترجمة ٤٢١

و من كلام له عليه السلام و هو المأتان و السابع و العشرون من المختار فى باب الخطب ٤٢٢

اشاره ٤٢٢

اللغة ٤٢٢

الاعراب ٤٢٣

المعنى ٤٢٣

الترجمة ٤٢٥

و من خطبه له عليه السلام و هى المأتان و الثامن و العشرون من المختار فى باب الخطب ٤٢٥

اشاره ٤٢٥

اللغة ٤٢٧

٤٢٩ الاعراب

٤٢٩ المعنى

٤٢٩ اشاره

٤٢٩ الفصل الاول منها

٤٣٩ الفصل الثانى

٤٤٢ الترجمة

٤٤٤ درباره مركز

مشخصات کتاب

سرشناسه: خوئی، حبیب الله بن محمد هاشم، ۱۲۶۸ - ۱۳۲۴ ق.

عنوان و نام پدیدآور: منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه / لمولفه حبیب الله الهاشمی الخوئی؛ بتصحیحه و تهذیبه ابراهیم المیانجی.

مشخصات نشر: تهران: مکتبه الاسلامیه؛ قم: انتشارات دار العلم، ۱۳ -

مشخصات ظاهری: ۲۰ ج.

شابک: ۱۵۰ ریال (ج. ۸)

یادداشت: عربی.

یادداشت: فهرست نویسی براساس جلد هشتم، ۱۳۸۶ ق. = ۱۳۴۴.

یادداشت: چاپ دوم.

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. -- کلمات قصار

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق -- خطبه ها

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. -- نامه ها

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. نهج البلاغه -- نقد و تفسیر

شناسه افزوده: میانجی، ابراهیم، ۱۲۹۲ - ۱۳۷۰.، مصحح

شناسه افزوده: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. نهج البلاغه. شرح

رده بندی کنگره: BP۳۸/۰۲ خ/ ۹ ۱۳۰۰ ی

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۹۵۱۵

شماره کتابشناسی ملی: ۱۹۹۲۰۶

تتمه باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام و أوامره

تتمه الخطبه المأتان و الثامن

تتمه المعنى

تتمه تنبيه على مذهب الصوفيه

اشاره

المقام الثامن في الاخبار الواردة في ذم الصوفيه

و لعنهم و طعنهم، و في المنع من التصوف و الزهانيه، و هي كثيره لا تحصى و لنشير إلى بعضها فأقول و بالله التوفيق:

الاول ما رواه علي بن إبراهيم في تفسير قوله تعالى «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ» قال حدّثنى أبي عن ابن أبي عمير عن بعض رجاله عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: نزلت هذه الايه في أمير المؤمنين عليه السلام و بلال و عثمان بن مظعون، فأما أمير المؤمنين عليه السلام فحلف أن لا ينام بالليل أبداً، و أما بلال فانه حلف أن لا يفطر بالنهار أبداً، و أما عثمان بن مظعون فأنه حلف أن لا ينكح أبداً، فدخلت امرأه عثمان على عايشه و كانت امرأه جميله فقالت عايشه ما لى أراك متعطّله؟ فقالت: و لمن ازيّن فو الله ما قرّبنى زوجى منذ كذا و كذا فأنه قد ترهّب و لبس المسوح و زهد في الدنيا، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم أخبرته عايشه بذلك، فخرج فنادى الصلاه جامعه، فاجتمع الناس فصعد المنبر فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: ما بال أقوام يحرمون على أنفسهم الطيبات ألا إني أنام الليل و انكح و افطر بالنهار، فمن رغب عن سنّتي فليس منى، فقام هؤلاء

فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ حَلَفْنَا عَلَى ذَلِكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ «لَا- يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ».

الثاني في البحار من اكمال الدين باسناده عن زيد بن علي عن آبائه عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ليس في امتي رهبانيه ولا سياحه ولازم يعني سكوت الثالث في البحار بعده طرق عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في جملة وصاياه لأبي ذر رضي الله عنه: يا باذر يكون في آخر الزمان قوم يلبسون الصوف في صيفهم وشتائهم، يرون أن لهم الفضل بذلك على غيرهم، أولئك يلعنهم ملائكة السماوات والأرض.

الرابع في روضات الجنات من الكشكول للشيخ البهائي قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لا تقوم الساعة على امتي حتى يخرج قوم من امتي يحلقون للذكر رؤوسهم، ويرفعون أصواتهم بالذكر يظنون أنهم على طريق إبراهيم عليه السلام، بل هم أضل من الكفار، لهم شهقه كشهقه الحمار، وقولهم كقول الفجار، وعملهم عمل الجبال، وهم ينازعون العلماء ليس لهم إيمان وهم معجبون بأعمالهم ليس لهم من عملهم إلا التعب.

الخامس ما تقدم روايته في المتن في الكلام السابع عشر من المختار في باب الخطب قال أمير المؤمنين عليه السلام هناك: إن أبغض الخلايق إلى الله رجلان:

رجل وكله الله إلى نفسه جائر عن قصد السبيل مشعوف بكلام بدعه ودعاء ضلاله، فهو فتنه لمن افتتن به ضال عن هدى من كان قبله، مضل لمن اقتدى به في حياته وبعد وفاته، حمال خطايا غيره، رهن بخطيئته.

و رواه الكليني في باب البدع والرأى والمقائيس من الكافي نحوه، وقال شارح الكافي ملا خليل القزويني: إن مراده عليه السلام بهذا الرجل هو الصوفي الغير

المتقيد بقيود الشريعة ولا خفاء في أن الصوفية من مصاديق هذا الكلام لا تصافهم بالأوصاف المذكورة فيه.

السادس في كتاب الاحتجاج عن أبي يحيى الواسطي قال: لما فتح أمير المؤمنين عليه السلام البصرة اجتمع الناس عليه وفيهم الحسن البصري ومعهم الألواح فكان كلما لفظ أمير المؤمنين بكلمه كتبها، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام بأعلى صوته: ما تصنع؟ فقال: نكتب آثارهم لنحدث بها بعدكم، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أما أن لكل قوم سامرًا وهذا سامري هذه الأمة، أما انه لا يقول: لا مساس ولكنه يقول: لا قتال والحسن البصري من مقدم مشايخ الصوفية كما ذكره في كتبهم.

السابع في البحار في باب احتجاجات الحسن عليه السلام على المخالفين من كتاب العدد للشيخ الفقيه رضي الدين على بن يوسف بن المطهر الحلّي قال:

كتب الحسن البصري إلى الحسن بن علي عليهما السلام أما بعد فانتم أهل بيت النبوة ومعدن الحكمه وإن الله جعلكم الفلك الجاربه في اللجج الغامره يلجأ إليكم اللاجى ويعتصم بحبلكم العالى، من اقتدى بحبلكم اهتدى ونجى ومن تخلف عنكم هلك وغوى، وإنى كتبت إليك عند الحيره واختلاف الأمه في القدر، فتقضى إلينا ما أقضاه الله إليكم أهل البيت فأخذ به فكتب إليه الحسن بن علي عليهما السلام أما بعد فاننا أهل بيت كما ذكرت عند الله وعند أوليائه فأما عندك وعند أصحابك فلو كنّا كما ذكرت ما تقدّمتمونا ولا استبدلتم بنا غيرنا، ولعمري لقد ضرب الله مثلكم فى كتابه حيث يقول «أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ» هذا لأوليائك فيما سألوا ولكم فيما استبدلتم، ولولا ما اريد من الاحتجاج عليك وعلى أصحابك ما كتبت إليك بشيء مما نحن عليه، ولئن وصل كتابي إليك لتجدن الحجة عليك وعلى أصحابك مؤكده حيث يقول الله عزّ وجلّ «أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» فاتبع ما كتبت إليك فى القدر فانه من لم يؤمن

بالقدر خيره و شرّه فقد كفر، و من حمل المعاصى على الله فقد فجر.

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ لَا- يطاع باكره، و لَا- يعصى بغلبه، و لَا يهمل العباد من الملكه، و لكنّه المالك لما أملكهم، و القادر على ما أقدرهم، فان ائتمروا بالطاعه لن يكونوا صَادًا مثبطًا، و ان ائتمروا بالمعصيه فشاء أن يحول بينهم و بين ما ائتمروا به فعل، و إن لم يفعل فليس هو حملهم عليها و لَا- كلفهم اياها جبرًا، بل تمكنه إياهم و إعذاره إليهم طرفهم و مكنهم، فجعل لهم السبيل إلى أخذ ما أمرهم به و ترك ما نهاهم عنه، و وضع التكليف عن أهل التقصان و الزمانه، و السلام.

و هذا الحديث الشريف و إن كان صدره مختصًا بالطعن على الحسن البصرى و أتباعه إلا أنّه بتمامه متضمّن للرد على جميع الصوفيه فى قولهم بالجبر و على الواصليه و الاباحيه خصوصًا حيث قالوا بسقوط التكاليف عند الوصول حسبما عرفت فيما تقدّم تفصيلًا الثامن فى الاحتجاج روى أنّ زين العابدين عليه السّلام مرّ بالحسن البصرى و هو يعظ الناس بمنى فوقف عليه ثمّ قال له: أمسك أسألك عن الحال التى أنت عليها مقيم أ ترضاها لنفسك فيما بينك و بين الله للموت إذا نزل بك غدا؟ قال: لا، قال:

أفتحدّث نفسك بالتحوّل و الانتقال عن الحال التى لَا- ترضاها لنفسك إلى الحال التى ترضاها؟ قال: فأطرق مليًا ثمّ قال: إننى أقول ذلك بلا حقيقه، قال: أ فترجو نبيا بعد محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم يكون لك معه سابقه؟ قال: لا، قال: أ فترجو دارا غير الدار التى أنت فيها فتردّ إليها فتعمل فيها؟ قال: لا، قال: أ فرأيت أحدا به مسكه عقل رضى لنفسه من نفسه بهذا أنّك على حال لا ترضاها و لا تحدّث نفسك بالانتقال إلى حال ترضاها على حقيقه و لا ترجو نبيا بعد محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم و لا دارا غير الدار التى أنت فيها فتردّ إليها فتعمل فيها و أنت تعظ الناس؟ قال: فلمّا ولى عليه السّلام قال الحسن البصرى:

من هذا؟ قالوا: على بن الحسين عليهما السّلام قال: أهل بيت علم، فما رأى الحسن بعد ذلك يعظ الناس

و هذا الحديث مثل سابقه كاف في الدلالة على سوء حال الحسن البصري و كونه من حزب الشيطان، و مع ذلك عدّه العطار في التذكرة في الدرجه الثالثه و نقلوا عنه كرامات عديده التاسع في الاحتجاج لقي عباد البصري علي بن الحسين عليهما السلام في طريق مكّه فقال له: يا علي بن الحسين تركت الجهاد و صعوبته و أقبلت على الحجاج و لينه و ان الله يقول «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَ يُقْتَلُونَ» - إلى قوله - «وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ» فقال علي بن الحسين عليهما السلام: إذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم فالجهاد معهم أفضل من الحج العاشر في الاحتجاج عن ثابت البناني قال: كنت و جماعه عباد البصره مثل أيوب السجستاني و صالح المروى و عتبه الغلام و حبيب الفارسي و مالك بن دينار فلما أن دخلنا مكّه رأينا الماء ضيقا و قد اشتد بالناس العطش لقله الغيث، ففرع إلينا أهل مكّه و الحجاج يسألوننا أن نستسقى لهم، فأتينا الكعبه و طفنا بها ثم سألنا الله خاضعين متضرّعين بها فمنعنا الاجابه، فبينما نحن كذلك إذا نحن بفتى قد أقبل قد أكرّبه أحزانه و أقلقته أشجانه، فطاف بالكعبه أشواطاً ثم أقبل علينا فقال: يا مالك بن دينار و يا ثابت البناني و يا أيوب السجستاني و يا صالح المروى و يا عتبه الغلام و يا حبيب الفارسي و يا سعد و يا عمر و يا صالح الأعمى و يا رابعه و يا سعدانه و يا جعفر بن سلمان، فقلنا: لبيك و سعديك يا فتى، فقال: أما فيكم أحد يحبّه الرحمن؟ فقلنا: يا فتى علينا الدعاء و عليه الاجابه، فقال: ابعثوا عن الكعبه فلو كان فيكم أحد يحبّه الرحمن لأجابه، ثم أتى الكعبه فخرّ ساجدا فسمعتة يقول في سجوده: سيدي بحبيك لي إلا سقيتهم الغيث، قال: فما استتم الكلام حتى أتاهم الغيث كأفواه القرب، فقلت: يا فتى من أين علمت أنّه يحبيك؟ فقال عليه السلام:

لو لم يحبنى لم يسترنى فلما استتراني علمت أنّه يحبنى، فسألته بحبه لي فأجابني ثم ولى عنا و أنشأ يقول:

من عرف الرَّب فلم تغنه معرفه الرب فهذا شقى

ما ضرَّ فى الطاعه ما ناله فى طاعه الله و ما ذا لقى

ما يصنع العبد بعزّ الغنى و العزّ كلّ العزّ للمتقى

فقلت: يا أهل مكه من هذا الفتى؟ قالوا: على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السّلام.

أقول: و هؤلاء المذكورون فى هذا الحديث جلّهم من الصّوفيه، و كذا عبّاد البصرى المذكور فى الحديث السابق كما يظهر من كتب المتصوّفه و تذكراتهم.

الحادى عشر فى الكافى فى باب من يظهر الغشيه عند القرآن، عدّه من أصحابنا عن سهل بن زياد عن يعقوب بن إسحاق الضّببى عن أبى عمران الأرمنى عن عبد الله بن الحكم عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قلت: إنّ قوما إذا ذكروا شيئا من القرآن أو حدّثوا به صعق أحدهم حتّى نرى أنّ أحدهم لو قطعت يده أو رجلاه لم يشعر بذلك، فقال: سبحان الله ذاك من الشيطان ما بهذا نعتوا إنّما هو اللّين و الرّقّه و الدّمعه و الوجل.

أقول: و هذه الحاله التى نقلها جابر للباقر عليه السّلام هى حاله الصّوفيه فى مجالس ذكرهم و يسمّونها بالوجد و الجذبه.

الثانى عشر فى حديثه الشيعة بسند صحيح عن أحمد بن محمّد بن أبى نصر البزنطى قال: قال رجل من أصحابنا للصادق جعفر بن محمّد عليهما السّلام: قد ظهر فى هذا الزّمان قوم يقال لهم الصّوفيه فما تقول فيهم؟ فقال عليه السّلام: إنّهم أعداؤنا فمن مال إليهم فهو منهم و يحشر معهم، و سيكون أقوام يدّعون حبّنا و يميلون إليهم و يتشبّهون بهم و يلقّبون أنفسهم بلقبهم و يؤوّلون أقوالهم ألا فمن مال إليهم فليس منّا و إنّنا منهم براء، و من ردّهم و أنكر عليهم كان كمن جاهد الكفّار بين يدي رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم.

و رواه المحدث الجزائرى فى الأنوار النعمانيّه عن البزنطى عنه عليه السّلام أيضا الثالث عشر فى حديثه الشيعة عن على بن الحسين بن موسى بن بابويه القمى فى قرب الاسناد عن سعد بن عبد الله عن محمّد بن عبد الجبار عن الحسن العسكرى قال:

سئل عن أبي عبد الله عليه السلام عن حال أبي هاشم الصوفى الكوفى فقال عليه السلام: أنه كان فاسد العقيدة جدًّا و هو الذى ابتدع مذهبا يقال له التصوّف و جعله مفرّا لعقيدته الخبيثة.

و فى روايه بسند آخر قال عليه السلام: و جعله مفرّا لعقيدته الخبيثة لنفسه و أكثر الملاحده، و جئّه لعقائدهم الباطله.

الرابع عشر فى كشف الغمّه روى محمّد بن طلحه عن سفيان الثورى قال: دخلت على جعفر بن محمّد عليهما السلام و عليه جبّه خزّد كنا و كساء خزّ فجعلت أنظر اليه تعجّبا، فقال لى: يا ثورى مالك تنظر الينا لعلّك تعجب ممّا ترى؟ فقلت: يا ابن رسول الله ليس هذا من لباسك و لا لباس آبائك، قال: يا ثورى كان ذلك زمان إقتار و افتقار و كانوا يعملون على قدر إقتاره و افتقاره، و هذا زمان قد أسبل كلّ شيء عز اليه، ثمّ حسر ردن جبّته فاذا تحتها جبّه صوف بيضاء يقصر الدّيل عن الدّيل و الرّدن عن الرّدن، و قال:

يا ثورى لبسنا هذا لله و هذا لكم، فما كان لله أخفيناه و ما كان لكم أبديناه.

الخامس عشر فى الكافى فى كتاب المعيشه باب دخول الصّوفيه على أبي عبد الله عليه السلام و احتجاجهم عليه فيما ينهون النّاس عنه من طلب الرّزق علىّ بن إبراهيم عن أبيه عن مسعده بن صدقه قال: دخل سفيان الثّورى على أبي عبد الله عليه السلام فرأى عليه ثياب بياض كأنّها غرقى البيض فقال له: إنّ هذا اللباس ليس من لباسك، فقال عليه السلام: اسمع منّى و ع ما أقول لك فأنّه خير لك عاجلا و آجلا إنّ أنت متّ على السيئه و الحقّ و لم تمت على بدعه، أخبرك أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم كان فى زمان مقفر جذب، فأما إذا أقبلت الدّنيا فأحقّ أهلها بها أبرارها لا فجّارها، و مؤمنوها لا منافقوها، و مسلموها لا كفّارها، فما أنكرت يا ثورى فو الله إنّنى لمع ما ترى ما أتى علىّ مذ عقلت صباح و لا مساء و لله فى مالى حقّ أمرنى أن أضعه موضعا إلّا وضعتّه.

قال: و أتاه قوم ممّن يظهرون الزّهد و يدعون النّاس أن يكونوا معهم على مثل الّذى هم عليه من التّقشّف فقالوا له: إنّ صاحبنا حصر عن كلامك و لم تحضره حججه، فقال لهم: فهاتوا حججكم، فقالوا له: إنّ حججنا من كتاب الله فقال لهم

فادلوا بها فإنها أحق ما اتبع وعمل به، فقالوا: يقول الله تبارك وتعالى مخبرا عن قوم من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم «وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» فمدح فعلهم وقال في موضع آخر «وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَشَكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا» فنحن نكتفي بهذا، فقال رجل من الجلساء إنا رأيناكم تزهّدون في الأطعمه الطيبه ومع ذلك تأمرون الناس بالخروج من أموالهم حتى تمتعوا أنتم منها، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: دعوا عنكم ما لا ينتفع به أخبروني أيها النفر ألكم علم بناسخ القرآن من منسوخه ومحكمه من متشابهه الذي في مثله ضلّ من ضلّ وهلك من هلك من هذه الامه؟ فقالوا له أو بعضه: فأما كلّ فلا، فقال لهم: فمن هنا أتيتم، وكذلك أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأما ما ذكرتم من اخبار الله عزّ وجلّ إيانا في كتابه عن القوم الذين أخبر عنهم بحسن فعالهم فقد كان مباحا جائزا ولم يكونوا نهوا عنه و ثوابهم منه على الله عزّ وجلّ، وذلك أنّ الله جلّ وتقدّس أمر بخلاف ما عملوا به فصار أمره ناسخا لفعلهم و كان نهى الله تعالى رحمه منه للمؤمنين ونظرا لكيلا يضرّوا بأنفسهم وعيالاتهم منهم الضعفه الصغار والوالدان والشيخ الفاني والعجوزه الكبيره الذين لا يصبرون على الجوع، فان تصدّقت برغيفي ولا رغيف لى غيره ضاعوا وهلكوا جوعا.

فمن ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمس تمرات أو خمس قرص أو دنانير أو دراهم يملكها الانسان وهو يريد أن يمضيها فأفضلها ما أنفقه الانسان على والديه، ثمّ الثانيه على نفسه وعياله، ثمّ الثالثه على قرابته الفقراء، ثمّ الرابعه على جيرانه الفقراء، ثمّ الخامسه فى سبيل الله وهو أحسنها «أخسّها خ» أجرا وقال صلى الله عليه وآله وسلم للأنصارى حين اعتق عند موته خمسه أو ستّه من الرقيق ولم يكن يملك غيرهم وله أولاد صغار: لو أعلمتمونى أمره ما تركتكم تدفنوه مع المسلمين يترك صبيه صغارا يتكفّفون الناس.

ثمّ قال عليه السلام حدّثنى أبى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ابدء بمن تعول الأدنى فالأدنى.

ثم هذا ما نطق به الكتاب ردًا لقولكم ونهيا عنه مفروضا من الله العزيز الحكيم قال «وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا» أفلا ترون أن الله تبارك وتعالى قال غير ما أراكم تدعون الناس إليه من الاثره على أنفسهم وسمى من فعل ما تدعون إليه مسرفا في غير آيه من كتاب الله يقول «إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ» فنهاهم من الاسراف و نهاهم عن التقتير لكن أمر بين أمرين لا يعطى جميع ما عنده ثم يدعو الله أن يرزقه فلا يستجيب له.

للحديث الذي جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن أصنافا من امتي لا يستجاب لهم دعائهم: رجل يدعو على والديه، و رجل يدعو على غريم ذهب له بمال فلم يكتب له ولم يشهد عليه، و رجل يدعو على امرأته وقد جعل الله تخلية سبيلها بيده، و رجل يقعد في بيته ويقول رب ارزقني ولا يخرج ولا يطلب الرزق فيقول الله عز وجل له:

عبدى ألم أجعل لك السبيل إلى الطلب والضرب في الأرض بجوارح صحيحة فتكون قد أعذرت فيما بيني وبينك في الطلب لا تباع أمري ولكيلا تكون كلاً على أهلك فان شئت رزقتك وإن شئت قترت عليك وأنت معذور عندي، و رجل رزقه الله عز وجل مالا كثيرا فأنفقه ثم أقبل يدعو يا رب ارزقني فيقول الله عز وجل: ألم أرزقك رزقا واسعا فهلا اقتصدت فيه كما أمرتك ولم تسرف وقد نهيتك عن الاسراف، و رجل يدعو في قطيعه رحم.

ثم علم الله جل اسمه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم كيف ينفق، وذلك أنه كان عنده أوقيه من الذهب فكره أن يبيت عنده فتصدق بها فأصبح وليس عنده شيء وجاءه من يسأله فلم يكن عنده ما يعطيه فلامه السائل واغتم هو حيث لم يكن عنده ما يعطيه وكان صلى الله عليه وآله وسلم رحيمًا رفيقًا فأدب الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأمره فقال «وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسِطِ فَتَقْعِدَ مَلُومًا مَحْسُورًا» يقول: إن الناس قد يسألونك ولا يعذرونك فاذا أعطيت جميع ما عندك من المال كنت قد حسرت من المال.

فهذه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصدقها الكتاب والكتاب يصدقها أهله من المؤمنين.

وقال أبو بكر عند موته حيث قيل له: أوص فقال: اوصي بالخمس والخمس

كثير فإن الله عزّ وجلّ قد رضى بالخمسة، وقد جعل الله عزّ وجلّ له الثلث عند موته و لو علم أنّ الثلث خير له أوصى به.

ثمّ قد علمتم من بعده فى فضله و زهده سلمان رضى الله عنه و أبودرّ رحمه الله.

فأمّا سلمان فكان إذا أخذ عطاءه رفع منه قوته لسنته حتّى يحضر عطاؤه من قابل، فقليل له: يا أبا عبد الله أنت فى زهدك تصنع هذا و أنت لا تدري لعلّك تموت اليوم أو غدا، فكان جوابه أن قال: ما لكم لا ترجون لى البقاء كما خفتم علىّ الفناء أما علمتم يا جهله أنّ النّفس قد تلتاث على صاحبها إذا لم يكن لها من العيش ما تعتمد عليه فاذا هى أحرزت معيشتها اطمأنت و أمّا أبودرّ رضى الله عنه فكانت له نويقات و شويهاث يحلبها و يذبح منها إذا اشتهى أهله اللحم أو نزل به ضيف أو رأى بأهل الماء الذين هم معه خصاصه نحر لهم الجزور أو من الشّاه على قدر ما يذهب عنهم بقرم اللحم، فيقسمه بينهم و يأخذ هو كنصيب واحد منهم لا يتفضّل عليهم و من أزهد من هؤلاء؟ و قد قال فيهم رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم ما قال و لم يبلغ من أمرهما أن صارا لا يملكان شيئا البتّه كما تأمرون النّاس بالقاء أمتعتهم و شيئهم و يؤثرون به على أنفسهم و عيالاتهم و اعلموا أيّها النّفر أنّى سمعت أبى يروى عن آبائه عليهم السّلام أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم قال يوما: ما عجت من شيء كعجبي من المؤمن إنّه إن قرض جسده فى دار الدنيا بالمقاريض كان خيرا له، و إن ملك ما بين مشارق الأرض و مغاربها كان خيرا له، و كلّ ما يصنع الله عزّ وجلّ به فهو خير له.

فليت شعرى هل يحقّ فيكم ما قد شرحت لكم منذ اليوم أم أزيدكم أما علمتم أنّ الله عزّ وجلّ قد فرض على المؤمنين فى أوّل الأمر أن يقاتل الرّجل منهم عشرة من المشركين ليس له أن يولّى وجهه عنهم، و من ولّاهم يومئذ دبره فقد تبوّء مقعده من النّار، ثمّ حوّلهم من حالهم رحمه منه لهم فصار الرّجل منهم

عليه أن يقاتل رجلين من المشركين تخفيفاً من الله عزّ وجلّ للمؤمنين، فنسخ الرجلان العشرة.

و أخبروني أيضاً عن القضاء أجوره حيث هم يقضون على الرجل منكم نفقه امرأته إذا قال إني زاهد إني لا شيء لي، فإن قلت جوره ظلمكم أهل الاسلام وإن قلت بل عدول خصمتم أنفسكم، و حيث تردّون صدقه من تصدّق على المساكين عند الموت بأكثر من الثلث.

أخبروني لو كان الناس كلّهم كالذين تريدون زهاداً لا حاجة لهم في متاع غيرهم فعلى من كان يصدق بكفارات الايمان و التّدور و الصدقات من فرض الزكاه من الذهب و الفضة و التّمر و الزّبيب و ساير ما وجب فيه الزّكاه من الابل و البقر و الغنم و غير ذلك إذا كان الأمر كما تقولون لا ينبغي لأحد أن يحبس شيئاً من عرض الدنيا إلّا قدّمه و إن كان به خصاصه فبئس ما ذهبتم فيه و حملتم الناس عليه من الجهل بكتاب الله عزّ وجلّ و سنّه نبيّه صلّى الله عليه و آله و سلّم و أحاديثه التي تصدّقها الكتاب المنزل و ردّكم أيّها بجهالتكم و ترككم النظر في غرايب القرآن من التّفسير بالنّاسخ من المنسوخ و المحكم و المتشابه و الأمر و النّهي.

و أخبروني أين أنتم عن سليمان بن داود عليه السّلام؟ حيث سأل الله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فأعطاه عزّ وجلّ اسمه ذلك و كان يقول الحقّ و يعمل به ثمّ لم نجد الله عزّ وجلّ عاب عليه ذلك و لا أحداً من المؤمنين و داود النّبي صلّى الله عليه و آله و سلّم قبله في ملكه و شدّه سلطانه.

ثمّ يوسف النّبي عليه السّلام حيث قال لملك مصر: اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم، فكان من أمره الذي كان أن اختار مملكه الملك و ما حولها إلى اليمن، و كان يمتارون الطعام من عنده لمجاءه أصابتهم و كان يقول الحقّ و يعمل به فلم نجد أحداً عاب ذلك عليه.

ثمّ ذو القرنين عليه السّلام عبد أحبّ الله فأحبّه الله و طوى له الأسباب و ملكه مشارق الأرض و مغاربها و كان يقول الحقّ و يعمل به ثمّ لم نجد أحداً عاب

ذلك عليه.

فتأدّبوا أيّها النفر باداب الله عزّ وجلّ للمؤمنين، اقتصروا على أمر الله ونهيه و دعوا عنكم ما اشتبه عليكم ممّا لا علم لكم به، و ردّوا العلم إلى أهله توجروا و تعذروا عند الله تبارك و تعالى، و كونوا في طلب علم ناسخ القرآن من منسوخه و محكمه من متشابهه و ما أحلّ الله فيه ممّا حرّم فأنّه أقرب لكم من الله و أبعد لكم من الجهل، و دعوا الجهالة لأهلها فإنّ أهل الجهل كثير و أهل العلم قليل، و قد قال الله عزّ وجلّ: و فوق كلّ ذى علم عليم.

السادس عشر في الكافي في كتاب الحجّه في باب ما أمر النبي صلى الله عليه و آله و سلّم بالنصيحه لأئمّه المسلمين:

محمّد بن الحسن عن بعض أصحابنا عن عليّ بن الحكم عن الحكم بن مسكين عن رجل من قريش من أهل مكّه قال: قال سفيان الثوري: اذهب بنا إلى جعفر بن محمّد عليهما السّلام قال: فذهبت معه إليه فوجدناه قد ركب دابّته فقال له سفيان: يا أبا عبد الله حدّثنا بحديث خطبه رسول الله صلى الله عليه و آله في مسجد الخيف قال عليه السّلام: دعني حتّى أذهب في حاجتي فاني قد ركبت فاذا جيئت حدّثتك، فقال أسألك بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه و آله لَمّا حدّثني قال: فنزل، فقال سفيان: من لى بدواه و قرطاس حتّى اثبتته فدعى عليه السّلام به ثمّ قال: اكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم خطبه رسول الله صلى الله عليه و آله في مسجد الخيف نصر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها و بلغها من لم تبلغه يا أيّها الناس ليبلغ الشاهد الغائب فربّ حامل فقه ليس بفقيه، و ربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهنّ قلب امرء مسلم: إخلاص العمل لله، و النصيحة لأئمّه المسلمين، و اللّزوم لجماعتهم فإنّ دعوتهم محيطه من ورائهم، و المؤمنون إخوة تتكافى دماؤهم و هم يد على من سواهم يسعى بذمتهم أدناهم.

فكتبه سفيان ثمّ عرضه عليه و ركب أبو عبد الله عليه السّلام و جيئت أنا و سفيان، فلمّا كنّا في بعض الطريق فقال لي: كما أنت حتّى أنظر في هذا الحديث، فقلت

له: قد و الله الزم أبو عبد الله عليه السلام رقبتك شيئاً لا يذهب من رقبتك أبداً، فقال: و أى شيء ذلك؟ فقلت: ثلاث لا يغلّ عليهنّ قلب امرء مسلم: إخلاص العمل لله قد عرفناه و النصيحة لأئمة المسلمين من هؤلاء الأئمة الذين يجب علينا نصيحتهم معاوية بن أبى سفيان و يزيد بن معاوية و مروان بن الحكم و كلّ من لا تجوز شهادته عندنا و لا يجوز الصلاه خلفهم، و قوله: و اللزوم لجماعتهم فأى الجماعة مرجئ(١) يقول من لم يصلّ و لم يصمّ و لم يغتسل من جنبه و هدم الكعبه و نكح أمه فهو على ايمان جبرئيل و ميكائيل، أو قدرى يقول لا يكون ما شاء الله عزّ و جلّ و يكون ما شاء إبليس، أو حرورى يبرء من علىّ بن أبى طالب عليه السلام و يشهد عليه بالكفر، أو جهمى يقول إنّما هى معرفه الله وحده ليس الايمان شىء غيرها، قال: ويحك فأى شىء يقولون؟ فقلت: يقولون: إنّ علىّ بن أبى طالب و آله الامام الذى يجب علينا نصيحتة و لزوم جماعتهم أهل بيته قال: فأخذ الكتاب و خرقة ثم قال: لا تخبر بها أحداً.

السابع عشر المحدث الجزائرى فى الأنوار النعمانية:

فى الحديث إنّ الصوفيه لما دخلوا على الصادق عليه السلام و سفيان الثورى لا بس الصوف الخشن و الصادق عليه السلام لابس الثياب الرقاق فقال له سفيان: إنّ جدّك أمير المؤمنين عليه السلام كان يلبس ما خشن من الثياب فلم لا تقتدى به؟ فقال له الصادق عليه السلام: إنّ أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام كان فى زمان الضيق و لم تسع الدنيا على

ص: ١٤

١- (١) - المرجئه بالهمزه فرقه من فرق الاسلام يعتقدون أنه لا يضرّ مع الايمان معصيه كما لا تنفع مع الكفر طاعه سموا بذلك لاعتقادهم أن الله أرجى تعذيبهم على المعاصى، أى أخره عنهم يقال أرجئت الأمر و أرجيته بالهمزه و الياء أى أخرته، و الحروريه فرقه من الخوارج منسوبه إلى حروراء و هى قريه قريبه من الكوفه، و الجهميه فرقه منسوبه الى جهم بن صفوان اعتقادهم أنّ الجنه و النار تفنيان و أنّ الايمان هو المعرفه فقط دون الاقرار و دون ساير الطاعات و أنه لا فعل على الحقيقه الا لله و ان العباد فيما ينسب اليهم من الأفعال كالشجر يحركها الريح، هكذا فى حواشى الكافى، منه.

المسلمين كاتساعها في هذا الوقت، و نحن قوم إذا وسّع الله علينا وسّيعنا على أنفسنا و إذا ضيّق الله علينا ضيّقنا على أنفسنا و إنّ الله تعالى إنّما خلق الدنيا و ما فيها من الملاذ للمؤمن لا للكافر لأنّه لا قدر له عنده و لو كان على عليه السّلام في هذا العصر لما وسّعه إلّا أن يسلك مثل ما سلك أهله لئلا يقال له: إنّهُ مرء و لئلا يشتهر بثيابه و مأكله، مع أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام كان واليا و ينبغي لوالى المسلمين أن يكون في المعاش كواحد من فقراء المسلمين، و قد قيل له: يا أمير المؤمنين إنك تبيت جائعا و لك الملك؟ فقال عليه السّلام: أخاف أن أشبع و واحد في اليمامة يبيت جائعا و حتّى يسهل الفقر على أهله إذا نظروا إلى الوالى مع ما هو عليه، و أمّا أنا فلست بوالى و الملك قد غصب منّا، فلو كنت واليا لاقتديت به.

ثمّ قال عليه السّلام لسفيان الثوري: ادن منّي، فدنني منه، فمدّ يده إلى تحت ثياب سفيان فأخرج ثوبا حريرا كان سفيان لابسهُ تحت ثياب الصّوف لرفاهيّته بدنه و الثياب الصّوف فوقه لخدع النّاس، ثمّ أخذ يد سفيان فقال انظر يا سفيان ما تحت ثيابي هذه الرّزاق، فنظر فاذا هو عليه السّلام لابس ثوبا خشنا، فقال يا سفيان: هذا تواضعا لله تعالى و هذه الثياب الرّزاق إظهار النّعمه لله تعالى.

الثامن عشر في البحار عن كتاب المسائل لعليّ بن جعفر عن أخيه موسى ابن جعفر عليهما السّلام قال: سألت أخى موسى عليه السّلام عن الرّجل المسلم هل يصلح أن يسبح في الأرض أو يترهّب في بيت لا يخرج منه؟ قال عليه الصّلاه و السلام: لا.

التاسع عشر في البحار من الدّره الباهره قال له «أى للرّضا» عليه السّلام: إنّ المأمون قد ردّ هذا الأمر اليك و أنت أحقّ النّاس به إلّا أنّه تحتاج أن يتقدّم منك تقدّمك إلى لبس الصّوف و ما يحسن لبسه، فقال عليه السّلام: و يحكم إنّما يراد من الامام قسطه و عدله إذا قال صدق، و إذا حكم عدل، و إذا وعد أنجز، قل من حرّم زينه الله الّتى أخرج لعباده و الطيّبات من الرّزق، إنّ يوسف عليه السّلام لبس الدّيباج المنسوج بالذهب و جلس على متّكات آل فرعون.

و قد مرّ هذا الحديث بروايه الشارح المعترلى في شرح المتن بأبسط من

ذلك فليراجع هناك.

العشرون في حقيقه الشيعة عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي وإسماعيل ابن بزيع عن الرضا عليه السلام قال: من ذكر عنده الصوفي و لم ينكرهم بلسانه و قلبه فليس منا، و من أنكرهم فكأنما جاهد الكفار بين يدي رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

و رواه أيضا المحدث الجزائري في الأنوار النعمانية عن البزنطي عن الرضا عليه السلام مثله.

الحادي و العشرون في حقيقه الشيعة عن السيد المرتضى ابن الداعي الحسن الرازي و ابن حمزه جميعا عن المفيد بسنده عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب و كان من خواص أصحاب الأئمة عليهم السلام.

قال: كنت مع الهادي علي بن محمد عليهما السلام في مسجد النبي صلى الله عليه و آله و سلم، فأتاه جماعه من أصحابه منهم أبو هاشم الجعفرى، و كان رجلا بليغا و كانت له منزله عظيمه عنده عليه السلام، ثم دخل المسجد جماعه من الصوفيه و جلسوا في جانبه مستديرا و أخذوا بالتهليل.

فقال عليه السلام: لا تلتفتوا بهؤلاء الخداعين فإنهم خلفاء الشياطين و مخربوا قواعد الدين، يترهدون لراحه الأجسام و يتهجدون لتصييد الأنعام، يتجوعون عمرا حتى يذبحوا للأيكاف حمرا، لا يهللون إلا لغرور الناس و لا يقللون الغذاء إلا الملاء العساس، و اختلاس قلب الدفناس يتكلمون الناس باملائهم فى الحب، و يطرحونهم بازاليلهم [\(١\)](#) (باوليائهم) فى الجب، أورداهم الرقص و التصديه، و أذكاهم الترنم و التغنيه، فلا يتبعهم إلا السفهاء، و لا يعتقدهم إلا الحمقاء، فمن ذهب إلى زياره أحد منهم حيا أو ميتا فكأنما ذهب إلى زياره الشيطان، و عباده الأوثان و من أعان أحدا منهم فكأنما أعان يزيد و معاويه و أبا سفيان فقال رجل من أصحابه: و إن كان معترفا بحقوقكم؟ قال: فنظر اليه شبه المغضب و قال عليه السلام: دع ذا عنك، من اعترف

ص: ١٦

بحقوقنا لم يذهب في عقوقنا، أما تدرى أنّهم أخسّ طوائف الصّوفيّة، و الصّوفيّة كلّهم من مخالفينا، و طريقتهم مغايره لطريقتنا، و إنّ هم إلّا- نصارى و مجوس هذه الأمه، أولئك الذين يجحدون «يسعون ظ» في إطفاء نور الله، و الله متم نوره و لو كره الكافرون.

و رواه المحدث الجزائري أيضا في الأنوار من كتاب قرب الاسناد مسندا عن محمّد بن الحسين بن أبى الخطاب مثله.

الثانى و العشرون فى حديقه الشيعة عن السيد المرتضى أيضا بسنده عن المفيد عن أحمد بن محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد عن أبيه عن عبد الله عن محمّد ابن عبد الجبار عن الحسن العسكري عليه السّلام أنّه خاطب أبا هاشم الجعفرى فقال عليه السّلام:

يا أبا هاشم سيأتى زمان على الناس وجوههم ضاحكه مستبشره، و قلوبهم مظلمه منكدره، السّنة فيهم بدعه، و البدعه فيهم سنّه، المؤمن بينهم محقّر، و الفاسق بينهم موقّر، أمراؤهم جاهلون جائرون، و علماؤهم فى أبواب الظّلمه سائرون، أغنياؤهم يسرقون زاد الفقراء، و أصاغرهم يتقدّمون على الكبراء، كلّ جاهل عندهم خير، و كلّ مجيل عندهم فقير، لا- يميّزون بين المخلص و المرتاب، و لا يعرفون الضّان من الدّئاب، علماؤهم شرار خلق الله على وجه الأرض، لأنّهم يميلون إلى الفلسفه و التّصوّف، و أيم الله إنّهم من أهل العدول و التّحرّف، يبالغون فى حبّ مخالفينا و يضلّون شيعتنا و موالينا، فان نالوا منصبا لم يشبعوا من الرّشاء، و ان خذلوا عبدوا الله على الرّياء، ألا إنّهم قطع طريق المؤمنين، و الدّعاء إلى نحلّه الملحدين، فمن أدركهم فليحذرهم و ليصن دينه و ايمانه.

ثمّ قال: يا أبا هاشم هذا ما حدّثنى به أبى عن آبائه عن جعفر بن محمّد عليهم السّلام و هو من أسرارنا فاكتمه إلّا عن أهله، و رواه المحدث الجزائري أيضا فى الأنوار مرسلا عن العسكري عليه السّلام مثله.

الثالث و العشرون فى الاحتجاج روى أصحابنا:

إنّ أبا محمّد الحسن الشريعى كان من أصحاب أبى الحسن علىّ بن محمّد ثمّ الحسن بن علىّ عليهم السّلام، و هو أوّل من ادّعى مقاما لم يجعله الله فيه من قبل صاحب

الزّمان عليه السّلام و كذب على الله و على حججه عليهم السّلام و نسب اليهم ما لا يليق بهم و ما هم منه براء، ثمّ ظهر منه القول بالكفر و الالحاد.

و كذلك كان محمّد بن نصير النّميرى من أصحاب أبى محمّد الحسن، فلمّا توفّى عليه السّلام ادّعى النّيباه لصاحب الزّمان عليه السّلام ففضحه الله بما ظهر منه من الالحاد و الغلوّ و القول بالتناسخ، و كان يدّعى أنّه رسول نبى أرسله علىّ بن محمّد عليهما السّلام و يقول فيه بالزّبوبيّه و يقول بالاباحه للمحارم.

و كان أيضا من جملة الغلاة أحمد بن هلال الكرخى و قد كان من قبل فى عداد أصحاب أبى محمّد عليه السّلام ثمّ تغيّر عمّا كان عليه و انكر بابيّته أبى جعفر محمّد بن عثمان رضى الله عنه، فخرج التّوقيع بلعنه من قبل صاحب الزّمان عليه السّلام.

و كذا كان أبو طاهر محمّد بن علىّ بن بلال، و الحسين بن منصور الحلاج، و محمّد بن علىّ الشّلمغانى المعروف بابن أبى العزافر لعنهم الله، فخرج التّوقيع بلعنهم و البراء منهم جميعا على يد الشيخ أبى القاسم الحسين بن روح رضى الله عنه نسخته:

عرّف أطل الله بقاءك و عرّفك الله الخير كلّ و ختم به عملك من تثق بدينه و تسكن إلى نيّته من اخواننا أدام الله سعادتهم بأنّ محمّد بن علىّ المعروف بالشّلمغانى عجل الله التّقمه و لا أمهله قد ارتدّ عن الاسلام و فارقه و ألحد فى دين الله و ادّعى بالكفر معه بالخالق جلّ و تعالى و افترى كذبا و زورا و قال بهتاناً و اثما مبينا، كذب العادلون بالله و ضلّوا ضلالا بعيدا و خسروا خسرانا مبينا، و أنّا برئنا إلى الله تعالى و إلى رسوله صلوات الله عليه و آله منه، و لعنّاه عليه لعائن الله تترى فى الظاهر ممّا و الباطن فى السّير و الجهر و فى كلّ وقت و على كلّ حال و على من شايعه و بايعه و بلغه هذا القول ممّا فأقام على تولّاه بعده و أعلمهم تولّاكم الله أنّنا فى التّوقى و المحاذره منه على مثل ما كنّا عليه ممّن تقدّمه من نظرائه من الشّريعى و النّميرى و الهلالى و البلالى و غيرهم، و عادّه الله جلّ ثناؤه مع ذلك قبله و بعده عندنا جميله، و به نتق و ايّاه نستعين، و حسبنا الله فى كلّ امورنا و نعم الوكيل.

هؤلاء الجماعة المذكورون في هذا الحديث كلهم من الذين ادّعوا الباطنية لصاحب الزمان عليه السلام والسيف فاره من جانبه عجل الله فرجه، وليتهم لعنهم الله تعالى قنعوا بذلك ولم يظهر منهم الكفر والالحاد والقول بالحلول والاتحاد وإباحه المحارم كما هو مذهب الصوفيه.

قال الشيخ «قد» في محكى كلامه في البحار من كتاب الغيبه: كل هؤلاء المدّعين إنما يكون كذبهم أولاً على الامام عليه السلام وأنهم و كلاًؤه، فيدعون الضعفه بهذا القول إلى موالاهم، ثم يتّرقى الأمر بهم إلى قول الحلاجيه كما اشتهر من أبى جعفر السلمغانى و نظرائه عليهم جميعاً لعائن الله تترى.

وقد ذكر في كتاب الغيبه على ما حكى عنه في البحار فصلاً مبسوطاً في أحوال هؤلاء و أقوالهم و عقائدهم المتضمنه للكفر والالحاد، ولا بأس بالإشاره إلى بعض ما ذكره ليعلم أنهم من الصوفيه مشاركون معهم في العقائد والأعمال فأقول:

قال: أول المدّعين للباطنيه الشريعى، قال هارون و أظن اسمه كان الحسن و كان من أصحاب أبى الحسن على بن محمد و ساق الكلام فيه نحو ما روينا من الاحتجاج إلى قوله و ما هم منه براء، ثم قال: فلعننه الشيعة و تبرّئت منه و خرج توقيع الامام عليه السلام بلعنه و البراءه منه، ثم ظهر منه القول بالكفر والالحاد.

و منهم محمد بن نصير التميمى قال سعد بن عبد الله: كان محمد بن نصير التميمى يدعى أنه رسول نبى و أن على بن محمد أرسله و كان يقول بالتناسخ و يغلو في أبى الحسن عليه السلام و يقول فيه بالربوبيه و يقول بالإباحه للمحارم و تحليل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في ادبارهم، و يزعم أن ذلك من التواضع و الاخبات و التذلل في المفعول به، و أنه من الفاعل إحدى الشهوات و الطيبات، و أن الله عزّ و جلّ لا يحرم شيئاً من ذلك اخبرنى بذلك عن محمد بن نصير أبو زكريا يحيى بن عبد الرحمن ابن خاقان أنه رآه عياناً و غلام له على ظهره، قال: فلقيته فعاتبته على ذلك، فقال إن هذا من اللذات و هو من التواضع لله و ترك التجبر.

أقول: و رأيت في بعض مؤلفات أصحابنا نقلا من الفاضل عبد الوهاب بن عليّ الحسينيّ الاستر ابادي في شرح كتاب الفصول النصير ما هذا لفظه:

قالت النصيريّة و الاسحاقية من غلامه الشيعة ظهور الرّوحاني في الجسماني لا ينكر، ففي طرف الشرّ كالشّياطين فأنّه كثيرا ما يتصوّر الشيطان بصورة انسان ليعلّمه و يكلمه بلسانه، و في طرف الخير كالملائكة فأنّ جبرئيل كان يظهر بصورة دحيه الكلبى و الأعرابى.

قالوا: فلا يمتنع أن يظهر الله تعالى في صورته بعض الكاملين و اولى الخلق بذلك أشرفهم و أكملهم هو العتره الطاهره، و هو من يظهر فيه العلم و القدره التامه من الأئمه من تلك العتره.

و لم يتحاشوا عن اطلاق الالهيه على أئمّتهم و هذه ضلاله بيّنه لا يحتاج بطلانه إلى بيان، و مع ذلك نقول ظهور شيء في صورته شيء آخر لا يقتضى الحلول و الاتحاد، فإنّ جبرئيل لم يتحد بدحيه و لا حلّ فيه فلا يلزم مطلوبكم، انتهى.

و أولى من ذلك أن يقال: إنّ المثل غير مطابق للمثل لأنّه تعالى ليس بروح و لا روحاني و لا جسم و لا جسماني تعالى عن ذلك علوا كبيرا، فلا يمكن ظهوره بصورة غيره بل يستحيل استحاله عقله، هذا.

و قال الشّيخ «قد» في أحمد الكرخي و محمّد البلالي نحو ما نقلناه فيهما من الاحتجاج و ذكر في حسين بن منصور الحلاج ما قدّمنا روايته عنه في المقام السادس، و قال في حقّ الشّلمغانى، قال الصّيفوانى: سمعت أبا عليّ بن همام يقول سمعت محمّد بن عليّ العزاقرى الشّلمغانى يقول: الحقّ واحد و أنّما تختلف قمصه فيوم يكون في أبيض و يوم يكون في أحمر و يوم يكون في أزرق فهذا أوّل ما أنكرته من قوله لأنّه قول أصحاب الحلول و أخبرنا جماعه عن أبى محمّد هارون بن موسى عن أبى عليّ محمّد بن همام أنّ محمّد بن عليّ الشّلمغانى لم يكن قط بابا إلى أبى القاسم (١) و لا طريقا له، و لا نصبه

ص: ٢٠

أبو القاسم بشيء من ذلك على وجه ولا سبب، و من قال بذلك فقد أبطل و إنما كان فقيها من فقهاءنا فخلط و ظهر عنه ما ظهر، و انتشر الكفر و اللاحاد منه فخرج فيه التوقيع على يد أبي القاسم بلعنه و البراءة منه و ممن تابعه و شايعه و قال بقوله، هذا

خاتمه

قد تبين و تحقق لك مما أوردناه في شرح هذا الكلام لأمر المؤمنين عليه السلام أن مذاهب الصوفيه بحذاقيرها مخالفه لمذهب المتشعره الاماميّه الحقّه شيد الله بنيانه و أحكم قواعده و أركانها، كما ظهر لك أن الايات و الأخبار في لعنهم و طعنهم و التعريض و الانزواء عليهم لعنهم الله تعالى صريحه متظافره و أن الأخبار التي تمسكت بها هذه الفئه الضالّه المضلّه المبتدعه المطروده الملعونه إما موضوعه مجعوله أو متشابهه مؤوله أو ضعيفه سخيغه.

فلا ينبغي للفتن الكيس أن يشتبه و ينخدع بما أوردنا بعض علماء الشيعة كمحمد بن علي بن أبي جمهور الاحسائي و غيره من الأخبار في كتبهم، فإن أكثر هذه الأخبار مأخوذه من كتب متصوفه العامه كما يظهر ذلك لمن راجع إليها.

و بالجملة فالصوفي شيعيًا أو سنيا وحدتيا أو اتحاديًا مخالف للمتشعر الامامي اصولا و فروعا و اعتقادا و عملا.

فويل لقوم اتخذوا سلفهم الذين مهّدوا لهم البدعات و مؤهّوا لهم الضلالات أربابا فرضوا بالشبلى و الغزالي و ابن العربي و جنيد البغدادي أئمّه، و بالقرمطه فلسفه و بالزهد خلاعه، و بالمشنوى و ساير منظوماتهم كتابا، و بالشياطين اخوانا، و بمرقد أبا يزيد البسطامي و عبد القادر الجيلاني قبله، و بالهوى إلها، و بالوسواس إلهاما، و بالسحر و الشعبد و السيميا كرامه و مقاما.

خذلهم الله تعالى في الدنيا و ضاعف عليهم العذاب في العقبى بمحمّد و آله الأمجاد أئمّه المؤمنين و أولياء المتشعرين المتدينين في المبدأ و المعاد صلوات الله و سلامه عليه و عليهم أجمعين و لعنه الله على مخالفيهم و معانديهم من الأولين و الاخرين إلى قيام يوم الدين.

لا- يذهبنّ عليك ممّا أوردته فى شرح هذا الكلام على طوله من الطعن و التّعريض و الازراء على الصّوفيه و ابطال مذهبهم و اضلال مشاربهم و اظهار مثالبهم و تسفيه أحلامهم و تزييف مناقبهم و الاعلان بعداوتهم و الحكم بفسق طائفه و كفر الاخرين منهم، أنا منكرون لحسن العرفان بالله و جاحدون لسلوك سبيل المعرفه معاندون للعارفين بالحقّ الذين سلكوا سبيل الهدى و نهوا النّفس عن الهوى و زهدوا فى الدّنيا و رغبوا فى الأخرى و صدّقوا بالحسنى و شربوا من كأس المحبّه و خاضوا فى تيار المعرفه فلم يكن لهم همّ إلّا رضى المولى و النّيل إلى مقام الزّلفى و السّيكنى فى حظاير القدس و التّانس فى محافل الانس مع النّبيين و الصّديقين و الشّهداء و الصّالحين و حسن اولئك رفيقا و كيف لا و لم يكن بعث الأنبياء و الرّسل مبشرين و منذرين من لدن خلق آدم عليه السّلام أبى البشر إلى الختم بسيد المرسلين صلّى الله عليه و آله و سلّم إلّا- لذلك المقصود فانهم على اختلاف شرايعهم و تفاوت مللهم و مذهبهم لم يكن همّهم إلّا هما واحدا و هو جذب الخلق إلى الحقّ بالهدايه إلى الصراط المستقيم، و الدّلاله على النهج القويم، و التنحيه عن الرزائل و التحليه بالفضايل، و الحثّ على مكارم الأخلاق و الحضّ على إحياء العقول بالمعارف و الكمالات، و التأكيد فى اماته النفوس بالمجاهده و الرياضات فالعارف الحقيقى الذى يحقّ أن يسمّى بهذا الاسم هو من اتّصف بهذه الكمالات لا من أخذ بالبدع و الضلالات، و من تبع فى أقواله و أفعاله بالأئمه لا من قال: إنّنا وجدنا آباءنا على امّه و إنّنا على آثارهم لمهتدون.

و ان شئت أن تعرف تفصيل أوصاف هذا الشخص الذى يليق بهذا الاسم فاعرف ذلك من تضاعيف خطب أمير المؤمنين عليه السّلام لا سيّما الخطبه المأه و الثانيه و التسعين الوارد فى شرح حال المتّقين، و الكلام المأتين و الثامن عشر المسوق فى وصف حال العارفين

و لئن رجعت اليهما و إلى شرحهما تعرف معنى المعرفه و العرفان، و تعلم أنّ الصوفيه فى متاه الجهل و الضلال حيران، نعوذ بالله من الضلاله بعد الهدى، و من تبدّل البصيره بالعمى، إنه لا يضلّ من هدايه، و الحمد لله على ما هداانا و ما كنا لنهتدى لولا أن هداانا الله.

يا ربّ أدخل فى عبادك عبدك الزاجى بفضلک و اعطف به نظرا

وجد يا الهى لى بجدك و الطف بعد ذليل عاجز متحيرا

و أدخله فى أرباب علم و حكمه و أصحاب عرفان الذى منك مخبرا

و أشربه كاس الحبّ و الصدق و الصفا و أكرم به فى روضه الخلد منظرا

و فى محفل الانس انسه بمحمد و أولاده الطهر الكرام المطهرا

الترجمه

از جمله کلام هدایت نظام امیر مؤمنان علیه السلام است در بصره در حالتی که داخل شد بر علاء پسر زیاد حارثی و او از أصحاب آن حضرت بود عیادت می فرمود او را پس وقتی که دید وسعت خانه او را فرمود:

چه کار می کنی با وسعت این خانه در دنیا آگاه باش که تو بسوی وسعت خانه در آخرت هستی محتاج تر، و بلی اگر بخواهی می توانی بررسی با آن باخرت مهمانداری بکنی در آن مهمانان را و صلّه أرحام نمائی، و اخراج حقوق الله کنی و در مصارف شرعیه صرف نمائی، پس در این صورت تو محققا رسیده با او بسوی آخرت.

پس عرض کرد بان حضرت علاء که یا امیر المؤمنین شکایت میکنم بسوی تو از برادرم عاصم بن زیاد.

فرمود آن حضرت چه خبر است او را عرض نمود که عبا پوشیده و از دنیا خلوت گزیده.

فرمود: که حاضر کنید او را نزد من، پس وقتی که آمد فرمود ای دشمنک نفس خود بتحقیق که سرگردان کرده تو را شیطان خبیث آیا رحم نکردی أهل

خود را و اولاد خود را، آیا همچنین اعتقاد میکنی که خدا حلال کرده از برای تو پاکیزه ها و طیبات دنیوی را و حال آنکه آن خدا کراحت دارد که تو فراگیری آنها را، تو خوارتری نزد خدا از این.

عرض کرد ای امیر مؤمنان این تو هستی در خشونت و زبری پوشاک و غلظت و بی مزگی خوراک.

فرمود: وای بر تو بدرستی من نیستم مثل تو، بدرستی خداوند تعالی واجب ساخته بر امامان حقّ عادل که تنگ بگیرند بر نفسهای خود یا قیاس نمایند نفسهای خودشان را بضعفا و فقرای خلق در رفتار و کردار تا این که غالب نشود و مضطرب نسازد فقیر را فقر و پریشانی او. و بالله التوفیق و منه الاستعانه و علیه التوکل و الاعتماد حتّی وفّقنا لما یحبّ و یرضی و هدانا سبیل الرّشد و طریق الوصول إلیه.

و من کلام له علیه السّلام و هو المأثان و التاسع من المختار فی باب الخطب

اشاره

و رواه غیر واحد من أصحابنا بطرق مختلفه مع بسط و اختلاف کثیر حسبما تطلع علیه فی التکمله الاثیه إنشاء الله.

قال السید رحمه الله: و قد سأله سائل عن أحادیث البدع و عما فی أیدی الناس من اختلاف الخبر فقال علیه السّلام:

إنّ فی أیدی النّاس حقّا و باطلا، و صدقا و کذبا، و ناسخا و منسوخا، و عامّا و خاصّا، و محکما و متشابها، و حفظا و وهما، و لقد کذب علی رسول الله صلّی الله علیه و آله و سلّم علی عهده حتّی قام خطیبا فقال: من کذب علیّ متعمّدا فلیتبوّأ مقعده من النّار.

و إنما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس:

رجل منافق مظهر للإيمان متصنع بالإسلام لا يتأثم ولا يتحرج، يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متعمدا فلو علم الناس أنه منافق كاذب لم يقبلوا منه و لم يصدقوا قوله و لكنهم قالوا صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم راه و سمع منه و لقف عنه فيأخذون بقوله و قد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك، و وصفهم بما وصفهم به لك، ثم بقوا بعده عليه وآله السلام فتقربوا إلى أئمة الضلالة و الدعاة إلى النار بالزور و البهتان، فولّوهم الأعمال و جعلوهم حكاما على رقاب الناس، و أكلوا بهم الدنيا و إنما الناس مع الملوك و الدنيا إلا من عصم الله فهو أحد الأربعة.

و رجل سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئا لم يحفظه على وجهه، فوهم فيه، و لم يتعمد كذبا فهو في يديه و يرويه و يعمل به و يقول أنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلو علم المسلمون أنه وهم فيه لم يقبلوه منه، و لو علم هو أنه كذلك لرفضه. و رجل ثالث سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئا يأمر به ثم نهى عنه و هو لا يعلم، أو سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به و هو لا يعلم، فحفظ المنسوخ و لم يحفظ الناسخ، فلو علم أنه منسوخ لرفضه، و لو علم

المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه. و آخر رابع لم يكذب على الله ولا على رسوله، مبغض للكذب خوفا من الله و تعظيما لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و لم يهم بل حفظ ما سمع على وجهه، فجاء به على سمعه لم يزد فيه و لم ينقص منه، فحفظ الناسخ فعمل به، و حفظ المنسوخ فجنب عنه، و عرف الخاص و العام، فوضع كل شيء موضعه و عرف المتشابه و محكمه. و قد كان يكون من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم الكلام له وجهان: فكلام خاص، و كلام عام، فيسمعه من لا يعرف ما عنى الله به، و لا ما عنى به رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فيحمله السامع و يوجهه على غير معرفه بمعناه و ما قصد به و ما خرج من أجله، و ليس كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من كان يسئله و يستفهمه، حتى أن كانوا ليحبون أن يجيء الأعرابي أو الطائر فيسئله عليه السلام حتى يسمعوا، و كان لا يمر بي عن ذلك شيء إلا سئلت عنه و حفظته، فهذا وجوه ما عليه الناس في اختلافهم و عللهم في رواياتهم.

اللغة

(الوهم) من خطرات القلب أو مرجوح طرفي المتردد فيه، و الجمع أوهام و وهم في الحساب كوجل غلط، و وهمت في الشيء من باب وعد أى ذهب و همى إليه و وقع في خلدي و روى و هما بالفتح و السكون كليهما و (بؤاه) منزلا و في

منزل أنزله فيه، و بؤأته دارا اسكنته إياها و تبؤء بيتا اتخذه مسكنا و (التصنع) تكلف حسن السمـت و التريـن و (التأثم) و (التحرج) مجانبه الاثم و الحرج أى الضيق يقال تحرج أى فعل فعلا جانب به الحرج كما يقال تحنث إذا فعل ما يخرج به عن الحنث، قال ابن الاعرابى: للعرب أفعال تخالف معانيها ألفاظها قالوا: تحرج و تحنث و تأثم و تهجد إذا ترك الوجود.

و (لقفه) لقفا من باب سمع و لقفانا بالتحريك تناوله بسرعه قال تعالى:

تلقف ما يأفكون، و (عصمه الله) من المكروه من باب ضرب حفظه و وقاه و (جنبه) و اجتنبه و تجنبه و جانبه و تجانبه بعد عنه، و جنبه إياه أبعد عنه و (طراء) فلان علينا بالهمز يطرأ أى جاء بغته من بلد آخر فهو طارئ بالهمز.

الاعراب

قوله: خطيبا حال من فاعل قام، و قوله: صاحب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بالرفع خبر محذوف المبتدأ أى هو أو هذا صاحب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و جمله رآه تحتل الحال و الوصف، و جمله و يرويه عطف على جمله هو فى يديه، و فى بعض النسخ بدون الواو فتكون حالا من الضمير فى يديه أو استينافيا بيانيا.

و قوله و قد كان يكون من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم الكلام له وجهان: اسم كان ضمير الشأن المستتر و يكون تامه مستغنيه عن الخبر، و هى مع اسمها أعنى الكلام خبر كان و له وجهان نعت للكلام، لأنه فى حكم النكرة و يجوز أن يكون حالا منه لأنه فى معنى الفاعل، و يحتمل أن يجعل يكون ناقصه فهو حيثئذ خبر له و ليس بنعت، و قوله: فكلام خاص آه، الفاء عاطفه للتفريع على قوله: له وجهان.

المعنى

إشارة

اعلم أن هذا الكلام الشريف حسبما أشار اليه السيد (قد) تكلم به حين (سأله سائل) و هو سليم بن قيس الهلالي حسبما تعرفه فى التكملة الاتيه إنشاء الله تعالى و له كتاب مشهور بين أصحابنا.

قال المحدث العلامة المجلسي ره فى ديباجه البحار: و قد طعن فى كتابه

و قال العلامة فى الخلاصه: سليم بن قيس الهلالي بضم السين روى الكشى أحاديث يشهد بشكره و صحه كتابه إلى أن قال: و قال السيد على بن أحمد العقيقى كان سليم بن قيس من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام طلبه الحجاج ليقتله فهرب واوى إلى أبان بن أبى عياش، فلما حضرته الوفاة قال لأبان: إن لك على حقاً و قد حضرني الموت يا ابن أخى إنه كان من الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كيت و كيت، و أعطاه كتاباً فلم يرو عن سليم بن قيس أحد سوى أبان و ذكر أبان فى حديثه قال: كان شيخاً متعبداً له نور يعلوه و قال ابن الغضائرى: سليم بن قيس الهلالي العامرى روى عن أمير المؤمنين و الحسن و الحسين و على بن الحسين عليهم السلام قال العلامة فى آخر كلامه، و الوجه عندى الحكم بتعديل المشار اليه و التوقف فى الفاسد من كتابه انتهى.

و كيف كان فقد سأله عليه السلام سليم بن قيس (عن أحاديث البدع) أى الأحاديث المبتدعه الموضوعه أو المربوطه بالبدعات و الامور المحدثه التى لا أصل لها فى الشريعة كما يشعر به ما رواه جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال فى خطبه:

إن أحسن الحديث كتاب الله، و خير الهدى هدى محمد، و شر الامور محدثاتها و كل محدثه بدعه، و كل بدعه ضلاله.

و قوله (و عما فى أيدي الناس من اختلاف الخبر) أراد به الأخبار المختلفه المخالفه لما عندهم عليهم السلام (فقال عليه السلام) فى جواب السائل:

(أن فى أيدي الناس حقاً و باطلاً و صدقاً و كذباً) ذكر الصدق و الكذب بعد الحق و الباطل من قبيل ذكر الخاص بعد العام، لأن الأخيرين من خواص الخبر و الأولان يصدقان على الأفعال أيضاً، و قيل: الحق و الباطل هنا من خواص الرأى و الاعتقاد و الصدق و الكذب من خواص النقل و الروايه (و ناسخاً و منسوخاً و عاماً و خاصاً و محكماً و متشابهاً) و قد مضى بيان معانى هذه السيره جميعاً و تحقيق الكلام فيها فى شرح الفصل السابع عشر من الخطبه الاولى فليراجع هناك

(و حفظا و وهما) أى حديثا محفوظا من الزيادة و النقصان مصونا عن الخلل و الغلط حفظه راويه على ما سمعه، و حديثا غير محفوظ من ذلك لسهو الراوى أو غلظه و عدم حفظه له على وجهه.

(و لقد كذب) اى افترى (على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم على عهده) أى فى زمانه.

قال الشارح البحرانى: و ذلك نحو ما روى أن رجلا سرق رداء رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و خرج إلى قوم و قال: هذا رداء محمد صلى الله عليه و آله و سلم أعطانيه لتمكنونى من تلك المرأة، و استنكروا ذلك، فبعثوا من سأل الرسول صلى الله عليه و آله و سلم عن ذلك، فقام الرجل الكاذب فشرب ماء فلدغته حية فمات، و كان النبى صلى الله عليه و آله و سلم حين سمع بتلك الحال قال لعلى عليه السّلام: خذ السيف و انطلق فان وجدته و قد كفيت فأحرقه بالنار، فجاء عليه السّلام و أمر باحراقه.

(حتى) لمّا سمع صلى الله عليه و آله و سلم ذلك الخبر و غيره ممّا كذبوا عليه (قام خطيبا فقال) أيها الناس قد كثرت على الكذّاب ف (من كذب على متعمدا فليتبوء مقعده من النار) أى لينزل منزله من النار، و هو إنشاء فى معنى الخبر كقوله تعالى: «قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا».

و هذا الحديث النبوى صلى الله عليه و آله و سلم ممّا رواه الكلّ و ادّعى تواتره و استدللّ به على وجود الأخبار الكاذبه ردّا على من أنكر وجودها أو استبعدها، و قد حكى أن علم الهدى تناظر مع علماء العامّة و بين لهم أن الأخبار التى رووها فى فضائل مشايخهم كلّها موضوعه، فقالوا: من يقدر أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فقال لهم: قد ورد فى الروايه عنه صلى الله عليه و آله و سلم أنّه قال فى حياته: ستكثر على الكذّاب بعد موتى فمن كذب على متعمدا فليتبوء مقعده من النار، فهذا الحديث إمّا صدق أو كذب و على التقديرين يحصل المطلوب.

ثمّ شرع عليه السّلام فى بيان وجه اختلاف الأخبار فقال (و انما أتاك بالحديث أربعة رجال لا خامس لهم) قال الشارح البحرانى: و وجه الحصر فى الأقسام الأربعة أن الناقل للحديث عنه صلى الله عليه و آله و سلم المتسمّين بالاسلام إمّا منافق أولا، و الثانى إمّا أن

يكون قد وهم فيه أولاً، والثاني إما أن لا يكون قد عرف ما يتعلق به من شرايط الزوايه أو يكون.

فأشار عليه السَّلام إلى القسم الأوَّل بقوله (رجل منافق مظهر للايمان) بلسانه منكر له بقلبه (متصنَّع بالاسلام) أى متكلَّف بادابه و لوازمه و مراسمه ظاهرا من غير أن يعتقد به باطنا يعنى أنه ليس مسلما فى نفس الأمر و إنما تسمَّى بالاسلام لتدليس الناس (لا يتأثم و لا يتحرَّج) أى لا يكفَّ نفسه عن موجب الاثم و لا يتجنَّب عن الوقوع فى الضيق و الحرج، أولا يعدّ نفسه آثما بالكذب بل (يكذب على رسول الله صلَّى الله عليه و آله و سلَّم متعمداً) لغرضه الدنيوى و داعيه هواه النفسانى (فلو علم الناس أنه منافق كاذب لم يقبلوا منه) حديثه كما قبلوه (و لم يصدّقوا قوله) كما صدّقوه (و لكنهم) اشتبهوا و (قالوا) هذا (صاحب رسول الله صلَّى الله عليه و آله و سلَّم رآه و سمع منه و لقى) أى تنال الحديث (عنه فيأخذون بقوله) غفله عن كذبه لحسن ظنهم به (و قد أخبرك الله عن المنافقين) فى كتاب المبين (بما أخبرك و وصفهم بما وصفهم به لك) الظاهر أنه عليه السَّلام أراد به قوله تعالى فى سورة المنافقين «وَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ» الايه، كما صرَّح عليه السلام به فى ساير طرق الروايه حسبما تعرفه فى التكملة الاتيه، و قد أفصح تعالى عن أحوالهم و أوصافهم بهذه الايه و الايات قبلها فى السوره المذكوره قال «وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصِيدُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ وَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَ إِنَّ يَقُولُوا تَسْمِعَ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشِبُ مُسِنَّدَةٍ» قال أمين الاسلام الطبرسى قد «وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ» فى قولهم إنهم يعتقدون أنك رسول الله، فكان إكذابهم فى اعتقادهم و أنهم يشهدون ذلك بقلوبهم، و لم يكذبوا فيما يرجع إلى ألسنتهم، لأنهم شهدوا بذلك و هم صادقون فيه «اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً» أى ستره يستترون بها من الكفر لئلا يقتلوا و لا يسبوا و لا يؤخذ أموالهم «فَصِدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» فأعرضوا بذلك عن دين الاسلام، و قيل:

منعوا غيرهم عن اتباع سبيل الحق بأن دعوهم إلى الكفر في الباطن، وهذا من خواص المنافقين، يصدّون العوام عن الدّين كما تفعل المبتدعه «أنهم ساء ما كانوا يعملون» أى بسّ الّذى يعملونه من اظهار الايمان مع ابطان الكفر و الصدّ عن السّيل «ذلك بأنهم آمنوا» بالسنتهم، عند الاقرار بلا إله إلا الله محمّد رسول الله «ثم كفروا» بقلوبهم لما كذبوا بهذا «فطبع على قلوبهم» أى ختم عليها بسمه تميّز الملائكة بينهم وبين المؤمنين على الحقيقة «فهم لا يفقهون» أى لا يعلمون من حيث إنهم لا يتفكرون حتّى يميّزوا بين الحقّ و الباطل «و إذا رأيتم تعجبك اجسامهم» بحسن منظرهم و تمام خلقتهم و جمال بزّتهم «و إن يقولوا تسمع لقولهم» لحسن منطقهم و فصاحه لسانهم و بلاغه بيانهم «كأنهم خشب مسند» أى كأنهم أشباح بلا أرواح، شبّههم الله فى خلّوهم من العقل و الافهام بالخشب المسند إلى شىء لا أرواح فيها و فى الصّافى مسنده إلى الحائط فى كونهم أشباحا خاليه عن العلم و النّظر.

(ثم بقوا) أى المنافقون (بعده عليه و آله السلام فتقرّبوا إلى أئمّه الضّلاله) كمعاويه و أضرابه من رؤساء بنى اميّه (و الدّعاة إلى التّمار) فيه تلميح إلى قوله تعالى «و جعلناهم أئمّه يدعون إلى التّار» (بالزّور) أى الكذب (و البهتان فولّوهم الأعمال و جعلوهم حكاما على رقاب النّاس) أى أئمّه الضّلال بسبب وضع الأخبار اعطوا هؤلاء المنافقين الولايات و سلّطوهم على النّاس، و يحتمل العكس أى بسبب مفتريات هؤلاء المنافقين صاروا و الين على النّاس و صنعوا ما شاءوا و ابتدعوا ما أرادوا قال المحدث العلامة المجلسيّ: و لكنّه بعيد.

أقول: و لعلّ وجه استبعاده أنّ ظاهر كلامه عليه السّلام يفيد كون إمامه أئمّه الضّلاله متقدّمه على وضع الأخبار حيث تقرّبوا بها إليهم فلا يكون حينئذ ولايتهم و إمامتهم مستنده إلى وضعها و مسببه منها، و لكن يمكن رفع البعد بأن يكون المراد أنّ ثبات حكومتهم و ولايتهم و استحكامها كان بسبب مفتريات المنافقين و إن لم يكن أصل الولايه بسببها و قوله (و أكلوا بهم الدّنيا) أى معهم أو باعانتهم، و الضّمير الأوّل راجع إلى

أثمّ الضلاله، و الثانى إلى المنافقين المفتريين، و يحتمل العكس أيضا.

و أشار إلى علّه تقرّبهم إلى الولاه بمفترياتهم بقوله (و انما الناس) جميعا (مع الملوك و الدّنيا) لكون هواهم فيها فهم عبيد لها و لمن فى يديه شىء منها حيثما زالت زالوا إليها و حيثما أقبلت أقبلوا عليها (إلا من عصم) ه (اللّه) تعالى منها و من أهلها، و هم الدين آمنوا و عملوا الصالحات و قليل ما هم (ف) هذا (هو أحد الأربعة) (و) الثانى منهم (رجل سمع من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم شيئا لم يحفظه على وجهه) الذى صدر من لسانه الشريف (فوهم فيه) أى غلط و سهى (و لم يتعمّد كذبا) كتعمّد الرّجل السابق الذّكر (فهو فى يديه) ينقله (و يرويه) لغيره (و يعمل به) فى نفسه (يقول أنا سمعته من رسول اللّه) يسنده إليه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بزعم أنه عين ما قاله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (فلو علم المسلمون أنه و هم فيه لم يقبلوه منه و لو علم هو أنه كذلك لرفضه) أى نبذه و تركه و لم يروه أقول: و من ذلك اشترط علماء الدّرايه الضبط فى الرّاوى يرى ضبطه لما يرويه بمعنى كونه حافظا له متيقظا غير مغفل إن حدّث من حفظه ضابطا لكتابه حافظا من الغلط و التصحيف و التحريف ان حدّث منه عارفا بما يختلّ به المعنى ان روى به أى بالمعنى على القول بجوازه حسبما تعرفه إنشاء اللّه تفصيلا.

(و رجل ثالث سمع من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم شيئا يأمر به ثمّ نهى عنه و هو لا يعلم) بنهيه (أو سمعه ينهى عن شىء ثمّ أمر به و هو لا يعلم) بأمره (فحفظ المنسوخ و لم يحفظ الناسخ فلو علم أنه منسوخ لرفضه و لو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه) و لكنه لجهله و غفلته عن الناسخ روى المنسوخ لغيره فقبلوه منه بحسن و ثوقهم به روى فى الكافى بسند موثّق عن محمّد بن مسلم عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قلت له: ما بال أقوام يروون عن فلان و فلان عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لا يتّهمون بالكذب، فيجىء منكم خلافه؟ قال عليه السّلام: إنّ الحديث ينسخ كما ينسخ القرآن.

و فيه بسنده عن منصور بن حازم عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى حديث قال: قلت

فأخبرني عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صدقوا على محمد أم كذبوا؟ قال: بل صدقوا، قال: قلت: فما بالهم قد اختلفوا؟ فقال عليه السلام: أما تعلم أن الرجل كان يأتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيسأله عن المسأله فيجيبه فيها بالجواب، ثم يجيئه بعد ذلك بما ينسخ ذلك الجواب فنسخت الأحاديث بعضها بعضا.

قال الشهيد الثاني في درايه الحديث عند تعداد أقسام الأحاديث: و سادس عشرها الناسخ و المنسوخ، فإن من الأحاديث ما ينسخ بعضها بعضا كالقرآن.

و الأول و هو الناسخ ما أى حديث دلّ على رفع حكم شرعى سابق، فالحديث المدلول عليه بما بمنزله الجنس يشمل الناسخ و غيره و مع ذلك خرج به ناسخ القرآن و الحكم المرفوع شامل للوجودى و العدمى و خرج بالشرعى الذى هو صفه الحكم الشرعى المبتدأ بالحديث، فانه يرفع به الاباحه الأصلية لكن لا يسمى شرعيا، و خرج بالسابق الاستثناء و الصفه و الشرط و الغايه الواقعه فى الحديث، فانها قد ترفع حكما شرعيا لكن ليس سابقا.

و الثانى و هو المنسوخ ما رفع حكمه الشرعى بدليل شرعى متأخر عنه و قيوده يعلم بالمقاييسه على الأول، و هذا فنّ صعب مهمّ حتّى أدخل بعض أهل الحديث فيه ما ليس منه لخباء معناه، و طريق معرفته النصّ من النبى صلى الله عليه وآله وسلم مثل كنت نهيتكم عن زياره القبور ألا فزوروها، و نقل الصحابى مثل كان آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنه ترك الوضوء مما مسّته النار، أو التاريخ فإنّ المتأخر منهما يكون ناسخا للمتقدّم لما روى عن الصحابه كنا نعمل بالأحاديث فالأحاديث أو الاجماع كحديث قتل شارب الخمر فى المزمه الرابعه نسخه الاجماع على خلافه حيث لا يتخلّل الحدّ و الاجماع لا ينسخ بنفسه و انما يدلّ على النسخ، انتهى كلامه رفع مقامه.

و ينبغى أن يعلم أنّ النسخ إنما يكون فى الأحاديث الوارده عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم إذ لا ينسخ بعده.

(و آخر رابع) له عنايه بأمر الدّين و اهتمام بمدارك الشرع المبين (لم يكذب على الله و لا على رسوله) صلى الله عليه وآله وسلم كالرجل الأول المنافق المتصنّع بالاسلام تحرّجا

من الكذب و الزور (مبغض للكذب خوفا من الله و تعظيما لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و لم يهتم) أى لم يغلط و لم يسه كالرجل الثانى الغير الضابط (بل حفظ) و وعى (ما سمع على وجهه) كما اشير إليه فى قوله عز و جل «و تعيها اذن واعيه» (فجاء به على سمعه) أى نقله على الوجه المسموع، و فى بعض النسخ على ما سمعه بزياده ما و هو أقرب (لم يزد فيه و لم ينقص منه) أى رواه من غير زياده و لا نقصان فاستحق بذلك البشاره العظيمه من الله تعالى فى قوله «فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ».

فقد روى فى البحار من الاختصاص باسناده عن أبى بصير عن أحدهما عليهما السلام فى هذه الايه قال عليه السلام: هم المسلمون لال محمد صلى الله عليه و آله و سلم إذا سمعوا الحديث أدوه كما سمعوه لا يزدون و لا ينقصون.

و فيه عن الكلينى بسنده عن أبى بصير قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام قول الله جل ثناؤه «الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ» قال عليه السلام: هو الرجل يستمع الحديث فيحدث به كما سمعه لا يزيده فيه و لا ينقص.

(فحفظ الناسخ فعمل به و حفظ المنسوخ فجنب عنه) لا كالرجل الثالث يحفظ المنسوخ و يرويه و لم يحفظ الناسخ و يغيب عنه (و عرف الخاص و العام فوضع كل شىء موضعه) أى أبقى العمومات الغير المخصيه صه على عمومها و حمل المخصيه صات على الخصوص و كذا المطلق و المقيّد و سائر أدله الأحكام (و عرف المتشابه) فوكل علمه إلى الله تعالى و رسوله و الراسخين فى العلم عليهم السلام (و محكمه) فأخذ به و اتبعه ثم أكد كون كلام الرسول صلى الله عليه و آله و سلم ذا وجوه مختلفه بقوله (و قد كان يكون من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم الكلام له وجهان) ككتاب الله العزيز و كلامه عز شأنه (ف) بعضه (كلام خاص و) بعضه (كلام عام فيسمعه من لا يعرف ما عنى الله سبحانه به و لا ما عنى به رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم) من العموم و الخصوص (فيحمله السامع) على غير معناه المراد من أجل اشتباهه و عدم معرفته (و يوجهه) أى يؤوله (على غير معرفه بمعناه و ما قصد به و ما خرج من أجله) أى العله المقتضيه لصدور الكلام منه صلى الله عليه و آله و سلم، و كذا الحال

والمقام الذى صدر فيه.

(و ليس كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسأله ويستفهمه) لمهابته أو اعظاما له (حتى أن كانوا ليحبون أن يجيء الاعرابي) من سكان البادية (أو الطاري) أى الغريب الذى أتاه عن قريب من غير انس به صلى الله عليه وآله وسلم و بكلامه (فيسأله عليه السلام حتى يسمعوا) و إنما كانوا يحبون قدومهما إما لاستفهامهم و عدم استعظامهم إياه، أو لأنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يتكلم على وفق عقولهم فيوضحه حتى يفهم غيرهم.

ثم أشار عليه الصلاة والسلام إلى علو مقامه و رفعه شأنه و بلوغه ما لم يبلغه غيره بقوله (و كان لا يمر بى عن ذلك) أى من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (شئ إلا سألت عنه صلى الله عليه وآله وسلم و حفظته) لمزيد اختصاصه عليه الصلاة والسلام به و كونه عيبه علمه و قد كان يجب عليه عليه الصلاة والسلام و السؤال و الحفظ كما كمان يجب عليه صلى الله عليه وآله وسلم التعليم و التفهيم لاقتضاء تكليف الاستخلاف و وظيفه الخلافة ذلك (فهذا وجوه ما عليه الناس فى اختلافهم) فى الروايات (و) ضروب (علمهم) و أمراضهم (فى رواياتهم) المختلفة.

و ينبغي تدليل المقام بأمور مهمه

إشارة

الاول

قال الشيخ الشهيد الثانى فى كتاب درايه الحديث عند تعداد أصناف الحديث الضعيف:

الثامن الموضوع و هو المكذوب المختلق الموضوع بمعنى أن واضعه اختلق وضعه لا مطلق حديث الكذوب، فإن الكذوب قد يصدق، و هو أى الموضوع شر أقسام الضعيف، و لا- تحل روايته للعالم به إلا مبينا لحاله من كونه موضوعا بخلاف غيره من الضعيف المحتمل للصدق حيث جوزوا روايته فى الترغيب و التهيب و يعرف الموضوع باقرار واضعه بوضعه فيحكم حينئذ عليه بما يحكم على الموضوع فى نفس الأمر لا بمعنى القطع بكونه موضوعا، لجواز كذبه فى إقراره، و إنما يقطع بحكمه لأن الحكم يتبع الظن الغالب، و هو هنا كذلك و لولاه لما ساغ

ص: ٣٥

قتل المقرّر بالقتل و لا رجم المعترف بالزّنا، لاحتمال أن يكونا كاذبين فيما اعترفا به.

و قد يعرف أيضا بركاكه ألفاظه و نحوها، و لأهل العلم بالحديث ملكه قويه يميّزون بها ذلك، و إنما يقوم به منهم من يكون اطلاعه تاما، و ذهنه ثاقبا، و فهمه قويا، و معرفته بالقراين الدّاله على ذلك ممكنه، و بالوقوف على غلطه و وضعه من غير تعمّد، كما وقع لثابت بن موسى الزّاهد فى حديث من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنّهار، فقليل كان شيخ يحدث فى جماعه فدخل رجل حسن الوجه فقال الشيخ فى أثناء حديثه: من كثرت صلاته بالليل «إلخ» فوقع لثابت ابن موسى أنّه من الحديث فرواه.

و الواضعون أصناف:

منهم من قصد التقرب به إلى الملوك و أبناء الدّنيا، مثل غياث بن إبراهيم دخل على المهدي بن المنصور و كان تعجبه الحمام الطياريه الوارده من الأماكن البعيده، روى حديثا عن النّبي صلّى الله عليه و آله و سلّم أنّه قال: لا سبق إلّا فى خفّ أو حافر أو نصل أو جناح، فأمر له بعشره آلاف درهم، فلما خرج قال المهدي: اشهد أنّ قفاه كذاب على رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم ما قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم جناح و لكن هذا أراد أن يتقرّب إلينا، فأمر بذبحها و قال: أنا حملته على ذلك و منهم قوم من السّؤال يضعون على رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم أحاديث يرتزقون بها كما اتّفق لأحمد بن حنبل و يحيى بن معين فى مسجد الرّصافه.

و أعظم ضررا من انتسب منهم إلى الزّهد و الصّلاح بغير علم فاحتسب بوضعه أى زعم أنّه وضعه حسبه لله تعالى و تقرّبا إليه ليجذب بها قلوب النّاس إلى الله تعالى بالترهيب و التّرجيب، فقبل النّاس موضوعاتهم فنقلوا منهم و ركّوا إليهم بظهور حالهم بالصّلاح و الزّهد.

و يظهر ذلك من أحوال الأخبار الّتى وضعها هؤلاء فى الوعظ و الزّهد و ضمّنوها أخبارا عنهم و نسبوا إليهم أفعالا و أحوالا خارقه للعاده و كرامات لم يتّفق مثلها لأولى العزم من الرّسل بحيث يقطع العقل بكونها موضوعه و إن كانت كرامات الأولياء

ممکنه فی نفسها و من ذلك ما روى عن أبى عصمه نوح بن أبى مریم المروزى أنه قيل له:

من أين لك عن عكرمه عن ابن عباس فى فضائل القرآن سورة سورة و ليس عند أصحاب عكرمه هذا؟ فقال: إنَّ النَّاسَ قد أَعْرَضُوا عن القرآن و اشتغلوا بفقہ أبى حنیفه و مغازی محمّد بن إسحاق فوضعت هذا الحديث حسبه و كان يقال لأبى عصمه هذا:

الجامع فقال: أبو حاتم بن الحیان: جمع كلَّ شىء إلا الصّيدق و روى ابن حیان عن أبى مهدى قال: قلنا لميسره بن عبد ربّه: من أين جئت بهذه الأحاديث من قرء بكذا فله كذا، فقال: وضعتها أرغب النَّاسَ فيها و هكذا قيل فى حديث أبى الطّويل فى فضائل سور القرآن سورة سورة، فروى عن المؤمّل بن إسماعيل قال: حدّثنى شيخ به فقلت للشيخ من حدّثك؟ فقال حدّثنى رجل بالمدائن و هو حىّ، فصرت إليه و قلت: من حدّثك؟ فقال: حدّثنى شيخ بواسط و هو حىّ، فصرت إليه و قلت: من حدّثك؟ فقال: حدّثنى شيخ بالبصره، فصرت إليه فقال: حدّثنى شيخ بعبّادان، فصرت إليه فأخذ بيدي و أدخلنى بيتا فاذا فيه قوم من الصّوفیه و معهم شيخ فقال: هذا الشيخ حدّثنى، فقلت: يا شيخ من حدّثك؟ فقال: لم يحدّثنى أحد و لكن رأينا النَّاسَ قد رغبوا عن القرآن فوضعنا لهم هذه الأحاديث ليصرفوا قلوبهم إلى القرآن.

و كلّ من أودع هذه الأحاديث فى تفسيره كالواحدى و الثعلبى و الزّمخشري فقد أخطأ فى ذلك و لعَلَّهم لم يطلعوا على وضعه مع أنّ جماعه من العلماء قد تَبَّهوا عليه، و خطب من ذكره مستندا كالواحدى أسهل.

و وضعت الزّنادقه كعبد الكريم بن أبى العوجاء الذى أمر بضرب عنقه محمّد بن سليمان بن علىّ العبّاسى، و بيان الذى قتله خالد القشيري «القسرى» و أحرقه بالنّار، و الغلاه من فرق الشّيعه كأبى الخطاب و يونس بن ظبيان و يزيد الصّايغ و أضرابهم جمله من الحديث ليفسدوا بها الاسلام و يبصروا به مذهبهم.

روى العقيلي عن حمّاد بن يزيد قال: وضعت الزّنادقه على رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم

و روى عن أبى عبد الله «عبد الله خ ل» بن يزيد المقرئ أنّ رجلا من الخوارج رجع عن مذهبه فجعل يقول: انظروا هذا الحديث عمن تأخذونه كئنا إذا رأينا رأيا جعلنا له حديثا.

ثم نهض جهابذه النقاد - جمع جهبذ و هو الناقد البصير - يكشف عوارها - بفتح العين و ضمها و الفتح أشهر و هو العيب - و محوا عارها، فله الحمد حتى قال بعض العلماء: ما ستر الله أحدا يكذب فى الحديث.

و قد ذهب الكراميه - بكسر الكاف و تخفيف الرّاء و بفتح الكاف و تشديد الرّاء على اختلاف نقل الضّابطين لذلك - و هم الطائفة المنتسبون بمذهبهم إلى محمّد ابن كرام و بعض المبتدعه من المتصوّفه إلى جواز وضع الحديث للترغيب و التهيب للنّاس و ترغيبا فى الطاعة و زجرا لهم عن المعصية.

و استدلّوا بما روى فى بعض طرق الحديث من كذب على متعمّدا ليضللّ به النّاس فليتبوء مقعده من النّار، و هذه الزّيادة قد أبطلها نقله الحديث و حمل بعضهم من كذب على متعمّدا، على من قال: إنّه ساحر أو مجنون، حتى قال بعض المخدولين إنّما قال من كذب على، و نحن نكذب له و نقوى شرعه نسأل الله السّلامه من الخذلان.

و حكى القرطبى فى المفهم عن بعض أهل الرّأى: إنّ ما وافق القياس الجلى جاز أن يعزى إلى النّبي صلّى الله عليه و آله و سلّم.

ثم المروى تاره يخترعه الواضع، و تاره يأخذ كلام غيره كبعض السلف الصّالح و قدماء الحكماء و الاسرائيليات، أو يأخذ حديثا ضعيف الاسناد فيركّب له اسنادا صحيحا ليروج.

و قد صنّف جماعه من العلماء كتباً فى بيان الموضوعات.

و للصّيغاني الفاضل الحسين بن محمّد فى ذلك كتاب الدّر الملتقط فى تبين الغلط جيّد فى هذا الباب و لغيره كأبى الفرج ابن الجوزى دونه فى الجوده، لأنّ كتاب

ابن الجوزى ذكر فيه كثير من الأحاديث التى ادعى وضعها لا دليل على كونها موضوعه و الحاقها بالضعيف أولى و بعضها قد يلتحق بالصحيح و الحسن عند أهل التّقد، بخلاف كتاب الصّغاني فإنّه تامّ فى هذا المعنى يشتمل على انصاف كثير

الثانى

اعلم أنّ أكثر أخبار الموضوعه قد وضعت فى زمن بنى اميّه لعنهم الله قاطبه كما ظهر لك تفصيل ذلك فى شرح الكلام السّابع و التّسعين ممّا روينا من البحار من كتاب سليم بن قيس الهلالي و نضيف إليه ما ذكره و نقله الشّارح المعتزلى هنا لاشتماله على زياده لم يتقدّم ذكرها مع كونه مؤيدا لما قدّمنا فأقول:

قال الشّارح بعد ما ذكر أنّه خالط الحديث كذب كثير صدر عن قوم غير صحيحى العقيده قصدوا به الاضلال و تخليط القلوب و العقائد، و قصد به بعضهم التّنويه بذكر قوم كان لهم فى التّنويه بذكرهم غرض دنيوىّ ما صريح عبارته:

و قد قيل إنّ افتعل فى أيام معاويه خاصّه حديث كثير على هذا الوجه، و لم يسكت المحدثون الرّاسخون فى علم الحديث عن هذا بل ذكروا كثيرا من هذه الأحاديث الموضوعه و بينوا وضعها و أنّ رواتها غير موثق بهم إلّا أنّ المحدثين إنّما يطعنون فيما دون طبقه الصّحابه و لا يتجاسرون على الطّعن فى أحد من الصّحابه لأنّ عليه لفظ الصحبه على أنّهم قد طعنوا فى قوم لهم الصحبه كثير «كبسر ظ» بن ارطاه و غيره.

فان قلت: من أئمه الضلال(1) الذين تقرب إليهم المنافقون الذين رأوا رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و صحبوه بالرّور و البهتان، و هل هذا إلّا تصريح بما تذكره الاماميه و تعتقده؟ قلت: ليس الأمر كما ظننت و ظنّوا، و إنّما يعنى معاويه و عمرو بن العاص و من شايعهما على الضلال.

كالخبر رواه من رواه فى حقّ معاويه: اللهمّ قه العذاب و الحساب و علّمه الكتاب

ص: ٣٩

١- (١) - أراد بهم ما تقدم ذكرهم فى المتن، منه.

و كروايه عمر و بن العاص تقرّبا إلى قلب معاويه: إنّ آل أبى طالب ليسوا لى بأولياء و إنّما وليّ الله و صالح المؤمنين و كروايه قوم فى أيام معاويه أخبارا كثيره من فضائل عثمان تقرّبا إلى معاويه بها و لسنا نجحد فضل عثمان و سابقته، و لكننا نعلم أنّ بعض الأخبار الوارده فيه موضوع كخبر عمرو بن مرّه فيه و هو مشهور و عمرو بن مرّه ممن له صحبه و هو شاميّ.

و ليس يجب من قولنا إنّ بعض الأخبار الوارده فى حقّ شخص فاضل مفتعله أن تكون قاده فى فضل ذلك الفاضل، فإنّا مع اعتقادنا أنّ عليّا عليه السّلام أفضل النّاس نعتقد أنّ بعض الأخبار الوارده فى فضايله مفتعل و مختلق.

و قد روى أنّ أبا جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليهما السّلام قال لبعض أصحابه:

يا فلان ما لقينا من ظلم قريش إيانا و تظاهرهم علينا و ما لقي شيعتنا و محبّونا من الناس، إنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم قبض و قد أخبر أنّا أولى الناس بالناس، فتمالّئت علينا قريش حتى اخرجت الأمر عن معدنه، و احتجّت على الأنصار بحقّنا و حجّتنا، ثمّ تداولتها قريش واحد بعد واحد حتى رجعت إلينا فنكثت بيعتنا و نصبت الحرب لنا و لم يزل صاحب الأمر فى صعود كئود حتّى قتل.

فبويح الحسن عليه السّلام ابنه عوهده ثمّ غدر به و اسلم و وثب عليه أهل العراق حتى طعن بخنجر فى جنبه، و انتهب عسكره و عولجت خلاخيل امهات أولاده فوادع معاويه و حقن دمه و دماء أهل بيته و هم قليل حق قليل.

ثمّ بايع الحسين عليه السّلام من أهل العراق عشرون ألفا ثمّ غدر به و خرجوا عليه و بيعته فى أعناقهم.

ثمّ لم تزل أهل البيت تستذلّ و تستضام و نقصى و نمتحن و نحرّم و نقتل و نخاف و لا نأمن على دماءنا و دماء أوليائنا و وجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم و جحودهم موضعا

يتقربون به إلى أوليائهم، وقضاه سوء وعمال سوء في كل بلده، فحدّثوهم بالأحاديث الموضوعه المكذوبه، ورواينا ما لم نقله ليعضونا إلى الناس.

وكان عظم ذلك و كبره زمن معاويه بعد موت الحسن عليه السّلام فقتلت شيعتنا بكلّ بلده، وقطعت الأيدي والأرجل على الظنه و كان من يذكر بحبنا والانتقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره.

ثمّ لم يزل البلاء يشتدّ ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد لعنه الله قاتل الحسين عليه السّلام.

ثمّ جاء الحجاج فقتلهم كلّ قتله وأخذهم بكلّ ظنّه وتهمه حتّى أنّ الرّجل ليقال له زنديق أو كافر أحبّ إليه من أن يقال شيعة عليّ عليه السّلام، و حتّى صار الرّجل الذي يذكر بالخير ولعله ورعا صدوقا يحدث بأحاديث عظيمه عجيبه من تفضيل بعض من قد سلف من الولاة و لم يخلق الله تعالى شيئا منها ولا كانت ولا وقعت و هو يحسب أنّها حقّ لكثرة من قد رواها ممّن لم يعرف بكذب ولا بقله ورع و روى أبو الحسن عليّ بن محمّد بن أبي سيف المدائني في كتاب الأحداث قال كتب معاويه نسخه واحده إلى عمّاله بعد عام الجماعة أن برئت الذّمه ممّن روى شيئا في فضل أبي تراب و أهل بيته.

فقامت الخطباء في كلّ كوره و على كلّ منبر يلعنون عليّا عليه السّلام و يبرءون منه و يقعون فيه و في أهل بيته، و كان أشدّ الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة عليّ عليه السّلام، فاستعمل عليهم زياد بن سميه و ضمّ إليه البصره فكان يتبع الشيعة و هو بهم عارف لأنّه كان منهم أيام عليّ عليه السّلام فقتلهم تحت كلّ حجر و مدر، و أخافهم و قطع الأيدي والأرجل و سمل العيون و صلبهم على جذوع النخل و طردهم و شردهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم.

و كتب معاويه لعنه الله إلى عمّاله في جميع الافاق: لا يجيزوا لأحد من شيعة عليّ و أهل بيته شهادة.

و كتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعه عثمان و محبيه و أهل ولايته و الذين يروون فضايله و مناقبه فادنوا مجالسهم و قربوهم و أكرمهم و اكتبوا إليّ بكلّ ما يروى كلّ رجل منهم و اسمه و اسم أبيه و عشيرته.

ففعّلوا حتّى أكثروا في فضائل عثمان و مناقبه لما كان يبعثه إليهم معاويه من الصلاه و الكساء و الحباء و القطايع و يفيضه في العرب منهم و الموالى و كثر ذلك في كلّ مصر و تنافسوا في المنازل و الدّنيا، فليس يجزى مردود من الناس عاملا من عمّال معاويه فيروى في عثمان فضيله أو منقبه إلّا كتب اسمه و قربه و شفّعه فلبثوا بذلك حيناً.

ثمّ كتب إلى عمّاه له: أنّ الحديث في عثمان قد كثر و فشا في كلّ مصر و في كلّ وجه و ناحيه، فاذا جائكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الزّوايه في فضائل الصحابه و الخلفاء الأوّلين و لا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبى تراب إلّا و أتوني بمناقض له في الصحابه مفتعله لا حقيقه لها و جدّ الناس في روايه ما يجرى هذا المجرى حتّى أشاروا يذكروا ذلك على المنابر، و ألقى إلى معلّمى الكتّاب فعلموا صبيانهم و غلمانهم من ذلك الكثير الواسع حتّى رووه و تعلّموه كما يتعلّمون القرآن و حتّى علّموه بناتهم و خدمهم و حشمهم فلبثوا بذلك ما شاء الله.

ثمّ كتب نسخه واحده إلى جميع البلدان: انظروا من أقامت عليه البيّنه أنّه يحبّ علياً و أهل بيته فامحوه من الدّيوان، و اسقطوا عطاءه و رزقه.

و شفّع ذلك بنسخه اخرى: من اتّهمتموه بموالاه هؤلاء القوم فنكلوا به و اهدموا داره.

فلم يكن البلاء أشدّ و لا أكثر منه بالعراق و لا سيّما بالكوفه حتّى أنّ الرجل من شيعه عليّ عليه السّلام ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقى إليه سرّه و يخاف من خادمه و مملوكه و لا يحدّثه حتّى يأخذ عليه الايمان الغليظه ليكتمنّ عليه.

فظهر حديث كثير موضوع و بهتان منتشر، و مضى على ذلك الفقهاء و القضاة

و الولاه، و كان أعظم الناس فى ذلك بليّ القراء المراءون، و المتصنّعون المّذين يظهرّون الخشوع و النّسك، فيفتعلون ذلك ليحفظوا بذلك عند ولاّتهم و يقربوا مجالسهم و يصيبوا به الأموال و الضياع و المنازل.

حتّى انتقلت تلك الأخبار و الأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلّون الكذب و البهتان، فقبلوها و رووها و هم يظنّون أنّها حقّ، و لو علموا أنّها باطله لما رووها و لا تدبّروا.

فلم يزل الأمر كذلك حتّى مات الحسن بن علىّ عليه السّلام، فازداد البلاء و الفتنة فلم يبق أحد من هذا القبيل إلّا و هو خائف على دمه أو طريد فى الأرض.

ثمّ تفاقم الأمر بعد قتل الحسين عليه الصلاه و السلام و ولى عبد الملك بن مروان فاشتدّ على الشيعة.

و ولى عليهم الحجاج بن يوسف فتقرّب إليه أهل النّسك و الصّلاح و الدّين ببغض علىّ عليه السّلام و موالاه أعدائه و موالاه من يدعى قوم من الناس أنّهم أيضا أعداؤه فاكثروا فى الرّوايه فى فضلهم و سوابقهم و مناقبهم، و أكثروا من الغضب من علىّ عليه السّلام و عيبه و الطعن فيه و الشّنان له.

حتّى أنّ إنسانا وقف للحجاج و يقال جدّ الأصمعى عبد الملك بن قريّب فصاح به أيّها الأمير إنّ أهلى عقّونى فسّمونى عليا، و إنّى فقير بائس و أنا إلى صله الأمير محتاج، فتصاحك له الحجاج و قال: للطف ما توّسّلت به قد وليتك موضع كذا.

و قد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه و هو من أكابر المحدثين و أعلامهم فى تاريخه ما يناسب هذا الخبر، و قال: إنّ أكثر الأحاديث الموضوعه فى فضائل الصحابه افتعلت فى أيام بنى اميّة تقرّبا إليهم بما يظنّون أنّهم يرغمون به أنف بنى هاشم.

ثمّ قال الشارح بعد جملة من الكلام:

و اعلم أنّ أصل الأكاذيب فى أحاديث الفضائل كان من جهه الشيعة: فإنّهم

وضعوا فى مبدء الأمر أحاديث كذا مختلفه فى صاحبهم حملهم على وضعها عداوه خصومهم.

نحو حديث السطل، و حديث الرّمانه، و حديث غزوه البئر التى كان فيها الشياطين و يعرف كما زعموا بذات العلم، و حديث غسل سلمان الفارسى و طيّ الأرض، و حديث الجمعجه و نحو ذلك.

فلما رأّت البكريّه ما صنعت الشيعة وضعت لصاحبها أحاديث فى مقابله هذه الأحاديث.

نحو لو كنت متّخذاً خليلاً، فإنّهم وضعوه فى مقابله حديث الاخاء.

و نحو سدّ الأبواب فإنّه كان لعلّى عليه السّلام فقلّبت البكريّه إلى أبى بكر.

و نحو ايتونى بدواه و بياض اكتب فيه لأبى بكر كتاباً لا يختلف عليه اثنان ثمّ قال: يابى الله و المسلمون إلّا أباً بكر.

فإنّهم وضعوه فى مقابله الحديث المروىّ عنه صلّى الله عليه و آله و سلّم فى مرضه: ايتونى بدواه و بياض اكتب لكم ما لا تضلّون بعده أبداً، فاختلفوا عنده و قال قوم منهم: لقد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله.

و نحو حديث أنا راض عنك فهل أنت عنيّ راض و نحو ذلك.

فلما رأّت الشيعة ما و قد وضعت البكريّه أوسعوا فى وضع الأحاديث.

فوضعوا حديث الطوق الحديد الذى زعموا أنّه قتله فى عنق خالد.

و حديث اللّوح الذى زعموا أنّه كان فى غدائر الحنفية أمّ محمّد و حديث: لا يفعل خالد ما امر به.

و حديث الصحيفة علّقت عام الفتح بالكعبة.

و حديث الشيخ الذى صعد المنبر يوم بويج أبو بكر فسبق الناس إلى بيعته و أحاديث مكذوبه كثيره تقتضى نفاق قوم من أكابر الصحابه و التابعين الأوّلين و كفرهم و على أدون الطبقات فسقهم.

فقابلتهم البكريّه بمطاعن كثيره فى علّى و فى ولديه، و نسبوه تاره إلى ضعف

العقل، و تاره إلى ضعف السياسه، و تاره إلى حب الدّنيا و الحرص عليها، و لقد كان الفريقان فى غنيه عمّا اكتسباه و اجترحاه.

أقول: و لقد أجاد الشارح فيما نقل و أفاد إلّا أنّ ما قاله أخيرا فى ذيل قوله:

و اعلم أنّ أصل الأكاذيب فى أحاديث الفضائل إلى آخر كلامه غير خال من الوهم و الخبط.

و ذلك أنّا لا ننكر صدور بعض المفتريات و الأحاديث الموضوعه من غلاه الشيعة و جهّالهم و ممّا لا مبالاه له فى الدّين كما صدر أكثر كثير من هذه من علماء العامّه و جهّالهم و أكابرهم و أصاغرهم حسبما تعرفه فى التّنبيه الاتى إنشاء الله تعالى.

لكن الأحاديث الخاصّيه التى أشار إليها بخصوصها من حديث السطل و الرمانه و غزوه الجنّ و غسل سلمان و الجمجمه و حديث الطوق و اللوح و الصحيفة الملعونه و الشيخ الذى سبق إلى بيعه أبى بكر لا دليل على وضع شىء منها، بل قد روى بعضها المخالف و الموافق جميعا كحديث السطل.

فقد رواه السيد المحدث الناقد البصير السيّد هاشم البحرانى فى كتاب غايه المرام فى الباب السابع و التسعين منه بأربعة طرق من طرق العامّه، و فى الباب الثامن و التسعين منه بأربعة طرق من طرق الخاصّه.

و قد روى حديث الرّمانه أيضا فى الباب السابع عشر و مائة منه بطريق واحد من طرق العامّه، و فى الباب الذى يتلوه بطريق واحد أيضا من طرق الخاصه.

و أمّا حديث غزوه الجنّ فقد مضى روايته فى شرح الفصل الثامن من الخطبه المأه و الاحدى و التسعين، و قد رواه الشيخ المفيد «قد» فى الارشاد بنحو آخر.

و لعلّ زعم الشارح وضعه مبنى على اصول المعتزله و لقد أبطله المفيد فى الارشاد فأنّه بعد ما قال فى عداد ذكر مناقب أمير المؤمنين عليه السّلام و من ذلك ما تظاهر به الخبر من بعثه رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم إلى وادى

الجنّ وقد أخبره جبرئيل عليه السّلام أنّ طوائف منهم قد اجتمعوا لكيده فاغنى عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وكفى الله المؤمنين به كيدهم ودفعهم عن المسلمين بقوّته الّتى بان بها عن جماعتهم ثمّ روى الحديث عن محمّد بن أبى السرى التميمى عن أحمد بن الفرّج عن الحسن بن موسى التّهدى عن أبيه عن وبره بن الحرث عن ابن عباس و ساق الحديث إلى آخره قال بعد روايته ما هذا لفظه:

و هذا الحديث قد روته العامّه كما روته الخاصه، و لم يتناكروا شيئاً منه و المعتزله لميلها إلى مذهب البراهمه تدفعه و لبعدها عن معرفه الأخبار تنكره و هى سالكه فى ذلك طريق الزّنادقه فيما طعنت به فى القرآن و ما تضمنه من أخبار الجنّ و ايمانهم بالله و رسوله و ما قصّ الله من نبائهم فى القرآن فى سورة الجنّ و قولهم «إِنَّا سَيِّمِعُنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ» إلى آخر ما تضمّنه الخبر عنهم فى هذه السّوره و إذا بطل اعتراض الزّنادقه فى ذلك بتجويز العقول وجود الجنّ و إمكان تكليفهم و ثبوت ذلك مع إعجاز القرآن و الاعجوبه الباهره فيه كان مثل ذلك ظهور بطلان طعون المعتزله فى الخبر الّذى رويناه، لعدم استحاله مضمونه فى العقول و فى مجيئه من طريقين مختلفين و بروايه فريقين فى دلالتهم متباينين برهان صحّته و ليس إنكار من عدل عن الانصاف فى النّظر من المعتزله و المجبّره قدح فيما ذكرناه من وجوب العمل عليه.

كما أنّه ليس فى جحد الملاحده و أصناف الزنادقه و اليهود و النّصارى و المجوس و الصابئين ما جاء صحّته من الأخبار بمعجزات النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم كانشقاق القمر و حنين الجذع و تسييح الحصى فى كفّه و شكوى البعير و كلام الدّراع و مجيئ الشّجره و خروج الماء من بين أصابعه فى الميضاه و إطعام الخلق الكثير من الطعام القليل قدح فى صحّتها و صدق رواتها و ثبوت الحجّج بها.

بل الشّبهه لهم فى دفع ذلك و إن ضعفت أقوى من شبهه منكرى معجزات

أمير المؤمنين عليه السّلام و براهينه لما لا خفاء عليها و على أهل الاعتبار به مما لا حاجة إلى شرح وجوهه في هذا المكان.

ثم قال قدّس الله روحه بعد جملة من الكلام:

و لا زال أجد الجاهل من الناصبه و المعاند يظهر التعجّب من الخبر بملاقات أمير المؤمنين عليه السّلام الجنّ و كفّه شرّهم عن النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم و أصحابه و يتضحك لذلك و ينسب الزّوايه له إلى الخرافات الباطله، و يضع مثل ذلك في الأخبار الوارده بسوى ذلك من معجزاته عليه السّلام و يقول: إنه من موضوعات الشيعة و تحرّص من افتراء منهم للتكسب بذلك أو التعصّب.

و هذا بعينه مقال الزّنادقه كافّه و أعداء الاسلام فيما نطق به القرآن من خبر الجنّ و إسلامهم في قوله تعالى «إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ» و فيما ثبت به الخبر عن ابن مسعود في قصّه ليله الجنّ و مشاهدته لهم كالزّط، و في غير ذلك من معجزات الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم، و أنّهم يظهرون التعجّب من جميع ذلك و يتضحكون عند سماع الخبر به و الاحتجاج بصحّته و يستهزؤن و يلغظون(1) فيما يسرفون به من سبّ الاسلام و أهله و استحماق معتقديه و الناصرين له و نسبتهم إيّاهم إلى العجز و الجهل، و وضع الأباطيل.

فلينظر القوم ما جنوه على الاسلام بعداوتهم لأمر المؤمنين عليه السّلام و اعتمادهم في دفع فضائله و مناقبه و آياته على ما ضاهوا به أصناف الزّنادقه و الكفّار ممّا يخرج عن طريق الحجاج إلى أبواب الشغب و المسافهات، انتهى كلامه رفع مقامه.

و بذلك كلّ ظهر أيضا فساد زعم وضع حديث بيعه الشّيطان لأبى بكر و ظهوره بصورة شيخ و صعوده المنبر و سبقته إلى البيعه حسبما عرفت روايته تفصيلا في المقدّمه الثانيه من مقدّمات الخطبه الثالثه المعروفه بالشّقشقيّه.

إذ الظاهر أنّ زعم وضعه أيضا مبنى على استبعاد ظهوره بصورة إنسان، و يدفع ذلك ما اجتمع عليه أهل القبله من ظهوره لأهل دار النّدوه بصورة شيخ

ص: ٤٧

من أهل نجد و اجتماعه معهم فى الرأى على المكر برسول الله صلى الله عليه وآله و سلم و ظهوره يوم بدر للمشركين فى صورته سراقه بن جعثم «جعثم» المدلجى و قوله «لا- غالب لكم اليوم من الناس و إئتى جار لكم» قال الله عز و جل «فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه و قال إئتى برىء منكم إنى أرى ما لا ترون إئتى أخاف الله و الله شديد العقاب» و أما سائر الأحاديث فلا استبعاد بشىء منها حتى يزعم وضعها، و قد أتى آصف ابن برخيا الذى عنده علم من الكتاب بعرش بلقيس بطى الأرض من مكان بعيد فى طرفه عين فكيف يستبعد فى حق أمير المؤمنين عليه السلام الذى عنده علم الكتاب كله حسبما عرفت فى غير موضع من تضعيف الشرح حضوره عليه السلام بطى الأرض عند جنازه سلمان مع اختصاصه الخاص به عليه السلام و فوزه درجه السلطان من أهل البيت.

و قد قال عليه السلام و هو أصدق القائلين فى حال حياته ما رواه عنه المخالف و المؤلف:

يا حار همدان من يمت يرئى من مؤمن أو منافق قبلا

و بالجملة فالأخبار المذكورة ليس على وضعها دليل من جهة العقل، و لا من جهة النقل فدعواه مكابره محضه، فبالله التوفيق و عليه التكلان(١).

المجلد السابع من منهاج البراعة فى شرح نهج البلاغه

الثالث

فى جملة من الأخبار الموضوعه فأقول:

أما الأخبار الخاصيه

فقد دس فيها بعض الأخبار الموضوعه وضعها الغلام و المغيريه و الخطاييه و الصوفيه و أمثالهم من أهل الفساد فى العمل و الاعتقاد، و من ذلك اهتم علماءنا الأخيار غايه الاهتمام بحفظ الأخبار و ضبطها و نقدها و تميز غثها من سمينها و صحيحها

ص: ٤٨

من سقيمها، وقسّموها إلى الصحيح والموثق والحسن والضعيف، وصنّفوا كتباً في علم الدراية وعلم الرجال، وقد أشير إلى ما ذكرنا في مؤلفات أصحابنا وأخبار أئمتنا سلام الله عليهم.

وارشدك إلى بعض ما رواه في البحار رجال الكشي عن محمد بن قولويه والحسين بن الحسن بن بندار معا عن سعد عن اليقطيني عن يونس بن عبد الرحمن أنّ بعض أصحابنا سأله وأنا حاضر فقال له: يا با محمد ما أشدّك في الحديث وأكثر إنكارك لما يرويه أصحابنا، فما الذي يحملك على ردّ الأحاديث؟ فقال: حدّثني هشام بن الحكم أنّه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول: لا تقبلوا علينا حديثاً إلّا ما وافق القرآن والسنة أو تجدون معه شاهداً من أحاديثنا المتقدّمة، فإنّ المغيرة بن سعيد لعنه الله دسّ في كتب أصحاب أبي أحاديث لم يحدّث بها أبي فأتقوا الله ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربّنا تعالى وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلّم، فانا إذا حدّثنا قلنا: قال الله عزّ وجلّ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، قال يونس: وافيت العراق فوجدت بها قطعه من أصحاب أبي جعفر عليه السلام ووجدت أصحاب أبي عبد الله عليه السلام متوافرين، فسمعت منهم وأخذت كتبهم فعرضتها بعد على أبي الحسن الرضا عليه السلام فأنكر منها أحاديث كثيرة أن يكون من أحاديث أبي عبد الله عليه السلام، وقال لي: إنّ أبا الخطاب كذب على أبي عبد الله عليه السلام فلا تقبلوا علينا خلاف القرآن، فإنّا إن حدّثنا حدّثنا بموافقه القرآن وموافقه السنة إنّنا عن الله تعالى وعن رسوله صلى الله عليه وآله وسلّم نحدّث، ولا نقول قال فلان وفلان فيتناقض كلامنا إنّ كلام آخرنا مثل كلام أولنا وكلام أولنا مصداق لكلام آخرنا، وإذا أتاكم من يحدّثكم بخلاف ذلك فردّوه عليه وقولوا أنت أعلم وما جئت به، فإنّ مع كلّ قول منّا حقيقه و عليه نور، فما لا حقيقه معه ولا نور عليه فذلك قول الشيطان.

وفي البحار أيضاً عن الكشي بهذا الاسناد عن يونس عن هشام بن الحكم أنّه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول: كان المغيرة بن سعيد يتعمّد الكذب على أبي ويأخذ كتب أصحابه، وكان أصحابه المستترون بأصحاب أبي يأخذون الكتب من أصحاب أبي فيدفعونها إلى المغيرة، فكان يدسّ فيها الكفر والزندقه ويسندها إلى أبي

ثم يدفعها إلى أصحابه فيأمرهم أن يبتوها في الشيعة، فكلما كان في كتب أصحاب أبي من الغلو فذاك مما دسّه المغيره بن سعيد في كتبهم.

و فيه أيضا عن الكشي باسناده عن زراره قال: قال يعنى أبا عبد الله عليه السلام:

إنّ أهل الكوفة نزل فيهم كذاب، أمّا المغيره فأنّه يكذب على أبي يعنى أبا جعفر قال: حدّثه أنّ نساء آل محمّد إذا حضن قضين الصّلاه، و ان و الله عليه لعنه الله ما كان من ذلك شيء و لا حدّثه، و أمّا أبو الخطاب فكذب على و قال: إنّي أمرته أن لا يصلّي هو و أصحابه المغرب حتّى يروا كواكب كذا، فقال القندانى: و الله إن ذلك لكوكب لا نعرفه.

و أما الاخبار العاميه

فالموضوعه فيها أكثر من أن تحصى، و قد تقدّم الاشاره إلى بعضها فى التنبيهات السابقه من الشهيد و الشارح المعتزلى و سبق بعضها فى شرح الكلام السابق، و وقعت الاشاره إلى جملة منها فيما رواه فى الاحتجاج.

قال: و روى أنّ المأمون بعد ما زوج ابنته أم الفضل أبا جعفر عليه السلام كان فى مجلس و عنده أبو جعفر عليه السلام و يحيى بن اكنم و جماعه كثيره.

فقال له يحيى بن اكنم: ما تقول يا ابن رسول الله فى الخبر الذى روى أنّه نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم فقال: يا محمّد إنّ الله يقرؤك السلام و يقول لك: سل أبا بكر هل هو عنّى راض فأنّى راض عنه.

فقال أبو جعفر عليه السلام: إنّي لست بمنكر فضل أبى بكر و لكن يجب على صاحب هذا الخبر أن يأخذه مثل الخبر الذى قاله رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم فى حجّه الوداع: قد كثرت على الكذابه و استكثر فمن كذب على متعمدا فليتبوء مقعده من النار، فاذا أتاكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله و سنّتى فما وافق كتاب الله و سنّتى فخذوا به، و ما خالف كتاب الله و سنّتى فلا تأخذوا به، و ليس يوافق هذا الحديث كتاب الله قال الله تعالى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَ نَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ» فالله تعالى خفى عليه رضا أبى بكر من سخطه حتّى سأل عن مكنون

سره هذا مستحيل فى العقول.

ثم قال يحيى بن اكرم: وقد روى أن مثل أبى بكر و عمر فى الأرض كمثل جبرئيل و ميكائيل فى السماء.

فقال عليه السّلام: و هذا أيضا يجب أن ينظر فيه، لأنّ جبرئيل و ميكائيل ملكان مقرّبان لم يعصيا الله قطّ و لم يفارقا طاعته لحظه واحده، و هما قد أشركا بالله عزّ و جلّ و إن أسلما بعد الشرك، فكان أكثر أيامهما الشرك بالله فمحال أن يشبها بهما.

قال يحيى: و روى أيضا إنّهما سيّدا كهول أهل الجنة فما تقول فيه؟ فقال عليه السّلام: و هذا الخبر محال أيضا، لأنّ أهل الجنة كلّهم يكونون شابا و لا يكون فيهم كهل، و هذا الخبر وضعه بنو اميه لمضادّه الخبر الذى قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فى الحسن و الحسين عليهما السّلام: بأنّهما سيّدا شباب أهل الجنة فقال يحيى بن اكرم: و روى أن عمر سراج أهل الجنة.

فقال عليه السّلام: و هذا أيضا محال لأنّ فى الجنة ملائكة الله المقربين و آدم و محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم، و جميع الأنبياء و المرسلين لا تضىء بأنوار حتى تضىء بنور عمر.

فقال يحيى: و قد روى أن السكينة تنطق على لسان عمر.

فقال عليه السّلام: لست بمنكر فضله و لكن أبا بكر أفضل من عمر و قد قال على رأس المنبر إنّ لى شيطاننا يعترينى فاذا ملت فسددونى.

فقال يحيى: قد روى أن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم قال: لو لم ابعث لبعث عمر.

فقال عليه السّلام: كتاب الله أصدق من هذا يقول الله فى كتابه «وَ إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَ مِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ » فقد أخذ الله ميثاق النّبيين، فكيف يمكن أن يبدّل ميثاقه، و كلّ الأنبياء لم يشركوا بالله طرفه عين فكيف يبعث بالنبوه من أشرك و كان أكثر أيامه مع الشرك بالله، و قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: نبئت و آدم بين الرّوح و الجسد.

فقال يحيى بن اكرم: و قد روى أن النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم قال: ما احتبس الوحي عنيّ

قَطَّ إِلَّا ظَنَنْتَهُ قَدْ نَزَلَ عَلَى آلِ الْخَطَابِ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَهَذَا أَيْضًا مُحَالٌ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَشْكَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَ سَلَّمَ فِي نَبَوْتِهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى «اللَّهُ يَضِيغُ فِي مَنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ» فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ تَنْتَقِلَ النَّبُوَّةُ مِمَّنْ اصْطَفَاهُ اللَّهُ إِلَى مَنْ أَشْرَكَ بِهِ قَالَ يَحْيَى: وَقَدْ رَوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَ سَلَّمَ قَالَ: لَوْ نَزَلَ الْعَذَابُ لَمَّا نَجَى مِنْهُ إِلَّا-عَمْرُ بْنُ الْخَطَابِ.

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَهَذَا أَيْضًا مُحَالٌ، لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَ مَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ» فَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يَعْذَّبُ أَحَدًا مَا دَامَ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَ سَلَّمَ وَ مَا دَامُوا يَسْتَغْفِرُونَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَ أَشِيرَ إِلَى جَمْلَةٍ أُخْرَى أَيْضًا فِيمَا رَوَاهُ فِي الْبَحَارِ مِنْ عَيُونِ الْأَخْبَارِ عَنْ أَبِيهِ وَ ابْنِ الْوَلِيدِ عَنْ مُحَمَّدِ الْعَطَارِ وَ أَحْمَدَ بْنِ إِدْرِيسَ مَعَ عَنْ الْأَشْعَرِيِّ عَنْ صَالِحِ بْنِ أَبِي حَمَادٍ الرَّازِيِّ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ حَاتِمٍ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ حَمَادَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ سَمِعْنَا يَحْيَى بْنَ أَكْثَمٍ الْقَاضِي قَالَ:

أَمَرَنِي الْمَأْمُونُ بِاحْضَارِ جَمَاعِهِ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَ جَمَاعِهِ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ وَ النَّظَرِ، فَجَمَعْتُ لَهُ مِنَ الصَّنَفَيْنِ زَهَاءَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا، ثُمَّ مَضَيْتُ بِهِمْ فَأَمَرْتُهُمْ بِالْكِينُونَةِ فِي مَجْلِسِ الْحَاجِبِ لَا عِلْمَهُ بِمَكَانِهِمْ، فَفَعَلُوا فَأَعْلَمْتُهُ فَأَمَرَنِي بِادْخَالِهِمْ فَفَعَلْتُ فَدَخَلُوا وَ سَلَّمُوا فَحَدَّثْتُهُمْ سَاعَةً وَ آتَسَهُمْ ثُمَّ قَالَ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَجْعَلَكُمْ بَيْنِي وَ بَيْنَ اللَّهِ فِي هَذَا الْيَوْمِ حِجَّةً فَمَا أَحَدٌ تَقَرَّبَ إِلَى مَخْلُوقٍ بِمَعْصِيَةِ الْخَالِقِ إِلَّا سَلَّطَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَنَظَرُونِي بِجَمِيعِ عُقُولِكُمْ أَنِّي رَجُلٌ أَزْعِمُ أَنَّ عَلِيًّا خَيْرَ الْبَشَرِ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ فَانْ كُنْتُ مَصِيْبًا فَصَوِّبُوا قَوْلِي، وَ إِنْ كُنْتُ مَخْطِئًا فَارْدُّوا عَلَيَّ وَ هَلِّمُوا فَإِنْ شِئْتُمْ سَأَلْتُكُمْ وَ إِنْ شِئْتُمْ سَأَلْتُمُونِي فَقَالَ لَهُ الَّذِينَ يَقُولُونَ بِالْحَدِيثِ: بَلْ نَسْأَلُ فَقَالَ: هَاتُوا وَ قَلِّدُوا كَلَامَكُمْ رَجُلًا- مِنْكُمْ فَإِذَا تَكَلَّمْتُ فَانْ كَانَ عِنْدَ أَحَدِكُمْ زِيَادَةٌ فَلْيَزِدْ وَ إِنْ أَتَى بِخُلَلٍ فَسَدِّدْهُ.

فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: أَمَّا نَحْنُ فَتَزْعِمُ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ

من قبل أنّ الرّوايه المجمع عليها جاءت عن الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: اقتدوا باللّٰمّٰذين من بعدى أبى بكر و عمر، فلمّا أمر نبيّ الرّحمة بالاعتداء بهما علمنا أنّه لم يأمر إلّا بالاعتداء بخير الناس.

فقال المأمون: الرّوايات كثيره و لا بدّ من أن يكون كلّها حقا أو كلّها باطلا أو بعضها حقا و بعضها باطلا، فلو كانت كلّها حقا كانت كلّها باطلا من قبل أن بعضها ينقض بعضها، و لو كانت كلّها باطلا كان فى بطلانها بطلان الدّين و دروس الشريعة، فلمّا بطل الوجهان ثبت الثالث بالاضطرار و هو أنّ بعضها حقّ و بعضها باطل فاذا كان كذلك فلا بدّ من دليل على ما يحقّ منها ليعتقد و ينفى خلافه، فاذا كان دليل الخبر فى نفسه حقا كان أولى ما أعتقد و آخذ به و روايتك هذه من الأخبار الّتى أدلّتها باطله فى نفسها، و ذلك إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أحكم الحكماء و أولى الخلق بالصدق و أبعد الناس من الأمر بالمحال و حمل النّاس على التّدين بالخلاف و ذلك إنّ هذين الرّجلين لا يخلو من أن يكونا متّفقيين من كلّ جهه أو مختلفين، فان كانا متّفقيين من كلّ جهه كانا واحدا فى العدد و الصفه و الصّوره و الجسم، و هذا معدوم أن يكون اثنان بمعنى واحد من كلّ جهه، و إن كانا مختلفين فكيف يجوز الاعتداء بهما، و هذا تكليف ما لا يطاق لأنّك إذا اقتديت بواحد خالفت الاخر، و الدّليل على اختلافهما إنّ ابا بكر سبى أهل الرّده و ردّهم عمر أحرارا، و أشار عمر إلى أبى بكر بعزل خالد و بقتله بمالك بن نويرة فأبى أبو بكر عليه، و حرّم عمر المتعه و لم يفعل ذلك أبو بكر، و وضع عمر ديوان العطيه و لم يفعله عمر، و استخلف أبو بكر و لم يفعل ذلك عمر، و لهذا نظاير كثيره.

«قال الصدوق رضى الله عنه فى هذا فصل لم يذكره المأمون لخصمه و هو أنّهم لا يرووا أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: اقتدوا باللّٰمّٰذين من بعدى أبى بكر و عمر، و إنّما رووا أبو بكر و عمر و روى أبا بكر و عمر، فلو كانت الرّوايه صحيحه لكان معنى قوله بالنّصب اقتدوا باللّٰمّٰذين من بعدى كتاب الله و العتره يا ابا بكر و عمر، و معنى قوله بالرفع اقتدوا أيّها الناس و أبو بكر و عمر باللّٰمّٰذين من بعدى كتاب الله و العتره» رجعنا إلى حديث المأمون

فقال آخر من أصحاب الحديث: فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَوْ كُنْتُ مَتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا.

فقال المأمون: هذا مستحيل من قبل أَنَّ رَوَايَاتَكُمْ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَخَا بَيْنِ أَصْحَابِهِ وَآخِرَ عَلَيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: مَا أَخَّرْتُكَ إِلَّا لِنَفْسِي، فَأَيُّ الرَّوَائِثِ تَثْبُتُ بَطَلَتْ الْآخَرَى.

قال آخر: إِنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ عَلَى الْمَنْبَرِ: خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ.

قال المأمون: هذا مستحيل من قبل أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَوْ عَلِمَ أَنَّهُمَا أَفْضَلُ مَا وَلِيَ عَلَيْهِمَا مَرَّةً عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ، وَ مَرَّةً إِسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، وَمِمَّا يَكْذِبُ هَذِهِ الرَّوَایَةُ قَوْلُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَوْلَى بِمَجْلِسِهِ مِنْ بَقِيصَى وَلَكِنِّي أَشْفَقْتُ أَنْ يَرْجِعَ النَّاسُ كُفَّارًا. وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنِّي يَكُونَانِ خَيْرًا مِنِّي وَقَدْ عَبَدْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَبْلَهُمَا وَعَبَدْتُهُ بَعْدَهُمَا.

قال آخر: فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَغْلَقَ بَابَهُ فَقَالَ هَلْ مِنْ مُسْتَقِيلٍ فَاقِيلَهُ فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

قَدَّمَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَمَنْ ذَا يُؤَخِّرُكَ.

فقال المأمون: هذا باطل من قبل أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَعَدَ عَنْ بَيْعِهِ أَبِي بَكْرٍ وَرَوَيْتُمْ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَعَدَ عَنْهَا حَتَّى قَبِضَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ وَأَنَّهَا أَوْصَتْ أَنْ تُدْفَنَ لَيْلًا لِئَلَّا يَشْهَدَا جَنَازَتَهَا، وَوَجْهٌ آخَرٌ وَهُوَ أَنَّهُ إِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ اسْتَخْلَفَهُ فَكَيْفَ كَانَ لَهُ أَنْ يَسْتَقِيلَ وَهُوَ يَقُولُ لِلْأَنْصَارِيِّ: قَدْ رَضِيتُ لَكُمْ أَحَدَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ أَبَا عُبَيْدَةَ وَعُمَرَ.

قال آخر: إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْعَاصِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَحَبَّ النَّاسَ إِلَيْكَ مِنَ النِّسَاءِ؟ فَقَالَ: عَائِشَةُ، فَقَالَ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: أَبُو هَارٍ.

فقال المأمون: هذا باطل من قبل أَنَّكُمْ رَوَيْتُمْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ طَائِرَ مَشْوًى فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ ائْتِنِي بِأَحَبِّ خَلْقِكَ إِلَيْكَ، فَكَانَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَيُّ رَوَايَتِكُمْ تَقْبَلُ؟! فَقَالَ آخِرُ: فَإِنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: مَنْ فَضَّلَنِي عَلَى أَبِي بَكْرٍ جَلَّدْتُهُ حَدَّ الْمَفْتَرِي.

قال المأمون: كيف يجوز أن يقول عليٌّ عليه السَّلَامُ اجلِّدِ الْحَدَّ مِنْ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ

الحدّ، فيكون متعدّياً لحدود الله عزّ وجلّ، عاملاً بخلاف أمره، وليس تفضيل من فضّله عليه السّلام عليهما فريه، وقد رويتم عن إمامكم أنّه قال: وليتكم و لست بخيركم فأَيّ الرّجلين أصدق عندكم أبو بكر على نفسه أو عليّ عليه السّلام على أبي بكر مع تناقض الحديث في نفسه، ولا بدّ له من قوله من أن يكون صادقاً أو كاذباً، فإن كان صادقاً فأَيّ عرف ذلك بالوحي فالوحي منقطع أو بالنّظر فالنّظر متحيّر منحت، وإن كان غير صادق فمن المحال أن يلي أمر المسلمين و يقوم بأحكامهم و يقيم حدودهم و هو كذاب.

قال آخر: فقد جاء أنّ النّبي صلّى الله عليه وآله و سلّم قال: إنّ أبا بكر و عمر سيّدا كهول أهل الجنّة.

قال المأمون: هذا الحديث محال لأنّه لا يكون في الجنّة كهل، و يروى أنّ أشجعيّه كانت عند النّبي فقال صلّى الله عليه وآله و سلّم: لا يدخل الجنّة عجوز فبكت، فقال النّبي صلّى الله عليه وآله و سلّم:

إنّ الله عزّ وجلّ يقول «إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً عُرْباً أَتْرَاباً» فان زعمتم أنّ أبا بكر ينشأ شاباً إذا دخل الجنّة فقد رويتم أنّ النّبي صلّى الله عليه وآله و سلّم قال للحسن و الحسين: إنّهما سيّدا شباب أهل الجنّة من الأوّلين و الاخرين و أبوهما خير منهما.

قال آخر: قد جاء أنّ النّبي صلّى الله عليه وآله و سلّم قال: لو لم أبعث فيكم لبعث عمر.

قال المأمون: هذا محال لأنّ الله عزّ وجلّ يقول «إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ» و قال عزّ وجلّ «وَ إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَ مِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ وَ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ» فهل يجوز أن يكون من لم يؤخذ «منه خ» ميثاقه على النّبوة مبعوثاً و من أخذ ميثاقه على النّبوة مؤخّراً.

قال آخر: إنّ النّبي صلّى الله عليه وآله و سلّم نظر إلى عمر يوم عرفه فتبسّم و قال: إنّ الله تعالى باهى بعباده عامّه و بعمر خاصّه.

فقال المأمون: فهذا مستحيل من قبل أنّ الله تعالى لم يكن ليباهى بعمر و يدع نيّه عليه السّلام فيكون عمر في الخاصّه و النّبي صلّى الله عليه وآله و سلّم في العامّه، و ليست هذه الرّواية

بأعجب من روايتكم أنّ النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: دخلت الجنّة فسمعت خفق نعلين فاذا بلال مولى أبى بكر قد سبقنى إلى الجنّة، وإنّما قالت الشّيعه على عليه السّلام خير من أبى بكر فقلتم عبد أبى بكر خير من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لأنّ السابق أفضل من المسبوق، وكما رويت أنّ الشّيطان يفرّ من حسّ عمر، وألقى على لسان النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم إنّهنّ الغرائق العلى ففرّ من عمر، وألقى على لسان النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بزعمكم الكفر.

قال آخر: قال النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: لو نزل العذاب ما نجى إلّا عمر بن الخطّاب.

قال المأمون: هذا خلاف الكتاب أيضا، لأنّ الله عزّ وجلّ يقول «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ» فجعلتم عمر مثل الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم.

قال آخر: فقد شهد النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لعمر بالجنّة فى عشره من الصحابه.

فقال: لو كان هذا كما زعمت كان عمر لا يقول لحذيفه: نشدتك بالله امن المنافقين أنا، فان كان قال له: أنت من أهل الجنّة و لم يصدّقه حتّى زكاه حذيفه و صدّق حذيفه و لم يصدّق النّبي فهذا على غير الاسلام، وإن كان قد صدّق النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فلم سأل حذيفه؟ و هذان الخبران متناقضان فى أنفسهما.

فقال آخر: فقد قال النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: وضعت امتى فى كفّ الميزان و وضعت فى اخرى فرجحت بهم، ثمّ مكاني ابو بكر فرجح بهم، ثمّ عمر فرجح، ثمّ رفع الميزان.

فقال المأمون: هذا محال من قبل أنّه لا يخلو من أن يكون أجسامهما أو أعمالهما، فان كانت الأجسام فلا يخفى على ذى روح أنه محال، لأنّه لا يرجح أجسامها بأجسام الأمه، وإن كانت أفعالهما فلم يكن بعد فكيف يرجح بما ليس، و خبرونى بما يتفاضل التّياس؟ فقال بعضهم: بالأعمال الصّالحه قال: فأخبرونى فمن فضل صاحبه على عهد النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ثمّ إنّ المفضول عمل بعد وفاه النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم بأكثر من عمل الفاضل على عهد النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أ يلحق به؟ فان قلتم: نعم أوجدتكم فى عصرنا هذا من هو أكثر جهادا و حجّا و صوما و صلاه و صدقه من أحدهم.

قالوا: صدقت لا يلحق فاضل دهرنا فاضل عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قال المؤمنون: فانظروا فيما رويت عن أئمتكم الذين أخذتم عنهم أديانكم في فضائل علي عليه السلام وقائسوا إليها ما رووا في فضائل تمام العشرة الذين شهدوا لهم بالجنة فان كانت جزء من أجزاء كثيرة فالقول قولكم، وان كانوا قد رووا في فضائل علي عليه السلام أكثر فخذوا عن أئمتكم ما رووا ولا تعدوه.

قال: فأطرق القوم جميعاً.

فقال المؤمنون: ما لكم سكتكم؟ قالوا: استقصينا.

أقول: هذا أنموذج من أحاديثهم الموضوعه التي هي خارجه عن حدّ الاحصاء

الرابع

لا ريب في جواز نقل الحديث بالمعنى، و يدلّ عليه أخبار كثيرة.

و تفصيل القول في ذلك على ما حقّقه المحدث العلامة المجلسي ره أنّه إذا لم يكن المحدث عالماً بحقايق الألفاظ و مجازاتها و منطوقها و مفهومها و مقاصدها لم تجز له الرواية بالمعنى بغير خلاف، بل يتعيّن اللفظ الذي سمعه إذا تحقّقه و إلّا لم تجز له الرواية.

و أمّا إذا كان عالماً بذلك.

فقد قال طائفة من العلماء لا يجوز هي، لأنّ لكلّ تركيب معنى بحسب الوصل و الفصل و التقديم و التأخير و غير ذلك لو لم يراع ذلك لذهبت مقاصدها، بل لكلّ كلمه مع صاحبها خاصيّة مستقلّة كالتخصيص و الاهتمام و غيرهما، و كذا الألفاظ المشتركة و المترادفه، و لو وضع كلّ موضع الآخر لفات المعنى المقصود، و من ثمّ قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: نصر الله عبداً سمع مقالتي و حفظها و وعها و أداها فربّ حامل فقه غير فقيه و ربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه. و كفى هذا الحديث شاهداً

بصدق ذلك.

و اكثر اصحاب جوزوا ذلك مطلقا مع حصول الشرائط المذكوره، و قالوا كلما ذكرتم خارج عن موضوع البحث لأنها إنما جوزنا لمن يفهم الألفاظ و يعرف خواصها و مقاصدها و يعلم عدم اختلال المراد بها فيما أداه.

و قد ذهب جمهور السلف و الخلف من الطوائف كلها إلى جواز الرواية بالمعنى إذا قطع بأداء المعنى بعينه، لأنه من المعلوم أن الصيغ حابه و أصحاب الأئمة عليهم السلام لم يكونوا يكتبون الأحاديث عند سماعها، و يبعد بل يستحيل عادة حفظهم جميع الألفاظ على ما هي عليه، و قد سمعوها مره واحده خصوصا في الأحاديث الطويله مع تطاول الأزمنه و لهذا كثيرا ما يروى عنهم المعنى الواحد بألفاظ مختلفه و لم ينكر ذلك عليهم و لا يبقى لمن تتبع الأخبار في هذا شبهه و يدل عليه أيضا ما رواه الكليني عن محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن ابن أبي عمير عن ابن اذينة عن محمد بن مسلم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أسمع الحديث منك فإزيد و أنقص؟ فقال عليه السلام: إن كنت تريد معانيه فلا بأس.

نعم لا مريه في أن روايته بلفظه أولى على كل حال لا سيما في هذه الأزمان لبعد العهد و فوت القران و تغير المصطلحات.

و قد روى الكليني عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن منصور بن يونس عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قول الله جل ثناؤه «الَّذِينَ يَشْتَرُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ» قال: هو الرجل يسمع الحديث فيحدث به كما سمعه لا يزيد فيه و لا ينقص

تذنيب

قال بعض الأفاضل: نقل المعنى إنما جوزوه في غير المصنفات، أما المصنفات فقد قال أكثر الأصحاب: لا يجوز حكايتها و لا نقلها بالمعنى و لا تغيير شيء منها على ما هو المتعارف

تكملة

هذا الكلام لأمر المؤمنين عليه السلام مروى في البحار من خصال الصدوق «قد» عن

أبيه عن عليّ عن أبيه عن حماد بن عيسى عن إبراهيم بن عمر اليماني و عمر بن اذينة عن أبان بن أبي عيَّاش عن سليم بن قيس الهلالي قال:

قلت لأمير المؤمنين عليه السّلام: يا أمير المؤمنين إنّي سمعت من سلمان و المقداد و أبي ذر شيئا من تفسير القرآن و أحاديث عن نبيّ الله صلّى الله عليه و آله و سلّم غير ما في أيدي الناس ثمّ سمعت منك تصديق ما سمعت منهم و رأيت في أيدي الناس شيئا كثيرا من تفسير القرآن و أحاديث عن نبيّ الله صلّى الله عليه و آله و سلّم أنتم تخالفونهم فيها و تزعمون أنّ ذلك كلّه باطل أفترى الناس يكذبون على رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم معتمدين و يفسّرون القرآن بآرائهم؟ قال: فأقبل عليّ عليه السّلام عليّ فقال: قد سألت فافهم الجواب: إنّ في أيدي الناس حقا و باطلا و صدقا و كذبا و ناسخا و منسوخا و عامّا و خاصّا و محكما و متشابها و حفظا و وهما، و قد كذب على رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم على عهده حتّى قام خطيبا فقال:

أيّها النّاس قد كثرت عليّ الكذّابه فمن كذب عليّ متعمّدا فليتبوّء مقعده من النّار، ثمّ كذب عليه من بعده.

إنّما أتاكم الحديث من أربعه ليس لهم خامس:

رجل منافق يظهر الإيمان متصنّع بالاسلام لا يتأتمّ و لا يتحرّج أن يكذب على رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم متعمّدا، فلو علم النّاس أنّه منافق كذّاب لم يقبلوا منه و لم يصدّقوه، و لكنّهم قالوا هذا قد صحب رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و رآه و سمع منه، فأخذوا منه و هم لا يعرفون حاله، و قد أخبر الله عزّ و جلّ عن المنافقين بما أخبره و وصفهم بما وصفهم فقال عزّ و جلّ «وَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَ إِنّ يَقُولُوا تَسْمِعْ لِقَوْلِهِمْ » ثمّ بقوا بعده فتقرّبوا إلى أئمّه الضلاله و الدّعاة إلى النّار بالزور و الكذب و البهتان، فولّوهم الأعمال و ولّوهم على رقاب النّاس و أكلوا بهم الدّنيا و إنّما النّاس مع الملوّك و الدّنيا إلّا من عصم الله، فهذا أحد الأربعة.

و رجل سمع من رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم شيئا لم يحفظه على وجهه و وهم فيه و لم يتعمّد كذبا، فهو في يده يقول به و يعمل به و يرويه و يقول: أنا سمعته من رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، فلو علم المسلمون أنّه و هم لم يقبلوه، و لو علم هو أنّه و هم لرفضه.

و رجل ثالث سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئا أمر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم أو سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم، فحفظ منسوخه ولم يحفظ الناسخ، فلو علم أنه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون أنه منسوخ لرفضوه.

و آخر رابع لم يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مبغض للكذب خوفا من الله عز وجل و تعظيما لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لم يسه بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به كما سمع لم يزد فيه و لم ينقص منه، و علم الناسخ من المنسوخ فعمل بالناسخ و رفض المنسوخ.

و إن أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثل القرآن ناسخ و منسوخ و خاص و عام و محكم و متشابه، و قد كان يكون من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الكلام له وجهان: كلام عام و كلام خاص، و قال الله عز وجل في كتابه «ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهىكم عنه فانتهوا» فيشتبه على من لم يعرف و لم يدر ما عنى الله به و رسوله، و ليس كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسأله عن الشيء فيفهم كان منهم من يسأله و لا يفهمهم، حتى كانوا ليحجون أن يجيء الاعرابي الطارئ، فيسأل رسوله الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى يسمعوا و كنت أدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل يوم دخله فيخيلني فيها أدور معه حيثما دار، و قد علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري، و ربما كان ذلك في شيء يأتيني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أكثر ذلك في بيتي و كنت إذا دخلت عليه بعض منازل أخلاصني و أقام عني نساء فلا يبقى عنده غيري، و إذا أتاني للخلوة معي في بيتي لم تقم عنه فاطمه و لا أحد من بني و كنت إذا سأله أجنبي، و إذا سكّ عنه و فئت مسائلني ابتدأني.

فما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آية من القرآن إلا أقرأنيها و أملاها عليّ فكتبتها بخطي و علّمني تأويلها و تفسيرها و ناسخها و منسوخها و محكمها و متشابهها و خاصها و عامها، و دعا الله لي أن يعطيني فهمها و حفظها، فما نسيت آية من كتاب الله و لا علما أملاه عليّ و كتبه منذ دعا الله لي بما دعاه.

و ما ترك شيئا علمه الله من حلال و لا حرام أمر و لا نهى كان أو يكون و لا كتاب

منزل على أحد قبله في أمر بطاعه أو نهى عن معصيه إلا علمنيه و حفظنيه «حفظته» فلم أنس حرفا واحدا، ثم وضع يده على صدرى ودعا الله لى أن يملأ قلبى علما وفهما وحكما ونورا، فقلت: يا نبي الله بأبى أنت و أمى إنى منذ دعوت الله عز و جل لى بما دعوت لم أنس شيئا و لم يفتنى شيء لم أكتبه أفتتخوف على النسيان فيما بعد؟ فقال: لا لست أخاف عليك النسيان و لا الجهل.

و رواه فى الكافى أيضا عن على بن إبراهيم عن أبيه عن حماد بن عيسى عن إبراهيم بن عمر اليماني عن أبان بن أبي عيثاش عن سليم بن قيس مثله.

و رواه فى البحار أيضا من كتاب الغيبة للنعماني عن ابن عقده و محمد بن همام و عبد العزيز و عبد الواحد ابنا عبد الله بن يونس عن رجالهم عن عبد الرزاق و همام عن معمر بن راشد عن أبان بن أبي عيثاش عن سليم مثله.

و رواه فى الاحتجاج عن مسعده بن صدقه عن جعفر بن محمد عليهما السلام قال:

خطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: كيف أنتم إذا البستم الفتنه ينشؤ فيها الوليد، و يهرم فيها الكبير، و يجرى الناس عليها حتى يتخذوها سنه، فاذا غير منها شيء قيل أتى الناس بمنكر غيرت السنه، ثم تشتد البليه و تنشؤ فيها الدرر و تدقهم الفتن كما تدق النار الحطب و كما تدق الرحي بفعالها، فيومئذ يتفقه الناس لغير الدين و يتعلمون لغير العمل و يطلبون الدنيا بعمل الآخرة ثم أقبل أمير المؤمنين عليه السلام و معه ناس من أهل بيته و خاص من شيعته فصعد المنبر و حمد الله و أثنى عليه و صلى على محمد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ثم قال:

لقد عملت الولاه قبلى بأمور عظيمه خالفوا فيها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم متعمدين لذلك و لو حملت الناس على تركها و حوّلتها إلى مواضعها التى كانت عليها على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لتفرق عني جندى حتى أبقى وحدى إلا قليلا من شيعتى الذين عرفوا فضلى و امامتى من كتاب الله و سنه نبيه صلى الله عليه و آله و سلم رأيتم لو أمرت بمقام إبراهيم عليه السلام فرددته إلى المكان الذى وضعه فيه

رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم ورددت فدك إلى ورثه فاطمه عليهما السَّلام ورددت صاع رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم ورددت دار جعفر بن أبي طالب إلى ورثته وهدمتها من المسجد، ورددت الخمس إلى أهله، ورددت قضاء كل من قضى بجور، ورددت سبي ذراري بني تغلب، ورددت ما قسم من أرض خيبر، ومحوت ديوان العطاء و أعطيت كما كان يعطي رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم و لم أجعلها دولة بين الأغنياء.

والله لقد أمرت الناس أن لا يجتمعوا «يجمعوا خ» في شهر رمضان إلا في فريضة فنأدى بعض أهل عسكري ممن يقاتل سيفه معي انعى به الاسلام و أهله: غيَّرت سنَّه عمر و نهى أن يصلَّى في شهر رمضان في جماعه حتَّى خفت أن يثور في ناحيه عسكري ما لقيت و لقيت هذه الامَّه من أئمة الضلالة و الدَّعاه إلى النار.

و أعظم من ذلك سهم ذوى القربى قال الله «و اعلموا أنَّما غنمتم من شىء فأنَّ لله خمسَه و للرَّسول و لذى القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل - منَّا خاصه - إن كنتم آمنتم بالله و ما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان» نحن و الله عنى بذوى القربى الذين قرنهم الله بنفسه و نبيِّه صَلَّى الله عليه وآله وسلم و لم يجعل لنا فى الصدقه نصيبا أكرم الله نبيِّه صَلَّى الله عليه وآله وسلم و أكرمنا أن يطعمنا أو ساخ أيدي الناس.

فقال له عليه السَّلام رجل: إني سمعت من سلمان و أبي ذرَّ و المقداد شيئا من تفسير القرآن و الرِّوايه عن النبيِّ صَلَّى الله عليه وآله وسلم و سمعت منك تصديق ما سمعت منهم - ثم ساق الحديث نحو ما مرَّ إلى قوله - حتى أن كانوا ليحبُّون أن يجيء الـاعرابى أو الطارئ فيسأله حتى يسمعوا، و كان لا- يمرُّ بى من ذلك شىء إلا سألتَه و حفظته، فهذه وجوه ما عليه النَّاس فى اختلافهم و عللهم فى رواياتهم.

الترجمه

از جمله کلام آن امام متَّقین است در حالتی که سؤال کرد از او سؤال کننده از حدیثهای بدعتها و از آن خبری که در دست مردمان است از اختلاف اخبار نبویّه پس فرمود:

بتحقیق که در دست مردم حقّ است و باطل است و راست است و دروغ است و ناسخ است و منسوخ است و محکم است که معنی آن ظاهر و متشابه است که معنی آن مشتبه و محفوظ است از تحریف و زیاده و نقصان و موهوم است که غیر محفوظ از خطا و خلل و غلط بوده، و بتحقیق که دروغ بسته شد بر رسول خدا صلی الله علیه و آله و سلّم در حال حیا تا این که برخاست در حالتی که خطبه خواند پس فرمود: کسی که دروغ بندد بر من عمداً پس باید منزل دهد جای نشیمن خود را در آتش جهنّم، و جز این نیست آورد بتو حدیث را چهار کس که نیست پنجمی از برای آنها:

اوّل کسی است که منافق است که ظاهر ساخته ایمان را و بخود بسته اسلام را، پرهیز ندارد از گناه و باک نمی کند از تنگی معصیت دروغ می بندد بر رسول خدا صلی الله علیه و آله و سلّم از روی عمد، پس اگر بدانند مردمان که او منافق و دروغ گو است قبول نمی کنند از او، و تصدیق نمی کنند قول او را، و لیکن ایشان می گویند که این شخص مصاحب رسول خدا است دیده است او را و شنیده است از او و أخذ نموده از او، پس فرا گیرند قول او را، و بتحقیق که خبر داده است تو را خدای تعالی در قرآن از حال منافقان به آن چیز که خبر داده، و وصف فرموده ایشان را بان چیز که وصف کرده است از برای تو، پس باقی ماندند آن منافقان بعد از رحلت حضرت رسول صلی الله علیه و آله و سلّم و تقرّب جستند بسوی امامان ضلالت و گمراهی و دعوت کنندگان بسوی آتش جهنم بسبب دروغ و بهتان گفتن بر رسول خدا صلی الله علیه و آله و سلّم، پس گردانیدند ایشان را صاحبان اختیار کارها و حاکمان بر مردان، و خوردند با دست یکی بودن ایشان مالها را، و جز این نیست که مردمان مایلند پیادشاهان و راغبند بدنیا مگر کسی که حفظ نماید او را خدا، پس این کس یکی از آن چهار کس است.

دویمی کسی است که شنید از حضرت رسول صلی الله علیه و آله و سلّم چیزی را که حفظ نکرد آنرا با وجهی که پیغمبر فرموده بود، پس غلط کرد در آن و عمداً دروغ نگفت پس آن حدیث که شنیده بود در دست او بود و روایت میکرد آنرا و عمل می نمود

بان و می گفت که من شنیده ام آنها از رسول خدا صلی الله علیه و آله و سلم، پس اگر می دانستند مسلمانان که او غلط کرده است در آن قبول نمی کردند آن حدیث را از او، و اگر می دانست آن کس که آن حدیث همچنین است هر آینه ترک می نمود آنها.

و شخص سیمی شنید از حضرت رسالتاب صلی الله علیه و آله و سلم چیزی را که امری نمود بان پس نهی فرمود آن و آن شخص ندانست نهی آنها، یا این که شنید که رسول خدا صلی الله علیه و آله و سلم نهی میکرد از چیزی پس امر فرمود بان و آن شخص ندانست امر به آن را پس حفظ نمود منسوخ را که حکم اولیست و حفظ نکرد ناسخ را که حکم ثانوی بود، پس اگر می دانست که حکم اولی منسوخ است هر آینه ترک میکرد آن حکم را، و اگر مسلمانان می دانستند وقتی که از او شنیدند آنها که آن منسوخ است هر آینه ترک می کردند آنها.

و شخص دیگر چهارمی است که دروغ نگفته بر خدای تعالی و نه بر رسول خدا، دشمن دارنده دروغست از جهت ترس خدا و تعظیم رسول خدا، و توهم و غلط نکرده است بلکه حفظ نموده آنچه که شنیده است بر وجهی که شنیده است پس آورد آنها یعنی روایت نمود بهمان قرار شنیده شده بدون زیاده و نقصان، پس حفظ کرده ناسخ را و عمل کرده بان، و حفظ کرده منسوخ را و اجتناب نموده از آن، و شناخته است خاص و عام را پس گذاشته هر خبر را در مکان خود، و شناخته متشابه و محکم را و گاهی بود که صادر می شد از رسول خدا صلی الله علیه و آله و سلم کلامیکه از برای او دو وجه بود پس کلامی که مخصوص بود و کلامی که عموم داشت پس می شنید آنها کسی که نمی شناخت آنچه را که قصد کرده بود خدا بان و نه آنچه را قصد کرده بود بان رسول خدا صلی الله علیه و آله و سلم پس حمل می نمود سامع آن کلام را و توجیه می نمود آنها بدون معرفت بمعنای آن و به آن چه که قصد شده بان و به آن چه که صادر شده آن کلام از برای آن.

و نبودند جمیع صحابه رسول خدا صلی الله علیه و آله و سلم که سؤال کنند از او و طلب فهم

نمایند از آن تا این که دوست می داشتند این که بیاید عرب بادیه نشینی یا غریب تازه واردی پس سؤال کند از او علیه السّلام تا این که بشنوند جواب را، و بود که نمی گذشت بمن در کلام حضرت رسول صلی الله علیه و آله و سلّم خبری مگر این که می پرسیدم رسول خدا را از آن و حفظ می نمودم آنرا.

پس این است وجههای آن چیزی که بودند مردمان بر آن در مختلف شدن ایشان و علّتهای ایشان در اختلاف روایات ایشان.

و من خطبه له علیه السّلام و هی المأنان و العاشره من المختار فی باب الخطب

اشاره

و كان من اقتدار جبروته، و بدیع لطایف صنعته، أن جعل من ماء البحر الزّاهر المتراكم المتقاصف یبسا جامدا، ثمّ فطر منه أطباقا، ففتقها سبع سماوات بعد ارتاقها، فاستمسكت بأمره، و قامت على حدّه، یحملها الأخضر المثنجر، و القمقام المسخر، قد ذلّ لأمره، و أذعن لهیته، و وقف الجاری منه لخشیته، و جبل جلامیدها، و نشوز متونها و أطوادها، فأرسیها فی مراسیها، و ألزمها قرارتها، فمضت رءوسها فی الهواء، و رست أصولها فی الماء، فأنهد جبالها عن سهولها، و أساخ قواعدها فی متون أقطارها، و مواضع أنصابها، فأشهق قلالها، و أطال أنشازها، و جعلها للأرض عمادا، و أرزّها فیها أوتادا، فسكنت على حرکتها من أن تمید بأهلها، أو تسیخ بحملها،

ص: ۶۵

أو تزول عن مواضعها. فسبحان من أمسكها بعد موجان مياهاها، و أجملها بعد رطوبه أكنافها، فجعلها لخلقه مهادا، و بسطها لهم فراشا، فوق بحر لجي راكد لا يجري، و قائم لا يسرى، تكررهِ الرِّياح العواصف، و تمخضه الغمام الذَّوارف «إنَّ في ذلك لعبره لمن يخشى».

اللغة

(الجبروت) و زان ملكوت فعلوت من الجبر و هو القهر و الغلبه، و الجِّيار من جملة الأسماء الحسنی قال الصدوق: معناه القاهر اللَّدى لا- ينال، و له التَّجبر و الجبروت أى التَّعظم و العظمه و يقال لِلتَّخله التَّى لا تنال: جباره و (زخر) البحر كمنع امتدَّ أمواجه و ارتفع و (قصف) الرُّعد اشتدَّ صوته و تقاصف البحر تراحم أمواجه.

و (اليبس) قال الشارح المعتزلى بالتحريك المكان يكون رطبا ثم ييبس و منه قوله تعالى «فَاضْرِبْ لَهُم مَّحَجْرًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا» و اليبس بالسَّكون اليابس خلقه يقال حطب ييبس هكذا يقول أهل اللُّغه و فيه كلام لأنَّ الحطب ليس يابساً خلقه بل كان رطبا من قبل. فالأصوب أن يقال: لا تكون هذه اللَّفظه محرَّكه إلَّا فى المكان خاصّه، انتهى و قال الفيومى: شىء ييبس ساكن الباء بمعنى يابس، و حطب ييبس كأنه خلقه و مكان ييبس إذا كان فيه ماء فذهب، و قال الفارابى: مكان ييبس و ييبس و كذلك غير المكان.

و (الأطباق) جمع طبق كأسباب و سبب و هو غطاء كلِّ شىء، و الطبق من كلِّ شىء ما ساواه و (المثعنجر) بصيغه الفاعل كما فى النسخ السائل من ماء أو دمع

و بفتح الجيم وسط البحر و ليس فى البحر ماء يشبهه، هكذا قال الفيروز آبادى، و قال الجزرى فى حديث على عليه السلام يحملها الأخضر المثعجر، هو أكثر موضع فى البحر ماء و الميم و النون زايدتان و منه حديث ابن عباس فاذا علمى بالقرآن فى علم على عليه السلام كالقراره فى المثعجر، و القراره الغدير الصغير.

و (القمام) بالفتح كما فى النسخ و قد يضم البحر و (المسخر) فى بعض النسخ بالخاء المعجمه و فى بعضها بالجيم من سجر النهر ملأه و تسجير الماء تفجيريه و (الجلمد) بالفتح الجلمود بالضم الحجر العظيم الضلرب و (النشوز) جمع النشز بالفتح المكان المرتفع و (المتن) ما صلب من الأرض و ارتفع و (الطود) بالفتح الجبل أو العظيم منه و (القراره) موضع القرار و فى بعض النسخ قراراتها بصيغه الجمع.

و (رست) أى ثبتت و فى بعض النسخ رسبت يقال رسب فى الماء كنصر و كرم رسوبا ذهب سفلا و (نهذ) ثدى الجاريه كمنع و نصر أى كعب و ارتفع و (السهل) من الأرض ضدّ الحزن و (الأنصاب) جمع النصب بالفتح و يحرك و هو العلم المنسوب و بالضمّ و بضمتين كلّ ما جعل علما و كلّ ما عبد من دون الله و (القلال) بالكسر جمع قلّه بالضمّ و هى أعلى الجبل و (العماد) بالكسر الخشب التى يقوم عليها البيت و الأبنيه الرفيعه العاليه و (أرز) يأرز بتقديم المهمله كنصر و ضرب و علم أى ثبت، و أرزّ بتشديد المعجمه أى أثبت، و فى أكثر النسخ بالتخفيف و فتح العين و فى بعضها بالتشديد قال فى النهايه فى كلام على عليه السلام أرزّها فيها أوتادا أى أثبتها إن كانت الرأى مخفّفه، فهى من أرزت الشجره تأرز إذا أثبت فى الأرض، و إن كانت مشدّده فهى من أرزت الجراده إذا أدخلت ذنبها فى الأرض لتلقى فيها بيضها، و رزّت الشىء فى الأرض رزّا أثبته فيها و حينئذ تكون الهمزه زايده، انتهى.

قيل: و روى آرزها بالمدّ من قولهم شجره آرزّه أى ثابتة فى الأرض و (موجان مياهها) صيغه فعلاّن بالتحريك فى المصدر تدلّ على الاضطراب كالميدان و النزوان

و الخفقان، و قد قال عليه السّلام فى الخطبه الاولى: و وتّد بالصخور ميدان أرضه و (المهاد) بالكسر الفراش و الموضع يهَيئ للصبيّ و يوطأ، و (الفراش) البساط و (اللّجّه) بالضمّ معظم البحر و (الكركره) تصرّيف الرّيح السّحاب إذا جمعتة بعد تفرّق و أضله تكرّره من التّكرّر و كركرته عنّى أى دفعته و رددته و (مخض) اللبن يَمْخُضُه من باب نصر و ضرب و منع استخرج زبده بصّب الماء فيه و تحريكه و (الغمام) جمع الغمامه كالسّحاب و السحابه لفظا و معنا أو خصوص البيضاء منها و (ذرف عينه) أى سال دمعها و ذرفت العين دمعها أى أسال يتعدّى و لا يتعدّى

الاعراب

أطواها بالنصب عطف على جلاميدها و فى بعض النسخ بالجَرّ عطفا على متونها، و أوتادا حال من مفعول أرزّها، و على فى قوله على حركتها، للاستعلاء المجازى و فى بعض النسخ عن حركتها بدل على فهى بمعنى بعد كما فى قوله تعالى «عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ» و الباء فى قوله بأهلها بمعنى مع و كذلك فى قوله بحملها، و قال الشارح المعتزلى هى للتعديه و الأوّل أشبه

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبه الشريفه مسوقه لاطهار عظمه الله تعالى و كمال قدرته و جلاله و جبروته فى خلق السماوات و الأرض و الجبال، و قد مضى فصل و اف فى هذا المعنى منه عليه السّلام فى الفصل الثالث و الثامن من المختار الأوّل، و فى الفصل الرابع و السادس من المختار التّسعين، و قال عليه السّلام هنا:

(و كان من اقتدار جبروته) أى من قدره عظمته و تجبره و جَبَّارِيَّتَه أى قهاريّته و غَلَابِيَّتَه، و نسبه الاقتدار إلى جبروته تعالى إمّا تعظيما و تفخيما كما يقال إذا صدر أمر من السلطان أمر الباب العالى أو الحضرة الشريفه بكذا، أو تنبيها على أنّه عزّ و جلّ الأعظم المطلق حيث خلق هذه الأجرام القويّه العظيمة السماويه و الأرضيه (و) نسبته إلى (بديع لطايف صنعته) ملاحظه لما أودع فيها من عجائب الصنع

و لطايف التدبير التي يعجز عن إدراك أقل قليلها عقول البشر، ففيه تنبيه على كمال لطفه و تدبيره و حكمته و محصل مراده أنه تعالى كان قدرته و لطفه منشأ (أن جعل) أى خلق (من ماء البحر) و فى بعض النسخ اليم بدلّه و هو بمعناه (الزاهر) المرتفع الممتلى الممتدّ جدّا (المتراكم المتقاصف) أى الذى اجتمع بعضه فوق بعض و تزاومت أمواجه و اشتدّ صوته الهائل من كثره الأمواج (يبسا جامدا) أراد به الأرض، فانه سبحانه خلقها من زبد الماء حسبما عرفته تفصيلا فى التذييل الثانى من شرح الفصل الثامن من الخطبه الاولى.

(ثم فطر منه) أى خلق من الماء أى من بخاره و دخانه حسبما عرفته أيضا فى شرح الفصل المذكور (أطباقا) أى طبقا بعد «فوق» طبق (ففتقها سبع سماوات بعد ارتاقها) يريد أنها كانت طبقات منفصلة فى الحقيقة متّصلة فى الصورة بعضها فوق بعض ففتقها و فرّفها و باعد بعضها عن بعض فحصل سبع سماوات متميّزات بينها أمكنه الملائكة بعد ما كانت ملتزفه متّصلة.

و فيه تلميح إلى قوله تعالى «أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَ جَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَ فَلَا يُؤْمِنُونَ» قال مجاهد و السدى فى تفسير الایه كانت السماوات مرتقه مطبقه ففتقناها سبع سماوات و كانت الأرض كذلك ففتقناها سبع أرضين و قيل فى تفسيرها وجوه اخر تقدّمت فى شرح الخطبه الأولى و كلامه عليه السلام مؤيد لهذا الوجه.

(فاستمسكت بأمره) أى احتبست و اعتصمت و قامت بأمر الله سبحانه و الغرض عدم تفرّقها كأن بعضها معتصم ببعض (و قامت على حدّه) أى وقفت على ما حدّ لها من المكان و المقدار و الهيئه و الشكل و الأقطار و النهايات، و لم تجاوز عن حدودها المعيّنه و الضمير فى حدّه راجع إلى الله سبحانه.

(يحملها الأخضر المثعنجر) أى يحمل الأرض المستفاده من اليبس ماء البحر السائل، و وصف الماء بالخضره من عادته العرب و التعبير عن البحر بالأخضر لأنه بصفه لون السماء فيرى أخضر (و القمقام المسخر) أى البحر الذى سخره الله تعالى أى ذلك

لحملها كما أشار إليه بقوله (قد ذلّ) و انقاد (لأمره) عزّ و جلّ (و أذعن) و خضع (لهيئته) و جلاله (و وقف الجارى منه لخشيته) أى وقف السائل بالطبع فوقوفه عدم جريانه طبعاً بارادته سبحانه أو السائل منه قبل إرادته.

(و جبل جلاميدها) أى خلق سبحانه صخور الأرض الصّلبة العظيمة (و نشوز متونها و أطواها) أى مرتفعات صلبتها و جبالها (فأرساها فى مراسيها) أى أثبت هذه الجلاميد و الأطواد فى مواضعها المعينه التى اقتضت الحكمة الالهيه إثباتها فيها (و ألزمها قرارتها) أى أمسكها حيث استقرّت (فمضت رؤوسها فى الهواء و رست) أى رسبت و ثبتت (اصولها فى الماء) الذى بين أجزاء الأرض (فانهد جبالها عن سهولها) أى رفع جبال الأرض و أعلاها عن أراضيها المطمئنه (و أساخ قواعدها فى متون أقطارها) أى غيب قواعده الجبال فى جوانب أقطار الأرض (و) فى (مواضع انصابها) و أعلامها (فأشهب قلالها و أطال انشازها) أى جعل قلالها مرتفعه عاليه و اطاله الانشاز مؤكده لها كما قال تعالى «وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ».

(و جعلها) أى الجبال (للأرض عمادا) قيل المراد جعلها مواضع رفيعة فى الأرض و الظاهر أنّ المراد به ما أوضحه بقوله (و أرزّاها فيها أوتادا) أى أثبتتها فى الأرض حال كونها بمنزله الودد لها تمنعها من الحركة و الاضطراب كالسفينه إذا القى فيها جسم ثقيل.

(فسكنت على حركتها) التى هى من شأنها لكونها محموله على سائل متموّج أو على أثر حركتها يتموّج الماء (من أن تميد) و تضطرب (بأهلها) كما قال تعالى «وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ» و قال «وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ» أى لئلاّ تميد أو كراهه أن تميد قيل: إنّ الأرض كانت تميد و ترجف رجوف السّقف بالوطىء فثقلها بالجبال الرّواسى ليمنع من رجوفها، و قد تقدّم فى شرح الفصل الثالث من الخطبه الاولى بيان الاختلاف فى كيفيه كون الجبال سببا لسكون الأرض فليراجع ثّمّه.

و من جمله الوجوه التى قيل فى ذلك: إنّ المراد بالأرض قطعاتها و بقاعها

لا- مجموع كره الأرض، و يكون الجبال أوتادا لها أنّها مانعه لها عن الميدان و الاضطراب بالزّلزله و نحوها إمّا لحركه البخارات المختنقه فى داخلها بإذن الله تعالى أو لغير ذلك من الأسباب الّتى يعلمها مبدعها و منشئها، قال المحدث العلامة المجلسى قدس سرّه: و هذا وجه قريب يؤيّده ما سيأتى فى باب الزّلزله من حديث ذى القرنين.

و قوله (أو تسيخ بحملها) أى تغوص فى الماء مع ما عليها (أو تزول عن مواضعها) قال الشّارح المعتزلى:

فان قلت: ما الفرق بين الثلاثه تميد بأهلها أو تسيخ بحملها أو تزول عن مواضعها؟ قلت: لأنّها لو تحرّكت لكنت إمّا على مركزها أولا على مركزها، و الأوّل هو المراد بقوله تميد بأهلها، و الثّانى ينقسم إلى أن تنزل إلى تحت أو لا تنزل إلى تحت، فالنزول إلى تحت هو المراد بقوله أو تسيخ بحملها، و الثّانى هو المراد بقوله أو تزول عن مواضعها.

و قال المحدث العلامة المجلسى: و يحتمل أن يراد بقوله عليه السّلام: تميد بأهلها تحرّكها و اضطرابها بدون الغوص فى الماء كما يكون عند الزلزله، و بسوخها بحملها حركتها على وجه يغوص أهلها فى الماء سواء كانت على المركز أم لا فتكون الباء للتّعديه، و بزوالها عن مواضعها خراب قطعاتها بالرياح و السيول أو بتفرّق القطعات و انفصال بعضها عن بعض، فإنّ الجبال كالعروق السّاريه فيها تضبطها عن التّفرّق، و يؤيّده ايراد المواضع بلفظ الجمع، هذا.

و لما نبّه عليه السّلام على كمال اقتداره تعالى و جلاله و عظّمته فى خلق الأرض و الجبال مضافا إلى خلق السّماء أردفه بتنزيهه على ذلك و قال:

(فسبحان من أمسكها) أى الأرض بقدرته (بعد موجان مياهها) قال فى البحار: لعلّ المراد بهذا الموجان ما كان غامرا للأرض أو أكثرها و امسакها بخلق الجبال الّتى تقدّم فى الكلام (و أجمدها بعد رطوبه اكنافها) أى جوانبها لميدانها

قبل خلق الجبال و قول الشّارح البحراني: بأنّه اشاره إلى أنّ أصلها من زبد الماء ليس بشيء.

و قوله عليه السّلام (فجعلها لخلقها مهادا) كقوله تعالى في سورة النّبا «أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا» أى وطاء و قرارا و مهياء للتّصرّف فيه من غير أذيه، و فى سورة طه «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَ سَيْلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا» و فى سورة الزّخرف «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَ جَعَلَ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» أى كالمهد تتمهدونها و قوله عليه السّلام (و بسطها لهم فراشا) كقوله عزّ و جلّ فى سورة البقره «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَ السَّمَاءَ بِنَاءً» و فى سورة نوح «جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا لِتَسِيلُوا فِيهَا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا» قال بعض المفسّرين: الفراش اسم لما يفرش كالبساط لما يبسط و ليس من ضرورات الافتراض أن يكون مسطحا مستويا كالفراش على ما ظنّ، فسواء كانت كذلك أو على شكل الكره فالافتراض غير مستنكر و لا مدفوع لعظم جرمها و تباعد أطرافها و لكنّه لا يتمّ الافتراض عليها ما لم تكن ساكنه فى حيزها الطبيعى و هو وسط الأفلاك لأنّ الأثقال بالطبع تميل إلى تحت كما أنّ الخفاف بالطبع تميل إلى فوق و الفوق من جميع الجوانب ما يلي السّماء و التّحت ما يلي المركز، فكما أنّه يستبعد حركه الأرض فيما يلينا إلى جهه السّماء فكذلك يستبعد هبوطها فى مقابل ذلك، لأنّ ذلك الهبوط صعود أيضا إلى السّماء، فاذا لا حاجه فى سكّون الأرض و قرارها فى حيزها إلى علاقه من فوقها، و لا إلى دعامة من تحتها، بل يكفى فى ذلك ما أعطاه خالقها و ركز فيها من الميل الطبيعى إلى الوسط الحقيقى بقدرته و اختياره.

و قوله عليه السّلام (فوق بحر لّجى) كثير الماء (راكدا لا- يجرى) أى ساكن لا- يجرى إلى أحد الجوانب (و قائم) أى ثابت (لا يسرى) عن مكانه و ذلك لملازمه مركزه على حذو ما عرفت آنفا فى بيان فراشيّه الأرض (تكرّره) أى تردّده و تكرّره (الرياح العواصف) الشّديده (و تمخضه الغمام الدّوارف) أى تحرّكه السيّحاب المواطر و ذلك لأنّ الحرّ إذا وقع فيه المطر يرتجّ و يتمخّض و يضطرب كثيرا لتحريك

انضباب المطر بكثره و قوّه له و لما ذكر عليه السّلام عظيم قدرته عزّ و جلّ في خلق السّماء و الأرض و الجبال و الماء اتبعه بقوله عليه السّلام (انّ في ذلك لعبره لمن يخشى) أى فيما قدّمناه من آثار القدره و دلائل الجبروت و العظمه اعتبار لمن خشى ربّه، و إنّما خصّه به لأجل أنّ عدم الخشيه يوجب عدم المبالاة بالعبر و الالتفات إليها، و المراد بمن يخشى العلماء بمقتضى الحصر الوارد فى قوله تعالى «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» و تخصيص الخشيه بهم لأنّ شرطها معرفه المخشى و العلم بصفاته و أفعاله و قدرته و قهره فمن كان أعلم به كان أخشى منه، اللهم ارزقنا هذه المرتبه.

الترجمه

از جمله خطب شریفه آن حضرتست در اشاره بعجایب قدرت می فرماید:

و هست از قدرت و توانائی سلطنت آفریدگار و عجایب صنعتهای لطیفه او این که خلق فرمود از آب دریای بسیار موج زننده بر هم نشسته بر صدا زمین خشک بی رطوبت را، پس از آن خلق فرمود از بخار آن آب طبقاتی بر روی هم چیده، پس جدا ساخت آن طبقات را هفت آسمان بعد از جمع بودن و یکجا بودن آنها، پس بایستادند بفرمان او و قایم شدند باندازه مقررّه او در حالتی که بر می دارد آن زمین را آب کبود سیلان کننده، و دریای مسخر شده در تحت قدرت در حالتی که ذلیل بود از برای امر او، و منقاد بود به هیبت و جلال او، و ایستاد و ساکن گشت جاری از آن آب از ترس حکم او، و خلق فرمود سنگهای زمین را و بلند پستهای آنها، و کوههای آنها پس برقرار گردانید آنها را در قرارگاههای آنها، و لازم گردانید آنها را در جای ثبات آنها پس گذر کرد سرهای آنها در هوا، و فرو رفت بیخهای آنها در آب دریا پس بلند گردانید کوههای زمین را از همواری زمین، و فرو برد اساس آنها را در پشتهای اطراف آن و در مواضع علامتهای آن، پس بلند کرد سرهای کوهها را، و دراز گردانید بلند

شدن از زمین آنها را، و گردانید آن کوهها را از برای زمین ستون، و فرو گرفت آنها را در زمین در حالتی که میخهای زمین بودند، پس ساکن شد زمین از حرکت خود از این که بلرزاند أهل خود را، یا این که فرو برد حمل خود را، یا این که زایل گردد از مواضع خود.

پس تنزیه میکنم تنزیه کردنی کسی را که نگاه داشت زمین را بعد از موج زدن آبهای آن، و خشک گردانید آنها بعد از تر بودن اطراف آن، پس گردانید آن را از برای مخلوقات خود آرام گاه و گسترانید آنها از برای ایشان فرش و بساط بالایی دریای بزرگ انبوه ساکن غیر جاری و قائم غیر ساری در حالتی که بر گرداند و بهم می زند آنها دریا را بادهای تند وزنده و حرکت می دهد آنها ابرهای ریزنده، بتحقیق که در این دلائل قدرت و عظمت عبرتست از برای کسی که بترسد از خدا.

و من خطبه له علیه السلام و هی المأثان و الحادیه عشر من المختار فی باب الخطب

اشاره

اللَّهُمَّ أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَاتِنَا الْعَادِلَةَ غَيْرَ الْجَائِرَةِ، وَ الْمَصْلَحَةَ غَيْرَ الْمَفْسُودَةِ، فِي الدِّينِ وَ الدُّنْيَا، فَأَبِي بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلَّا النَّكُوصَ عَنْ نَصْرَتِكَ، وَ الْإِبْطَاءَ عَنْ إِعْزَازِ دِينِكَ، فَإِنَّا نَسْتَشْهَدُكَ عَلَيْهِ يَا أَكْبَرَ الشَّاهِدِينَ، وَ نَسْتَشْهَدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَنْ أَسْكَنَتْهُ أَرْضُكَ وَ سَمَاوَاتُكَ، ثُمَّ أَنْتَ الْبَعْدُ الْمَغْنَى عَنْ نَصْرِهِ وَ الْإِخْلَافِ لَهُ بِذَنْبِهِ.

اللغه

(المصلحة) بضم الميم اسم فاعل من باب الافعال و كذلك المفسده و (نكص)

عن الأمر نكصا و نكوصا تكاء كأ عنه و جبن و أحجم، و على عقبه رجع عَمَّا كان عليه من خير قال الفيروز آبادي خاصّ بالرجوع عن الخير، و وهم الجوهري في اطلاقه أو في الشر نادرا

الاعراب

ما في أيما زايده للتأكيد، و غير منصوب على الحائيه أو الوصفيه، و قوله:

في الدين، متعلق بالمصلحه، و قوله: إلا النكوص، استثناء مفرغ

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبه كما تبّه عليه الشارح البحراني ملتقطه من خطبه كان يستنهض بها أصحابه إلى جهاد أهل الشام.

قال بعد تقاعد أكثرهم عن صوته مناديا لله عزّ و جلّ (اللهم أيما عبد من عبادك سمع مقاتلتنا العادله) أي قولنا المتّصف بالعدل، و في وصفه به توسّع، و قال الشارح البحراني العادله المستقيمه التي هي طريق الله العايدة للناس إلى الرّشاد في دينهم و دنياهم، و ما قلناه أولى.

و أنّما وصفه عليه السّلام بالعدل، لأنّ استنهاضه إلى جهاد أهل الشّام إنّما كان من باب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر مع فيه من الامتثال لنصّ قوله تعالى «فان بغت احدهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغى حتّى تفيء إلى أمر الله» و قد كان عليه السّلام متّصفا بالعدل في جميع أقواله و أفعاله كما يشهد به قوله تعالى «وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسِيْطًا» أي أئمه عدلا على ما ورد في تفسير أهل البيت عليهم السّلام و قوله تعالى «وَ مِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَْعْدِلُونَ».

روى في البحار عن العياشي عن حمran عن أبي جعفر عليه السّلام في هذه الايه قال عليه السّلام: هم الأئمه عليهم السّلام.

و فيه من الكافي عن الحسين بن محمّد عن المعلّى عن الوشا عن عبد الله بن سنان قال: سألت أبا عبد الله عليه السّلام عن قول الله عزّ و جلّ «وَ مِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً» الايه قال: هم الأئمه صلوات الله عليهم.

و يشهد به أيضا ما في البحار من تفسير عليّ بن إبراهيم في قوله «ضرب الله

مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء و هو كلّ على مولاه أينما يوجّهه لا يات بخير هل يستوى هو و من يأمر بالعدل و هو على صراط مستقيم» قال عليه السّلام كيف يستوى هذا و هذا الذى يأمر بالعدل يعنى أمير المؤمنين و الأئمة عليه و عليهم السّلام، هذا و أنّما عَقِبَ بقوله (غير الجائره) إما تأكيداً أو من باب الاحتراس الذى تقدّم فى ديباجه الشرح فى ضمن المحاسن البديعيّه، فأنّه لمّا وصف مقالته بالعدل و كان هنا مظنّه أن يتوهّم أنّ عدالتها إنّما يتصوّر فى حقّ أهل الكوفه و أمّا فى حقّ أهل الشّام فلا لأنّ الاستنهاض إلى حربهم و سفك دمائهم جور فى حقهم و ظلم عليهم فكيف يكون عدلاً، فدفع ذلك التّوهّم بقوله: غير الجائره، تنبيهاً على أنّ محاربتهم من باب النهى عن المنكر و الزّدع لهم عن متابعه معاويه و منعهم عن الايتمام بالامام الباطل و ردعه عن ظلمه و طغيانه و دعويه الخلافه من غير استحقاق، و هذا فرض شرعاً فلا يكون جوراً بل عين العدل و اللّطف، هذا.

مضافاً إلى ما فيه من التعريض على معاويه حيث إنّ حصّه لأهل الشّام على حرب أهل الكوفه و حربته عليه السّلام محض الجور و العدوان، لأنّه من باب الأمر بالمنكر و النهى عن المعروف، و أىّ جور أعظم من ذلك.

أمّا فى حقّ أهل الشّام فلأنّه يدعوهم بذلك التحضيض إلى النار.

و أمّا فى حقّ أهل الكوفه فلردعهم عن الايتمام بالامام الحقّ و إرادته دفعه عن مقامه الذى يستحقّه و ايهاً أنّ الحقّ معه لمطالبته بدم عثمان المظلوم كما قال تعالى «وَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَحَيْدُنَا عَلَيْهَا آبَاءُنَا وَ اللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ».

روى فى البحار من كتاب الغيبة للنعمانى عن الكلينى باسناده عن محمّد بن منصور قال: سألته يعنى أبا عبد الله عليه السّلام عن هذه الايه قال عليه السّلام فهل رأيت أحداً زعم أنّ الله أمر بالزّنا و شرب الخمر أو شيء من هذه المحارم؟ قلت: لا، قال عليه السّلام: فما هذه الفاحشه التى يدّعون ان الله أمرهم بها؟ قلت: الله أعلم و وليه، قال عليه السّلام: فان هذا فى أولياء أئمة الجور ادّعوا أنّ الله أمرهم بالايتمام بهم فردّ الله ذلك عليهم

و أخبرهم أنهم قالوا عليه الكذب و سَمِيَ ذلك منهم فاحشه و فيه من تفسير علي بن إبراهيم بسنده عن طلحه بن زيد عن جعفر بن محمد عليهما السَّلام عن أبيه قال: الأئمة في كتاب الله إمامان قال الله «وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا» لا بأمر الناس يقدّمون أمر الله قبل أمرهم و حكم الله قبل حكمهم، قال: «و جعلناهم أئمة يدعون إلى النار» يقدّمون أمرهم قبل أمر الله و حكمهم قبل حكم الله، و يأخذون بأهوائهم خلافا لما في كتاب الله.

و الحاصل انه عليه السَّلام بمقتضى ملكه العصمه التى فيه إنما يأمر بالعدل و الاحسان و ينهى عن الفحشاء و المنكر و البغى تبعا لأمر الله، لأنه و الأئمة من صلبه عليهم السَّلام محالّ مشيّه الله و ما يشاءون إلّا أن يشاء الله و هم بأمره يعملون.

و قوله عليه السَّلام (و المصلحه غير المفسده فى الدّين و الدّنيا) أى فيها صلاح حال السامعين فى الدارين و انتظام امورهم فى النشأتين.

أما فى الآخره فلأنّ الجهاد باب من أبواب الجنّه فتحه الله لخاصّه أوليائه و هو لباس التقوى و درع الله الحصينه و جنّته الوثيقه، حسبما عرفته فى الخطبه السابعه و العشرين، ففى نهوضهم إلى قتال القاسطين عقيب استنهاضه عليه السَّلام امتثال لأمر الله، إعزاز الدين الله، تحصيل لرضوان الله تعالى شأنه، و فى تقاعدهم عنه سخط عظيم و عذاب أليم.

و أما فى الدّنيا فلأنّ مبارزه الأقران من عادته الأبطال و الشجعان و المنع من الذمار من آثار الفتوّه و شعار المروّه و المجاهد فى سبيل الله ينتظر من الله إحدى الحسنين إمّا الظفر و الغنيمه أو الشهاده الموجه للذكر الجميل و الثناء الباقي، و النكوص عن الجهاد محض للخذلان معقّب للهوان و عار فى الأعقاب و نار يوم الحساب، فمن تركه رغبه عنه ألبسه الله ثوب الذلّ و شمله البلاء و ديّث بالصغار و القماء هذا و تعقيب المصلحه بغير المفسده إما من باب التأكيد أيضا أو تعريضا على الطرف المقابل أعنى معاويه اللعين الذى كان يستنهضهم إلى حربيه، فإنّ نظر ذلك اللعين فى جميع مقالاته و كلماته لم يكن إلّا إلى شقّ عصا الاسلام و إفساد حال المسلمين و هدم

أركان الدين، و لذلك قال: عليه الصلاة و السلام فى الخطبه الثانيه و التسعين: ألا إنَّ أخوف الفتن عندى عليكم فتنه بنى اميه فانها فتنه عمياء مظلمه، إلى آخر ما مرّ هناك.

و قوله عليه الصلاة و السلام (فأبى بعد سمعه لها إلّا- النكوص عن نصرتك و الابطاء عن اعزاز دينك) لا يخفى ما فى هذا الكلام من بديع البيان و حسن التقرير و عجيب التعبير، حيث لم يقل فأبى بعد سمعه لها عن قبولها أو اجابتها، بل عدل عنه إلى قوله: إلّا النكوص آه للطافه معناه و بعد غوره و غزاره فحواه.

و ذلك لأنّ فى التعبير بهذه من التنبيه على عظيم خطاء الممتنعين المتقاعدين عن قبول أمره عليه السّلام و مزيد تقصيرهم و كبير ذنبهم ما لا يخفى على الفطن الخبير بمحسنات البيان.

أمّا أولاً فلما مرّ من أنّ النكوص مخصوص بالرجوع عن الخير أو نادر الاستعمال فى الرجوع عن الشرّ و على التقديرين ففيه دلالة على أنّهم بتقاعدهم قد قوّتوا على أنفسهم الخير الكثير الذى كان لهم عاجلاً و آجلاً.

و أمّا ثانياً فإنّ فى قوله: عن نصرتك دلالة على أنّهم بقتال القاسطين ناصرون لله سبحانه كما أنّهم بترك القتال ناكصون عن نصرته، و الله سبحانه يقول «إِنَّ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ» و قال «وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ» فلم يكن استنصاره من ضعف و ذلّ بل استنصرهم و له جنود السماوات و الأرض ليلوهم أيهم أحسن عملاً و ليعلم الله من ينصره و رسله بالغيب فيستوجب بالقتال ثواب الامتثال.

ثمّ فى اضافته النصرة إلى كاف الخطاب إشارة إلى أنّ نصرته عليه السّلام هو نصره الله، لأنّ إطاعه الرسول و إطاعه ولى الأمر هو إطاعه الله، لكونهم مبلغين عن الله و الامر و النّاهى فى الحقيقه هو الله، و لذلك قرن الله طاعتهم بطاعته فى قوله: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» بل جعل طاعتهم عين طاعته فى قوله «مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَ مَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا».

روى فى الصّافى عن العياشى عن الباقر عليه السّلام قال: ذروه الأمر و سنامه و مفتاحه

و باب الأشياء و رضى الرحمن الطاعة للامام بعد معرفته، ثم قال: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى يَقُولُ «مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ».

فإنَّ استشهاد الامام عليه السَّلام لوجوب طاعه الامام بالايه مفيد لكون طاعته طاعه الرسول كما أنَّ طاعته طاعه الله.

و أمّا ثالثا فإنَّ قوله: و الابطاء عن إعزاز دينك تقريع شديد على المتقاعدين لافادته أنَّهم بتقاعدهم مذلولون للدين مضيعون لمسالك الشرع المبين، فقد ظهر بما ذكرنا كلّهُ أنَّ فى قوله عليه الصَّلاه و السلام تحذيرا عظيما للمتقاعدين.

و اكّد ذلك الغرض بقوله عليه السَّلام (فإنّا نستشهدك عليه) حيث خالف أمرک و ترك نصرتک و أهان دينك (يا أكبر الشاهدين) الذى لا يعزب عنه شىء فى السَّماء و الأرض و هو على كلّ شىء شهيد.

(و نستشهد عليه جميع من أسكنته أرضك و سماواتك) من الملائكة و الانس و الجنّ ليشهدوا يوم الدّين بأنّى ما قصرت و لا فرطت فى تبليغ أمرک إلى المتخاذلين و لكنّهم تولّوا عنه معرضين (ثم أنت البعد) أى بعد تلك الشَّهاده (المغنى) لنا (عن نصره) إذ بيدك جنود السماوات و الأرض و أنت لما تشاء قدير و فى هذه الفقره تعظيم لرب العالمين و استحقال للمتخاذلين (و الاخذ له بذنبه) و فيه تحذير عظيم لهم و تهديد شديد من سخطه و عقابه لكونه عزّ و جلّ شديد العقاب و أشدّ بأسا و أشدّ تنكيلا، لا يعجزه من طلب، و لا يفوته من هرب، نعوذ بالله من سخطه و غضبه.

الترجمه

از جمله خطب شریفه آن امام اُنام علیه السَّلام است که گفته.

بار الها هر کدام بنده از بندگان تو که شنید گفتار با عدالت ما را که ظلم کننده نیست و گفتار اصلاح کننده ما را که افساد کننده نیست در دین و دنیا، پس امتناع کرد بعد از شنیدن او مر آنرا مگر از برگشتن از یاری تو، و تأخیر نمودن از اعزاز دین تو، پس بدرستی که ما شاهد می گیریم تو را بر آن شخص اى بزرگترین شاهدها و شاهد می گیریم تو را و جمیع کسانی را که ساکن فرموده ایشان را در زمین خود

و آسمانهای خود، پس تو بعد از آن شهادت غنی کننده از یاری او، و مؤاخذه کننده او را بگناه و معصیت او، و الله الهادی.

و من خطبه له علیه السلام و هی المأثان و الثاني عشر من المختار فی باب الخطب

اشاره

الحمد لله العليّ عن شبه المخلوقين، الغالب لمقال الواصفين، الظاهر بعجائب تدبيره للتأظرين، و الباطن بجلال عزّته عن فكر المتوهّمين، العالم بلا اكتساب و لا ازدياد، و لا علم مستفاد، المقدّر لجميع الأمور بلا رويّه و لا ضمير، الذي لا تغشاه الظلم، و لا يستضيء بالأنوار، و لا يرهقه ليل و لا يجرى عليه نهار، ليس إدراكه بالأبصار، و لا علمه بالأخبار. منها في ذكر النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم. أرسله بالضّياء، و قدّمه في الاصطفاء، فرّق به المفاتق، و ساور به المغالب، و ذلّل به الصّيعوبه، و سهّل به الحزونه، حتى سرح الضّلال عن يمين و شمال.

اللغه

(الشّبهه) بالتحريك كالشّبهه و الشّبيهه بمعنى المثل و المشابهه و شَبّهت الشيء بالشيء أقمته مقامه بصفه جامعهم بينهما و أشبه الولد أباه و شابهه إذا شاركه في صفه

من الصِّفات و (رهق) الذين رهقا من باب تعب غشيه و رهقت الشيء أدركته و (الاخبار) في أكثر النسخ بالكسر مصدر اخبر و في بعضها بالفتح جمع الخبر و كذلك الابصار.

و (رتقت) الفتن رتقا من باب قال سدده فارتتق و (فتق) الثوب شقّه فانفتق و تفتق و الفتق أيضا شقّ عصا الجماعه و وقوع الحرب بينهم و مفتق الثوب محلّ شقّه و يجمع على مفاتق كمقعد و مقاعد و (ساور) فلانا و اثبه سوارا و مساوره و ساوره اخذه براسه و الوثوب الظفر و (غلبه) غلبا و غلبا و غلبه و مغلبا قهره و المغلب وزان معظم المغلوب مرارا و المحكوم له بالغلبه ضدّ، و المغلبي وزان مسلنقى الذى يغلبك و يعلوك و (الحزونه) ضدّ السّيهوله و الحزن ما غلظ من الأرض و السّيهل ما لان منها و (سرحت) المرأة تسريحا طَلَّقَتْهَا قال تعالى «فَأَمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِحْ بِإِحْسَانٍ» أى تطليق.

الاعراب

الباء فى قوله بالضياء للمصاحبه كما فى دخلت عليه بثياب السّيفر، و فى قوله: به للسّيبّيه، و قوله: عن يمين و شمال، ظرف لغو متعلّق بسّرح على تضمين معنى الطّرد و الابعاد.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذه الخطبه الشّريفه كما ذكره بعض الشراح و أشار إليه السيّد «ره» مشتمله على فصلين:

الفصل الاول

فى تمجيد الله عزّ و جلّ و ثنائه بنعوت جلاله و جماله و أثنى عليه تعالى باعتبارات:

أولها قوله (الحمد لله العلىّ عن شبه المخلوقين) أى المتعالى عن مشابهه مخلوقاته فلا يشابه شيئا منها، و لا يشابهه شيء، فليس له شبه و شبيه و نظير.

و ذلك لما عرفت مرارا في تضاعيف الشرح لا سيما شرح الخطبه المأه والخامسه و الثمانين و شرح الكلام المأتين و الثامن أن المخلوقات كلها محدوده بالحدود الاصطلاحيه المركبه من الجنس و الفصل، و بالحدود اللغويه أى النهايه و الله سبحانه منزّه عن الحد اصطلاحيا كان أو لغويا لاستلزام الأوّل للتركيب و الثانى للافتقار إلى محدّد، و كلّ مركب و مفتقر ممكن، فالواجب تعالى لا يمكن أن يكون له مشابه و مشارك في ذاته و صفاته و أفعاله.

و الحاصل أنّ الواجب تعالى أجلّ و أعلى من أن يتّصف بالصفات الامكانيه، فيشابه المحدثات و يشاركهم في جهه من الجهات.

الثانى انه (الغالب لمقال الواصفين) يعنى أنه تعالى شأنه أجلّ من أن يقدر الواصفون على وصفه و بيان محامده، لعدم وقوف صفاته الكماليه و أوصافه الجماليه و الجلاليه إلى حدّ معين حتى يحيط بها العقول و يصفه الألسنه كيف و قد اعترف سيد البشر صلى الله عليه و آله و سلّم بالعجز عن ذلك، و قال: لا احصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، فأئى لغيره بذلك.

و هذه الفقره مساوقه لقوله عليه السّلام في الخطبه الاولى: الحمد لله الذى لا يبلغ مدحته القائلون، فإنّ المدح و الثناء و الوصف كلها بمعنى

لا يدرك الواصف المطرى محامدهو إن يكن سابقا فى كلّ ما وصفا

فحيث قصرت ألسنه الواصفين و كلّت عن تعداد صفاته الحميده فهو كالغالب على أقوالهم لعجزها عن البلوغ إلى مدى صفاته.

الثالث أنه (الظاهر بعجائب تدبيره للناظرين) يعنى أنه تعالى ظاهر للناظرين و ليس ظهوره بذاته كما توهمه المجسمه و غيرهم من المجوّزين للرؤيه، بل باثار قدرته و اعلام عظمته و بدايع صنعه و عجائب تدبيره و حكمته حسبما عرفت تفصيلا فى شرح الخطبه التاسعه و الأربعين و الخطبه الرابعه و السّتين و غيرهما.

(و) الرابع أنّه (الباطن بجلال عزّته عن فكر المتوهّمين) يعنى أنّه محتجب عن الأوهام و العقول، و ليس احتجابه و اختفاؤه بصغر جسمه و حقارته أو

لطافه قوامه كالهواء و الروح و نحوهما، بل باعتبار جلاله و عزّته و جبروته و عظّمته حسبما عرفت فى شرح الخطبتين المذكورتين و الحاصل أنّه ظاهر باياته باطن بذاته.

قال الشّارح البحرانى: و إنّما قال: فكر المتوهّمين، لأنّ النفس الانسانيه حال التفاتها إلى استلاحه الامور العلويه المجرّده لا بدّ أن يستعين بالقوّه المتخيله بباعث الوهم فى أن تصوّر تلك الامور بصور خياليه مناسبه لتشبيهها بها و تحطها إلى الخيال، و قد علمت أنّ الوهم إنّما يدرك ما كان متعلّقا بمحسوس أو متخيل من المحسوسات، فكل أمر يتصوّر الانسان و هو فى هذا العالم سواء كان ذات الله سبحانه أو غير ذلك فلا- بدّ أن يكون مشوبا بصوره خياليه و معلقا بها، و هو تعالى منزّه بجلال عزّته عن تكيف تلك الفكر له و باطن عنها، انتهى.

و قد تقدّم ما يوضح ذلك فى شرح الفصل الثانى من الخطبه الاولى و شرح الخطبه المأه و الخامسه و الثمانين فليراجع هناك.

الخامس انه (العالم بلا اكتساب و لا ازدياد و لا علم مستفاد) يعنى أنه عزّ و جلّ عالم بذاته و العلم ذاته و ليس علمه باكتساب له بعد الجهل، و لا بازدياد منه بعد النقص، و لا باستفاده و أخذ له عن غيره كما هو شأن علم المخلوقين، إذ لو كان كذلك لكان سبحانه متغيّرا و ناقصا فى ذاته مستكملا بغيره و هو باطل.

السادس انه (المقدّر لجميع الامور بلا رويّه و لا ضمير) أى الموجد لمخلوقاته على وفق حكمته و قضائه كلّا منها بقدر معلوم و مقدار معيّن من دون أن يكون ايجادها مستندا إلى الرّويه و الفكر، و لا إلى ما يضمّر فى القلب من الصور كما يحتاج إليها ساير الصّناع، لأنّه سبحانه منزّه من الضمير و القلب، و الرّوايات لا تليق إلّا بدوى الضمائر حسبما عرفت تفصيلا فى شرح الفصل الأوّل من الخطبه المأه و السابعه.

السابع أنّه (الذى لا تغشاه الظلم و لا يستضىء بالأنوار) أى لا يغطيه ظلام كما يغطى ساير الأجسام لكونه منزّها عن الجسميه، و لا يستضىء بالأنوار كما يستضىء بها ذوات الابصار لكونه منزّها من حاسّه البصر و ساير الحواسّ، مضافا إلى أنّه تعالى

نور السماوات والأرض، وجميع به يستضيء فكيف يستضيء بغيره والآ- لزم أن يكون مفتقرا إلى غيره مستكملا به وهو باطل.

(و) الثامن انه (لا يرهقه ليل ولا يجرى عليه نهار) يعنى لا يتعور عليه ليل و نهار لكونه منزها عن الزمان والحركة فلو تعاورا عليه لتفاوتت ذاته وتغيرت صفاته وامتنع من الأزل معناه.

(و) التاسع انه (ليس إدراكه بالابصار) لتنزهه من الاحتياج فى الإدراك إلى الآلات والمشاعر والأدوات.

والعاشر ما أشار إليه بقوله (و لا- علمه بالأخبار) أى بأن يخبره غيره بشىء فيحصل له العلم بذلك الشىء بسبب هذا الخبر، لاستلزام ذلك للجهل أولا والافتقار إلى حاسه السمع ثانيا، والنقص بالذات، والاستكمال بالغير ثالثا، وهذا كله مناف لوجوب الوجود.

الفصل الثانى

(منها فى ذكر النبى صلى الله عليه وآله وسلم) قال عليه السلام (أرسله بالضياء) الساطع والنور اللامع.

و المراد به إمّا نور الايمان، و به فسر قوله تعالى «اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ» أى ظلمات الكفر إلى نور الايمان «وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ» و إمّا نور العلم يعنى النبوه الذى كان فى قلبه صلى الله عليه وآله وسلم، و به فسر المصباح فى قوله تعالى «مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ».

روى فى الصافى من التوحيد عن الصادق عليه السلام فى هذه الايه «اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» قال: كذلك عزّ وجلّ «مَثَلُ نُورِهِ» قال محمّد صلى الله عليه وآله وسلم «كَمِشْكَاةٍ» قال صدر محمّد صلى الله عليه وآله وسلم «فِيهَا مِصْبَاحٌ» قال فيه نور العلم يعنى النبوه الحديث.

و إمّا القرآن كما فى قوله تعالى «قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ» فهو نور عقلى يهتدى به فى سلوك سبيل الجنان ويستضاء به فى الوصول إلى مقام الزلفى والرضوان (و قدّمه فى الاصطفاء) أى قدّمه على جميع خلقه فى أن اختاره منهم و فضّله عليهم كما قال الشاعر:

و إِمَّا الْقُرْآنَ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى «قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَ يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ» فهو نور عقلى يهتدى به فى سلوك سبيل الجنان و يستضاء به فى الوصول إلى مقام الزلفى و الرضوان (و قدّمه فى الاصطفاء) أى قدّمه على جميع خلقه فى أن اختاره منهم و فضّله عليهم كما قال الشاعر:

لله فى عالمه صفوه و صفوه الخلق بنو هاشم

و صفوه الصفوه من هاشم محمّد الطهر أبو القاسم

و قد مضى أخبار لطيفه فى هذا المعنى فى شرح الخطبه الثالثه و التسعين فليراجع هناك.

و قوله (فرتق به المفاتق) أى أصلح به المفاسد، و هو إشاره إلى ما كانت عليه أهل الجاهليه حين بعثه من سفك الدماء و قطع الأرحام و عباده الأصنام و اجتراح الآثام قد استهوتهم الأهواء، و استرلّتهم الكبرياء، و استخفّتهم الجاهليه الجهلاء، تائهن حائرين فى زلزال من الأمر و بلاء من الجهل، فبالغ صلى الله عليه و آله و سلّم فى نصحتهم و موعظتهم و دعائهم بالحكمه و الموعظه الحسنه إلى سبيل ربّهم، و جادلهم بالتى هى أحسن، فأصلح الله بوجوده الشريف ما فسد من امور دنياهم و آخرتهم، و رفع به ضغائن صدورهم، و هداهم به من الضلاله، و أنقذهم بمكانه من الجهاله (و ساور به المغالب) فى إسناد المساوره إلى الله سبحانه توسّع، و المراد تسليطه على المشركين و الكفّار و المنافقين الذين كان لهم الغلبه على غيرهم كما قال عزّ من قائل «إِنَّ الَّذِينَ يَحَادُّونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْمَأْذَلِينَ كَتَبَ اللَّهُ لِمَاعِلَبْنِ أَنَا وَ رَسُولِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ» و قال «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ».

قال فى مجمع البيان فى تفسير الايه الأولى: روى أنّ المسلمين قالوا لما رأوا ما يفتح الله عليهم من القرى ليفتحنّ الله علينا الزوم و فارس فقال المنافقون أ تظنون أنّ فارس و الزوم كبعض القرى التى غلبتم عليها، فأنزل الله هذه الايه.

و قال فى الايه الثانيه فى تفسير قوله «ليظهره على الدين كله» معناه

ص:

ليغلب دين الاسلام على جميع الأديان بالحجّه و الغلبه و القهر لها حتّى لا يبقى على وجه الأرض دين إلّا مغلوب.

(و ذلّل به الصعوبه) صعوبه الجاهليه الّتي أشرنا إليها فى شرح قوله: فرتق به المفاتق (و سهل به الحزونه) أى حزنه طريق الحقّ و تسهيلها بالارشاد إلى معالمه و الهدايه إليه.

(حتّى سرح الضّلال عن يمين و شمال) غايه للجملات السابقه جميعا أو لخصوص الجمله الأخيره أى إلى أن طرد و ابعد ظلمات الجهل و الضلال بميامين بعثته و أنوار هدايته عن يمين النّفوس و شمالها.

قال الشارح البحرانى: و هو إشاره إلى القائه رذيلتي التّفريط و الافراط عن ظهور النّفوس كتسريح جنبى الحمل عن ظهر الدّابه، و هو من ألطف الاستعارات و أبلغها

الترجمه

حمد و ثنا خدائی راست که برتر است از مشابّهت مخلوقات، و غلبه کننده است مر گفتار وصف کنندگان کنه ذات و صفات - یعنی او غالب است بتوصیف هر واصفی و هیچکس قدرت وصف او ندارد - ظاهر است و هویدا با عجایب و غرایب تدبیر خود از برای متفکران، و پنهانست بجهت جلال عظمت و شدّت نور خود از فکر صاحبان و هم و عقل دانا و عالم است بدون حاجت بکسب علم از دیگری و بدون احتیاج بآفزون کردن علم و بدون علمی که استفاده شود از خارج، مقدّر است جمیع امورات را بدون فکر و خطوط خاطری، چنان خدائی که احاطه نمی کند او را ظلمتها، و طلب روشنی نمی کند بنورها، و درک نمی کند او را شب، و جاری نمی شود بر او روز، نیست دیدن او با دیدن بصر، و نه دانستن او بخبر دادن کسی دیگر.

از جمله فقرات این خطبه در ذکر اوصاف پیغمبر صلی الله علیه و آله و سلّم است می فرماید:

فرستاد خدای تعالی او را با نور پر ظهور، و مقدم فرمود او را بجمیع مخلوقات

در پسند کردن او، پس بست بوجود او گشادگیها را، و سد کرد شکافتگیها را، و شکست داد با قوت او اشخاصی را که همیشه غلبه داشتند، و ذلیل کرد بسبب او سرکشی را، و هموار گردانید با او ناهموار را تا این که بر طرف ساخت و دور نمود ضلالت را از راست و چپ طریق حق.

و من خطبه له علیه السلام و هی المأتان و الثالثه عشر من المختار فی باب الخطب

اشاره

و أشهد أنه عدل عدل، و حكم فصل، و أشهد أن محمدا عبده و سيد عباده، كلما نسخ الله الخلق فرقتين جعله في خيرهما، لم يسهم فيه عاهر، و لا ضرب فيه فاجر. ألا و إن الله قد جعل للخير أهلا، و للحق دعائم، و للطاعة عصما، و إن لكم عند كل طاعه عوننا من الله يقول على الألسنه، و يثبت الأفتده، فيه كفاء لمكتف، و شفاء لمشتف. و اعلموا أن عباد الله المستحفظين علمه، يصونون مصونه، و يفجرون عيونه، يتواصلون بالولايه، و يتلاقون بالمحبه، و يتساقون بكأس رويّه، و يصدرون بريّه، لا تشوبهم الزبيّه، و لا تسرع فيهم

ص: ۸۷

الغيبه، على ذلك عقد خلقهم و أخلاقهم، فعليه يتحاطون، و به يتواصلون، فكانوا كتفاضل البذر ينتقى، فيؤخذ منه و يلقي، قد ميّزه التلخيص، و هذّبه التّمحيص، فليقبل امرء كرامه بقبولها، و ليحذر قارعه قبل حلولها، و لينظر امرء فى قصير أيامه، و قليل مقامه، فى منزل حتّى يستبدل به منزلا، فليصنع لمحوّله، و معارف منتقله، فطوبى لذى قلب سليم أطاع من يهديه، و تجنّب من يرديه، و أصاب سبيل السّلامه بنصر من بصّره، و طاعه هاد أمره، و بادر الهدى قبل أن تغلق أبوابه، و تقطع أسبابه، و استفتح التّوبه، و أماط الحوبه، فقد أقيم على الطّريق، و هدى نهج السّيل.

اللغة

(نسخت) الكتاب نسخا من باب منع نقلته و انتسخته كذلك، و نسخت الشّمس الظل أى أزالته قال ابن فارس: و كلّ شىء خلف شيئا فقد انتسخه فيقال انتسخ الشّمس الظلّ و الشّيب الشّباب أى أزاله و كتاب منسوخ و منتسخ منقول، و النّسخه الكتاب المنقول و تناسخ الأزمه و القرون تتابعها و تداولها، لأنّ كلّ واحد ينسخ حكم ما قبله و يثبت الحكم لنفسه، و منه تناسخ المواريث لأنّ الارث لا يقسّم على حكم الميّت الأوّل بل على حكم الثانى و كذلك ما بعده.

و (يسهم) بالبناء على المفعول من اسهمت له أعطيته سهما أى نصيبا و (عهر) عهرا من باب تعب زنا و فجر فهو عاهر و عهر عهورا من باب قعد لغه و فى الحديث:

الولد للفراش و للعاهر الحجر، أى إنّما يثبت الولد لصاحب الفراش و هو الزّوج

و للعاهر الجنبه «الخبيه» و لا يثبت له نسب و هو كما يقال له التراب أى الخبيه لأنّ بعض العرب كان يثبت النسب من الزنا فأبطله الشرع.

و(الدّعامه)بالكسر ما يستند به الحائط إذا مال يمنعه من السّقوط و الجمع دعائم كعمائم، و يستعار بسيد القوم فيقال هود عامه القوم كما يقال: هو عمادهم، و (عصمه) الله من المكروه من باب ضرب حفظه و وقاه، و الاسم العصمه بالكسر و يجمع على عصم وزان عنب و جمع الجمع أعصم و عصمه و جمع جمع الجمع أعصام.

و (كفى) الشىء يكفى كفايه فهو كاف إذا حصل به الاستغناء عن غيرهقال الشّارح المعتزلى:فيه كفاء لمكتف و شفاء لمشتف،الوجه فيه كفايه فإنّ الهمز لا وجه له ههنا لأنّه من باب آخر و لكنّه أتى بالهمزه للازدواج بين كفاء و شفاء كما قالوا: الغدايا و العشايا، و كما قال عليه السّلام، مأزورات غير مأجورات، تأتي بالهمزه و الوجه الواو للازدواج.

و (الولايه) بفتح الواو المحبّه و النّصره و (الكأس) بهمهزه ساكنه و يجوز تخفيفها القدح المملوّ من الشّراب و لا تسمّى كأساً إلّا و فيها شراب و هى مؤنثه سماعيّه و (رى) من الماء و اللّبن كرضى رياً و رياً و تروى و ارتوى و الاسم الرى بالكسر، و ماء روى كغنى و رواء كسماء كثير مرو و (القارعه) الدّاهيه لأنّها تفرع الناس بشدّتها و منه سمى الموت قارعه و كذلك القيامه لمزيد هو لها و (معارف) الدّار ما يعرفها المتوسّم بها واحدها معرف مثل معاهد الدّار و معالم الدار و (طوبى) مصدر من الطيب قلبت ياؤه واوا لضمّه ما قبلها أو اسم شجره فى الجنّه.

الاعراب

قوله: كلّما نسخ الله بنسخ كلّ على الظرف، و الفاء فى قوله فليقبل فصيحته، و قوله: حتّى يستبدل، متعلّق بقوله و لينظر، و قوله: فطوبى لذى قلب سليم الفاء فصيحته، و طوبى مرفوع على الابتداء خبره لذى قلب و لهج السّبيل بالنّصب

المعنى

إشارة

اعلم أنّ هذه الخطبة مسوقه لوصف حال عباد الله الصّالحين و أوليائه الذين لا خوف عليهم و لا هم يحزنون، و ختمها بالذّكرى و الموعظه و افتتحها بالشّهاده بعدل الله عزّ و جلّ و فصله ثمّ بنعت رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و تزكيه نسبه و أصله فقال:

(و أشهد أنّه عدل عدل) قال الشّارح المعتزلى: الضمير فى أنّه راجع إلى القضاء و القدر المذكور فى صدر هذه الخطبة و لم يذكره الرضى رحمه الله، قال:

و نسبه العدل إلى القضاء على طريق المجاز، و هو بالحقيقه منسوب إلى ذى القضاء و القاضى به هو الله تعالى اه، و محصله أنّه تعالى عدل مبالغه أو عادل حقيقه فى جميع أفعاله و أحكامه لكون الظلم قبيحا عقلا و نقلا فيستحيل فى حقّه.

قال الشّارح البحرانى: و البارى تعالى عادل بالنظر إلى حكمه و قضائه أى لا يقضى فى ملكه بأمر إلّا و هو على وفق النّظام الكلّى و الحكمه البالغه، و يدخل فى ذلك جميع أفعاله و أقواله، فأنّه لا يصدر منها شىء إلّا و هو كذلك و أما الجزئيات المعدوده شرورا و صوره جور فى هذا العالم، فأنّها إذا اعتبرت شرورا نسبه و مع ذلك فهى من لوازم الخير و العدل لابدّ منها، و لا يمكن أن يكون الخير و العدل من دونها كما لا- يمكن أن يكون الانسان إنسانا إلّا- و هو ذو غضب و شهوه يلزمهما الفساد و الشرّ الجزئى، و لَمّا كان الخير أكثر و كان تركّ خير الكثير لأجل الشرّ القليل شرّا كثيرا فى الجود و الحكمه و جب تلك الشرور الجزئيه لوجود ملزوماتها، و أشار بقوله عدل إلى ايجاد العدل بالفعل، انتهى.

(و حكم فصل) أى حاكم بالحقّ فصل بين الحقّ و الباطل بما بعث به رسوله من كتابه العزيز، و إنّ لقول فصل و ما هو بالهزل، و يفصل أيضا بين عباده يوم القيامة فيما هم فيه يختلفون كما قال عزّ من قائل «إنّ يوم الفصل كان ميقاتا» و قال «إنّ ربّك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون» أى يقضى فيميّز الحقّ من الباطل تمييز المحقّ من المبطل و الطيب من الخبيث فيما كانوا يختلفون فيه

من أمر الدين، وفي آية أخرى «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» أي بالحكمه بينهم و اظهار الحق من المبطل و جزاء كل بما يليق به.

(و أشهد أن محمدا) صَلَّى الله عليه و آله و سلم (عبده و سيّد عباده).

أما أنه عبده فقد شهد به الكتاب العزيز في مواضع عديده مقدما على شهادته عليه السلام قال سبحانه «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا» و قال «تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا» و قال «فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ» و قال «هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ» إلى غير ذلك مما لا حاجة إلى ذكره و قد تقدّم بيان حقيقه العبوديّة في شرح الخطبه الحاديّه و السبعين تفصيلا فليراجع ثمه، و اجمال ما قدّمناه هنا أنّ العبد لا يكون عبدا حقيقه إلاّ أن لا يرى لنفسه مالا و لا له في أموره تدبيراً، و يكون أوقاته مستغرقه بخدمه مولاه، و هكذا كان حال سيّدنا رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم و الطيّبين من آله سلام الله عليهم فانهم رأوا جميع ما في أيديهم مال الله فصرفوه في عيال الله و هم الفقراء و المساكين، و وكلوا جميع امورهم الى الله رضاء بقضائه فشكروا على نعمائه و صبروا على بلائه و كانت أوقاتهم مصروفه إلى عبادته و قيام أوامره و نواهيه و طاعته.

و أما أنه سيّد عباده فلا ريب فيه، و الظاهر أنّ المراد به جميع البشر لا خصوص عباد الله الصالحين الكملين من الأنبياء و الرسل و من دونهم، لدلاله الأدلّه على العموم حسبما عرفت تفصيلا في تضاعيف الشرح و أقول هنا مضافا إلى ما قدّمنا:

روى في البحار من الكافي باسناده عن صالح بن سهل عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ بعض قریش قال: سئل رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم بأيّ شيء سبقت ولد آدم؟ قال: إنني أول من أقرّ برّبّي إنّ الله أخذ ميثاق النّبيّين و أشهدهم على أنفسهم أ لست برّبكم قالوا بلى فكنت أول من أجاب.

و فيه من الخصال في وصيّة النّبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم لعلّي عليه السلام يا علي إنّ الله عزّ و جلّ

أشرف على الدُّنيا فاختارني منها على رجال العالمين، ثم اطلع الثانيه فاختارك على رجال العالمين بعدى، ثم اطلع الثالثه فاختار الأئمه من ولدك على رجال العالمين بعدك، ثم اطلع الرَّابعه فاختار فاطمه على نساء العالمين.

و فيه من تفسير فرات بن إبراهيم بسنده عن جابر الجعفى عن أبى جعفر عليه السَّلام قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و سلمَ لَمَّا اسرى بى إلى السماء قال لى العزيز الجبار: يا مُحَمَّد أنى اطلعت إلى الأرض اطلعه فاخترتك منها و اشتقت لك اسما من أسمائى لا- اذكر فى مكان إلّا- و أنت معى، فأنا محمود و أنت محمّد الحديث و فيه من العيون عن الهروى عن الرضا عليه السَّلام فى حديث طويل قال: إنّ آدم على نبينا وآله و عليه السَّلام لَمَّا أكرم الله تعالى باسجاد ملائكته و بادخال الجنّه قال فى نفسه: هل خلق الله بشرا أفضل مِنّى، فعلم الله عزّ و جلّ ما وقع فى نفسه فناده ارفع رأسك يا آدم فانظر إلى ساق عرشى، فرفع آدم رأسه فنظر إلى ساق العرش فوجد عليه مكتوبا: لا- إلّه إلّا الله محمّد رسول الله علىّ بن أبى طالب أمير المؤمنين و زوجته فاطمه سيده نساء العالمين و الحسن و الحسين سيّدا شباب أهل الجنّه، فقال آدم:

يا ربّ من هؤلاء؟ فقال عزّ و جلّ: هؤلاء من ذريّتك و هم خير منك و من جميع خلقى و لولاهم ما خلقتك و لا خلقت الجنّه و النَّار و لا السَّماء و الأرض إلى آخر ما تقدّم روايته فى التذنيب الثّانى من شرح الفصل الثّانى عشر من الخطبه الاولى.

و فيه أيضا من اكمال الدين عن الحسين بن خالد عن أبى الحسن موسى عليه السَّلام عن آبائه عليهم السَّلام قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و سلمَ: أنا سيّد من خلق الله و أنا خير من جبرئيل و ميكائيل و حملة العرش و جميع الملائكه المقربين و أنبياء الله المرسلين، و أنا صاحب الشّفاعه و الحوض الشّريف و أنا و علىّ أبوا هذه الأئمه، «الامه» من عرفنا فقد عرف الله، و من أنكرنا فقد أنكر الله عزّ و جلّ الحديث.

و فى شرح المعتزلى عنه صَلَّى الله عليه وآله و سلمَ قال: أنا سيّد ولد آدم و لا فخر.

و عنه صَلَّى الله عليه وآله و سلمَ أيضا: ادعوا لى سيّد العرب عليا، فقالت عايشه: أ لست سيّد العرب؟ فقال صَلَّى الله عليه وآله و سلمَ: أنا سيّد البشر و علىّ سيّد العرب.

و الأخبار فى هذا المعنى فوق حدّ الاحصاء ولا حاجه إلى الاطاله بروايتها.

قال الصدوق فى الهدايه: يجب أن يعتقد أنّ النبوه حقّ كما اعتقدنا أنّ التوحيد حقّ، و أنّ الأنبياء الذين بعثهم الله مائه ألف نبى و أربعة و عشرون ألف نبى، جاءوا بالحقّ من عند الحقّ، و أنّ قولهم قول الله و أمرهم أمر الله و طاعتهم طاعه الله و معصيتهم معصيه الله، و أنهم لم ينطقوا إلّا من الله عزّ و جلّ و عن وجهه و أنّ ساده الأنبياء خمسة الذين عليهم داره الرّحى و هم أصحاب الشرائع و هم أولو العزم:

نوح، و إبراهيم، و موسى، و عيسى، و محمّد صلوات الله عليهم و أنّ محمّدا صلوات الله عليه سيّدهم و أفضلهم، و أنه جاء بالحقّ و صدّق المرسلين، و أنّ الذين آمنوا به و عزّروه و نصرّوه و اتبعوا النور الذى انزل معه أولئك هم المفلحون، و يجب أن يعتقد أنّ الله تبارك و تعالى لم يخلق خلقا أفضل من محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم و من بعده الأئمه صلوات الله عليهم، و أنهم أحبّ الخلق إلى الله عزّ و جلّ و أكرمهم عليه و أولهم اقرارا به لما أخذ الله ميثاق النبيين فى الدّر إلى آخر ما قال:

(كلّما نسخ الله الخلق فرقتين) أى خلّفهم حيث نقلهم من البطن الأول إلى البطن الثانى و قسمهم إلى فرقتين فرقه خير و فرقه شرّ (جعلهم فى خيرهما) حسبما عرفت تفصيلا فى شرح الخطبه الثالثه و التسعين قال الشارح المعتزلى: و هذا المعنى قد ورد مرفوعا فى عدّه أحاديث نحو قوله صلّى الله عليه و آله و سلّم: ما افترت فرقتان منذ نسل آدم ولده إلّا كنت فى خيرهما، و نحو قوله صلّى الله عليه و آله و سلّم: إنّ الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل و اصطفى من ولد إسماعيل مضر و اصطفى من مضر كنانه و اصطفى من كنانه قريش و اصطفى من قريش هاشما و اصطفانى من بنى هاشم.

(لم يسهم فيه عاهر) أى لم يجعل فى نسبه الشريف ذا سهم و نصيب (ولا ضرب فيه فاجر) أى لم يكن لفاجر فيه شرك، يقال: ضرب فى كذا بنصيب إذا كان شريكا فيه و المراد طهاره نسبه الشامخ من شوب دنس الجاهليه و نجس السفاح أى تناسخته كرايم الأصلاب إلى مطهّرات الأرحام و كان نورا فى الأصلاب الشامخه

و الأرحام المطهره، لم تـدنس نسبـه الجاهليـه بأنجاسـها و لم تلبسـه من مدلهـمات ثيابـها و قد عرفت تفصيلـه أيضا في شرح الخطبه الثالثه و التسعين، هذا.

و لما فرغ عليه السـلام من وصف النبى صـلى الله عليه و آله و سـلم رغب المخاطبين في دخولهم في زمـره أهل الخير و الحق و الطاعه بقوله:

(ألا- و انّ الله قد جعل للخير أهلا) و هم الأبرار المتقون و أهل الزهد و الصلاح من المؤمنين قال سبحانه «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَ اسْجُدُوا وَ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَ افْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» أى تحروا ما هو خير و أصلح فيما تأتون و تذررون كنوا فل الطاعات و صله الأرحام و مكارم الأخلاق.

و قال الصادق عليه السـلام جعل الخير كله في بيت و مفتاحه الزهد في الدنيا، و خير الخير هو رضوان الله تعالى، و شرّ الشرّ سخطه و النار.

و الخيرات الاخرويه إنما تكسب بالخيرات الدنيويه و لذلك أمر الله سبحانه بها في الايه السابقه بقوله «و افعلوا الخير» و في قوله «فاستبقوا الخيرات» أى الأعمال الصالحه و الطاعات المفروضه و المندوبه و رئيس أهل الخير هم الأئمه عليهم الصلاه و السلام كما أشير اليه في زيارتهم الجامعه بقوله: إن ذكر الخير كنتم أوله و أصله و فرعه و معدنه و مأواه و منتهاه.

(و للحقّ دعائم) الظاهر أنّ المراد بالحقّ ضدّ الباطل و بدعائمه الأئمه عليهم السـلام لأنهم أئمه الحقّ بهم قوامه و دوامه و ثباته و غيرهم أئمه الباطل كما اشير إلى ذلك في قوله تعالى «و مِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَْعِيدُونَ» و قوله «أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي» و قد قال رسول الله صـلى الله عليه و آله و سـلم في الحديث المتفق عليه بين الفريقين: الحقّ مع علىّ و هو مع الحقّ أينما دار و من طرق الخاصه مستفيضا بل متواترا كما قيل عن النبى صـلى الله عليه و آله و سـلم و الأئمه عليهم السـلام عنه صـلى الله عليه و آله و سـلم أنه قال: الحقّ مع الأئمه الاثنى عشر، و في زيارتهم الجامعه: الحقّ معكم و فيكم و منكم و اليكم و أنتم أهله و معدنه.

و في روايه الكافى عن محمّد بن مسلم قال سمعت أبا جعفر عليه السـلام يقول: ليس عند

أحد من الناس حق ولا صواب ولا أحد من الناس يقضى بقضاء حق إلا ما خرج منا أهل البيت، وإذا تشعبت بهم الأمور كان الخطأ منهم و الصواب من علي عليه السلام وقوله (و للطاعة عصما) يحتمل أن يكون المراد بالعصمه ما يعتصم به كما فسر به قوله تعالى «وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفِرِ» أى بما يعتصم به الكافرات من عقد و سبب أى لا تمسكوا بنكاح الكوافر، و سمي النكاح عصمه لأنها لغه المنع و المرأه بالنكاح ممنوعه من غير زوجها.

و على ذلك فالمراد بعصم الطاعة هم الأئمه عليهم السلام و القرآن إذ بهما يعتصم و يتمسك في الطاعات أمّا الأئمه عليهم السلام فلاستناد الطاعة و العباده إليهم لأنهم عليهم السلام نشروا شرايع الأحكام و بمولاتهم علمنا الله معالم ديننا، و بمولاتهم تقبل الطاعة المفترضه كما ورد في فقرات الزياره الجامعه و في روايه الكافى المتقدمه فى شرح الفصل الخامس من الخطبه الثانيه عن مروان بن مياح عن الصادق عليه السلام قال: و بعبادتنا عبد الله و لولا نحن ما عبد الله، و فى غير واحد من أخبارهم: بنا عرف الله و بنا عبد الله و سبّحنا فسبّحت الملائكه و هلّلنا فهلّلت الملائكه، و الحاصل أنّهم أساس الدين و عماد اليقين و أمّا القرآن فلكونه مدرك التكليف و الطاعات كما قال تعالى «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ» أى طريق الشريعة و الطاعة و لذلك أمر الله بالاعتصام به فى قوله: «وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ» أى بالقرآن استعير له الحبل لأن الاعتصام و التمسك به سبب النجاة من الردى كما أنّ التمسك بالحبل سبب النجاة من الردى.

و يحتمل أن يكون المراد بها أى بالعصمه الحفظ و الوقايه كما فى قولهم عصمه الله من المكروه أى حفظه و وقاه، و عصمه الله للبعد منه و حفظه له من المعصيه و على ذلك فالمراد بعصم الطاعة الخواص الكامنه لها المانع له من هلكات الدنيا و عقوبات الاخره كما قال تعالى: «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ» و الاتيان بصيغه الجمع أعنى عصما إمّا باعتبار تعدّد أنواع الطاعة أو تعدّد

خواصها أو كثره ما يعصم بها منها من أنواع العقوبات، فإنَّ كلَّ طاعه فله عصمه من نوع مخصوص أو أنواع من العذاب، و بقبالها الذنب و المعصيه، فإنَّ لكلَّ ذنب أثرا خاصا في جلب نوع مخصوص أو أنواع من السيِّئ خط كما اشير إلى ذلك في الدعاء اللهم اغفر لي الذنوب التي تهتك العصم اللهم اغفر لي الذنوب التي تنزل النقم اللهم اغفر لي الذنوب التي تغير النعم، اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء، اللهم اغفر لي الذنوب التي تنزل البلاء، اللهم اغفر لي الذنوب التي تقطع الرجاء، هذا.

و أنت بعد خبره بما حقَّقناه في شرح هذه الفقره و سابقته تعرف أنَّ ما قلناه أولى:

مما قاله الشارح البحراني في شرح تلك الفقرات حيث قال: قوله عليه السَّلام ألا و انَّ الله - إلى قوله عصما - ترغيب للسامعين أن يكونوا من أهل الجنه و دعائم الحق و عصم الطاعه.

و مما قاله الشارح المعتزلي من أنَّ دعائم الحقَّ الأدلّه الموصله إليه المثبت له في القلوب و عصم الطاعه هي الادمان على فعلها و التمرن على الاتيان بها، لأنَّ المروء على الفعل يكسب الفاعل ملكه تقتضى سهولته عليه.

و مما قاله بعض الشراح من أنَّ المراد بعصم الطاعه العبادات التي توجب التوفيق من الله سبحانه و ترك المعاصي الموجهه لسلبه أو الملائكه العاصمه للعباد عن اتباع الشياطين انتهى، فافهم جيدا.

قوله عليه السَّلام (و انَّ لكم عند كلِّ طاعه عوناً من الله) الظاهر أنَّ المراد بالعون توفيق الله و لطفه المخصوص في حقَّ المطيعين، فإنَّ الاتيان بالطاعات إنما هو بعونه و توفيقه كما أنَّ المعاصي بخذلانه و سلب توفيقه كما اشير إلى ذلك في قوله تعالى «و الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا» و اشير إليه أيضا في أخبارهم عليهم السَّلام.

روى في البحار من توحيد الصدوق بإسناده عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السَّلام

قال: سألته عن معنى لا حول و لا قوّه إلاّ بالله، فقال عليه السّلام: لا حول لنا عن معصيه الله إلاّ بعون الله، و لا قوّه لنا على طاعه الله إلاّ بتوفيق الله عزّ و جلّ.

و فيه من كنز الكراجكى قال الصادق عليه السّلام: ما كلّ من نوى شيئا قدر عليه، و لا كلّ من قدر على شيء وفق له، و لا كلّ من وفق لشيء أصاب به فاذا اجتمعت التّيه و القدره و التوفيق و الاصابه فهنا لك تمّت السعاده.

و فيه أيضا من التّوحيد عن الهاشمى قال: سألت أبا عبد الله جعفر بن محمّد عليهما السّلام عن قوله «و ما توفيقى إلاّ بالله» و قوله «إن ينصركم الله فلا غالب لكم و إن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده» فقال عليه السّلام: إذا فعل العبد ما أمره الله عزّ و جلّ به من الطاعه كان فعله وفقا لأمر الله عزّ و جلّ و سمّى العبد به موفّقا، و إذا أراد العبد أن يدخل فى شيء من معاصى الله فحال الله تبارك و تعالى بينه و بين المعصيه كان تركه لها بتوفيق الله تعالى، و متى خلى بينه و بين المعصيه فلم يحل بينه و بينها حتّى يرتكبها فقد خذله و لم ينصره و لم يوفّقه.

فقد ظهر بما ذكرنا أنّ طاعه الله عزّ و جلّ لا يتمكّن منها إلاّ بعونه و توفيقه لأنّ التوفيق عباره عن أن يجمع بين جميع الأسباب الّتى يحتاج إليها فى حصول الفعل، و لهذا لا يقال فيمن أعان غيره وفّقه لأنّه لا يقدر أن يجمع بين جميع الأسباب المحتاجه إليها فى حصول الفعل و لانحصار التوفيق فيه تعالى جىء بكلمه الحصر فى قوله إِيَّاكَ نستعين أى نستوفق و نطلب المعونه على عبادتك و على امور ما كلّها منك و أنّ غيرك «كذا» إذا لا يقدر عليه أحد سواك، و إذا حصل التوفيق و شمله اللّطف و علم أنّ له فى فعل العباده الثواب العظيم زاد ذلك فى نشاطه و رغبته، فيسهل للعبد حينئذ القيام بوظايف الطاعات لأنّه يعين عليها و يقوى الأعضاء و الجوارح على الاتيان بها.

و لتقويته لها قال عليه السّلام (يقول على الألسنه) فاسند إليه القول توسّعا لكونه ممّدا له و لكونه سببا لتثبيت القلوب و اطمينانها قال عليه السّلام (و يثبت الأفئده) فأسند

التثبيت إليه مجازاً لأنه في الحقيقة فعل الله سبحانه كما قال تعالى «يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» وقال «لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ».

و إلى هذا التثبيت و توضيحه اشير في قوله تعالى «فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ».

روى في البحار من محاسن البرقى عن أبيه عن فضاله عن أبي بصير عن خثيمه بن عبد الرحمن الجعفي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنَّ القلب ينقلب من لدن موضعه إلى حنجرته ما لم يصب الحق فاذا أصاب الحق قرَّ ثم ضمَّ أصابعه و قرء هذه الآية: فمن يرد الله أن يهديه، الآية.

و في البحار أيضا من التوحيد و العيون عن ابن عبدوس عن ابن قتيبة عن حمدان بن سليمان قال: سألت أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن قول الله عزَّ و جلَّ «فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ» قال عليه السلام: من يرد الله أن يهديه بإيمانه في الدنيا إلى جنته و دار كرامته في الآخرة يشرح صدره للتسليم بالله و الثقة به و السكون إلى ما وعده من ثوابه حتى يطمئنَّ، و من يرد أن يضله عن جنته و دار كرامته في الآخرة لكفره به و عصيانه له في الدنيا يجعل صدره ضيقاً حرجاً حتى يشكَّ في كفره و يضطرب من اعتقاده قلبه حتى يصير كأنما يصعد في السماء، كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون فقد علم بما ذكرنا كله أنَّ لله سبحانه في حقَّ عباده المطيعين المقربين الذين لا يشاءون إلا أن يشاء الله و لا يريدون إلا ما أراد الله ألطافاً خاصه و عنايه مخصوصه يستولى على قلوبهم بلطفه، و يتصرف في جوارحهم بأمره ففي كلِّ آن يحصل منه التوفيق و الافاضات على أرواحهم و التصرف في أبدانهم فيطمئنَّ به قلوبهم و ينظرون بنور الله و يبطشون بقوة الله كما قال تعالى فيهم: فبى يسمع و بى يبصر و بى ينطق و بى يمشى و بى يبطش، و قال عزَّ و جلَّ: كنت سمعه و بصره و يده و رجله و لسانه.

(فيه كفاء لمكتف و شفاء لمشتف) يعنى في عون الله عزَّ و جلَّ غناء لمن استغنى،

إذ مع عونه لا يبقى افتقار إلى غيره، وشفاء لمن استشفى لأنه تعالى الكافي الشافي لا كافي سواه كما قال «وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ» ولا شافي غيره كما قال «وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ» ولا يحصل الغنى والشفاء إلا بعونه وحوله وقوته ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باكتثار الحوقله عند الفقر والمرض.

كما رواه في الروضة من الكافي عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن النوفلي عن السيكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ألح عليه الفقر فليكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقال عليه السلام فقد النبى صلى الله عليه وآله وسلم رجلا من الأنصار، فقال: ما غيبيك عنا؟، فقال:

الفقر يا رسول الله وطول السقم فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ألا أعلمك كلاما إذا قلته ذهب عنك الفقر والسقم؟ فقال: بلى يا رسول الله فقال: إذا أصبحت وأمسيت فقل لا حول ولا قوة إلا بالله توكلت على الحى الذى لا يموت والحمد لله الذى لم يتخذ صاحبه ولا ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولي من الدل وكبره تكبيرا، فقال الرجل: فوالله ما قلته إلا ثلاثة أيام حتى ذهب عني الفقر والسقم.

ثم شرع فى وصف عباد الله الكمّلين ترغيبا للمخاطبين إلى اقتفاء آثارهم واقتباس أنوارهم وسلوك مسالكهم فقال عليه السلام:

(واعلموا أنّ عباد الله المستحفظين علمه) المستحفظين فى أكثر النسخ بصيغه المفعول أى الذين طلب منهم الحفظ، وفى بعضها بصيغه الفاعل أى الطالبين للحفظ.

والمراد بهم إمّا الأئمّة عليهم السلام خصوصا أو هم مع خيار شيعتهم لا تصافهم جميعا بالاستحفاظ وبغيره من الأوصاف الاتية وإن كان اتّصافهم بها أكد وأقوى لكونهم عليهم السلام حفظه لسره وخزنه لعلمه كما ورد فى فقرات الزياره الجامعه، وفيها أيضا وائتمنكم على سرّه، وقد وصفهم عليه السلام بذلك فى الفصل الرابع من الخطبه الثانيه حيث قال: هم موضع سرّه ولجاء أمره وعيبه علمه، وقدمنا هنا لك مطالب نفسيه، وإلى ذلك الحفظ اشير فى قوله تعالى «وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَاَعْيَتْ» أى

تحفظها أذن من شأنها أن تحفظ ما يجب حفظها بتذكّره و اشاعته و التفكير فيه و العمل بمقتضاه.

روى فى الصافى من مجمع البيان عن النّبى صلى الله عليه و آله و سلّم أنّه قال لعلّى عليه السّلام: يا على إنّ الله تعالى أمرنى أن ادنيك و لا اقصيك و أن اعلمك و تعى و حقّ على الله أن تعى فنزل: «و تَعِيَهَا أَذُنٌ وَاَعِيَتْهُ».

و فيه منه و من العيون و الجوامع عنه صلى الله عليه و آله و سلّم أنّه لما نزلت هذه الايه قال صلى الله عليه و آله و سلّم:

سألت الله عزّ و جلّ أن يجعلها اذنك يا على.

و فى روايه لما نزلت قال: اللهمّ اجعلها اذن علىّ، قال علىّ عليه السّلام: فما سمعت شيئا من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم فنسيته، و زاد فى اخرى: و ما كان لى ان انسى و فى الكافى عن الصادق عليه السّلام لما نزلت هذه الايه قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم: هي اذنك يا على.

و بالجملة فالأئمه سلام الله عليهم خزنه علم الله أمرهم الله بحفظه كما أنّ خيار شيعتهم أوعيه علومهم المتلقاه من الله عزّ و جلّ، و هم أيضا طلبوا منهم حفظها عن الضّيايع و النّسيان.

(يصونون مصونه و يفجرون عيونه) أى يحفظون ما يجب حفظه لكونه من الأسرار التى لا-يجوز اظهارها أصلا، فإنّ حديثهم صعب مستصعب لا يحتمله ملك مقربّ و لا نبى مرسل و لا مؤمن امتحن الله قلبه للايمان على ما عرفت تحقيقه فى شرح الفصل الزّابع من الخطبه الثانيه.

أو لا يجوز اظهارها إلّا للأوحدى من شيعتهم الحافظين لها و إليه أشار علىّ ابن الحسين عليهما السّلام بقوله: لو علم أبو ذر ما فى قلب سلمان لقتله.

و يفجرون يناييعه و يظهرون ما ليس من قبيل الأسرار بل من قبيل التكاليف و الأحكام و نحوها و يعلمونها غيرهم.

و تشبيه العلم بالعين استعاره بالكنايه و ذكر العيون تخييل و التفجير ترشيح الجامع أنّ فى العلم حياه الأرواح كما أنّ فى الماء حياه الأبدان، و إنّما شبه

بماء العين بخصوصه لكونه زلالا صافيا وفيه من العذوبه و الصفاء ما ليس فى ساير المياه، فكان أبلغ فى التشبيه و قد وقع نظير ذلك التشبيه فى قوله تعالى «إِنْ أَصْبَحَ مَأْوُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ» يعنى إن غاب إمامكم فمن يأتيكم بعلم الامام كما فسّره فى عدّه روايات و لما أشار عليه السّلام إلى كمال المستحفظين فى الحكمه النظرية عقّبه بالتنبيه على كمالهم فى الحكمه العمليّه فقال:

(يتواصلون بالولايه) أى بالمحبّه و النصره أو القرب و الصداقه يعنى أنّ مواصلتهم عن وجه الصدق و الصفا و الودّ و الوفا، لا عن وجه النفاق كما هو الغالب فى وصل أبناء الزّمان، و يحتمل أن يكون المراد بالولايه القرباءه فيكون المراد بالجمله التواصل بالأرحام و صله الرّحم و الأول أظهر.

(و يتلاقون بالمحبّه) هذه الجمله كالتفسير للجمله السابقه أى يكون ملاقاتهم عن حبّ كلّ منهم لصاحبه.

فقد قال أبو عبد الله فى روايه الكافى عن صفوان الجمال عنه عليه السّلام: ما التقى مؤمنان قط إلّا كان أحدهما أشدّ حبا لأخيه.

و فيه أيضا عن شعيب العرقوفى قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول لأصحابه:

اتّقوا الله و كونوا اخوه برره متحابّين فى الله متواصلين متراحمين تزاوروا و تلاقوا و تذاكروا أمرنا و أحيوه.

(و يتساقون بكأس رويه) أى يسقى كلّ منهم للاخر بكأس العلم و المعرفه التى بها رواء كلّ غليل.

أمّا الأئمّه فلائنّ كلّا منهم أخذ علمه عن الآخر حتّى انتهى إلى أمير المؤمنين و أخذه عليه السّلام عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و أخذه رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم عن الله بوحى أو إلهام.

و يشهد بذلك ما رواه فى الكافى عن الحكم بن عتيبه قال لقي رجل الحسين بن علىّ عليهما السّلام بالثعلبيّه و هو يريد كربلا فدخل عليه فسلم فقال له الحسين عليه السّلام:

من أى البلاد أنت؟ قال: من أهل الكوفة، قال عليه السّلام: أما والله يا أخا أهل الكوفة لو لقيتك بالمدينة لأريتك أثر جبرئيل من دارنا و نزله بالوحى على جدّى، يا أخا أهل الكوفة أ فمستقى الناس العلم من عندنا فعلموا و جهلنا؟ هذا ما لا يكون.

و فيه عن محمّد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: نزل جبرئيل على محمّد صلى الله عليه و آله و سلّم برّمانتين من الجنّ فلقيه علىّ عليه السّلام فقال: ما هاتان الرّمانتان اللّتان فى يدك؟ فقال: أمّا هذه فالنبوّه ليس لك فيها نصيب، و أمّا هذه فالعلم، ثمّ فلقها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم بنصفين فأعطاه نصفها و أخذ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم نصفها ثمّ قال: أنت شريكى فيه و أنا شريكك فيه قال: فلم يعلم و الله رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم حرفاً ممّا علّمه الله عزّ و جلّ إلّا و قد علّمه عليّنا، ثمّ انتهى العلم إلينا، ثمّ وضع يده على صدره.

و فيه عن هشام بن سالم و حمّاد بن عثمان و غيره قالوا سمعنا أبا عبد الله عليه السّلام يقول: حديثى حديث أبى، و حديث أبى حديث جدّى، و حديث جدّى حديث الحسين عليه السّلام، و حديث الحسين عليه السّلام حديث الحسن عليه السّلام، و حديث الحسن عليه السّلام حديث أمير المؤمنين صلوات الله و سلامه عليه، و حديث أمير المؤمنين عليه السّلام حديث رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم، و حديث رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم قول الله عزّ و جلّ.

و أمّا أصحاب الأئمة عليهم السّلام فلاّتهم قد استقوا من منهل علومهم عليهم السّلام و تعلّموها منهم و علّموها غيرهم بأمرهم عليهم السّلام.

كما يشير إليه ما رواه فى الكافى عن يزيد بن عبد الملك عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: تراوروا فان فى زيارتكم إحياء لقلوبكم و ذكرا لأحاديثنا تعطف بعضكم على بعض فان أخذتم بها رشدتم و نجوتم، و إن تركتموها ظللتكم و هلكتم فخذوا بها و أنا بنجاتكم زعيم.

و فى الوسائل عن الكافى عن محمّد بن حكيم قال: قلت لأبى الحسن موسى عليه السّلام: فقّهنا فى الدّين و أغنانا الله بكم من الناس حتّى أنّ الجماعه ممّا ليكون فى المجلس ما يسأل رجل صاحبه إلّا يحضره المسأله و يحضره جوابها فيما من الله علينا بكم.

فقد ظهر بذلك أنّ المستحفظين علم الله عزّ و جلّ من الأئمة عليهم السّلام و أصحابهم

يأخذون العلوم الحقّه و المعارف اليقينيه من عين صافيه و يستقون بكأس مرويه (و يصدرون) عنها (بريّه) لا ظمأ بعدها.

و أما غيرهم فقد استقوا من سراب بقيعه يحسبه الظمان ماء حتّى إذا جاءه لم يجده شيئاً و وجد الله عنده فوقاه حسابه و الله سريع الحساب.

(لا تشوبهم الزبّه) يحتمل أن يكون المراد نفى الشكّ عنهم لشدّه يقينهم و مزيد تقواهم و رسوخهم فى الايمان.

قال الرضا عليه السلام فيما رواه فى الكافى عن أحمد بن محمد بن أبى نصر عنه عليه السلام:

الايمان فوق الاسلام بدرجه، و التقوى فوق الايمان بدرجه، و اليقين فوق التقوى بدرجه، و لم يقسم بين العباد شىء أقلّ من اليقين.

و يحتمل أن يكون المراد نفى التّهمه و سوء الظنّ أى لا يتّهم بعضهم بعضاً لأنّه اذا اتّهم المؤمن أخاه انما اتّهم الايمان من قلبه كما ينماث الملح فى الماء، رواه فى الكافى عن إبراهيم بن عمر اليماني عن أبى عبد الله عليه السلام.

(و لا- تسرع فيهم الغيبه) أى إذا أراد أحد غيبتهم فلا- يتسرّع غيبته إليهم كما يتسرّع إلى غيرهم بطهاره نفوسهم من القبائح و المساوى الموجهه لسرعتها بما لهم من ملكه العصمه و العداله (على ذلك) أى على ما ذكر من الأوصاف الكماليه (عقد) الله (خلقهم و أخلاقهم) يعنى أنّ اتّصافهم بتلك الكمالات ليس بتكلف، بل هى مقتضى سجيّتهم و هم مجبولون عليها لأنّ طينتهم عليهم السلام من أعلا عليّين و شيعتهم مخلوقه من فاضل طينتهم عجينه بنور ولايتهم.

كما قال الصادق عليه السلام: شيعتنا ممّا خلقوا من فاضل طينتنا و عجنوا بنور ولايتنا.

و فى الكافى باسناده عن أبى حمزه الثمالى قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول إنّ الله عزّ و جلّ خلقنا من أعلا عليّين و خلق قلوب شيعتنا ممّا خلقنا منه و خلق أبدانهم من دون ذلك و قلوبهم تهوى إلينا لأنّها خلقت ممّا خلقنا منه، ثمّ تلى هذه الايه «كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِّيَيْنَ وَ مَا أَذْرَاكَ مَا عَلِّيُونَ كِتَابٌ»

(فعليه) أى على ذلك العقد (يتحابّون و به يتواصلون) لأنّ الأرواح جنود مجنّده ما تعارف منها ائتلف و ما تخالف منها اختلف كما فى النبوى صلّى الله عليه و آله و سلّم.

فقد قيل: إنّ المراد به أنّ الأرواح خلقت مجتمعه على قسمين مؤتلفه و مختلفه كالجنود الّتى يقابل بعضها بعضا ثمّ فرقت فى الأجساد، فإذا كان الائتلاف و المواخات أوّلا كان التعارف و التوالف بعد الاستقرار فى البدن و إذا كان التناكر و التخالف هناك كان التنافر و التناكر هناك.

و لعله إلى ذلك ينظر ما رواه فى الكافى عن حمزه بن محمّد الطيار عن أبيه عن أبى جعفر عليه السّلام قال: لم تتواخوا على هذا الأمر إنّما تعارفتم عليه.

و مثله عن ابن مسكان و سماعه جميعا عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: لم تتواخوا على هذا الأمر و إنّما تعارفتم عليه.

يعنى أنّ المواخاه على الولايه و الاخوّه فى الايمان كانت ثابتة بينكم فى عالم الأرواح و لم تقع هذا اليوم و فى هذه النشأه و إنّما الواقع فى هذه النشأه هو التعارف الكاشف عن مواخاه عالم الأرواح الناشئ منه.

(فكانوا) فى تفاضلهم على ساير الناس (كتفاضل البذر) و هو أوّل ما يعزل من البذر للزراعه من الحبوب (ينتقى) و يزكى (فيؤخذ منه) الرّدى (و يلقى) فلا يبقى منه إلّا الجيّد الخالص (قد ميّزه) الانتقاء و (التّخليص و هذبّه التّمحيص) و التّميز.

و محصّله أنّ تفاضلهم كتفاضل البذر المنتقى جيّده و الملقى رديّه، و هو من تشبيه المعقول بالمعقول، و تعقيبه بالانتقاء و الالتقاء ترشيح لأنّهما من خواصّ المسند به و بالتّخليص و التّمحيص تجريد لكونهما من ملايمات المشبّه، فهو من قبيل التّشبيه المرشّح المجرّد، و قد مرّ توضيحه فى ديباجه الشرح عند ذكر أقسام الاستعارات.

و قد وقع نظير هذا التّشبيه فى حديث أبى عبد الله عليه السّلام المروى فى البحار

عن العياشى عن الوشا باسناد له يرسله إليه عليه السّلام قال: و الله لتمحّصن و الله لتميزن و الله لتغربلن حتى لا يبقى منكم إلا الأندر، قلت: و ما الأندر؟ قال: البيدر، و هو أن يدخل الرجل قبه الطعام يطين(١) عليه ثم يخرججه و قد تأكل بعضه و لا يزال ينقيه ثم يكن عليه ثم يخرججه حتى يفعل ذلك ثلاث مرّات حتى يبقى ما لا يضرّه شيء.

ثم أصل التمحيص التخليص و كثيرا ما يستعمل فى التّخليص الحاصل بالاختبار و الامتحان، قال تعالى «و لِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَ لِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ» أى ليمتحن الله ما فى صدوركم و يظهر سرايرها من الاخلاص و النّفاق فيجازى المخلص باخلاصه و المنافق بنفاقه لأنّ المجازات إنّما هى بعد ظهور السّراير و إلا فهو سبحانه عالم بالسّرائر و الضّماير قبل ظهورها كما هو عالم بها بعد ظهورها، و ليمحّص أى و ليكشف و يميّز ما فى قلوبكم من الطيب و الخبيث.

و قال أيضا «و لِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَ لِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَمْحَقَ الْكَافِرِينَ» أى و ليبتلّى الله الذين آمنوا و ليخلصهم من الذّنوب أو ينجيهم من الذّنوب بالابتلاء و يهلك الكافرين بالذنوب عند الابتلاء.

و فى الكافى عن ابن أبى يعفور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: ويل لطغاه العرب من أمر قد اقترب، قلت: جعلت فداك كم مع القائم عليه السّلام من العرب؟ قال: نفر يسير، قلت: و الله إنّ من يصف هذا الأمر منهم لكثير، قال عليه السّلام لا بدّ للنّاس من أن يمحّصوا و يميّزوا و يغربلوا و يستخرج فى الغربال خلق كثير.

و حاصل المرام أنّ المستحفظين علم الله قد امتازوا عن سائر الناس و تفاضلوا عليهم و خرجوا تامّ العيار من قالب الامتحان لكونهم المخلصين فى توحيد الله

ص: ١٠٥

١- (١) - هكذا فى النسخه و لعله تصحيف و الصحيح تبين عليه او بطين عليه بالباء الجاره و الله العالم منه.

و التّامين فى محبه الله، و إخلاصهم العمل لله، هذا.

و لَمّا فرغ من شرح حال المستحفظين فرّع عليه قوله (فليقبل امرء كرامه بقبولها) أى ليقبل كرامه الله و إفضاله و عوائد موائده بقبول هذه المكارم و الصفات الجميله، يعنى إذا كان المستحفظون متخلّقين بهذه المكارم و الأخلاق الحسنه فليقبلها المؤمن بقبول حسن و ليحتذى حذوهم حتّى يدخل فى زميرتهم و يفوز بالكرامه العظيمة و النّعمه الدّائمه المعدّه فى حقّ المخلصين المكّرّمين على ما بشر به فى الكتاب الكريم فى قوله «إِنَّكُمْ لَمَدَائِقُ الْعَذَابِ اللَّالِيمِ وَ مَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ فَوَاكِهُ وَ هُمْ مُكْرَمُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ» الايات هذا و لَمّا لم يمكن تحصيل المكارم و نيل هذه الكرامات إلّا بالتّجافى عن دار الغرور و الانابه إلى دار الخلود و الاستعداد للموت قبل حلول الفوت، عقبه بقوله:

(و ليحذر قارعه) أى داهيه الموت (قبل حلولها و لينظر امرء فى قصير أيّامه و قليل مقامه فى منزل) أى ليتفكر فى أيّامه القصيره و إقامته القليله فى دار الدّنيا (حتّى) يتتبه من نوم الغفله و (يستبدل به منزلاً) غيره، و هى دار الخلود الّتى ليس لأيّامه نفاذ و لا لاقامته انقطاع (فليصنع لمحوّله) أى ليصنع المعروف و يعمل بالصّالحات لمحلّ انقلابه (و معارف منتقله) أى معالم موضع انتقاله.

ثم رغب عليه السّلام إلى متابعتة و متابعه الطّيبين من أولاده الأئمه الهداه عليه و عليهم السّلام بقوله:

(فطوبى لذى قلب سليم) من حبّ الدّنيا و شوب الشرك و الرّيا و كدر المعاصى و هو الّذى اشير إليه فى قوله تعالى «يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَ لَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» (أطاع من يهديه) من أئمه الهدى (و تجنّب من) يهلكه و (يرديه) من أئمه الضّلال و الرّدى (و أصاب سبيل السّلامه) و هى الجاده الوسطى المحفوظه من رذيلتى الافراط و التّفريط و الصّراط المستقيم المؤدى إلى جنّته و المبلّغ إلى رضوانه

(و بادر الهدى قبل أن تغلق أبوابه) عليه (و تقطع أسبابه) عنه بموته، فإنّ الموت إذا حلّ ارتفع التكاليف المحصّله للسعادة و انسَدَّ أبواب الهدايه.

تذیل

فِي هَذَا الْكَلَامِ رَمَزَ إِلَى جَمَاعِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ فِي أَنْسَابِهِمْ طَعْنَ كَمَا يُقَالُ إِنَّ آلَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ لَيْسُوا مِنْ بَنِي زَهْرَةَ بْنِ كِلَابٍ وَ أَنَّهُمْ مِنْ بَنِي عَذْرَةَ مِنْ قَحْطَانٍ، وَ كَمَا قَالُوا: إِنَّ آلَ الرَّبِيرِ بْنِ الْعَوَامِ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنَ الْقَبْطِ وَ لَيْسُوا مِنْ بَنِي اسْدَ بْنِ عَبْدِ الْعَزَى، وَ كَمَا يُقَالُ فِي قَوْمِ آخَرِينَ نَرَفَعُ هَذَا الْكِتَابَ عَنْ ذِكْرِ مَا يُطَعْنَ فِي أَنْسَابِهِمْ كَيْ لَا يُظَنَّ بِنَا أَنَّا نَحْبُ الْقَالَهَ فِي النَّاسِ إِلَى أَنْ قَالَ:

إذا كنت أنا و أنت يا أمير المؤمنين نخرج، فقال: كذبت بل كان يقال لك: ياقين

قال الشارح: قلت: الرّجل الذي قام هو المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي كان عمر يبغضه لبغضه أباه خالدا، ولأنّ المهاجر كان علويّ الرّأي جدّا و كان أخوه عبد الرّحمن بخلافه شهد المهاجر صفّين مع عليّ عليه السّلام و شهدا عبد الرحمن مع معاويه و كان مهاجر مع عليّ عليه السّلام يوم الجمل و فقئت ذلك اليوم عينه، و لا الكلام الّذى بلغ عمر بلغه عن مهاجر، و كان الوليد بن المغيرة مع جلالته فى قریش حدّادا يصنع الدّروع و غيرها بيده.

قال: و روى أبو الحسن المداينى هذا الخبر فى كتاب امّهات الخلفاء، و قال:

إنّهُ روى عند جعفر بن محمّد عليه السّلام بالمدينه، فقال عليه السّلام: لا تلمه يا ابن أخى إنّهُ أشفق أن يحدج بقضيّه نفيل بن عبد العزّى و صهّاك امه الزّبير بن عبد المطلب، ثمّ قال عليه السّلام: رحم الله عمر فإنّه لم يعد السنه و تلا «إنّ الذين يحبّون أن تشيع الفاحشه فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم» انتهى كلام الشارح.

اقول قول الصادق عليه السّلام: إنّهُ أشفق أن يحدج بقضيّه نفيل آه إشاره إلى ما قدّمنا فى شرح الفصل الثّانى من الخطبه الثّالثه المعروفه بالشّقشقيّه من نسب عمر تفصيلا و عرفت هناك أنّ نسبه الكثيف أنجس من جميع أنساب أولاد البغايا المدنسه بأنجاس الجاهليّه لم يسبقه فى ذلك سابق و لم يلحقه لاحق، و أقول هنا مضافا إلى ما سبق:

روى الشيخ الكلينى فى كتاب الرّوضه من الكافى عن الحسين عن أحمد بن هلال عن زرعه عن سماعه قال:

تعرّض رجل من ولد عمر بن الخطاب بجاريه رجل عقىلى فقالت له: إنّ هذا العمرى قد أذانى، فقال لها: عديه و ادخله الدّهليز، فأدخلته فشّد عليه فقتله و ألّقاءه فى الطريق فاجتمع البكريّون و العمرّيّون و العثمانيّون و قالوا: ما لصاحبنا كفو أن يقتل به إلّا جعفر بن محمّد، و ما قتل صاحبنا غيره، و كان أبو عبد الله عليه السّلام قد مضى نحو قبا، فلقيته بما اجتمع القوم عليه، فقال عليه السّلام: دعهم، فلمّا جاء و رأوه

وثبوا عليه، وقالوا: ما قتل صاحبنا أحد غيرك و ما يقتل به أحد غيرك، فقال عليه السلام:

ليكلمنى منكم جماعه فاعتزل قوم منهم فأخذ بأيديهم و أدخلهم المسجد، فخرجوا و هم يقولون: شيخنا أبو عبد الله جعفر بن محمد معاذ الله أن يكون مثله يفعل هذا و لا يأمر به انصرفوا.

قال: فمضيت معه فقلت: جعلت فداك ما كان أقرب رضاهم من سخطهم قال عليه السلام: نعم دعوتهم فقلت: أمسكوا و إلا أخرجت الصحيفة.

فقلت: و ما هذه الصحيفة جعلنى الله فداك؟ فقال عليه السلام: إنَّ امَّ الخطَّاب كانت أمه للزبير بن عبد المطلب، فسطر بها نفيل فأحبها، فطلبه الزبير فخرج هاربا إلى الطائف، فخرج الزبير خلفه، فبصرت به ثقيف فقالوا: يا با عبد الله ما تعمل ههنا؟ قال: جاريتى سطر بها نفيلكم، فهرب منه إلى الشام، و خرج الزبير فى تجاره له إلى الشام، فدخل على ملك الدَّومى فقال له: يا با عبد الله لى اليك حاجه، قال: و ما حاجتك أيها الملك؟ فقال:

رجل من أهلك قد أخذت ولده فاحب أن يرده عليه، قال: ليظهر لى حتّى أعرفه، فلمّا أن كان من الغد دخل إلى الملك، فلمّا رآه الملك ضحك فقال: ما يضحكك أيها الملك؟ قال: ما أظنّ هذا الرجل ولدته عريته لما رآك قد دخلت لم يملك استه أن جعل يضطر، فقال أيها الملك إذا صرت إلى مكّه قضيت حاجتك، فلمّا قدم الزبير تحمّل (١) عليه ببطون قريش كلّها أن يدفع اليه ابنه فأبى، ثمّ تحمّل عليه بعبد المطلب فقال: ما بينى و بينه (٢) عمل أما علمتم ما فعل فى ابنى فلان، و لكن امضوا أنتم اليه فكلّموه، فقصدوه و كلّموه فقال: لهم: إنّ الشّيطان له دوله و إنّ ابن هذا ابن الشّيطان و لست آمن أن يترأس علينا، و لكن ادخلوه من باب المسجد على أن أحمى له حديد و أخطّ فى وجهه خطوطا و أكتب عليه و على ابنه أن لا يتصدّر فى مجلس و لا يتأمّر على أولادنا و لا يضرب معنا بسهم، قال: ففعلوا و خطّ

ص: ١٠٩

١- (١) - أى استشفع.

٢- (٢) - أى الزبير.

وجهه بالحديدہ و كتب عليه الكتاب عندنا، فقلت لهم: إن أمسكتهم و إلا أخرجت الكتاب فيه فضيحتكم، فأمسكوا.

بیان

قول عبد المطلب: أما علمتم ما فعل فی ابني فلان أراد به العباس و کنی عنه الامام عليه السلام تقيّه من خلفاء العباسيه.

و هو إشاره إلى ما رواه فی الروضه أيضا عن أبي عبد الله عليه السلام فی حديث قال:

إن نثيله كانت أمه لأمّ الزبير و أبي طالب و عبد الله فأخذها عبد المطلب فأولدها فلانا فقال له الزبير هذه الجارية ورثناها من أمنا و ابنك هذا عبد لنا، فتحمل عليه ببطون قريش، قال: فقال: قد أجبتك على خله على أن لا يتصدّر ابنك هذا معنا فی مجلس و لا يضرب معنا بسهم، فكتب عليه كتابا و أشهد عليه.

الترجمه

از جمله خطبهای بلاغت نظام آن امام عليه السلام است می فرماید:

شهادت می دهم بر این که بتحقیق خداوند تعالی عادل است که عدالت کرده در احکام و أفعال خود، و حاکمی است که فصل فرموده میان حق و باطل، و شهادت می دهم بر این که محمد صلی الله علیه و آله و سلم بنده او و فرستاده اوست و آقای بندگان اوست، هر وقتی که نقل کرد خلق را از أصلاب بأرحام و قسمت کرد ایشان را بدو فرقه، گردانید آن بزرگوار را در بهترین آن دو فرقه، صاحب سهم نشد در نسب شریف آن زناکاری، و شریک و صاحب نصیب نگردید در اصل آن فاسق فاجری.

آگاه باشید که بتحقیق خدای تعالی قرار داده است از برای عمل خیر که طاعات و قرباتست اهل معینی، و از برای عقاید و أعمال حقّه ستونها و پایهائی، و از برای عبادت و اطاعت حافظان و نگاه دارندگانی یا حفظهائی از مهالک دنیا و آخرت و بتحقیق که شما راست نزد هر طاعتی معینی و ناصری از جانب خدا که می گوید بزبانها و برقرار می گرداند دلها را و در آن معین کفایت است از برای اکتفا کننده و شفاست از برای طالب شفا.

و بدانید که بتحقیق بندگان خدا که از ایشان طلب حفظ علم او شده حفظ میکنند آن علمی را که لازم الحفظ و از قبیل اسرار است، و جاری میکنند چشمهای آن علمی را که باید بمردم اظهار نمود از قبیل تکالیف و احکام، وصلت می کنند ایشان با یکدیگر با نصرت و یاری، و ملاقات میکنند با آشتی و محبت، و سیراب می کنند یکدیگر را با کاسه سیراب کننده علم و معرفت، و باز می گردند با سیرابی مخلوط نمی شود باعتقادات ایشان شک و شبهه، و نشتابد بسوی ایشان غیبت کنندگان بجهت طهارت نفوس ایشان، بر این اوصاف بسته و عقد کرده است خدای تعالی خلقت و اخلاق ایشان را پس بالای این عقد خلقی و خلقتی با همدیگر در مقام محابه می باشند و بسبب آن در مقام وصالند، پس هستند ایشان در زیادتی مرتبه و تفاوت درجه نسبت بسایرین مثل زیادتی تخم نسبت ببقیه آن در حالتی که امتیاز داده است او را خالص گردانیدن و پاکیزه کرده او را تمیز کردن.

پس باید قبول نماید مرد کرامت را بسبب قبول این صفات، و باید پرهیزد از مرگ با شدت پیش از حلول آن، پس باید نگاه کند مرد در کوتاهی روزگارش و کمی درنگش در منزلی تا آنکه بدل کند بان منزل منزل دیگر را، پس باید کاری کند از برای مکان رجوع خود، و از برای علامات محل انتقال خود.

پس خوشحالی از برای صاحب قلب با سلامتی است که اطاعت کرد کسی را که هدایت کند او را، و بیگانگی کرد از کسی که هلاک نماید او را، و رسیده راه سلامت را بسبب نصرت و یاری کسی که صاحب بصیرت کرد او را، و اطاعت هدایت کننده که امر کرد او را و مبادرت نمود بهدایت پیش از آنی که بسته شود درهای آن، و بریده شود اسباب آن، و طلب نمود گشودن در توبه را، و ازاله نمود گناه را پس بتحقیق که اقامه شد براه حق و هدایت شد بر راه راست.

إشاره

الحمد لله الذى لم يصبح بى ميتا، و لا سقيما، و لا مضروبا على عروقى بسوء، و لا مأخوذا بأسوء عملى، و لا مقطوعا دابرى، و لا مرتدا عن دينى، و لا منكرا لرَبِّى، و لا مستوحشا من إيمانى، و لا ملتبسا عقلى، و لا معذبا بعذاب الأمم من قبلى، أصبحت عبدا مملوكا ظالما لنفسى، لك الحجه علىّ، و لا حجه لى، لا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتنى، و لا أتقى إلا ما وقيتنى، اللهم إنى أعوذ بك أن أفقر فى غناك، أو أضلّ فى هداك، أو أضام فى سلطانك، أو أضطهد و الأمر لك، اللهم اجعل نفسى أول كريمه تنتزعها من كرائمى، و أول وديعه ترتجعها من ودائع نعمك عندى، اللهم إنا نعوذ بك أن نذهب عن قولك، أو نفتتن عن دينك، أو تتابع بنا أهوائنا دون الهدى الذى جاء من عندك.

اللغه

(الدّابر) الآخر من دبر إذا أدبر قال تعالى «أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّضِيّ بِحِينٍ» يعنى آخرهم أى يستأصلون عن آخرهم، و قال «و يقطع دابر الكافرين» أى باستيصالهم

و قتلهم و اسرهم، و قال «فقطع دابر القوم الذين ظلموا» أى آخر من بقى منهم و (الضَّيْم) الدَّلَّ و (ضهده) كمنعه قهره (نفتتن) بصيغه المتكلم المجهول، و فى بعض النسخ بالبناء على الفاعل و قوله (أو تتابع) بالياء المثناه من تحت التهافت و الاسراع فى الشر و اللجاج و الاقتحام فيه من غير رويّه و ركوب الأمر على خلاف الناس و فى بعض النسخ تابع بحذف إحدى التائين، و فى بعضها تتابع بالياء الموحدّه يقال: تتابعوا على الأمر أى توالوا و تبع بعضهم بعضا.

الاعراب

كثيرا فى كلام الرضى صفه إمّا لظرف محذوف أو لمصدر محذوف أى حينا كثيرا أو دعاء كثيرا و الأوّل أظهر، و قوله: ميّتا قال الشارح المعتزلى: منصوب على الحال أى لم يفلق الصّباح على ميّتا و لا يجوز أن يكون يصبح ناقصه و يكون ميّتا خبرها كما يقول الزاوندى، لأنّ خبر كان و اخواتها يجب أن يكون هو الاسم، ألا ترى أنّهما مبتدأ و خبر فى الحال، و اسم يصبح ضمير الله تعالى و ميّتا ليس هو الله سبحانه، انتهى.

أقول: و لقائل أن يقول: إنّ مراد الزاوندى بكون ميّتا خبر أصبح أنّه فى الأصل خبرها و المخبر به ياء المتكلم فإنّ أصبح على كونها ناقصه بمعنى صار، فلمّا عدّيت بالباء صارت بمعنى صير و تكون من أفعال التصيير فيكون المعنى لم يصيرنى ميّتا كما يقال: صيرنى الله فداك، و هذا ممّا لا غبار عليه، و قوله عليه السّلام إلّا ما أعطيتنى استثناء مفرّغ.

و قوله: أفتر فى غناك قال الشّارح المعتزلى: موضع الجارّ و المجرور نصب على الحال و فى متعلّقه بمحذوف و المعنى افتقر و أنت الموصوف بالغنى الفايض على الخلق، و قوله: دون الهدى، ظرف متعلّق بقوله: تتابع، و هو إمّا بمعنى عند أو بمعنى أمام

المعنى

اعلم أنّه عليه السّلام حمد الله عزّ و جلّ و أثنى عليه بما أنعم عليه من نعمه العظيمة

و قال (الحمد لله الذى لم يصبح بى ميتا) أى لم يدخلنى فى الصّباح و الحال أنى ميت أو لم يصيرنى ميتا.

فان قلت: كيف يجتمع حمده عليه السّلام على عدم موته مع قوله الّذى ما زال عليه السّلام يقوله من كونه آنس بالموت من الطّفل بثدى امّه، فإنّ الأوّل مشعر بحبّه عليه السّلام للبقاء و الثّانى مفيد للقاء.

قلت: لا تنافى بين الكلامين لانتفاء المنافاه فى المقامين.

فإنّ الأوّل أعنى الحمد على الحياه إنما هو فى مقام الرّضاء بالقضاء و الشكر على النعماء، فإنّ وظيفه أهل اليقين لا سيّما أئمّه الدّين الذين لا يشاءون إلّا أن يشاء الله هو أن يرضى بجميع ما قدره الله فى حقه و قضاءه من الحياه و الممّاه و الصّحه و السقم و الغنى و الفقر، فقد قال تعالى فى الحديث القدسى: من لم يرض بقضائى و لم يصبر على بلائى و لم يشكر على نعمائى و لم يقنع بعطائى فيطلب ربا سوائى و يخرج من تحت أرضى و سمائى، فهم ما لم يقدر فى حقهم الموت لا بدّ أن يكونوا راضين بالحياه محبين لها شاكرين عليها لكونها المقدّره فى حقهم، حتّى إذا بلغ الكتاب أجله و تمّ مقاديره يكون الموت أحبّ إليهم و قرّه عينهم فيه.

و يشير إلى ذلك ما رواه المحدث الجزائرى عن الشهيد الثّانى أنّ جابر بن عبد الله الأنصارى ابتلى فى آخره عمره بضعف الهرم و العجز فرآه محمّد بن علىّ الباقر عليه الصلاه و السلام فسأله عن حاله فقال: أنا فى حاله أحبّ فيها الشيخوخه على الشباب و إن جعلنى الله شابا أحبّ الشبوه و إن أمرضنى أحبّ المرض و إن شفانى أحبّ الشفاء و الصّحه و إن أمانتى أحبّ الموت و إن أبقانى أحبّ البقاء، الحديث و أما الثّانى و هو إظهار فرط انسه بالموت فانما هو فى مقام الزهد و النفره عن الدنيا و زخارفها و لذاتها و شهواتها الفانيه و امنياتها الباطله.

و أيضا فإنّ الدّنيا من حيث انها معبد أحبّاء الله و مسجد أولياء الله و متجر عباد الله و الوصله إلى الرّحمه و الوسيله إلى الرضوان و الجنه فحياتها مطلوبه و بقاؤها نعمه عظيمه يجب الشكر عليها بل لا نعمه فوقها لكونها المحصّله لجميع النعم.

و قد روى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: بقيه عمر المؤمن لا ثمن لها يدرك بها ما فات و يحيى بها ما مات.

و قال بعضهم: الدّنيا أحبّ إلّى من الجنه لأنّى فيها مشغول بعباده ربّى و فى الجنه مشغول بلذّه نفسى، و بين الأمرين بون بائن، و من حيث إنها حلوه خضره حفت بالشهوات و تجلبت بالامنيات ضرّاره غزاره تزينت بغرورها و غرّت بزینتها مهانه على ربها مبعوضه إليه تعالى، و لذلك لم يصفها لأوليائه و لم يضمن بها على أعدائه فهى أهون عند أهل المعرفه و أحسنّ و أحقر من عراق خنزير فى يد مجذوم، و الموت أحبّ إليهم من هذه الجهه لا يصاله إلى الدار الاخره و بما حققنا علم سرّ ثنائها على سلامته كما أشار إليه بقوله (و لا- سقيما) مضافا إلى أنّ فى حاله المرض احتمال فوات بعض العبادات أو فوات كمالاتها و ان كان المريض معذورا فيها، و أما حاله الصّحّه ففيها تكميل العباده و العبوديه فهى نعمه عظيمه حرّيه بأن يحمد عليها.

(و لا- مضروبا على عروقى بسوء) أى على أعضائى بافه توجب سوء المنظر و قبحه كالجذام و البرص و نحوهما و قال الشّارح المعتزلى أى و لا- أبرص و العرب تكّنّى عن البرص بالسّوء، و فى أمثالهم: ما انكرك من سوء، أى ليس انكارى لك عن برص حدث بك فغیّر صورتك، و أراد بعروقه أعضاءه، و يجوز أن يريد و لا مطعونا فى نسبی و الأوّل أظهر انتهى.

(و لا- مأخوذا بأسوء عملی) أى معاقبا بأقبح ذنوبى (و لا- مقطوعا دابرى) أى عقبى و آخرى و هو كناية عن انقراض نسله بالاستیصال و محو اسمه و اندراس أثره و رسمه (و لا مرتدّا عن دينى و لا منكرا لرّبى) عطف الثّانى على الأوّل من قبيل ذكر الخاص بعد العام لمزيد الاهتمام و أنّ الارتداد قد يكون بانكار الصّروريات من دون الجحود (و لا مستوحشا من ايمانى) أى غير مستأنس به و متنفّرا عنه، أو شاكّا فى كونه مستقرّا أو مستودعا لأنّ الشكّ فى العقیده يوجب الوحشه،

و الأول أظهر (و لا- ملتبساً عقلي) أى مختلطاً بالجنون (و لا معذباً بعذاب الامم من قبلى) أى بالمسخ و الخسف و الصّاعقه و الظله و نحوها.

و لما حمد الله تعالى على ما أنعم به عليه من ضروب نعمه التى عددها أردفه بالاعتراف بالذلّ و التقصير و الاستكانه و قال:

(أصبحت عبدا مملوكا) أى صرت داخرا ذليلا فى قيد العبوديّة (ظالما لنفسى) لأجل التّقصير فى طاعته و عدم التّمكن من القيام بوظائف عبادته على ما يليق بحضرته عزّ و جلّ و إن كان ما أتى به فوق عبادته جميع البشر ما خلا رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و قد قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فيما رواه فى الوسائل من الكافى باسناده عن أبى عبيده الحذاء عن أبى جعفر عليه السّلام عنه صلّى الله عليه و آله و سلّم قال الله عزّ و جلّ: لا- يتكلّ العاملون لى على أعمالهم التى يعملونها لثوابى فإنهم لو اجتهدوا و أتعبوا أنفسهم فى عبادتى كانوا مقصّرين غير بالغين فى عبادتهم كنه عبادتى فيما يطلبون عندى من كرامتى و النعيم فى جنّاتى و رفيع الدّرجات العلى فى جوارى، و لكن برحمتى فليثقوا، و فضلى فليرجوا، و إلى حسن الظنّ بى فليطمئنّوا، الحديث.

و فى البحار من كتاب فتح الأبواب عن الزّهرى قال: دخلت مع علىّ بن الحسين عليهما السّلام على عبد الملك بن مروان قال: فاستعظم عبد الملك ما رأى من أثر السّجود بين عيني علىّ بن الحسين عليهما السّلام فقال: يا با محمّد لقد بين عليك الاجتهاد و لقد سبق لك من الله الحسنى و أنت بضعه من رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم قريب النّسب و كيد السّبب و أنّك لذو فضل عظيم على أهل بيتك و ذوى عصرك و لقد اوتيت من العلم و الفضل و الدّين و الورع ما لم يؤتته أحد مثلك و لا قبلك إلا من مضى من سلفك - و اقبل يثنى عليه يطريه - قال فقال علىّ بن الحسين عليهما السّلام: كلّما ذكرته و وصفته من فضل الله سبحانه و تأييده و توفيقه فأين شكره على ما أنعم يا أمير المؤمنين كان رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يقف فى الصلاه حتى ترم قدماه و يظمأ فى الصيام حتى يصعب فوه، فقل له: يا رسول الله ألم يغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك و ما تأخّر، فيقول صلّى الله عليه و آله و سلّم:

أفلا- أكون عبدا شكورا، الحمد لله على ما أولى، و أبلى، و له الحمد فى الاخره و الاولى و الله لو تقطعت أعضائى و سالت مقتلناى على صدرى لن أقوم لله جلّ جلاله بشكر عشر العشير من نعمه واحده من جميع نعمه التى لا يحصيها العادون و لا يبلغ حدّ نعمه منها على جميع حمد الحامدين، لا و الله أو يرانى الله لا يشغلنى شيء عن شكره و ذكره فى ليل و لا نهار و لا سرّ و لا علانيه، و لولا- أن لأهلى علىّ حقاً و لسائر الناس من خاصّهم و عامهم علىّ حقوقاً لا يسعنى إلاّ القيام بها حسب الوسع و الطاقة حتى أوذيها إليهم لرميت بطرفى إلى السماء و بقلبى إلى الله ثمّ لم أرددهما حتّى يقضى الله على نفسى و هو خير الحاكمين، هذا.

و فى ادعيه الصحيفه السجديه من اتهام النفس و الاعتراف بالتقصير ما لا يحصى و قد مضى فى شرح الخطبه المأه و الثانيه و التسعين عند شرح قوله عليه السلام: فهم لأنفسهم متّهمون و من أعمالهم مشفقون، أخبار نفيسه، و كذلك فى التنبيه الثالث من الفصل الثالث عشر من فصول الخطبه الاولى تحقيقات عميقه كثيره الفائده فى هذا المقام.

(لك الحجه علىّ) حيث إنك ما كلّفتنى إلاّ ما آتيتنى و لا حتمتني إلاّ ما أعلمتني و لا فرضت علىّ إلاّ ما أقدرتني عليه و مكنتني منه كما هو حكمه تعالى فى حقّ جميع المكلفين، فقد قال: «لا يكلف الله نفساً إلاّ ما آتيتها» و قال «لا يكلف الله نفساً إلاّ وُسْعَها» و فى الدّعاء: أزاح العلل فى التكليف و سوى التوفيق بين الضعيف و الشريف.

(و لا حجه لى) عليك أو لم يبق لى عذر فى ترك تكاليفك كما لسائر المكلفين لأنه عزّ و جلّ إنما كلّف بعد البيان و بعد ما مكن أداء المأمور و سهّل سبيل اجتناب المحذور و لم يكلف الطاعة إلاّ دون الوسع و الطاقة لئلا يكون للناس على الله حجه بعد الرسل و لا يقولوا يوم القيامة إنا كنّا عن هذا غافلين، فلم تبق عاذره للمعذرين.

و (لا- أستطيع أن آخذ) من نعمتك (إلاّ ما أعطيتنى و لا) أقدر أن (أتقى) من نعمتك (إلاّ ما وقيتنى) لكونى عبدا داخرا ذليلا مسكينا مستكينا لا يملك

لنفسه موتا و لا حياتا و لا نشورا.

(اللهم إني أعوذ بك أن أفترق في غناك) أى أن أكون محتاجا و الحال أنك الغنى المطلق الباسط بالجلود و الكرم يده على العالمين.

(أو أضلّ في هداك) أى أكون ضالّا و الحال أنك نور السماوات و الأرضين هادى أهلها إلى نهج اليقين.

(أو أضام في سلطانك) أى أكون ذليلا مظلوما و الحال أن السلطنة لك و أنت ذو القوّه المتين.

(أو اضطهدوا لأمر لك) أى أكون مغلوبا مقهورا و أنت صاحب الاختيار و قدره القاصم لظهور الجبابره و الظالمين.

(اللهم اجعل نفسى أول كريمه تنتزعها من كرائمى) أى أول كلّ كريم و عزيز تنزعه من قوائى و أعضائى و إنّما كنّى عنها بالكرايم لكرامتها و عزّتها عنده و المراد بالدعاء طلب عافيه الأعضاء النفسانيه و البدنيّه و بقائها إلى حين الممات و أن لا تكون ذهابها سابقا على الموت.

كما قال زين العابدين عليه السّلام: اللهم احفظ علىّ سمعى و بصرى إلى انتهاء أجلى و من دعائه عليه السّلام إذا سأل العافيه: و امنن علىّ بالصّحّه و الأمن و السّلامه فى دينى و بدنّى و البصيره فى قلبى و النفاق فى امورى و الخشيّه لك و الخوف منك و القوّه علىّ ما أمرتنى به من طاعتك و الاجتناب لما نهيتنى عنه من معصيتك.

و من هذا الدّعاء يستفاد سرّ طلب أمير المؤمنين عليه السّلام كون نفسه أولّ الكريم المنتزعه، لأنّ سبق انتزاعها على نفسه يوجب العجز عن إقامه وظائف الطاعات المربوطه بها و عدم قدره على تحصيل الصّوريات من المعاش و عدم النّفاذ فى الامور و قوله (و أول وديعه ترتجعها من ودائع نعمك عندي) التعبير عن المشاعر و القوى بالنعمه لعظم الانتفاع بها و لذلك منّ بها على الانسان فى قوله تعالى «أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَ لِسَانًا وَ شَفَتَيْنِ وَ هَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ».

و تشبيهها بالوديعه لكونها فى معرض الاسترجاع و الاسترداد كالوديعه و إليه

یومی قوله سبحانه «يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً».

(اللهم انا نعوذ بك أن نذهب عن قولك) أى أوامرک و نواهیک التى نطق بها کتابک الکریم و نفر منها، و الاستعاذه منه من أجل أنه كما قال تعالى «مَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ» قال أمين الاسلام الطبرسى فان تعدلون عن القرآن و هو الشفاء و الهدى ما هو إلا تذكره و عظه للخلق يمكنهم أن يتوصلوا به إلى الحق.

(أو نفتتن عن دينك) أى نضل أو نضل عن دينك على اختلاف النسخ فى روايه نفتتن على ما قدّمنا، و المراد على الأول الوقوع فى الضلال باضلال الغير، و على الثانى الوقوع فيه من تلقاء النفس (أو تتايع بنا أهواؤنا دون الهدى الذى جاء من عندك) أراد به ايقاع الأهواء له فى مهاوى الهلكات و صرفها إياه عن الهدى النازل فى محكمات الايات كما قال عزّ من قائل «ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ» و قال «قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَ بُشْرَىٰ لِّلْمُؤْمِنِينَ»

الترجمه

از جمله دعای آن حضرتست که اکثر اوقات دعا می کرد باین دعا:

حمد و ثنا معبود بحقی را سزااست که داخل نکرد مرا در صبح در حالتی که مرده باشم و نه در حالتی که مریض باشم، و نه در حالتی که مؤاخذه شده باشم بقیح تر عمل خودم، و نه در حالتی که مقطوع النسل و بی عقب باشم، و نه در حالتی که مرتد باشم از دینم، و نه در حالتی که منکر باشم پروردگار مرا، و نه در حالتی که وحشت کننده باشم از ایمان خودم، و نه در حالتی که مخلوط باشد عقل من بجنون، و نه در حالتی که معذب باشم بعذاب امتان که پیش از من بودند.

صبح کردم من در حالتی که بنده مملوکی هستم ظلم کننده مر نفس خود را، از برای تو است حجت بر من و نیست حجتی از برای من استطاعت و قدرت ندارم که دریافت نمایم مگر چیزی را که تو عطا کرده مرا، و نه پرهیز نمایم مگر

از چیزی که تو نگه داشته مرا بار الها بتحقیق که من پناه می برم بتو از این که فقیر باشم با وجود غنی بودن تو، یا این که گمراه شوم با وجود هادی بودن تو، یا مظلوم شوم با وجود سلطنت تو، یا مقهور و مغلوب باشم و حال آنکه اختیار تو راست.

پروردگارا بگردان روح مرا اول نعمت عزیزی که انتزاع میکنی تو آن را از نعمتهای عزیز بدن من، و اول امانتی که پس می گیری تو آنرا در امانت های نعمتهای تو که در نزد من است، پروردگارا بتحقیق که پناه می برم بتو از این که بدر رویم از امر و فرمایش تو، یا این که فریفته شویم از دین تو تا این که بشتاباند ما را خواهشات نفسانیه ما در ضلالت، و برگرداند از هدایتی که آمده است از جانب تو.

و من خطبه له علیه السلام خطبها بصفین و هی المأتان و الخماسه عشر من المختار فی باب الخطب

اشاره

و هی مرویه فی کتاب التّوضیه من الکافی باختلاف کثیر و زیاده و نقصان حسبما تعرفه إنشاء الله تعالی بعد الفراغ من شرح تمام الخطبه فی التکمله الاتیه، و شرحها فی فصلین:

الفصل الاول

اشاره

أمّا بعد فقد جعل الله لی علیکم حقّاً بولایه أمرکم، و لکم علیّ من الحقّ مثل الّذی لی علیکم، فالحقّ أوسع الأشياء فی التّواصف، و أضیقها فی التّناصف، لا یجرى لأحد إلّا جرى علیه، و لا یجرى علیه

ص: ۱۲۰

إلّا جرى له، و لو كان لأحد أن يجرى له و لا يجرى عليه لكان ذلك خالصا لله سبحانه دون خلقه، لقدرتّه على عباده، و لعدله فى كلّ ما جرت عليه صروف قضائه، و لكنّه جعل حقّه على العباد أن يطيعوه، و جعل جزائهم عليه مضاعفه الثّواب تفضّلا منه، و توسّعا بما هو من المزيّد أهله. ثمّ جعل سبحانه من حقوقه حقوقا افترضها لبعض النّاس على بعض، فجعلها تتكافؤ فى وجوهها، و يوجب بعضها بعضا، و لا يستوجب بعضها إلّا ببعض. و أعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق حقّ الوالى على الرّعيّه و حقّ الرّعيّه على الوالى، فريضه فرضها الله سبحانه لكلّ على كلّ، فجعلها نظاما لالفتهم، و عزّا لدينهم، فليست تصلح الرّعيّه إلّا بصلاح الولاه، و لا تصلح الولاه إلّا باستقامه الرّعيّه. فإذا أدّت الرّعيّه إلى الوالى حقّه، و أدّى الوالى إليها حقّها، عزّ الحقّ بينهم، و قامت مناهج الدّين، و اعتدلت معالم العدل، و جرت على أذلالها السّين، فصلح بذلك الزّمان، و طمع فى بقاء الدّوله، و يئست مطامع الأعداء.

و إذا غلبت الرعيه واليهما و أجحف الوالى برعيته، اختلفت هنالك الكلمه، و ظهرت معالم الجور، و كثر الإدغال فى الدين، و تركت محتاج السنين، فعمل بالهوى، و عطلت الأحكام، و كثرت علل النفوس، فلا يستوحش لعظيم حقّ عطل، و لا لعظيم باطل فعل، فهنالك تذلل الأبرار، و تعزّ الأشرار، و تعظم تبعات الله سبحانه عند العباد. فعليكم بالتناصح فى ذلك، و حسن التعاون عليه، فليس أحد و إن اشتدّ على رضاء الله حرصه، و طال فى العمل اجتهاده، ببالغ حقيقه ما الله سبحانه أهله من الطاعه له، و لكن من واجب حقوق الله سبحانه على عباده النصيحه بمبلغ جهدهم، و التعاون على إقامة الحقّ بينهم، و ليس امرء و إن عظمت فى الحقّ منزلته، و تقدّمت فى الدين فضيلته، بفوق أن يعان على ما حمّله الله من حقّه، و لا امرء و إن صغّرت النفوس و اقتحمت العيون بدون أن يعين على ذلك أو يعان عليه.

اللغه

(تواصفوا) الشىء أى وصفه بعضهم على بعض و (تناصف) الناس أنصف بعضهم لبعض و (صروف) الدهر تغيراته و انقلاباته جمع الصّيرف و (التكافؤ) التساوى و الاستواء و (يستوجب) بالبناء على المفعول و (المنهج) واضح الطريق و (ذلّ) الطريق بالكسر محجّتها و الجمع أذلال كحبر و أخبار و (الادغال)

بالكسر أن يدخل في الشيء ما ليس منه و بالفتح جمع الدغل محرّكه كاسباب و سبب هو الفساد و (المحاج) بتشديد الجيم جمع المحجّه بفتح الميم و هي الجادّه.

و (تذلّ) و (تعزّ) بالبناء على الفاعل من باب ضرب و في بعض النسخ بالبناء على المفعول و (التّبعه) و زان كلمه ما تطلبه من ظلامه و الجمع تبعات و (نصحت) له نصحا و نصيحه و في لغه يتعدّى بنفسه فيقال نصحته و هو الاخلاص و الصدق و المشوره و العمل.

و قال الجزرى النّصيحه فى اللّغه الخلوص يقال: نصحته و نصحت له و معنى نصيحه الله صحّه الاعتقاد فى وحدانيّته و اخلاص النّيه فى عبادته، و النّصيحه لكتاب الله هو التّصديق به و العمل بما فيه، و نصيحه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم التّصديق بنبوّته و رسالته و الانقياد لما امر به و نهى عنه، و نصيحه الأئمه أن يطيعهم فى الحقّ، و نصيحه عامّه المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم.

الاعراب

قوله: لكان ذلك خالصا لله سبحانه دون خلقه، خالصا خال من ذلك و العامل فيه كان، و على قول بعض التّحويين من أنّ جميع العوامل اللفظيّة تعمل فى الحال إلا كان و اخواتها، فلا بدّ من جعل كان تامّه و دون خلقه فى محلّ النصب أيضا على الحال، و هى حال مؤكّده.

و قوله: و توسّعا بما هو من المزيد أهله، توسّعا منصوب على المفعول لأجله، و ما موصوله و جمله هو أهله مبتدأ و خبر صله ما و من المزيد بيان لما.

و قوله: فريضه فرضها الله فى بعض النسخ بالنّصب على الاشتغال أو على الحال كما قاله بعض الشّراح، و فى بعضها بالرفع على أنّه خبر لمبتدأ محذوف.

و قوله: ببالغ خبر ليس اعترضت بينهما جمله و ان اشتدّ آه و الباء فيه زائده، و قوله: أو يعان عليه فى بعض النسخ بالواو بدل أو.

اعلم أنّ هذه الخطبه الشريفه حسبما أشار اليه الرضى و يأتى فى روايه الكافى أيضا فى آخر الفصل الثانى من جملة الخطب التى خطبها بصفين، و عمدته غرضه عليه السلام فى هذا الفصل منها نصيحه المخاطبين و ارشادهم إلى ما هو صلاحهم فى الدنيا و الآخره من اتّباعهم لأمره و اطاعتهم له و إسراعهم فيما يأمر و ينهى و اتّفاقهم على التّعاون و التّناصف و غير ذلك من وجوه مصالح محاربه القاسطين لعنهم الله أجمعين قال عليه السلام (أمّا بعد) حمد الله عزّ و جلّ و الصلاه على رسوله صلى الله عليه و آله و سلّم (فقد جعل الله عزّ شأنه (لى عليكم حقّا بولايه أمركم) أى لى عليكم حقّ الطّاعه لأنّ الله جعلنى واليا عليكم متولّيا لاموركم و أنزلنى منكم منزله عظيمه هى منزله الامامه و الولايه و السّلطنه و وجوب الطّاعه كما قال عزّ من قائل «أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولى الْأَمْرِ مِنْكُمْ».

(و لكم علىّ من الحقّ مثل الذى لى عليكم) أراد بالحقّ الذى لهم عليه ما هو حقّ الرّعيه على الوالى، و الحقّان متماثلان فى الوجوب، و قد صرّح بهما فى الخطبه الرابعه و الثلاثين بقوله:

أيّها النّاس إنّ لى عليكم حقّا و لكم علىّ حقّ، فأمرّا حقّكم علىّ فالنّصيحه لكم و توفير فيئكم عليكم و تعليمكم كيلا تجهلوا و تأديبكم كما تعلموا، و أمرّا حقّى عليكم فالوفاء بالبيعه و النّصيحه فى المشهد و المغيب و الاجابه حين أدعوكم و الطّاعه حين آمركم.

(فالحقّ أوسع الأشياء فى التّواصف) يعنى إذا أخذ النّاس فى بيان الحقّ و وصفه بعضهم لبعض كان لهم فى ذلك مجال واسع لسهولته على الألسنه (و أضيّقها فى التّناصف) يعنى إذا حضر التّناصف بينهم أى انصاف بعضهم لبعض فطلب منهم ضاق عليهم المجال لشدّه العمل و صعوبه الانصاف.

و محصّله سعه الحقّ فى مقام الوصف و القول و ضيقه فى مقام الانصاف و العمل.

(لا يجرى لأحد إلّا جرى عليه و لا يجرى عليه إلّا جرى له) لما ذكر حقّه

عليهم وحقهم عليه اتبعه بهذه الجملة تأكيداً و ايذاناً بأن جريان حقه عليهم إنما هو بجريان حقهم عليه و بالعكس، و فيه توطین لأنفسهم على ما عليهم و تشويق لهم إلى ما لهم.

و إنما ساق الكلام مساق العموم تنبيهاً على أنّ اللازم على كلّ أحد أن يقوم في الحقوق بماله و ما عليه بمقتضى العدل و الانصاف، فإنّ حقّ الوالى على الرعيه و الرعيه على الوالى و الوالد على الولد و الولد على الوالد و الزوج على الزوجه و الزوجه على الزوج و المعلم على المتعلم و المتعلم على المعلم و الجار على الجار و غيرهم من ذوى الحقوق حسبما نشير اليهم تفصيلاً إنّما هو بالتناصف بين الطرفين.

و يوضحه ما فى البحار من الكافى عن على بن إبراهيم عن أبيه عن التوفلى عن السيكونى عن أبى عبد الله عليه السلام قال: قال النبى صلى الله عليه و آله و سلم: حقّ على المسلم إذا أراد سفراً أن يعلم إخوانه، و حقّ على إخوانه إذا قدم أن يأتوه.

قال العلامة المجلسى فيه ايماء إلى أنّه إذا لم يعلمهم عند الذهاب لا يلزم عليهم اتيانه بعد الاياب.

(و لو كان لأحد أن يجرى له) حقّ على غيره (و لا يجرى) لغيره (عليه لكان ذلك) الحقّ الجارى (خالصاً لله سبحانه دون خلقه) أى متجاوزاً عن حقه و ذلك (لقدرته على عباده) و عجز غيره، فيجوز له أن يجرى حقه عليهم و يطلب منهم الطاعة و ينفذ أمره فيهم الزاماً فيطيعوه قهراً بدون امكان تمرّد أحد منهم عن طاعته لكونه قاهراً فوق عباده فعلاً لما يشاء، لا رادّ لحكمه و لا دافع لقضائه كما قال تعالى «وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً».

و لئىّا كان هنا مظنه أن يتوهم و يقال إنه إذا جرى حقه عليهم و خرجوا من عهده و قاموا بوظايف عبوديته و طاعته طوعاً أو كرها يكون حينئذ لهم حقّ عليه و هو جزاء ما أتوا به فلو لم يجزهم لكان ذلك منافياً للعدل دفع ذلك التوهم بقوله:

(و لعدله فى كلّ ما جرت عليه صروف قضائه) و أنواعه المتغيّره المتبدّله، يعنى أنّ الجزاء ليس مقتضى العدل حتّى يكون عدمه منافياً له بل هو العادل فى

جميع مقضيّاته و مقدراته لا- يسأل عَمَّا يفعل و هم يسألون، نعم هو مقتضى التّفَضُّل، و التّفَضُّل ليس بلازم عليه فلا يثبت لعباده باطاعتهم له حقّ لهم عليه، هكذا ينبغي أن يفهم المقام.

و قد تاه فيه أفهام الشّراح فمنهم من طوى عن تحقيقه كشحا و منهم من خبط فيه خطبه عشواء، فانظر ما ذا ترى.

و قريب ممّا حققناه ما قاله العلامة المجلسى فى البحار حيث قال فى شرح ذلك: و الحاصل أنه لو كان لأحد أن يجعل الحقّ على غيره و لم يجعل له على نفسه لكان هو سبحانه أولى بذلك، و استدللّ على الأولويّه بوجهين:

الأوّل القدره، فإنّ غيره تعالى لو فعل ذلك لم يطعه أحد و الله قادر على جبرهم و قهرهم و الثانى أنه لو لم يجزهم على أعمالهم و كلّفهم بها لكان عادلا لأنّ له من النعم على العباد ما لو عبده أبدا الدهر لم يوفوا حقّ نعمه واحده منها، انتهى فقد علم بذلك كلّ أنه عزّ و جلّ ليس بمقتضى عدله لأحد عليه حقّ.

(و لكنّه) عزّ شأنه مع ذلك قد (جعل) له على عباده حقا و لهم عليه كذلك بمقتضى انعامه و فضله فجعل (حقه على العباد أن يطيعوه) و يوحّدوه (و جعل جزاءهم) لم يقل حقّهم رعايه للأدب و دفعا لتوهم الاستحقاق أى جعل جزاء طاعتهم (عليه مضاعفه الثواب) كما قال تعالى «فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَ يَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ» و قال «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٍ وَ اللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ».

(تفضّلا منه و توسعا بما هو من المزيد أهله) فيه تنبيه على أنّ الحقّ الذى جعل لهم عليه أعظم مما أتوا به مع عدم كونه من جهه الاستحقاق بل لمحض التفضل و الانعام بما هو أهله من الزيادة و التوسعه.

و لما بيّن حقّ الله على عباده و هو الحقّ الذى له لنفسه عقبه ببيان حقوق الناس بعضهم على بعض فقال:

(ثم جعل سبحانه من حقوقه حقوقا افترضها لبعض الناس على بعض) وجعلها من حقوقه لافتراضها من قبله تعالى و في القيام بها إطاعه له و امتثال لأمره، فتكون بهذا الاعتبار من حقوقه الواجبه على عباده، و هذه الجملة توطئه و تمهيد لما يريد أن يتبّه عليه من كون حقه عليه السّلام واجبا عليهم من قبله تعالى و كون القيام به اطاعه له عزّ و علا فيكون ذلك أدعى لهم على أدائه.

(فجعلها) أى تلك الحقوق التى بين الناس (تتكافؤ) و تتقابل (فى وجوها) أى جعل كلّ وجه من تلك الحقوق مقابلا بمثله، فحقّ الوالى على الرعيّه مثلا و هو الطاعه مقابل بمثله فهو العدل و حسن السيره الذى هو حقّ الرعيّه على الوالى (و يوجب بعضها بعضا و لا يستوجب) أى لا يستحقّ (بعضها إلّا ببعض) كما أنّ الوالى إذا لم يعدل لا يستحقّ الطاعه و الرّوجه إذا كانت ناشزه لا يستحقّ النّفقه.

و لَمّا مهّد ما مهّد تخلّص إلى غرضه الأصلي فقال (و أعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق) المتكافئه (حقّ الوالى على الرعيّه و حقّ الرعيّه على الوالى) و إنّما كان من أعظم الحقوق لكون مصلحته عامّه لجميع المسلمين و باعنا على انتظام أمر الدين.

و لذلك أكّده بقوله (فريضه فرضها الله سبحانه لكلّ على كلّ) و أشار إلى وجوه المصلحه فيها بقوله (فجعلها نظاما لألفتهم و عزّا لدينهم) لأنّها سبب اجتماعهم و بها يقهرون أعداءهم و يعزون أديانهم (فليست تصلح الرعيّه إلّا بصلاح الولاه) كما هو المشاهد بالعيان و تجربه و شهدت عليه العقول السّليمه (و لا- تصلح الولاه إلّا- باستقامه الرعيّه) فى الطاعه إذ بمخالفتهم و عصيانهم يؤل جمعهم إلى الشّتات و حبل نظامهم إلى التّبات.

(فاذا أدّت الرعيّه إلى الوالى حقّه) و أطاعوه (و أدّى الوالى إليها حقّها) و عدل (عزّ الحقّ بينهم) أى يكون عزيزا (و قامت مناهج الدّين) و سبله (و اعتدلت معالم العدل) أى مظانّه أو العلامات التى نصبت فى طريق العدل لسلوكه (و جرت على أذلالها السّنن) أى جرت على محاجّتها و مسالكها بحيث لا تكون فيها اعوجاج

(فصلح بذلك الزمان) نسبه الصلاح إلى الزمان من باب التوسع و المراد صلاح حال أهله بانتظام امورهم الدنيويّه و الاخرويّه (و طمع في بقاء الدوله) و السلطنه (و يئست مطامع الاعداء) أى أطماعها باتفاق أهل المملكه و قوتهم.

(و) أمّا (إذا) كان الأمر بخلاف ذلك بأن (غلبت الرعيه واليهما و أجحف الوالى برعيته) أى تعدّى عليهم و ظلمهم ف (اختلفت هنا لك الكلمه) باختلاف الاراء (و ظهرت معالم الجور) أى علاماته، إذ يغلبه الرعيه على الوالى و إجحاف الوالى يحصل الهرج و المرج و يختلط الناس بعضهم ببعض و يتسلط الأشرار على الأبرار و يظلم الأقوياء للضعفاء (و كثر الادغال) أى الابداع و التلبيس أو المفاصد (فى الدين) لاختلاف الأهواء و أخذ كلّ بما يشتهي نفسه ممّا هو مخالف للدين و مفسد له (و تركت محاجّ الشين) أى طرقها الواضحه لا أعراض الناس عنها (فعمل بالهوى و عطّلت الأحكام) الشرعيه و التكاليف الدينيه (و كثر علل النفوس) أى أمراضها بما حصلت لها من الملكات الرديّه كالحقد و الحسد و العداوه و نحوها و قيل عللها وجوه ارتكاباتها للمنكرات فيأتى كلّ منكر بوجه و عله و رأى فاسد (فلا يستوحش لعظيم حقّ عطّل) لكثرة تعطيل الحقوق و كونه متداولاً متعارفاً بينهم (و لا لعظيم باطل فعل) لشيوع الباطل و اعتيادهم عليه مع كونه موافقاً لهواهم (فهنا لك تذلل الأبرار) لذلل الحقّ المذموم هم أهله (و تعزّ الاشرار) لعزّه الباطل الذى هم أهله (و تعظم تبعات الله عند العباد) إضافه التبعات و هى المظالم إليه تعالى باعتبار أنّه المطالب بها و المؤاخذ عليها و إلّا فالتبعات فى الحقيقه لبعض الناس عند بعض.

و لما ذكر مصالح قيام كلّ من الوالى و الرعيه بما عليها من الحقوق و مفاصد تركها أمرهم بالمواظبه على الحقّ و قال:

(فعليكم بالتناصح فى ذلك و حسن التعاون) عليه أى بنصيحه بعضكم لبعض و إعانه كل منكم لآخر فى سلوك نهج الحقّ و إقامة أعلامه.

و أكّد الزامهم بالتناصح و التعاون بقوله:(فليس أحد و إن اشتدّ على رضاء الله حرصه و طال فى العمل اجتهاده) و سعيه (ببالغ حقيقه ما الله أهله من الطاعه له) أى لا يمكن لأحد أن يبلغ مدى عباده الله و حقيقه طاعته و إن أتعب فيها نفسه و بذل جهده و بلغ كل مبلغ.

(و لكن من واجب حقوق الله على العباد «عباده» النصيحه) أى نصيحه بعضهم لبعضهم (بمبلغ جهدهم و التعاون على إقامة الحقّ بينهم) بقدر ما يمكنهم لا بقدر ما هو أهله و يستحقّه، فإنّ ذلك غير ممكن.

و لَمّا حثّ على التعاون و التناصح أردفه بقوله:(و ليس امرء و ان عظمت فى الحقّ منزلته و تقدّمت فى الدّين فضيلته بفوق أن يعان على ما حمّله الله من حقّه) و دفع بذلك ما ربما يسبق إلى بعض الأوهام من أنّ البالغ إلى مرتبه الكمال فى الطّاعه و الحايِز قصب سبق الفضيله كمثله عليه السّلام و ساير ولاه العدل أى حاجه له إلى المعين.

وجه الدّفع أنّ البالغ إلى مرتبه الكمال أى مرتبه كانت و المتقدّم فى الفضيله أى فضيله تكون لا استغناء له عن المعين و لا مقامه أرفع من أن يعان على ما حمّله الله تعالى و كلّفه به من طاعته الذى هو حقه.

و ذلك لأنّ من جملة التكاليف ما هو من عظام الامور كالجهاد فى سبيل الله و اقامه الحدود و نشر الشرائع و الأحكام و جبايه الصدقات و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و نحو ذلك مما هو وظيفه الامام و نايبه، و معلوم أنه محتاج فى هذه التكاليف و ما ضاهاها إلى إعانه الغير البتّه.

ثمّ أردفه بقوله (و لا امرؤ و إن صغّرت النفوس و اقتحمته) أى احتقرته (العيون بدون أن يعين على ذلك أو يعان عليه).

و دفع بذلك ما ربما يسبق إلى بعض الأوهام أيضا من أنّ بعض الناس من

السوقه و السفله أى حاجه إلى إعانتهم و أى فائده فى معاونتهم وجه الدّفع أنّ ذلك البعض و ان كان بالغاً ما بلغ فى الحقاره و الدّناءه و انحطاط الشّأن لكنه ليس بأدون و أحقر من أن يكون معينا على الحقّ و لو فى صغائر الامور و محقّراتها مثل أن يكون راعيا لدواب المجاهدين أو سقاء لهم أو خطابا أو خياطا و لا أقلّ من أن يكون خاصفا لنعلهم، فإنّ فى ذلك كلّه إعانه الحقّ و أهله أو معانا عليه و لو بأداء الأخماس و دفع الصّدقات إليهم و لا أقلّ من تعليمه معالم دينه و أمره بالمعروف و نهيه عن المنكر.

و محصّل المراد بالجملتين المتعاطفتين من قوله عليه الصلاه و السلام - و ليس امرء - إلى قوله عليه السّلام - يعان عليه - دفع توهم عدم الحاجه إلى الاعانه فى العظماء لرفعه شأنهم و عدم الاحتياج إلى الضعفاء لحقارتهم و انحطاط درجتهم

تذييلان

:

الاول

لَمّا كان هذا الفصل من كلامه عليه السّلام مسوقا لبيان حقوق الولاه على الرّعيّه و الرّعيه على الولاه. أحببت أن أذكر جملة من الأخبار و الاثار الواردة فى هذا المعنى فأقول:

قال: المحدث الجزائري فى الأنوار النعمانيه: فى بعض الأخبار أنّ عدل الحاكم يوما يعادل عباده العابد خمسين.

و فى الحديث من ولى من امور المسلمين شيئا ثمّ لم يحطهم بنصحه كما يحوط أهل بيته فليتبوء مقعده من النار و روى أيضا أنّه إذا كان يوم القيامة يؤتى بالوالى فيقذف على جسر جهنّم فيأمر الله سبحانه الجسر فينتقض به انتقاضه فيزول كلّ عظم منه عن مكانه ثمّ يأمر الله تعالى العظام فترجع إلى أماكنها ثمّ يسأله فان كان لله مطيعا أخذ بيده و أعطاه كفلين من رحمته، و إن كان لله عاصيا أخرج به الجسر فغرق و هوى به فى جهنّم مقدار سبعين خريفا.

و فى الروايه أنّه كان فى زمن بنى إسرائيل سلطان ظالم فأوحى الله تعالى

إلى نبيّ من أنبيائه أن قل لهذا الظالم: ما جعلتك سلطاناً إلا لتكفّ أصوات المظلومين عن بابي، فو عزّتي و جلالتي لا طعمنّ لحمك الكلاب، فسَلَطَ عليه سلطاناً آخر حتّى قتله فأطعم لحمه الكلاب.

و فى كتاب أمير المؤمنين عليه السّلام إلى حبيب بن المتجب و الى اليمن: اوصيك بالعدل فى رعيتك و الاحسان إلى أهل مملكتك و اعلم أنّ من ولى على رقاب عشره من المسلمين و لم يعدل بينهم حشره الله يوم القيامة و يدهاه مغلولتان إلى عنقه لا يفكّها إلا عدله فى دار الدّنيا و فى الأثر بعث قيصر ملك الرّوم إلى كسرى ملك الفرس بماذا أنتم أطول أعماراً و أدوم ملكاً؟ فأجابته كسرى: أمّا بعد أيّها السيّد الكريم و الملك الجسيم أمّا سبب الملك و اعزازه فى معززه و رسوخه فى مركزه فلامور أنتم عنها غافلون و لستم لأمثالها فاعلمون منها أن ليس لنا نواب يرشى و يمنع و لا بواب يروع و يدفع، لم تزل أبوابنا مشرعه و نوابنا لقضاء الحوائج مسرعه، لا أقصينا صغيراً و لا أدنيا أميراً، و لا احتقرنا بذوى الاصول، و لا قدّمنا الشّبان على الكهول، و لا كذبنا فى وعد، و لا صدقنا فى ايعاد، و لا تكلمنا بهزل، و لا سمنا وزيرا إلى عزل، موائدنا مبسوطه، و عقولنا مضبوطه، لا نقطع فى امل، و لا لجلسنا نمل، خيرنا مضمون، و شرّنا مأمون، و عطاؤنا غير ممنون، و لا نحوج أحداً إلى باب، بل نقضى بمجرد الكتاب، و نرقّ للباكى، و نستقصى قول الحاكى، ما جعلنا همّنا بطوننا و لا فروجنا، أمّا البطون فلقمه، و أمّا الفروج فأمه، و لا نؤاخذ على قدر غيظنا، بل نؤاخذ على قدر الجنايه، و لا نكلّف الضعيف المعدم ما يتحمّله الشريف المنعم، و لا نؤاخذ البرىء بالسقيم، و لا الكريم باللّيم، التّمام عندنا مفقود، و العدل فى جانبنا موجود، الظّلم لا نتعاطاه، و الجور انفسنا طاباه، و لا نطمع فى الباطل، و لا نأخذ العشر قبل الحاصل، و لا ننكث العهود، و لا نحث فى الموعد، الفقير عندنا مدعوّ، و المفتقر لدينا مقصوّ، جارنا لا يضام، و عزيزنا لا يرام، رعيتنا مرعيّه، و حوائجهم لدينا

مقضيته، صغيرهم عندنا خطير، و ذريهم لدينا كبير، الفقير بيننا لا يوجد، و الغنى بما لديه يسعد، العالم عندنا معظم مكرم، و التقى لدينا موقر مقدّم، لا يسدّ بمملكتنا باب، و لا يوجد عندنا سارق و لا مرتاب، سماءنا ممطره، و أشجارنا لم تزل مثمره، لا نعامل بالشهوات، و لا- نجازى بالهفوات، الطير إلينا شاكى، و البعير أتاناً متظلم باكى عدلنا قد عمّ القاصى و الدانى، وجودنا قد عمّ الطائع و العاصى، عقولنا باهره، و كنوزنا ظاهره، و فروجنا عفائف، و زبولنا نظائف، أفهامنا سليمه، و حلومنا جسيمه، كفوفنا سوافح، بحورنا طوافح، نفوسنا أبيه، و طوالعنا المعيه، إن سئلنا أعطينا، و إن قدرنا عفونا، و إن وعدنا أوفينا، و إن اغضبنا أغضينا فلما وصل الكتاب إلى قيصر قال: يحقّ لمن كان هذه سياسته أن تدوم رياسته قال انوشيروان: حصن البلاد بالعدل فهو سور لا يغرقه ماء و لا يحرقه نار و لا يهدمه منجنيق.

كان كسرى إذا جلس فى مجلس حكمه أقام رجلين عن يمينه و شماله و كان يقول لهما: إذا زغت فحرّكونى و تبّهونى، فقالا له يوماً و الرعيه تسمع: أيّها الملك انتبه فانك مخلوق لا خالق و عبد لا مولى و ليس بينك و بين الله قرابه أنصف الناس و انظر لنفسك و كان يقال: صنفان متباغضان متنافيان السّـلطان و الرعيه و هما مع ذلك متلازمان إن صلح أحدهما صلح الآخر و ان فسد أحدهما فسد الآخر و كان يقال: محلّ الملك من الرعيه محلّ الرّوح من الجسد و محلّ الرعيه منه محلّ الجسد من الرّوح، فالرّوح تألم بألم كلّ عضو من البدن و ليس كلّ واحد من الأعضاء يألم بألم غيره، و فساد الرّوح فساد جميع البدن، و قد يفسد بعض البدن و غيره من سائر البدن صحيح.

و كان يقال: ظلم الرعيه استجلاب البليّه.

و كان يقال: العجب ممّن استفسد رعيته و هو يعلم أنّ عزّه بطاعتهم.

و كان يقال: أيدى الرعيه تبع ألسنتها حتّى يملك جسومها، و لن يملك

جسومها حتّى يملك قلوبها فتحبّه، و لن تحبّه حتّى يعدل عليها فى أحكامه عدلا يتساوى فيه الخاصّه و العامّه و حتّى يخفّف عنها المؤن و الكلف، و حتّى يعفيها من رفع أوضاعها و أراذلها عليها، و هذه الثّالثه تحقّد على الملك العليه من الرّعيّه و تطمع السيّفله فى الرّتب السيّئه.

و كان يقال: الرّعيه ثلاثه أصناف: صنف فضلاء مرتاضون بحكم الرّياسه و السيّاسه يعلمون فضيله الملك و عظيم غنائه و يرثون له من ثقل أعبائه فهؤلاء يحصل الملك موادّتهم بالبشر عند اللّقاء و يلقى أحاديثهم بحسن الاصغاء، و صنف فيهم خير و شرّ فصلاّحهم يكتسب من معاملتهم بالترغيب و التّرهيب، و صنف من السيّفله الرّعاى أتباع لكلّ راع لا يمتحنون فى أقوالهم و أفعالهم بنقد و لا يرجعون فى الموالاه إلى عقد.

و كان يقال: ترك المعاقبه للسيّفله على صغائر الجرائم تدعوهم إلى ارتكاب الكبائر العظائم ألا ترى أوّل نشوز المرأه كلمه سومحت بها، و أوّل حران الدّابه حيده سوعدت عليها.

و كان يقال: إذا لم يعمر الملك ملكه بانصاف الرّعيّه خرب ملكه بعصيان الرّعيّه.

قيل لأنوشيروان: أى الجنن أوقى؟ قال: الدّين، قيل: فأى العدو أوقى؟ قال: العدل.

و فى شرح المعتزلى جاء رجل من مصر إلى عمر بن الخطّاب متظّلماً فقال يا أمير المؤمنين هذا مكان العائد بك قال: لو عدت بمكان ما شانك؟ قال: سابقت ولد عمرو بن العاص بمصر فسبقته فجعل يعنفنى بسوطه و يقول: أنا ابن الأمير.

و بلغ أباه ذلك فحبسنى خشيه أن اقدم عليك، فكتب إلى عمرو: إذا أتاك كتابى هذا فاشهد الموسم أنت و ابنك، فلمّا قدم و عمرو و ابنه دفع الدّرّه إلى المصرى و قال: اضربه كما ضربك، فجعل يضربه و عمر يقول: اضرب ابن الأمير اضرب ابن الامير يرّدها حتّى قال يا أمير المؤمنين قد استقدت منه فقال و أشار إلى عمرو:

ضعها على صلته فقال المصري يا أمير المؤمنين إنما أضرب من ضربني فقال:

إنما ضربك بقوة أبيه و سلطانه فاضربه إن شئت فوالله لو فعلت لما منعك احد منه حتى تكون أنت الذي يتبرع بالكف عنه، ثم قال: يا ابن العاص متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم أحرارا.

كتب عدى بن اراطه إلى عمر بن عبد العزيز: أما بعد فإن قبلنا قوما لا يؤدون الخراج إلا أن يمسّهم نصب من العذاب، فاكتب إلى يا أمير المؤمنين برأيك، فكتب: أما بعد فالعجب كل العجب تكتب إلى تستأذني في عذاب البشر كأن إذني لك جنة من عذاب الله أو كأن رضاي ينجيك من سخط الله فمن أعطاك ما عليه عفوا فخذ منه، و من أبى فاستحلفه وكله إلى الله، فلأن يلقوا الله بجرائمهم أحب إلى من أن ألقاه بعذابهم.

التذييل الثاني

لما استطرد عليه السلام في هذا الفصل ذكر حق الله تعالى على عباده و ذكر حقوق بعضهم على بعض ينبغي أن نذكر طرفا منها من طريق الأخبار و هي كثيرة جدا لا تستقصى، و نقتنع منها بأجمعها لتلك الحقوق، و هي رساله علي بن الحسين عليهما السلام المعروفه برساله الحقوق فأقول و بالله التوفيق:

روى في البحار من كتاب تحف العقول تأليف الشيخ أبي محمّد الحسن بن علي بن شعبه قال: رساله علي بن الحسين عليهما السلام المعروفه برساله الحقوق.

اعلم رحمك الله أنّ لله عليك حقوقا محيطه بك في كلّ حركة حركتها أو سكنه سكنتها أو منزله نزلتها أو جارحه قلبتها و آله تصرف بها بعضها أكبر من بعض و أكبر حقوق الله عليك ما أوجبه لنفسه تبارك و تعالى من حقه المذى هو أصل الحقوق و منه تفرّع، ثم أوجبه عليك لنفسك من قرنك إلى قدمك على اختلاف جوارحك فجعل لبصرك عليك حقا و لسمعك عليك حقا، و للسانك عليك حقا، و ليدك عليك حقا، و لرجلك عليك حقا، و لبطنك عليك حقا، و لفرجك عليك حقا، فهذه الجوارح السبع التي بها تكون الأفعال، ثم جعل عزّ و جلّ لأفعالك عليك حقوقا فجعل لصلاتك عليك حقا، و لصومك عليك حقا، و لصدقتك

عليك حقًا، و لهديك عليك حقًا، و لأفعالك عليك حقًا، ثم تخرج الحقوق منك إلى غيرك من ذوى الحقوق الواجبه عليك، و أوجبها عليك حقًا أئمتك، ثم حقوق رعيتك، ثم حقوق رحمك، فهذه حقوق يتشعب منها حقوق، فحقوق أئمتك ثلاثه أوجبها عليك حق سائسك بالسلطان، ثم سائسك بالعلم ثم حق سائسك بالملك و كل سائس امام، و حقوق رعيتك ثلاثه أوجبها عليك حق رعيتك بالسلطان، ثم حق رعيتك بالعلم فإن الجاهل رعيه العالم و حق رعيتك بالملك من الأزواج و ما ملكت من الأيمان، و حقوق رحمك كثيره متصله بقدر اتصال الرحم فى القرابه، فأوجبها عليك حق امك، ثم حق أبيك، ثم حق ولدك، ثم حق أخيك، ثم الأقرب فالأقرب، و الأول فالأول، ثم حق مولاك المنعم عليك ثم حق مولاك الجارى نعمتك عليه، ثم حق ذى المعروف لديك، ثم حق مؤذذك بالصلاه، ثم حق امامك فى صلاتك، ثم حق جليسك، ثم حق جارك، ثم حق صاحبك، ثم حق شريكك، ثم حق مالك، ثم حق غريمك الذى تطالبه، ثم حق غريمك الذى يطالبك، ثم حق خليطك، ثم حق خصمك المدعى عليك، ثم حق خصمك الذى تدعى عليه، ثم حق مستشيرك، ثم حق المشير عليك، ثم حق مستنصحك، ثم حق الناصح لك، ثم حق من هو أكبر منك، ثم حق من هو أصغر منك، ثم حق سائلك، ثم حق من سألته، ثم حق من جرى لك على يديه مساءه بقول أو فعل أو مسره بذلك بقول أو فعل عن تعمد منه أو غير تعمد منه، ثم حق أهل ملكك عامه، ثم حق أهل الذمه، ثم الحقوق الحادثه بقدر علل الأحوال و تصرف الأسباب، فطوبى لمن أعانه الله على قضاء ما أوجب عليه من حقوقه و وفقه و سدده ١ - فأما حق الله الأكبر فانك تعبد له لا تشرك به شيئاً فاذا فعلت ذلك باخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا و الاخره و يحفظ لك ما تحب منها.

٢ - و أما حق نفسك عليك فإن تستوفيها فى طاعه الله فتؤدى إلى لسانك حقّه، و إلى سمعك حقّه، و إلى بصرك حقّه، و إلى يديك حقّها، و إلى رجلك حقّها، و إلى بطنك حقّه، و إلى فرجك حقّه، و تستعين بالله على ذلك ٣ - و أما حق اللسان فأكرامه عن الخنا، و تعويده الخير، و حمله على

الأدب و اجمامه إلا لموضع الحاجه و المنفعه للدين و الدنيا، و إعفاؤه عن الفضول الشنعه القليله الفائده التي لا يؤمن ضررها مع قلّه عائدتها، و بعد شاهد العقل و الدليل عليه و تزين العاقل بعقله حسن سيرته في لسانه، و لا قوّه إلا بالله العليّ العظيم.

٤ - و أمّا حقّ السمع فتتزيهه عن أن تجعله طريقا إلى قلبك إلا لفوهه كريمه تحدث في قلبك خيرا أو تكسب خلقا كريما، فإنّه باب الكلام إلى القلب يؤدّي إليه ضروب المعاني على ما فيها من خير أو شرّ، و لا قوّه إلا بالله.

٥ - و أمّا حقّ بصرك فغضّه عما لا يحلّ و ترك ابتذاله إلا لموضع عبره تستقبل بها بصرا أو يستفيد بها علما، فإنّ البصر باب الاعتبار..

٦ - و أمّا حقّ رجليك فان لا- تمشى بهما إلى ما لا- يحلّ لك، و لا تجعلهما مطيّتك في الطريق المستخفه بأهلها فيها فإنّها حاملتك و سالكه بك مسلك الدين و السبق لك، و لا قوّه إلا بالله.

٧ - و أمّا حقّ يدك فإن لا تبسطها إلى ما لا يحلّ لك فتتال بما تبسطها إليه من الله العقوبه في الاجل و من الناس بلسان اللّائمه في العاجل، و لا تقبضها ممّا افترض الله عليها، و لكن توقّرها بقبضها عن كثير ممّا لا يحلّ لها و بسطها إلى كثير ممّا ليس عليها، فاذا هي قد عقلت و شرفت في العاجل و جب لها حسن الثواب من الله في الاجل.

٨ - و أمّا حقّ بطنك فإن لا تجعله وعاء لقليل من الحرام و لا لكثير، و أن تقتصد له في الحلال و لا تخرجه من حدّ التقويه إلى حدّ التهوين و ذهاب المروّه و ضبطه إذا همّ بالجوع و الظّماء فإنّ الشّبع المنتهى بصاحبه إلى التّخم مكسله و مشبطه و مقطعه عن كلّ برّ و كرم و إنّ الرّيّ المنتهى بصاحبه إلى السكر مسخفه و مجهله و مذهبه للمروّه.

٩ - و أمّا حقّ فرجك فحفظه ممّا لا يحلّ لك، و الاستعانه عليه بغضّ البصر فإنّه من أعون الأعوان و كثره ذكر الموت و التّهدد لنفسك بالله و التّخويف لها به و بالله العصمه و التّأييد، و لا حول و لا قوّه إلا به.

١٠ - فَأَمَّا حَقَّ الصَّيْلَةِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهَا وَفَادَهُ إِلَى اللَّهِ وَ أَنَّكَ قَائِمٌ بِهَا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ فَإِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ كُنْتَ خَلِيقًا أَنْ تَقُومَ فِيهَا مَقَامَ الدَّلِيلِ الرَّاعِبِ الرَّاهِبِ الْخَائِفِ الرَّاجِي الْمُسْتَكِينِ الْمُتَضَرِّعِ الْمُعْظَمِ مَنْ قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِالسُّكُونِ وَالْإِطْرَاقِ وَ خَشُوعِ الْأَطْرَافِ وَ لِينِ الْجَنَاحِ وَ حَسَنِ الْمَنَاجَاةِ لَهُ فِي نَفْسِهِ وَ الطَّلَبِ إِلَيْهِ فِي فَكَاكِ رَقَبَتِكَ الَّتِي أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُكَ وَ اسْتَهِلَكَتْهَا ذُنُوبُكَ، وَ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

١١ - وَ أَمَّا حَقَّ الصَّوْمِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّه حِجَابٌ ضَرَبَ اللَّهُ عَلَى لِسَانِكَ وَ سَمْعِكَ وَ بَصَرِكَ وَ فَرْجِكَ وَ بَطْنِكَ لِيَسْتَرِكَ بِهِ مِنَ النَّارِ وَ هَكَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: الصَّوْمُ جَنَّةٌ مِنَ النَّارِ، فَإِنْ سَكَنْتَ أَطْرَافَكَ فِي حِجْبَتِهَا رَجَوْتَ أَنْ تَكُونَ مُحْجُوبًا، وَ إِنْ أَنْتَ تَرَكْتَهَا تَضْطَرِبَ فِي حِجَابِهَا وَ تَرْفَعُ جَنَابَاتِ الْحِجَابِ فَتُطْلَعَ إِلَى مَا لَيْسَ لَهَا بِالنَّظَرِ الدَّاعِيهِ لِلشَّهْوَةِ وَ الْقُوَّةِ الْخَارِجَةِ عَنْ حَدِّ التَّقْيَةِ لِلَّهِ لَمْ تَأْمَنْ أَنْ تَخْرُقَ الْحِجَابَ وَ تَخْرُجَ مِنْهُ، وَ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

١٢ - وَ أَمَّا حَقَّ الصَّيْدَةِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهَا ذَخْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَ وَدِيعَتُكَ الَّتِي لَا تَحْتَاجُ إِلَى الْأَشْهَادِ فَإِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ كُنْتَ بِمَا اسْتَوْدَعْتَهُ سِرًّا أَوْثَقَ بِمَا اسْتَوْدَعْتَهُ عَلَانِيَةً، وَ كُنْتَ جَدِيرًا أَنْ تَكُونَ أَسْرَرْتَ إِلَيْهِ أَمْرًا أَعْلَنْتَهُ وَ كَانَ الْأَمْرُ بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ فِيهَا سِرًّا عَلَى كُلِّ حَالٍ وَ لَمْ تَسْتَظْهِرْ عَلَيْهِ فِيمَا اسْتَوْدَعْتَهُ مِنْهَا أَشْهَادَ الْأَسْمَاعِ وَ الْإِبْصَارِ عَلَيْهِ بِهَا كَأَنَّهَا أَوْثَقَ فِي نَفْسِكَ لَا كَأَنَّكَ لَا تَثِقُ بِهِ فِي تَأْدِيهِ وَ دِيعَتِكَ إِلَيْكَ، ثُمَّ لَمْ تَمْتَنَ بِهَا عَلَى أَحَدٍ لِأَنَّهَا لَكَ فَإِذَا امْتَنَنْتَ بِهَا لَمْ تَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ بِهَا مِثْلَ تَهْجِينِ حَالِكَ مِنْهَا إِلَى مَنْ مَنَنْتَ بِهَا عَلَيْهِ لِأَنَّ فِي ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّكَ لَمْ تَرُدْ نَفْسَكَ بِهَا وَ لَوْ أَرَدْتَ نَفْسَكَ بِهَا لَمْ تَمْتَنَ عَلَى أَحَدٍ، وَ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

١٣ - وَ أَمَّا حَقَّ الْهَدْيِ فَأَنْ تَخْلَصَ بِهَا الْإِرَادَةَ إِلَى رَبِّكَ وَ التَّعَرُّضَ لِرَحْمَتِهِ وَ قَبُولَهُ وَ لَا تَرِيدَ عَيُونَ النَّيَاطِرِينَ دُونَهُ فَإِذَا كُنْتَ كَذَلِكَ لَمْ تَكُنْ مُتَكَلِّفًا وَ لَا مُتَصَنِّعًا وَ كُنْتَ أَمَّا تَقْصِدُ إِلَى اللَّهِ وَ اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَرَادُ بِالْيَسِيرِ وَ لَا يَرَادُ بِالْعَسِيرِ كَمَا أَرَادَ

بخلقه التيسير و لم يرد بهم التعسير و كذلك التذلل أولى بك من التدهقن لأن الكلفه و المئونه فى المدهقنين فأما التذلل و التمسكن فلا كلفه فيهما و لا مئونه عليهما لأنهما الخلقه و هما موجودان فى الطبيعه و لا قوه إلا بالله.

ثم حقوق الأئمه

١٤ - فأما حقّ سائسك بالسلطان فأن تعلم أنك جعلت له فتنه و أنه مبتلى فيك بما جعله الله له عليك من السلطان و أن تخلص له فى النصيحة و أن لا تماحكه و قد بسطت يده عليك فتكون سبب هلاكك نفسك و هلاكه و تذلل و تلطف لاعطائه من الرضا ما يكفّه عنك و لا- يضّرّ بدينك و تستعين عليه فى ذلك بالله و لا- تعازّه و لا تعانده فانّك إن فعلت ذلك عققته و عقت نفسك فعرضتها لمكروهه و عرضته للهلكه فيك و كنت خليقا أن تكون معينا له على نفسك و شريكا له فيما أتى إليك و لا قوه إلا بالله ١٥ - و أمّا حقّ سائسك بالعلم فالتعظيم له و التوقير لمجلسه و حسن الاستماع إليه و الاقبال عليه و المعونه له على نفسك فيما لا- غنى بك عنه من العلم بأن تفرغ له عقلك و تحضره فهمك و تذكى له و تجلى له بصرك بترك اللذات و نقص الشهوات و أن تعلم أنّك فيمالقى رسوله إلى من لقاك من أهل الجهل فلزمك حسن التأديه عنه إليهم فلا تخنه فى تأديه رسالته و القيام بها عنه إذا تقلدتها و لا حول و لا قوه إلا بالله.

١٦ - و أمّا حقّ سائسك بالملك فنحو من سائسك بالسلطان إلا أنّ هذا يملك ما لا يملكه ذاك تلزمك طاعته فيما دقّ و جلّ منك إلا أن تخرجك من وجوب حقّ الله تعالى و يحول بينك و بين حقّه و حقوق الخلق فاذا قضيته رجعت إلى حقّه فتشاغلت به و لا قوه إلا بالله.

ثم حقوق الرعيه

١٧ - فأما حقوق رعيتك بالسلطان فأن تعلم أنّك استرعيتهم بفضل قوّتك عليهم فأنّه إنّما أحلّهم محلّ الرعيه منك ضعفهم و ذلّهم فما أولى من كفّاه ضعفه و ذلّه حتّى صيره لك رعيه و صير حكمك عليه نافذا لا يمتنع منك بعزّه و لا قوه و لا يستنصر فيما تعاظمه منك إلا بالله بالرّحمه و الحياطه و الاناه و ما أولاك

إذا عرفت ما أعطاك الله من فضل هذه العزّة والقوّة التي قهرت بها أن تكون لله شاكرا ومن شكر الله أعطاه فيما أنعم عليه ولا قوّه إلا بالله ١٨ - و أمّا حقّ رعيتك بالعلم فإن تعلم أنّ الله قد جعلك لهم فيما آتاك من العلم و ولاك من خزانة الحكمه فان أحسنت فيما ولاك الله من ذلك و قمت به لهم مقام الخازن الشفيق الناصح لمولاه في عبده الصّابر المحتسب الذي إذا رأى ذا حاجه اخرج له من الأموال التي في يديه كنت راشدا و كنت لذلك أهلا- «آملا» معتقدا و إلا كنت له خائنا و لخلقه ظالما و لسلبه و عزه متعرّضا.

١٩ - و أمّا حقّ رعيتك بملك النكاح فإن تعلم أنّ الله جعلها سكنا و مستراحا و انسا و واقيه و كذلك كلّ واحد منكما يجب أن يحمد الله على صاحبه و يعلم أنّ ذلك نعمه منه عليه و وجب أن يحسن صحبه نعمه الله و يكرمها و يرفق بها و إن كان حقك عليها أغلظ و طاعتك لها ألزم فيما أحببت و كرهت ما لم تكن معصيه فإنّ لها حقّ الرّحمه و المؤانسه و موضع السكون إليها قضاء للذه التي لا بدّ من قضائها و ذلك عظيم و لا قوّه إلا بالله.

٢٠ - و أمّا حقّ رعيتك بملك اليمين فإن تعلم أنه خلق ربّك و لحمك و دمك و أنك تملكه لا أنك صنعته دون الله و لا خلقت له سمعا و لا بصرا و لا أجريت له رزقا و لكن الله كفاك ذلك بمن سخّره لك و ائتمنك عليه و استودعك إياه لتحفظه فيه و تسير فيه بسيرته فتطعمه مما تأكل و تلبسه مما تلبس و لا تكلفه ما لا يطيق فإن كرهت خرجت إلى الله منه و استبدلت به و لم تعذب خلق الله و لا قوّه إلا بالله.

و أما حق الرّحم

٢١ - فحقّ أمك أن تعلم أنها حملتك حيث لا يحمل أحد أحدا و أطعمتك من ثمره قلبها ما لا يطعم أحد أحدا و أنها وقتك بسمعها و بصرها و يدها و رجلها و شعرها و بشرها و جميع جوارحها مستبشره بذلك فرحه موبله محتمله لما فيه مكروها و ألمها و ثقلها و غمها حتّى دفعتها عنك يد القدره و أخرجتك إلى الأرض فرضيت أن تشبع و تجوع هي و تكسوك و تعرى و ترويك و تظما و تظّلّك و تضحى و تنعمك بيؤسها

و تلذذك بالنوم بأرقها و كان بطنها لك وعاء و حجرها لك حواء و ثديها لك سقاء و نفسها لك وقاء تباشر حرّ الدنيا و بردها لك و دونك فتشكرها على قدر ذلك و لا تقدر عليه إلا بعون الله و توفيقه.

٢٢ - و أما حقّ أبيك فتعلم أنّه أصلك و أنّك فرع و أنّك لولاه لم تكن فمهما رأيت في نفسك ممّا تعجبك فاعلم أنّ أباك أصل النعمه عليك فيه و احمد الله و اشكره على قدر ذلك ٢٣ - و أمّا حقّ ولدك فتعلم أنّه منك و مضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره و شرّه و أنّك مسئول عمّا وليته من حسن الأدب و الدّلاله على ربّه و المعونه له على طاعته فيك و في نفسه فمثاب على ذلك و معاقب فاعمل في أمره عمل المتزيّن بحسن أثره عليه في عاجل الدنيا المعذر إلى ربّه فيما بينك و بينه بحسن القيام عليه و الأخذ له منه و لا قوّه إلا بالله.

٢٤ - و أما حقّ أخيك فتعلم أنّه يدك التي تبسطها و ظهرك الذي تلتجئ إليه و عزّك الذي تعتمد عليه و قوّتك التي تصول بها فلا تتخذة سلاحا على معصيه الله و لا عده للظلم بخلق الله و لا تدع نصرته على نفسه و معونته على عدوّه و الحول بينه و بين شياطينه و تأديه النصيحة إليه و الاقبال عليه في الله فان انقاد لربّه و أحسن الاجابه له و إلا فليكن الله آثر عندك و أكرم عليك منه ٢٥ - و أما حقّ المنعم عليك بالولاء فأن تعلم أنّه أنفق فيك ماله و أخرجك من ذلّ الرّق و وحشته إلى عزّ الحرّيه و أنسها و أطلقك من اسر الملكه وفكّ عنك حلق العبوديه و أوجدك رايحه العزّ و أخرجك من سجن القهر و دفع عنك العسر و بسط لك لسان الانصاف و أباحك الدنيا كلّها فملكك نفسك و حلّ اسرك و فرّغك لعباده ربك و احتمل بذلك التقصير فيما له فتعلم أنّه أولى الخلق بك بعد أولى رحمك في حياتك و موتك و أحقّ الخلق بنصرك و معونتك و مكانفتك في ذات الله فلا تؤثر عليه نفسك ما احتاج إليك أحدا أبدا ٢٦ - و أما حقّ مولاك الجاربه عليه نعمتك فأن تعلم أنّ الله جعلك حاميه

عليه و واقيه و ناصرا و معقلا و جعله لك و سيله و سببا بينك و بينه فبالحرى أن يحجبك عن النار فيكون في ذلك ثوابك منه في الاجل و يحكم له بميراثه في العاجل إذا لم يكن له رحم مكافاه لما أنفقته من مالك عليه و قمت به من حقّه بعد إنفاق مالك فان لم تخفه خيف عليك أن لا يطيب لك ميراثه و لا قوّه إلاّ بالله.

٢٧ - و أما حقّ ذى المعروف عليك فأن تشكره و تذكر معروفه و أن تنشر له مقاله الحسنه و تخلص له الدّعاء فيما بينك و بين الله سبحانه فانك إذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سرّا و علانيه ثمّ إن أمكنك مكافاته بالفعل كافأته و إلاّ كنت مرصدا له موطننا نفسك عليها.

٢٨ - و أمّا حقّ المؤدّن فأن تعلم أنه مذكرك بربك و داعيك إلى حظّك و أفضل أعوانك على قضاء الفريضه التى افترضها الله عليك فتشكره على ذلك شكر ك للمحسن اليك و إن كنت فى بيتك متّهما لذلك لم تكن لله فى أمره متّهما و علمت أنه نعمه من الله عليك لا شكّ فيها فأحسن صحبه نعمه الله بحمد الله عليها على كلّ حال و لا قوّه إلاّ بالله.

٢٩ - و أما حقّ إمامك فى صلاتك فأن تعلم أنه قد تقلّد السفاره فيما بينك و بين الله و الوفاده إلى ربك و تكلمّ عنك و لم تتكلمّ عنه و دعا لك و لم تدع له و طلب فيك و لم تطلب فيه و كفاك همّ المقام بين يدى الله و المسائله له فيك و لم تكفه ذلك فان كان فى شىء من ذلك تقصير كان به دونك و إن كان آثما لم تكن شريكه فيه و لم يكن لك عليه فضل فوقى نفسك بنفسه و وقى صلاتك بصلاته فتشكر له على ذلك و لا حول و لا قوّه إلاّ بالله.

٣٠ - و أما حقّ المجلس فأن تلين له كنفك و تطيب له جانبك و تنصفه فى مجاراه اللفظ و لا تغرق فى نزع اللّحظ إذا الحظت و تقصد فى اللفظ إلى إفهامه إذا لفظت و ان كنت المجلس اليه كنت فى القيام عنه بالخيار و إن كان الجالس إليك كان بالخيار و لا تقوم إلاّ بأذنه و لا قوّه إلاّ بالله.

٣١ - و أما حقّ الجار فحفظه غائبا و كرامته شاهدا و نصرته و معونته فى

الحالين جميعا، لا تتبع له عوره، ولا تبحث له عن سوء لتعرفها، فإن عرفتھا منه عن غير إرادہ منك و لا تكلف كنت لما علمت حصنا حصينا، و ستر استيرا لو بحثت الأسنہ عنه ضميرا لم تتصل إليه لا نطوائه عليه، لا تستمع عليه من حيث لا يعلم، لا تسلّمه عند شديده، و لا تحسده عند نعمه، تقيل عثرته و تغفر زلّته و لا تدّخر حلمك عنه إذا جهل عليك، و لا تخرج أن تكون سلما له، تردّ عنه الشّيمه، و تبطل فيه كيد حامل النصيحه، و تعاشره معاشره كريمه، و لا حول و لا قوّه إلاّ باللّٰه.

٣٢ - و أمّا حقّ الصّاحب فأنّ تصحبه بالفضل ما وجدت إليه سبيلا- و إلاّ- فلا أقلّ من الانصاف و أن تكرمه كما يكرمك و تحفظه كما يحفظك، و لا يسبقك فيما بينك و بينه إلى مكرمه فان سبقك كافأته و لا تقصد به عمّا يستحقّ من المودّه تلزم نفسك نصيحتہ و حيّاطته و معاضدته على طاعه ربّه و معاونته على نفسه فيما يهّم به من معصيه ربّه ثمّ تكون رحمه و لا تكون عليه عذابا، و لا قوّه إلاّ باللّٰه.

٣٣ - و أمّا حقّ الشريك فإنّ غاب كفيته و إن حضر ساويته و لا تعزم على حكمك دون حكمه و لا تعمل برأيك دون مناظرته و تحفظ عليه ماله و تنفي عنه خيانتہ فيما عزّ أوهان، فانه بلغنا أنّ يد اللّٰه على الشريكين ما لم يتخاونا، و لا قوّه إلاّ باللّٰه.

٣٤ - و أمّا حقّ المال فأنّ لا تأخذه إلاّ من حلّه و لا تنفقه إلاّ في حلّه و لا تحزّفه عن مواضعه و لا تصرفه عن حقايقه و لا تجعله إذا كان من اللّٰه إلاّ- إليه و سببا إلى اللّٰه و لا- تؤثر به على نفسك من لعلّه لا- يحمدك و بالحرى أن لا- يحسن خلافتك في تركتك و لا- يعمل فيه بطاعه ربك فتكون معينا له على ذلك و بما أحدث فيما لك احسن نظرا لنفسك فيعمل بطاعه ربّه فيذهب بالغنيمة و تبوء بالاثم و الحسره و الندامه مع التبعه و لا قوّه إلاّ باللّٰه.

٣٥ - و أمّا حقّ الغريم الطالب لك فإنّ كنت موسرا أوفيته و كفيته و أغنيته و لم تردده و تمطله فإنّ رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلّم قال: مطل الغنّى ظلم، و إن كنت معسرا أرضيته بحسن القول و طلبت إليه طلبا جميلا و رددته عن نفسك ردّا لطيفا و لم تجمع عليه ذهاب ماله و سوء معاملته فإنّ ذلك لؤم، و لا قوّه إلاّ باللّٰه.

٣٦ - و أما حقّ الخليط فان لا تغرّه و لا تغشه و لا تكذبه و لا تغفله و لا تخدعه و لا تعمل في انتقاضه عمل العدو الذي لا يبقى على صاحبه و إن اطمأنّ إليك استقصيت له على نفسك و علمت أنّ غبن المسترسل ربا، و لا قوّه إلّا باللّٰه.

٣٧ - و أمّا حقّ الخصم المدعى عليك فان كان ما يدّعى عليك حقا لم تنفسخ في حجّته و لم تعمل في إبطال دعوته و كنت خصم نفسك له و الحاكم عليها و الشاهد له بحقه دون شهادة الشهود، فانّ ذلك حقّ الله عليك و إن كان ما يدّعيه باطلا رفقت به و روعته و ناشدته بدينه و كسرت حدته عنك بذكر الله و ألقيت حشو الكلام و لغطه الذي لا يردّ عنك عاديه عدوك بل تبوء باثمه و به يشحذ عليك سيف عداوته لأنّ لفظه السوء تبعث الشر و الخير مقمعه للشرّ، و لا قوّه إلّا باللّٰه.

٣٨ - و أمّا حقّ الخصم المدعى عليه فان كان ما تدّعيه حقا أجملت في مقاولته بمخرج الدّعوى، فانّ للدّعوى غلظه في سماع المدّعى عليه و قصدت قصد حجّتك بالترّفق و امهل المهله و أبين البيان و ألطف اللّطف و لم تشاغل عن حجّتك بمنازعته بالكيل و القال فتذهب عنك حجّتك و لا يكون لك في ذلك درك، و لا قوّه إلّا باللّٰه.

٣٩ - و أما حقّ المستشار فإن حضرك له وجه رأى جهدت له في النصيحة و أشرت إليه بما تعلم أنّك لو كنت مكانه عملت به، و ذلك ليكن منك في رحمه و لين فانّ اللين يونس الوحشه و إنّ الغلظ يوحش موضع الانس، و إن لم يحضرك له رأى و عرفت له من تثق برأيه و ترضى به لنفسك دلتته عليه و أرشدته إليه فكنت لم تأله خيرا و لم تدّخره نصحا، و لا قوّه إلّا باللّٰه ٤٠ - و أما حقّ المشير عليك فلا تتّهمه فيما يوافقك عليه من رأيه إذا أشار عليك فانما هي الاراء و تصرّف النّاس فيها و اختلافهم فكن عليه في رأيه بالخيار إذا اتّهمت رأيه فأما تهمته فلا تجوز لك إذا كان عندك ممّن يستحقّ المشاوره و لا تدع شكره على ما بدا لك من إشخاص رأيه و حسن وجه مشورته فاذا وافقك حمدت الله و قبلت ذلك من أخيك بالشكر و الارصاد بالمكافاه في مثلها إن فزع إليك و لا قوّه إلّا باللّٰه.

٤١ - و أما حقّ المستنصح فإنّ حقه أن تؤدّي إليه النصيحة على الحقّ الذى ترى له أنه يحمل و يخرج المخرج الذى يلين على مسامحه، و تكلمه من الكلام بما يطيقه عقله، فان لكلّ عقل طبقه من الكلام يعرفه و يجتنبه، و ليكن مذهبك الرّحمه، و لا قوّه إلاّ بالله.

٤٢ - و أما حقّ النّاصح فإنّ تلين له جناحك ثمّ تشرب له قلبك و تفتح له سمعك حتّى تفهم عنه نصيحته ثمّ تنظر فيها فان كان وفقّ فيها للصّواب حمدت الله على ذلك و قبلت منه و عرفت له نصيحته، و إن لم يكن وفقّ لها فيها رحمته و لم تتهمه و علمت أنّه لم يالك نصحا إلاّ أنّه أخطأ إلاّ أن يكون عندك مستحقا للتّهمه فلا تعباً بشيء من أمره على كلّ حال، و لا قوّه إلاّ بالله.

٤٣ - و أما حقّ الكبير فإنّ حقّه توقير سنّه و إجلال إسلامه إذا كان من أهل الفضل فى الاسلام بتقديمه فيه و ترك مقابله عند الخصام و لا تسبقه إلى طريق و لا تؤمه فى طريق و لا تستجهله و إن جهل عليك تحملت و أكرمته بحقّ إسلامه مع سنّه فإنّما حقّ السنّ بقدر الاسلام و لا قوّه إلاّ بالله.

٤٤ - و أمّا حقّ الصغير فرحمته و تثقيفه و تعليمه و العفو عنه و السّتر عليه و الرّفق به و المعونه له و السّتر على جرائمه فانه سبب للتوبه و المداراه له و ترك مماحكته فانّ ذلك أولى «أدنى» لرشده.

٤٥ - و أما حقّ السائل فإعطاؤه إذا تهيأت صدقه و قدرت على سدّ حاجته و الدّعاء له فيما نزل به و المعاونه له على طلبته، فان شككت فى صدقه و سبقت إليه التّهمه له و لم تعزم على ذلك لم تأمن أن يكون من كيد الشيطان أراد أن يصدّك عن حظك و يحول بينك و بين التقرب إلى ربك و تركته بستره و رددته ردا جميلا و إن غلبت نفسك فى أمره و أعطيته على ما عرض فى نفسك منه فانّ ذلك من عزم الامور ٤٦ - و أما حقّ المسئول فحقّه إن أعطى قبل منه ما أعطى بالشكر له و المعرفه لفضله و طلب وجه العذر فى منعه و أحسن به الظنّ و اعلم أنه إن منع ماله منع و ان

ليس التّريب في ماله و إن كان ظالما فإنّ الانسان لظلوم كفّار.

٤٧ - و أمّا حقّ من سرّك الله به و على يديه فان كان تعيّد هالك حمدت الله أولا ثمّ شكرته على ذلك بقدره في موضع الجزاء و كافأته على فضل الابتداء و أرصدت له المكافاه، فان لم يكن تعيّد لها حمدت الله و شكرت له و علمت أنّه منه توخّيدك بها و أحببت هذا إذا كان سببا من أسباب نعم الله عليك و ترجو له بعد ذلك خيرا فإنّ أسباب النعم بركه حيث ما كانت و إن كان لم يتعمّد، و لا قوّه إلّا بالله.

٤٨ - و أمّا حقّ من ساءك القضاء على يديه بقول أو فعل فان كان تعيّد لها كان العفو أولى بك لما فيه له من القمع و حسن الأدب مع كثير أمثاله من الخلق فإنّ الله يقول «و لمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل» إلى قوله «من عزم الأمور» و قال عزّ و جلّ «و إن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به و لئن صبرتم لهو خير للصّابرين» هذا في العمد فإن لم يكن عمدا لم تظلمه بتعمّد الانتصار منه فتكون قد كافأته في تعمّد على خطأ و رفقت به و رددته بالطف ما تقدّر عليه، و لا قوّه إلّا بالله.

٤٩ - و أمّا حقّ أهل ملّتك عامّه فاضمار السيّلامه و نشر جناح الرّحمة و الرّفق بمسيئهم و تألّفهم و استصلاحهم و شكر محسنهم إلى نفسه و إليك فإنّ إحسانه إلى نفسه إحسانه إليك إذا كف عنك أذاه و كفّاك مئنته و حبس عنك نفسه فعّمهم جميعا بدعوتك، و انصرهم جميعا بنصرتك، و أنزلهم جميعا منك منازلهم كبيرهم بمنزله الوالد و صغيرهم بمنزله الولد و أوسطهم بمنزله الأخ، فمن أتاك تعاهدته بلطف و رحمه وصل أخاك بما يجب للأخ «يحبّ الأخ» على أخيه.

٥٠ - و أمّا حقّ أهل الذّمّه فالحكم فيهم أن تقبل منهم ما قبل الله و كفى بما جعل الله لهم من ذمّته و عهده و تكلمهم إليه فيما طلبوا من أنفسهم و اجبروا عليه و تحكم فيهم بما حكم الله به على نفسك فيما جرى بينك من معاملته و ليكن بينك و بين ظلمهم من رعايه ذمّه الله و الوفاء بعهده و عهد رسوله صلّى الله عليه و آله و سلّم حایل، فإنّه بلغنا أنّه صلّى الله عليه و آله و سلّم قال: من ظلم معاهدا كنت خصمه، فاتّق الله و لا حول و لا قوّه إلّا بالله.

فهذه خمسون حقًا محيطًا بك لا تخرج منها في حال من الأحوال يجب عليك رعايتها والعمل في تأديتها والاستعانة بالله جلّ ثناؤه على ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله والحمد لله رب العالمين.

قال الشارح عفى الله عنه ووفقه لأداء حقوقه: و أنما أوردت الزوايه بتمامها مع كون صدرها خارجا عن الغرض لكثرة فوائدها و مزيد عوائدها فضننت بها عن الاسقاط و الاقتصار.

ثم أقول: النسخة التي رويت منها كانت غير خاليه عن السقم فرويت كما رأيت، فلعل الله يوفقني على إصلاحها و مقابلتها(1) فيما بعد بتحصيل نسخه صحيحه، و هو الموفق و المعين و به اعتمادي

الترجمه

از جمله خطبهای شریفه آن امام مبین و سید الوصیین است که خطبه خواند آن را در صفین می فرماید اما بعد از حمد خدا و نعت رسول خدا پس بتحقیق گردانیده است خدا از برای من بر شما حقّ بزرگی را بسبب صاحب اختیار بودن من بر امر شما، و از برای شماست بر من از حق مثل آن حقی که مراست بر شما، پس حق فراترین خیرهاست در مقام وصف کردن بعضی با بعضی اوصاف آن را، و تنگ ترین چیزهاست

ص: ۱۴۶

۱- (۱) - قلت: إن لم يوفق الشارح المصنّف «قد» للإصلاح و المقابله فقد وفّقني الله تعالى و له الحمد لذلك و قابلت النسخه بنفس المصدر كتاب تحف العقول على النسخه المصحّحه التي نشرها أخيرا الأخ الأعزّ و الفاضل الفذّ على أكبر الغفاري عامله الله بلطفه الخفي و الجلي، فظهر بعد المقابله أنّ نسخه المصنّف كانت كثيره السقم كثيره الخطاء مع ما فيها من الاسقاط، فإنّ الواحد و الثلاثين من الحقوق و هو حقّ الجار إلى آخره، و كذا الواحد و الأربعين و هو حقّ المستنصح إلى آخره كانا ساقطين ظاهرا عن نسخه المصنّف بتمامهما و لذا لم يذكر في الطبعه الأولى، فان كنت في ريب مما ذكرنا فعليك بتطبيق هذه النسخه مع المطبوعه أوّلا يظهر لك صحّه ما ادّعينا، و صدق ما قلناه و الله الموفق للسداد «المصحح»

در مقام انصاف کردن بعضی مر بعضی را، جاری نمی شود آن حق از برای منفعت اُحدی مگر این که جاری شود بر ضرر او، و جاری نمی شود بر ضرر او مگر این که جاری شود از برای منفعت او و اگر باشد از برای کسی که جاری شود حقّ او بر غیر و حقّ غیر بر او جاری نشود هر آینه باشد و مختص بخداوند سبحانه بدون خلق او از جهت قدرت او بر بندگان خود و از جهت عدالت او در هر چیزی که جاری شد بر آن چیز اقسام قضا و حکم او، و لیکن گردانید خدای تعالی حقّ خود را بر بندگان این که اطاعت او نمایند، و گردانید جزای طاعت ایشان را بر خود این که ثواب ایشان را بالمضاعف کند از حیثیت تفضّل و احسان و از روی وسعت دادن با چیزی که خود اهل اوست از زیاده کردن جزا پس گردانید حق سبحانه و تعالی از جمله حقوق خود حقوقی را که واجب گردانیده است آنها را از برای بعضی از مردمان بر بعضی، پس گردانید آنها را متساوی و متقابل در جهات آنها و باعث می شود بعضی از آنها به بعضی و مستحق نمی شود بعضی را مگر بعوض بعضی و بزرگترین چیزی که واجب گردانید حق سبحانه و تعالی از این حقوق حق والی و پادشاهست بر رعیت، و حقّ رعیت است بر والی و پادشاه فریضه ایست که فرض کرده خدای سبحانه و تعالی آنرا از برای هر یکی از والی و رعیت بر دیگری، پس گردانید آن حقّ را سبب نظم از برای الفت ایشان و مایه عزّت از برای دین ایشان، پس صلاح نمی یابد حال رعیت مگر بصلاح حال پادشاهان و صلاح نمی یابد حال پادشاهان مگر بانتظام امر رعیت.

پس وقتی که ادا کند رعیت بوالی حقّ او را که اطاعت و فرمان برداریست و ادا کند والی برعیت حقّ او را که عدالت و دادرسی است عزیز می شود حقّ در میانه ایشان، و مستقیم می شود راههای دین، و معتدل می شود علامتهای عدالت، و جاری می شود سنن شرعیه بر راههای خود پس صلاح می یابد بسبب این روزگار، و امیدواری می شود در دوام و بقاء سلطنت، و مأیوس می گردد جایگاه طمع دشمنان.

و وقتی که غالب گردد و تمرد نماید رعیت بر پادشاه خود، یا ظلم و تعدی کند پادشاه بر رعیت خود مختلف می شود در آن وقت سخنان، و آشکار گردد علامتهای ظلم و ستم، و بسیار گردد دغل و مفاسد در دین، و ترک شود جاذبه سنن شرعیّه، پس عمل کرده می شود بخواهشات نفسانیّه، و معطل گردد احکام شرعیّه نبویّه، و بسیار شود ناخوشیهای نفسها، پس استیحاş نمی شود یعنی مردم وحشت نمی کنند از بزرگ حقی که تعطیل افتد، و نه از بزرگ باطلی که آورده شود، پس در آن وقت ذلیل و خار گردند نیکوکاران، و عزیز گردد بدکرداران، و بزرگ می شود مظالم خدا بر ذمه بندگان.

پس بر شما باد نصیحت کردن یکدیگر را در آن حق واجب و معاونت خوب همدیگر بالای آن پس نیست احدی و اگر چه شدید باشد در تحصیل رضای خدا عرض او، و دراز باشد در عمل سعی و تلاش او که برسد حقیقت آن چیزی را که خدای تعالی اهل و سزاوار اوست از اطاعت و عبادت، و لیکن از حقوق واجبه خدا بر بندگان نصیحت کردنست بمقدار طاقت ایشان و اعانت کردن یکدیگر است برپا داشتن حق و عدل در میان خودشان.

و نیست مردی و اگر چه بزرگ شود در حق گذاری مرتبه او و مقدم باشد در دین داری فضیلت او بالا-تر از این که اعانت کرده شود بر چیزی که بار کرده است خدا بر او از حق خود، یعنی البته محتاج است بمعین.

و نیست مردی اگر چه کوچک شمرده باشد او را نفسها و حقیر دیده باشد او را چشمها پست تر از این که اعانت کند بر آن حق یا اعانت کرده شود بر آن

الفصل الثانی

اشاره

قال السيد رضی اللہ عنہ: فأجابه عليه السّلام رجل من أصحابه بكلام طويل يكثر فيه الثناء عليه و يذكر سمعه و طاعته له عليه السّلام.

ص: ۱۴۸

إِنَّ مِنْ حَقٍّ مِنْ عَظَمِ جَلَالِ اللَّهِ فِي نَفْسِهِ، وَ جَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ، أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ لِعَظَمِ ذَلِكَ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَ إِنَّ أَحَقَّ مِنْ كَانَ كَذَلِكَ لِمَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَ لَطْفَ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَمْ تَعْظَمْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا أَزْدَادَ حَقَّ اللَّهِ عَلَيْهِ عَظَمًا. وَ إِنَّ مِنْ أَسْخَفِ حَالَاتِ الْوِلَايَةِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ أَنْ يَظُنَّ بِهِمْ حَبَّ الْفَخْرِ، وَ يَوْضِعَ أَمْرَهُمْ عَلَى الْكِبَرِ، وَ قَدْ كَرِهَتْ أَنْ يَكُونَ جَالٌ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أَحَبُّ الْإِطْرَاءِ، وَ اسْتِمَاعِ الثَّنَاءِ، وَ لَسْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ كَذَلِكَ، وَ لَوْ كُنْتُ أَحَبَّ أَنْ يَقَالَ ذَلِكَ لَتَرَكْتُهُ انْحِطَاطًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعَظَمَةِ وَ الْكِبَرِيَاءِ، وَ رَبَّمَا اسْتَحْلَى النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلَاءِ، فَلَا تَتَنَوَّاهُ عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ لِإِخْرَاجِي نَفْسِي إِلَى اللَّهِ وَ إِلَيْكُمْ مِنَ الْبَقِيَّةِ فِي حَقِّهِ لَمْ أَفْرَغْ مِنْ أَدَائِهَا، وَ فَرَائِضَ لَا- بَدَّ مِنْ إِمْضَائِهَا. فَلَا- تَكَلِّمُونِي بِمَا تَكَلِّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةَ، وَ لَا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يَتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ، وَ لَا تَخَالِطُونِي بِالصَّنَاعَةِ، وَ لَا تَظُنُّوا بِي [بِهِ] اسْتِثْقَالًا فِي حَقِّ قِيلَ لِي، وَ لَا التَّمَسُّسَ بِإِعْظَامِ لِنَفْسِي، فَإِنَّهُ مِنْ اسْتِثْقَالِ الْحَقِّ أَنْ يَقَالَ لَهُ، أَوْ الْعَدْلُ أَنْ يَعْرِضَ عَلَيْهِ، كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ، فَلَا تَكْفُّوا عَنْ مَقَالِهِ بِحَقِّ، أَوْ مَشُورِهِ بَعْدَ، فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي

بفوق أن أخطئ، ولا آمن ذلك من فعلى إلا أن يكفى الله من نفسى ما هو أملك به منى، فإنما أنا و أنتم عبيد مملوكون لرب لا رب غيره، يملك منا ما لا نملك من أنفسنا، و أخرجنا مما كنا فيه إلى ما صلحنا عليه، فأبدلنا بعد الضلاله بالهدى، و أعطانا البصيره بعد العمى.

اللغه

(صغر) الشئ يصغر من باب شرف صغرا و زان عنب إذا صار صغيرا و صغر صغرا من باب تعب إذا ذلّ و هان قال تعالى: و هم صاغرون، أى داخرون ذليلون و (عظم) الشئ بالضم أيضا عظما كعنب إذا صار عظيما و (سحف) سحفا و سخافه و زان قرب قربا فهو سخيّف و فلان فى عقله سحف أى نقص، و قال الخليل: السّحف فى العقل خاصّه و السخافه فى كلّ شئ.

و (اطريت) فلانا مدحته بأحسن ما فيه و قيل: بالغت فى مدحه و جاوزت الحدّ و قال السّرقسطى فى باب الهمز و الياء أطرأته مدحته و أطريته أثّنت عليه.

و قوله:(من البقيّه) بالباء الموحّده كما فى نسخه الشّارح المعتزلى و غيرها من بقى الدّين كذا فضل و تأخّر، و البقيّه اسم منه و الجمع بقايا و بقيّات مثل عطيه و عطايا و عطيات، و المنقول من خطّ الرضى من التقيه بالتاء المثناه و (البادره) الحدّه و الكلام الذى يسبق من الانسان فى حاله الغضب و (المصانع) الرّشوه و المداراه و (كفه) عن المكروه أى صرفه فكفّ هو أى انصرف يستعمل متعدّيا و لازما.

الاعراب

قوله: من حقّ خبر أنّ قدّم على اسمها و هو قوله ان يصغر، و هو مؤوّل بالمصدر و الواو فى و أنّ أحقّ آه حرف قسم حذف المقسم به و جواب القسم قوله: لمن عظمت، و يحتمل أن تكون للعطف فتكون اللام فى لمن تأكيدا.

و قوله: و قد كرهت أن يكون جال فى ظنكم أنّى احبّ، يكون زايده بعد

أن النَّاصِبَ جيءَ بها لمحض اصلاح اللَّفْظِ و تصحيح دخول أن النَّاصِبَ و إلا فلا حاجة اليها من حيث المعنى، و الدَّلِيلُ على زيادتها أنَّها لم تعمل شيئاً أصلاً و مثلها في الزَّيَادَةِ قول أم عقيل ابن أبي طالب و هي ترقصه:

أنت تكون ماجد بليل إذا تهبَّ شمال بليل

و جملة أن يكون حال في محلَّ النَّصْبِ مفعول كرهت، و جملة أني أحبَّ فاعل جال و قوله: و لست بحمد الله كذلك، الباء في بحمد الله إما للمصاحبة و الجار و المجرور في موضع الحال أي لست كذلك مصاحبا بحمده أي حامدا له تعالى على حدِّ قوله تعالى «فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ» أي سَبِّحْ حامدا له أي نَزِّهْ عَمَّا لَا يَلِيْقُ به و اثبت له ما يليق و إمّا للاستعانة على أنَّه من اقامه المسبَّب مقام السَّبِّبِ كما قاله بعض علماء الأديب في سبحانك اللهم و بحمدك، إنَّ المعنى و بمعاونتك التي هي نعمه توجب على حمدك سبحتك لا بحولي و قوتي، و على هذا فيكون المعنى لست كذلك باعانتك التي توجب حمده تعالى.

و قوله: انحطاطا لله، مفعول لأجله لتركته، و عن تناول متعلِّق بانحطاطا و اضافته تناول إلى ما من اضافته المصدر إلى مفعوله، و قوله: لاخراجي علّه للمنفى، لا للنفى و قوله: في حقوق، متعلِّق بالبقية و الفاء في قوله فلا تكلموني، فصيحه.

و قوله فأنه من استثقل الحقَّ أن يقال له، الضمير في أنه للشأن و أن يقال له بدل من الحقَّ بدل اشتغال و كذلك ان يعرض عليه بدل من العدل، و الباء في قوله:

بفوق، زايده للتأكيد و زيادتها في خبر ليس مطرده، و الفاء في قوله: فابدلنا آه، عاطفه للتفصيل على الإجمال.

المعنى

إشارة

اعلم أنه عليه السَّلام لما خطب بما تقدّم في الفصل الأول (فأجابه عليه السَّلام رجل من أصحابه بكلام طويل يكثر فيه الثناء عليه و يذكر سمعه و طاعته له) و ستطلع على كلام هذا الرجل في التكملة الاتية انشاء الله تعالى.

قال المحدّث العلامة المجلسي في البحار عند روايه هذه الخطبه من الكافي:

ص: ١٥١

الظاهر أنّ هذا الرجل كان الخضر عليه السّلام وقد جاء فى مواطن كثيره و كلّمه عليه السّلام لاتمام الحجّه على الحاضرين، و قد أتى بعد وفاته عليه السّلام و قام على باب داره و بكى و أبكى و خاطب عليه السّلام بأمثال تلك الكلمات و خرج و غاب عن النّاس.

أقول: و يؤيّد ما يأتى فى روايه الكافى من أنّه لم يكن رأى فى عسكره عليه السّلام قبل هذا اليوم و لا بعده، و كيف كان فلمّا سمع عليه السّلام كلامه (فقال عليه السّلام) مجيبا له:

(إنّ من حقّ من عظم جلال الله فى نفسه و جلّ موضعه من قلبه أن يصغر عنده لعظم ذلك كلّ ما سواه) فإنّ من كمل معرفته بالله و شاهد عظمته و جلاله و كبرياءه لا يبقى لغيره وقع فى نظره، لما ظهر من جلاله تعالى كما قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فى ما رواه عنه صلّى الله عليه و آله و سلّم فى احياء العلوم: لا يبلغ عبد حقيقه الايمان حتّى ينظر النّاس كالأباعر فى جنب الله ثمّ يرجع إلى نفسه فيجدها أحقر حقير.

(و أنّ أحقّ من كان كذلك لمن عظمت نعمه الله عليه و لطف احسانه اليه) يعنى أحقّ النّاس بتعظيم جلال الله و تصغير ما سواهم الأئمه عليهم السّلام لعظم نعمه الله عليهم و كمال معرفتهم بجلال ربّهم، فحقّ الله تعالى عليهم أعظم من غيرهم فينبغى أن يصغر عندهم أنفسهم فلا يحبّوا الثناء و الاطراء.

أو أنّ من عظمت نعمه و لطفه و احسانه إليه فهو أحقّ و أجدر بأن يعظم جلال الله و يجلّ محلّه فى قلبه، و من كان كذلك فيضمحلّ عند ملاحظه جلاله و مشاهدته عظمه غيره، فلا يكون له التفات و توجه إلى الخلق فى أعماله حتّى يطلب رضاهم و مدحهم و ثناءهم.

و من هنا لما قال الحواريّون لعيسى عليه السّلام ما الخالص من الأعمال؟ فقال: الذى يعمل لله تعالى لا يحبّ أن يحمده عليه أحد.

و قال بعضهم: الاخلاص نسيان رؤيه الخلق بدوام النظر إلى الخالق فقط، و قال آخر: هو اخراج الخلق عن معاملته الرّب.

و يؤيّد الثّانى تعليله بقوله (فأنّه لم تعظم نعمه الله على أحد إلّا ازداد حقّ الله عليه عظما) و أعظم حقّه هو الاخلاص كما قال «و ما أمّروا إلّا ليُعبدوا الله مُخْلِصِينَ»

«لَهُ الدِّينَ» «فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا».

(وإن من أسخف حالات الولاء عند صالح الناس أن يظن بهم حب الفخر).

لظهور مخائل حبه عليهم، و ذلك لضعف عقولهم و حُبهم للجاء و المنزله عند الناس و للثناء و المحمده منهم.

و النكته فى محبتهم لذلك هو ارتياح النفس و التذاذ القلب به و ميل الطبع اليه بسبب استشعار الكمال من قول المادح، و ذلك لأن الكمال محبوب، و كل محبوب فادراكه لذيد، فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت و تلذذت فالمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها.

فإن الوصف الذى يمدح به إما أن يكون جليا ظاهرا كوصفه بأنه طويل القامة و حسن الوجه، أو خفيا مشكوكا كوصفه بالقدرة و الشجاعه و السخاوه، و الالتذاذ بالأول أقل و بالثانى أعظم، لأن الانسان ربما يكون شاكا فى كمال قدرته و شجاعته و سخاوته، و بمدح غيره له بذلك يرتفع شكه و يحصل له الطمأنينه باستشعار ذلك الكمال، فتعظم لذته لا سيما إذا كان المادح من أهل الخبرة فهذا هو النكته فى حب الجاء و الفخر و الثناء.

و أيضا فإن المدح يدل على حشمه الممدوح و اضطرار المادح إلى اطلاق اللسان بحمده، و مدحه إما عن طوع أو عن قهر و الحشمه أيضا لذيده لما فيها من القهر و القدرة و السلطنه، و هذه اللذه تحصل و إن كان المادح فى الباطن غير معتقد بما مدح به لأن اضطراره إلى مدحه و وصفه نوع قهر و استيلاء عليه، فيورث ذلك حب الولاء للمحمده و الثناء.

و إنما جعله من أسخف الحالات، لأن من غلب على قلبه حب الجاء و المنزله و الفخر صار همته مقصورا على ملاحظه الخلق و مراعاتهم فى أقواله و أفعاله ملتفتا إلى ما يوجب وقعه فى نظرهم و منزلته عندهم و رضائهم منه رجاء لمدحهم و خوفا من ذمهم و هذا من محض ضعف العقل و قصوره.

لأنَّ هذه الصفه التي يحبّ المدح بها إما أن يكون متّصفا بها واقعا أم لا فان كان متّصفا بها فهي إما من الكمالات النفسانيه كالقدره و الشجاعه و العداله، أو ليست من الكمالات النفسانيه بل من الأعراض الدنيويه كالثروه و الجلال و الشوكه و نحوها.

أما الأعراض الدنيويّه فالفرح بها كالفرح بما أنبت الأرض من النبات الذي يصير عن قريب هشيما تذروه الرياح، و هذا من قلّه عقل العاقل فلا- ينبغى أن يفرح بما هو فى معرض الزوال و الفناء، و ان فرح فلا- ينبغى أن يفرح بمدح المادح بل بوجوده و المدح ليس سبب وجوده.

و أما الكمالات النفسانيه فينبغى أن يكون فرحه فيها بفضل الله تعالى أيضا لا بمدح المادح، فإنّ اللذه فى استشعار الكمال و الكمال موجود بفضل الله لا بمدح المادح و المدح تابع له و ان لم يكن متّصفا بها واقعا فحبّ المدح بها غايه الجنون، و مثله كمثّل من يهزء به إنسان و يقول له: سبحان الله ما أكثر العطر الذى فى أحشائك و ما أطيب الروائح التى تفوح منك إذا قضيت حاجتك، و هو يعلم ما تشتمل عليه أمعاؤه من الأقدار و الأنتان و مع ذلك فيفرح بمدحه فاذا المادح إن كان صادقا فليكن فرحه بصفته الّتى هى من فضل الله و إن كان كاذبا فينبغى أن يغمّه مدحه حيث إنه يستهزء به و يستسخر منه فكيف يفرح به.

و أمّا الحشمه الّتى اضطرت المادح إلى المدح فمرجعها أيضا إلى قدره عارضه لا ثبات لها، فعلم بذلك أنّ حبّ الفخر من أسخف حالات الولاه.

(و) من أسخف حالا-تهم أيضا أن (يوضع أمرهم على الكبر) أى يتّهموا بالكبر لاستعظامهم لأنفسهم و استحقارهم لغيرهم و ترفعهم عليه و انفهم من عباداتهم و هو ايضا من ضعف العقل لأنّ الكبر و العزّ و العظمه و الجلال لا- يليق إلّا- بالقادر القاهر مالك الملك و الملكوت فأين يليق به العبد الضعيف المسكين المستكين الذى لا يملك لنفسه موتا و لا حياتا و لا نشورا.

فالوالى المتكبر منازع لله تعالى فى صفه لا يليق إلا بجلاله مثل الغلام الذى أخذ قلنسوه الملك فوضعها على رأسه و جلس على سريره فما أعظم استحقاقه للمقت و الخزى و ما أقبح ما تعاطاه و أشد جرأته على مولاه و أفحش سفهه عند أهل البصيره هذا.

و لما ذكر اجمالاً أنّ المشاهد لجمال الربوبية يصغر فى نظره ما سواه و أنّ أحقّ الناس بمشاهده جلاله و استصغار غيره هو من فاز لعظيم نعمه المعرفه و عقبه بذكر حاله الولاه من حبهم للفخر و الكبر و اتّهامهم بذلك.

أردف ذلك بالتصريح على براءه نفسه القدسيه من هذه الحالات و نزاهته عن حبّ الاطراء و الثناء بمقتضى مشاهدته لجلال الربّ تعالى فقال:

(وقد كرهت أن يكون جال فى ظنكم أنى أحبّ الاطراء) أى المجاوزه عن الحدّ فى المدح و المبالغه فيه (و استماع الثناء) قال بعض الشارحين: جولان الظنّ حصول المعنى فى النفس من غير إذعان كامل، و كراهته عليه السلام له يدلّ على كراهته للاذعان التام بطريق أولى.

(و لست بحمد الله كذلك) أى محبا لها (و لو كنت أحبّ أن يقال ذلك) أى لو أحببت الاطراء و الثناء و التعظيم و التبجيل بما فيه من التذاذ النفس (لتركت) قطعاً (انحطاطاً لله) و تذلاًّ لأجله و تصاغراً (عن تناول ما هو أحقّ به) منى و من كلّ أحد (من العظمه و الكبرياء) و يحتمل أن يكون أحقّ بمعنى حقيق غير مراد به التفضيل كما فى قولهم العسل أحلى من الخلّ و هو الأظهر بل أولى لأنّ العظمه و الكبرياء لا يليق إلا به تعالى كما قال فى الحديث القدسى: الكبرياء ردائي و العظمه إزارى فمن نازعنى واحدا منهما ألقيته فى جهنّم و لا ابالى.

و فى كلامه عليه السلام إشاره إلى أنّ الاطراء و الثناء يجران إلى الكبر و ذلك أنّ المادح إذا بالغ فى المدح و ذكر مناقب الممدوح و محاسنه و اثنى عليه بها يورث ذلك فى الممدوح الارتياح و الاهتزاز و استعظامه لنفسه بما فيها من المناقب و المحاسن و استحقاره بغيره لخلوّه منها، و ليس الكبر إلا عبارته عن ذلك.

(و ربما استحلّى الناس الثناء بعد البلاء) أى استحلّى من أبلى بلاء حسنا من الولاه و غيرهم أن يمدح و يثنى عليه بعد ابتلائه بالشدائد و مكائده المشاق.

قال الشارح البحرانى: هذا يجرى مجرى تمهيد العذر لمن أثنى عليه فكأنه عليه السّلام يقول: و أنت معذور حيث رأيتنى أجاهد فى سبيل الله و أحتّ الناس على ذلك و من عادته النَّاس أن يستحلوا الثناء عند أن يبلوا بلاء حسنا فى جهاد أو غيره من الطاعات.

ثم أجاب عليه السّلام عن هذا العذر بقوله (فلا تثنوا علىّ بجميل ثناء لاخراجى نفسى إلى الله و إليكم من البقيّة فى حقوق لم أفرغ من أدائها و فرائض لا بدّ من امضاؤها) أى لا تثنوا علىّ لأجل ما ترونه منّى من طاعه الله فإنّ ذلك أنما هو لاخراج نفسى إلى الله من حقوقه الباقية علىّ لم أفرغ بعد من أدائها، و هى حقوق نعمه و فرائضه الّتى لا بدّ من المضىّ فيها و كذلك إليكم من الحقوق الّتى أوجبها الله من النصيحة فى الدّين و الارشاد إلى الطريق الأفضل و التعظيم لكيفيّة سلوكه.

و فى المنقول من خط الرضى من التقيّة بالتاء و المعنى فإنّ الذى أفعل من طاعه الله إنما هو لاخراج نفسى إلى الله و إليكم من تقيّة الخلق فيما يجب علىّ من الحقوق إذ كان عليه السّلام إنّما يعبد الله لله غير ملتفت فى شىء من عبادته و أداء واجب حقّه إلى أحد سواه خوفا منه أو رغبة إليه أو المراد بها التقيّة الّتى كان يعملها فى زمن الخلفاء الثلاثة و تركها فى أيام خلافته، و كأنه قال: لم أفعل شيئا إلّا و هو أداء حقّ واجب علىّ و إذا كان كذلك فكيف أستحقّ أن يثنى علىّ لأجل إتيان الواجب بثناء جميل، و اقابل بهذا التعظيم، و هو من باب التواضع لله و تعظيم كيفيه أداء حقّه، و كسر للنفس عن محبّه الباطل و الميل اليه.

و لما نهاهم عن الثناء عليه أردف بتعليمهم كيفيه سلوكهم معه عليه السّلام قولا و فعلا فقال عليه السّلام.

(فلا- تكلموني بما تكلم به الجبار) و الظلمه أى لا- تكلموني بكلام متضمن للتملق لى و التودد الى كما يتكلم به عند أهل الغرور و النخوه من المتجبرين العتاه (و لا تحفظوا منى بما يتحفظ به عند أهل البادره) أى لا تحزوا منى بما يتحز به عند أهل الهده من الملوك و السلاطين و الامراء، فان الناس إنما يتحفظون عنهم و يتكلمون عندهم حقاً أو بأطلا بما يعجبهم و يوافق مذاقهم من الشاء و الاطراء و الملق، و يحتشمون منهم و يقومون بين أيديهم و يخضعون لهم، كل ذلك خوفا من سطوتهم و توقيا من سورتهم.

(و لا تخالطوني) و عن بعض النسخ لا تخاطبوني بدله (بالمصانعه) أى بالرشوه و المداراه، و قال بعض الشارحين: المصانعه أن تصنع لأحد شيئا ليصنع لك شيئا آخر و الغرض النهى عن المخالطه أو المخاطبه بحسب ما يروونه صلاحا فى حصول أغراضهم أو ما يعجبه عليه السلام على زعمهم.

(و لا تظنوا بى استقلا فى حق لى و لا التماس إعظام لنفسى) أى لا يذهب ظنكم إلى أن فى توانيا من الحق الذى قيل لى، و انى أعدّه ثقيلاً على، و لا إلى أنى أطلب من الخلق التعظيم لنفسى، و ذلك لأنه مع الحق و الحق معه يدور معه كيف دار و لمعرفته بمن هو أهل للاعزاز و أحق به لاختصاصه بالعظمه و الكبرياء فقط جلّ جلاله دون غيره حسبما صرح به سابقا، و من هذا شأنه فكيف يستثقل الحق و يلتمس الاعظام.

(فأنه من استثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه كان العمل بهما أثقل عليه) يعنى من كان استماع الحق و العدل ثقيلاً عليه عند إظهارهما عليه كان عمله بهما أثقل و أشق، لكن شيئا منهما ليس ثقيلاً عليه فضلا عن إصغائه إليه، بل المعلوم من حاله عليه السلام مضافا إلى شهادته قوله تعالى «وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ» النازل فيه و فى الأئمه من ذريته عليه و عليهم السلام مواظبته على الحق و العدل فى جميع حالاته.

و لما نهاهم عن التحفظ منه و تبهم على عدم ثقل استماع القول الحق

و العدل عليه كعدم ثقل عمله بهما فرع عليه قوله (فلا- تكفّوا عن مقاله بحق) أى لا تمسكوا عنها و فيه تطف لهم (أو مشوره بعدل) و فيه تطيب لقلوبهم و لهذه النكته أيضا أمر الله نبيّه صلى الله عليه و آله و سلّم فى قوله «و شاورهم فى الأمر» بالتشاور من دون حاجه لأحد منهما إلى استخراج الوجه بالمشاوره لعلمهما بوجوه المصالح جميعا فى الحرب و غيرها.

و أمّا التعليل بقوله (فأنتى لست فى نفسى بفوق ان اخطى و لا آمن ذلك من فعلى إلا أن يكفى الله من نفسى ما هو أملك به منى) فأنما هو من الانقطاع إلى الله و التواضع الباعث لهم على الانبساط معه بقول الحقّ و عدّ نفسه من المقصّرين فى مقام العبوديّة و الاقرار بأنّ عصمته عليه السّلام من نعمه تعالى.

و ليس اعترافا بعدم العصمه كما يتوهم بل ليست العصمه إلاّ ذلك فأنّها عباره عن أن يعصم الله العبد من ارتكاب الخطاء و المعصيه و قد أشار إليه بقوله: إلاّ أن يكفى الله، على حدّ قول يوسف الصديق عليه السّلام «و ما أبرء نفسى إنّ النفس لأماره بالسوء إلاّ ما رحم ربّى» و أراد بقوله ما هو أملك به العصمه من الخطاء فأنّه تعالى أقدر على ذلك للعبد من العبد نفسه ثمّ اتبعه بمزيد الهضم و سوّى بينهم و بينه و قال (فأنما أنا و أنتم عبيد مملوكون لربّ لا ربّ غيره يملك منّا ما لا نملك من أنفسنا) و يعصمنا ممّا لا نقدر أن نعتصم منه بأنفسنا من مكاره الدّنيا و الاخره (و أخرجنا ممّا كنّا فيه) من الجهاله و عدم العلم و المعرفه (إلى ما صلحنا عليه) من الكمالات التى يشرها لنا ببعثه الرّسول صلى الله عليه و آله و سلّم (فأبدلنا بعد الضّلاله بالهدى و أعطانا البصيره بعد العمى).

قال الشّارح المعتزلى: ليس هذا إشاره إلى خاصّ نفسه لأنّه لم يكن كافرا فأسلم، و لكنّه كلام يقوله و يشير به إلى القوم الذين يخاطبهم من إفاء الناس فيأتى بصيغه الجمع الدّاخله فيها نفسه توسّعا، و يجوز أن يكون معناها لولا ألطاف الله تعالى ببعثه محمّد صلى الله عليه و آله و سلّم لكنت أنا و غيرى على مذهب الأسلاف.

هذه الخطبه رواها ثقه الاسلام الكليني في كتاب الروضه من الكافي و السند على بن الحسن المؤدّب عن أحمد بن محمد بن خالد و أحمد بن محمد بن علي بن الحسن التميمي «التميمي» جميعا عن إسماعيل بن مهران قال: حدّثنى عبد الله بن الحرث عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس بصفتين فحمد الله و أثنى عليه و صلّى على محمد النّبي صلّى الله عليه و آله و سلّم ثم قال عليه السلام:

أمّا بعد فقد جعل الله لى عليكم حقّا بولايه أمركم و منزلتى الّتى أنزلنى الله عزّ ذكره بها منكم و لكم على من الحقّ مثل الّذى لى عليكم، و الحقّ أجمل الأشياء فى التراصف «التواصف» و أوسعها فى التناصف لا يجرى لأحد إلّا جرى عليه، و لا يجرى عليه إلّا جرى له، و لو كان لأحد أن يجرى ذلك له و لا يجرى عليه لكان ذلك لله عزّ و جلّ خالصا دون خلقه، لقدرته على عباده، و لعدله فى كلّ ما جرت عليه ضروب قضائه، و لكن جعل حقّه على العباد أن يطيعوه، و جعل كفارتهم عليه حسن الثواب تفضّلا منه و تطوّلا بكرمه و توسّعا بما هو من المزيد له أهل، ثم جعل من حقوقه حقوقا فرضها لبعض الناس على بعض، فجعلها تتكافا فى وجوهها و يوجب بعضها بعضا، و لا يستوجب بعضها إلّا ببعض فأعظم ما افترض الله تبارك و تعالى من تلك الحقوق حقّ الوالى على الرّعيّه و حقّ الرّعيّه على الوالى فريضه فرضها الله عزّ و جلّ لكلّ على كلّ فجعلها نظام الفتهم و عزّا لدينهم و قواما لسنن الحقّ فيهم، فليست تصلح الرعيه إلّا بصلاح الولاه، و لا تصلح الولاه إلّا باستقامه الرعيّه.

فاذا أدّت الرّعيه إلى الوالى حقّه و أدّى إليها الوالى كذلك عزّ الحقّ بينهم، فقامت مناهج الدين و اعتدلت معالم العدل، و جرت على اذلالها السنن، و صلح بذلك الزّمان و طاب به العيش و طمع فى بقاء الدوله و يئست مطامع الأعداء.

و إذا غلبت الرّعيه و اليهم و علا الوالى الرّعيه اختلفت هنا لك الكلمه

و ظهرت مطامع الجور و كثر الادغال فى الدّين و تركت معالم السنن، فعمل بالهوى و عطلت الاثار و كثرت علل النفوس و لا يستوحش لجسيم حدّ عطل و لا لعظيم باطل اثل، فهنا لك تذلل الأبرار، و تعزّ الأشرار، و تخرب البلاد، و تعظم تبعات الله عزّ و جلّ عند العباد.

فهلّم أيّها الناس إلى التعاون على طاعه الله عزّ و جلّ و القيام بعد له و الوفاء بعهدّه و الانصاف له فى جميع حقّه، فانه ليس العباد إلى شىء أحوج منهم إلى التناصح فى ذلك و حسن التعاون عليه، و ليس أحد و إن اشتدّ على رضاء الله حرصه و طال فى العمل اجتهاده ببالغ حقيقه ما أعطى الله من الحقّ أهله، و لكن من واجب حقوق الله عزّ و جلّ على العباد النصيحة له بمبلغ جهدهم، و التعاون على اقامه الحقّ بينهم.

و ليس امرء و إن عظمت فى الحقّ منزلته و جسمت فى الخلق فضيلته بمستغن عن أن يعان على ما حمله الله عزّ و جلّ من حقّه، و لا لامرؤ مع ذلك خسأت به الأمور و اقتحمته العيون بدون ما أن يعين على ذلك أو يعان عليه و أهل الفضيله فى الحال و أهل النعم العظام أكثر من ذلك حاجه و كلّ فى الحاجه إلى الله عزّ و جلّ شرع سواء «فأجابه عليه السّلام رجل من عسكريه لا يدري من هو و يقال: إنّه لم ير فى عسكريه قبل ذلك اليوم و لا بعده، فقام و أحسن الثناء على الله عزّ و جلّ بما أبلاهم و أعطاهم من واجب حقّه عليهم و الاقرار بما ذكر من تصرّف الحالات به و بهم ثمّ قال:

أنت أميرنا و نحن رعيّتك بك أخرجنا الله عزّ و جلّ من الذلّ و باعزازك اطلق على عباده من الغل، فاختر علينا فامض اختيارك و ائتمر فامض ائتمارك فانّك القائل المصدّق و الحاكم الموفق و الملك المخول لا نستحلّ فى شىء من معصيتك و لا نقيس علما بعلمك يعظم عندنا فى ذلك خطرک و يجلّ عنه فى أنفسنا فضلك».

فأجابه أمير المؤمنين عليه السّلام: إنّ من حقّ من عظم جلال الله فى نفسه و عظم موضعه

من قلبه أن يصغر عنده لعظم ذلك كل ما سواه، وإنَّ أحقَّ من كان كذلك لمن عظمت نعم الله عليه و لطف إحسانه إليه فأنه لم تعظم نعم الله تعالى على أحد إلاَّ ازداد حق الله عليه عظما.

و إنَّ من أسخف حالات الولاه عند صالح النَّاس أن يظنَّ بهم حبَّ الفخر و يوضع أمرهم على الكبر، و قد كرهت أن يكون جال في ظنكم أني أحبَّ الاطراء، و استماع الثناء، و لست بحمد الله كذلك، و لو كنت أحبَّ أن يقال ذلك لتركته انحطاطا لله سبحانه عن تناول ما هو أحقَّ به من العظمه و الكبرياء، و ربَّما استحلى الناس الثناء بعد البلاء، فلا تشنوا علىَّ بجميل ثناء لاخراجي نفسي إلى الله و إليكم من البقيته في حقوق لم افرغ من أدائها و فرائض لا بدَّ من إمضائها.

فلا- تكلموني بما تكلم به الجبابره و لا- تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند أهل البادره و لا تخالطوني بالمصانعه، و لا تظنوا بي استثقالا في حقَّ قيل لي و لا التماس إعظام لنفسي لما لا يصلح لي فأنه من استثقل الحقَّ أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه كان العمل بهما أثقل عليه، فلا تكفوا عن مقاله بحقَّ أو مشوره بعدل فأنني لست في نفسي بفوق أن اخطي و لا آمن ذلك من فعلى إلاَّ- أن يكفى الله من نفسي ما هو أملك به مني، فأنما أنا و أنتم عبيد مملوكون لربِّ لا ربَّ غيره، يملك منّا ما لا نملك من أنفسنا و أخرجنا ممّا كنا فيه إلى ما صلحنا عليه فأبدلنا بعد الضلاله بالهدى و أعطانا البصيره بعد العمى.

«فأجابه الرَّجل الّذى أجابه من قبل فقال: أنت أهل ما قلت و الله فوق ما قلته فبلاؤه عندنا ما لا يكفر، و قد حملك الله تعالى رعايتنا و ولاك سياسه أمورنا فأصبحت علمنا الّذى نهتدي به، و إما منا الّذى نفتدي به، و أمرك كلّ رشد، و قولك كلّ أدب، قد قرّرت لك في الحياه أعيننا، و امتلأت بك من سرور قلوبنا، و تحيّرت من صفه ما فيك من بارع الفضل عقولنا، و لسنا نقول لك أيها الامام الصّالح تركيه لك، و لا نجاوز القصد في الثناء عليك، و لم «لن» يكن في أنفسنا طعن على يقينك أو غش في دينك فنتخوف أن يكون أحدثت بنعم الله تبارك و تعالى تجبرا، أو دخلك

كبر، و لكنّا نقول ما قلنا تقرّبا إلى الله عزّ و جلّ بتوقيرك، و توسّعا بتفضيلك و شكرا باعظام أمرك، فانظر لنفسك و لنا و آثر لأمر الله على نفسك و علينا فنحن طوع فيما أمرتنا نقاد من الامور مع ذلك فيما ينفعنا».

فأجابه أمير المؤمنين عليه السّلام فقال: و أنا استشهدكم عند الله على نفسى، لعلمكم فيما و ليت به من اموركم و عمّا قليل يجمعنى و اياكم الموقف بين يديه و السؤال عمّا كنّا فيه، ثمّ يشهد بعضنا على بعض، فلا تشهدوا اليوم بخلاف ما أنتم شاهدون غدا، فإنّ الله عزّ و جلّ لا تخفى عليه خافيه، و لا يجوز عنده إلاّ مناصحه الصدور فى جميع الأمور «فأجابه الرّجل و يقال: لم ير الرّجل بعد كلامه هذا الأمير المؤمنين عليه السّلام فأجابه و قد عال الذى فى صدره و البكاء تقطع منطقه، و غصص الشّجى تكسر صوته إعظاما لخطر مرزأته و وحشه من كون فجيئته، فحمد الله و أثنى عليه ثمّ شكى إليه هول ما أشفى عليه من الخطر العظيم و الدّل الطويل فى فساد زمانه و انقلاب جده و انقطاع ما كان من دولته، ثمّ نصب المسأله إلى الله عزّ و جلّ بالامتنان عليه و المدافعه عنه بالتفجع و حسن الثناء فقال:

يا ربانى العباد و يا ساكن البلاد أين يقع قولنا من فضلك، و أين يبلغ وصفنا من فعلك، و أنّى نبليح حقيقه حسن ثنائك أو نحصى جميل بلائك، كيف و بك جرت نعم الله علينا، و على يدك اتّصلت أسباب الخير إلينا، ألم تكن لدلّ الدليل ملاذا، و للعصاه الكفار إخوانا، فبمن إلاّ بأهل بيتك و بك أخرجنا الله عزّ و جلّ من فظاعه تلك الخطرات، أو بمن فرّج عنا غمرات الكربات، و بمن إلاّ بكم أظهر الله معالم ديننا و استصلح ما كان فسد من دنيانا، حتّى استبان بعد الجور ذكرنا، و قرّت من رخاء العيش أعيننا لما وليّتنا بالاحسان جهدك و وفيت لنا بجميع وعدك، و قمت لنا على جميع عهدك، فكنت شاهد من غاب منّا، و خلف أهل البيت لنا، و كنت عزّ ضعفائنا، و ثمال فقرائنا، و عماد عظمائنا، يجمعنا فى الامور عدلك، و يتّسع لنا فى الحقّ تأنيك فكنت لنا أنسا إذا رأيناك، و سكنا إذا ذكرناك، فأىّ الخيرات لم تفعل، و أىّ

الصّالحات لم تعمل، و لو أنّ الأمر الذي نخاف عليك منه يبلغ تحريكه جهدنا، و تقوى لمدافعتة طاقتنا أو يجوز الفداء عنك منه بأنفسنا و بمن نفديه بالنّفوس من أبنائنا لقدمنا أنفسنا و أبناءنا قبلك، و لأخطارناها و قل خطرنا دونك، و لقمنا بجهدنا في محاوله من حاولك، و مدافعه من ناواك، و لكنّه سلطان لا يحاول و عزّ لا يزاول، و ربّ لا يغالب، فان يمنن علينا بعافيتك، و يترحم علينا ببقائك و يتحنن علينا بتفريج هذا من حالك إلى سلامه منك لنا و بقاء منك بين أظهرنا نحدث الله عزّ و جلّ بذلك شكرا نعظمه، و ذكرا نديمه، و نقسم انصاف أموالنا صدقات، و أنصاف رقيقنا عتقاء، و نحدث له تواضعا في أنفسنا، و نخشع في جميع امورنا، و إن يمض بك إلى الجنان و يجرى عليك حتم سبيله، فغير متهم فيك قضاؤه، و لا مدفوع عنك بلاؤه، و لا مختلفه مع ذلك قلوبنا بان اختياره لك ما عنده على ما كنت فيه، و لكننا نبكى من غير اثم لعزّ هذا السلطان أن يعود ذليلا، و للدين و الدّنيا أكيبا، فلا نرى لك خلقا نشكو إليه، و لا نظيرا نأمله و لا نقيمه».

بيان

لما يحتاج إلى البيان من موارد الاختلاف التي لم يتقدّم شرحها عند شرح المتن:

قوله عليه السّلام «و الحق أجمل الأشياء في التّراصف» أصل التّراصف تنضيد الحجاره بعضها ببعض، و المراد أنّ الحقّ أحسن الأشياء في إنفاق الامور و أحكامها.

قوله «و أوسعها في التّناسف» أي إذا أنصف الناس بعضهم لبعض فالحقّ يسعه و يحتمله و لا يقع الناس في العمل بالحقّ ضيق.

قوله «و جعل كفارتهم عليه حسن الثّواب» قال في البحار: لعلّ المراد بالكفاره الجزاء العظيم لستره عملهم حيث لم يكن له في جنبه قدر، فكأنّه قد محاه و ستره، و في أكثر النسخ بحسن الثواب فيحتمل أيضا أن يكون المراد بها ما يقع منهم لتدارك سيئاتهم كالتوبه و ساير الكفارات، أي أوجب قبول كفارتهم و توبتهم على نفسه مع حسن الثواب بأن يشيهم على ذلك أيضا قوله «قواما يسرّ الحقّ فيهم» أي بها يقوم جريان الحقّ فيهم و بينهم.

قوله «أثّل» بالثاء المثله و البناء على المفعول من باب التّفعليل يقال: أثّل ماله تأثيلاً زكاه و أصيّل و أثّل ملكه عظمه و أثّل أهله كساهم أفضل كسوه و الاثال وزان سحاب و غراب المجد و الشّرف قوله «فهلّم أيّها الناس» اسم فعل بمعنى تعال يستوى فيه الواحد و الجمع و التذكير و التّأنيث على لغه أهل الحجاز.

قوله «حقيقه ما أعطى الله من الحقّ أهله» أى جزاء ما أعطى الله أهل الحقّ من الدّين المبين و سائر ما هداهم الله إليه، بأن يكون المراد بالحقيقه الجزاء مجازاً أو يكون فى الكلام تقدير مضاف أى حقيقه جزاء ما أعطى من الحقّ، و قيل:

المراد بحقيقه ما أعطى الله شكر نعمه هدايته تعالى إلى دين الحقّ.

قوله «و لا لامرؤ مع ذلك» قال فى البحار كأنّه راجع إلى ما حمّل الله على الوالى أو إلى الوالى الذى اشير إليه سابقاً أى لا يجوز أو لا- بدّ لا- مرؤ أو لا- استغناء لامرء على الوالى أو مع كون و اليه مكلفاً بالجهاد و غيره من امور الدّين و إن كان ذلك المرء محقراً ضعيفاً بدون أن يعين على إقامه الدّين أو يعينه الثّناس أو الوالى عليه قوله «خسأت به الامور» يقال خسأت الكلب خسئاً طردته و خسا الكلب يتعدّى و لا يتعدّى و يجوز أن يكون استعمل هنا غير متعدّد بنفسه، فعدى بالباء أى طردته الامور، و المراد أنّه ليس بحيث يتمشّى امر من اموره و لا ينفع سعيه فى تحصيل شىء من الامور قوله «بدون ما» لفظه ما زايده.

قوله «و أهل الفضيله فى الحال» المراد بهم الأئمه عليهم السّلام و الولاه و الامراء و العلماء و كذا «أهل النعم العظام».

قوله «و الافرار» عطف على الثناء أى أقرّ إقراراً حسناً بأشياء ذكرها ذلك الرّجل و لم يذكره عليه السّلام اختصاراً أو تقيّه من تغير حالاته من استيلاء أئمّه الجور و مظلوميّته و تغير أحوال رعيّته من تقصيرهم فى حقّه و عدم قيامهم بما يحقّ من طاعته و القيام بخدمته

قوله «من الغلّ» أى أغلال الشرك و المعاصى.

قوله «و ائتمّر» أى أقبل ما أمر الله به فامضه علينا.

قوله «و الملك المخوّل» أى الملك الذى أعطاك الله الامر عليه و جعلنا خدمك و تبعك قوله «لا نستحلّ فى شىء من معصيتك» لعلّ التعديه بفى لتضمن معنى الدخول أو المعنى لا نستحلّ معصيتك فى شىء من الأشياء على أن يكون من زايدة قوله «فى ذلك» أى فى العلم بأن تكون كلمه فى تعليقه، و يحتمل أن يكون اشاره إلى ما دلّ عليه الكلام من اطاعته عليه الصّلاه و السلام.

قوله «خطرک» أى قدرک و منزلتک.

قوله «و يجلّ عنه» أى عمّا قلته فى وصفك.

قوله «فبلاؤه عندنا ما لا يكفر» أى نعمته عندنا وافر به حيث لا نستطيع كفرها و سترها، أو لا يجوز كفرانها و ترك شكرها.

قوله «و لم يكن» فى بعض النسخ لن يكون و فى بعضها لن يكنّ بالبناء على المفعول من كنت الشىء سترته أو بفتح الياء و كسر الكاف من كنّ الطائر بيضه حضنه قوله «و توسّع» أى فى الفضل و الثواب.

قوله «مع ذلك» أى مع طوعنا فيما امرت، و فى البحار أى مع طاعتنا لك، فإنّ نفس الطاعه أمر مرغوب فيه و مع ذلك موجب لحصول ما ينفعنا و ما هو خير لنا فى ديانا و آخرتنا.

قوله «الّا مناصحه الصدور» أى خلوصها من غشّ التّفاق بأن يضمّر فيها خلاف ما يظهر أو نصح الاخوان نصحا يكون فى الصدور لا بمحض اللسان.

قوله «و قد عال الذى فى صدره» يقال: عالنى الشىء أى غلبنى و عال أمرهم اشتدّ قوله «و غصص الشّجى» جمع غصّه بالضمّ و هو ما يعترض فى الحلق،

و الشّجى الحزن.

قوله «لخطر مرزأته» الخطر القدر و الاشراف على الهلاك و المرزأه المصيبة و كذا الفجيعه و الضّمير راجع إلى أمير المؤمنين عليه السّلام و القائل كان عالما بقرب أو ان شهادته عليه السّلام فلذا كان يندب و يتفجّع و إرجاعهما إلى القائل بعيد قوله «ثم شكى إليه» أى إلى الله تعالى.

قوله «أشفى عليه» أى أشرف عليه.

قوله «و انقلاب جدّه» أى بخته.

قوله «بالتفجع» متعلّق بقوله نصيب، و التفجع التّوجّع فى المصيبة أى سأل الله دفع هذا البلاء الذى قد ظنّ وقوعه عنه عليه السّلام مع التّفجع و التّضرّع.

قوله «يا ربّانى العباد» قال الجزرى الرّيانى منسوب إلى الربّ بزياده الالف و النّون، و قيل: هو من الربّ بمعنى التّربيه لتربيتهم المتعلّمين بصغار العلوم و كبارها، و الرّبّانى العالم الرّاسخ فى العلم و الدّين يطلب بعلمه وجه الله، و قيل: العالم العاقل المعلم.

قوله «و يا ساكن البلاد» فى بعض النسخ سكن البلاد محرّكه و هو كلما يسكن إليه.

قوله «و بك جرت نعم الله» أى بمجاهداتك و مساعيك الجميله فى ترويج الدّين و تشييد أركان الاسلام فى زمن الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم و بعده.

قوله «و للعصاه الكفّار اخوانا» أى كنت تعاشر من يعصيك و يكفر نعمتك بالشفقه و الرّأفه معاشره الاخوان، أو المراد الشّفقه على الكفّار و العصاه و الاهتمام فى هدايتهم، و يحتمل أن يراد بهم المنافقون الذين كانوا فى عسكره و كان يلزمه رعايتهم بظاهر الشّرع.

قوله «من فظاعه تلك الخطرات» أى قباحتها و شدّتها.

قوله «ثمّال فقرائنا» أى غياثهم و لجاءهم و قيل: الثّمال المطعم فى الشّده.

قوله «يجمعنا من الأمور عدلك» أى هو سبب اجتماعنا فى جميع الامور أو من

بين ساير الامور أو هو سبب لانتظام جميع امورنا و عدلك محيط بجميعنا فى جميع الامور.

قوله «و يتسع لنا فى الحق تأتيك» أى صار مداراتك و عدم تعجيلك فى الحكم علينا بما نستحقه سببا لوسعه الحق علينا و عدم تضيق الامور بنا.

قوله «ليبلغ تحريكه» أى تغييره و صرفه و فى النسخه القديمه تحويله.

قوله «و لا خطرناها» لا نجعل لها خطرا أى قدرا و منزله كما فى حديث وصف الأئمه عليهم السلام: ما أجلّ خطرهم أى قدرهم و منزلتهم عند الله أو لا نعدّها خطيرا أى رفيعا.

قوله «و قلّ خطرنا دونك» أى شرفها أو هلاكها و الخطر أيضا السبق يتراهن عليه و لا يقال إلا فى الشئ الذى له قدر و مزيه.

قوله «حاولك» أى قصدك.

قوله «من ناواك» أى عاداك.

قوله «و لكته سلطان» أى الرب تعالى.

قوله «و عزّ» ذو عزّ و غلبه.

قوله «لا يزاول» أى لا يحاول و لا يطالب، و هذا إشاره إلى أن هذه الامور بقضاء الله و قدره و المبالغه فى دفعها فى حكم مغالبه الله فى تقديراته.

قوله «بان اختياره لك ما عنده» ما عنده خبران أو خبره محذوف أى خير لك و المعنى أنّه لا يختلف قلوبنا بل هى متفقّه على أنّ الله اختار لك بامضائك النعيم و الراحة الدائمه على ما كنت فيه من المشقه و الجهد و العناء.

قوله «نبكى من غير اثم» أى لا نأثم على البكاء عليك فأنّه من أفضل الطاعات.

قوله «و للدين و الدنيا اكيلا» أى آكلا فالفعل بمعنى الفاعل لا بمعنى المفعول أى نبكى لتبدل هذا السلطان الحقّ بسلطنه الجور فيكون آكلا للدين و الدنيا.

قوله «و لا نرى لك خلفا» أى من بين السلاطين لخروج السلطنه من أهل البيت عليهم السلام.

قال الشارح: أكثر ما أوردته هنا التقطته من كلام المحدث العلامة المجلسى

الترجمه

فصل دویم از آن خطبه است سید رضی گفته: پس جواب داد آن حضرت را مردی از أصحاب او بسخن درازی که در آن بسیار ستایش می کرد او را و ذکر می نمود در آن شنیدن و اطاعت کردن خود را بان بزرگوار پس فرمود آن حضرت که:

بتحقیق از حق کسی که بزرگ است جلال و عظمت خدا در نفس او و أجل است مرتبه او در قلب او اینست که کوچک و حقیر باشد در نزد او بجهت بزرگی آن جلال و عظمت هر چیزی که غیر خدای تعالی است، و بتحقیق سزاوارتر کسی که باشد بر این حال کسی است که بزرگ شده نعمت خدا بر او و لطیف شده احسان و انعام او بسوی او از جهت این که بزرگ نمی گردد نعمت خدا بر احدی مگر این که زاید گردد بزرگ بودن حق خدا بر او.

و بدرستی که از سخیف و خفیف ترین حالات پادشاهان در نزد مردمان صالح سالم العقل این است که گمان برده شود بایشان دوست داشتن افتخار بر مردمان را و حمل شود بناء امر ایشان بتکبر بخلقان.

و بتحقیق که ناخوش داشتم این را که جولان کند در ظنّ شما این که من دوست دارم زیادت تعریف و استماع ستایش را، و نیستم من بحمد الله همچنین و اگر بودم که دوست می داشتم این که گفته شود مدح و ثنا در باره من البته ترک می کردم آنها را از جهت پستی و تواضع از برای خدا و فروتنی از اخذ کردن چیزی که خدا سزاوارتر است بان از عظمت و کبریا، و بسا هست که شیرین می دانند مردمان مدح و ثنا را بعد از زحمت بلا، پس ستایش نکنید بر من باثناء جمیل بسبب خارج کردن من نفس خودم را بسوی خدا و بسوی شما از بقیّه حقوقی که فارغ نگشته ام از أداء آنها، و از واجباتی که لابد و ناچارم از إمضا و إجراء آنها.

پس تکلم نکنید با من بسخنانی که تکلم کرده شود با آن ستمکاران و جباران،

و تحفظ نکنید از من با چیزی که تحفظ کرده می شود با آن در نزد پادشاهان با حدت و سطوت، و آمیزش نکنید با من به تملق و چاپلوسی، و گمان نبرید در من این که گرانی دارم در حقّی که گفته شده بمن، و این که خواهش دارم بزرگ شمردن نفس خودم را از جهت این که کسی که گر دارد حق را از این که گفته شود مر او را یا عدالت را از این که اظهار شود بر او باشد عمل کردن بحقّ و عدل گرانتر باو پس خودداری نکنید از گفتگوی بحقّ و از مشورت بعدل.

پس بتحقیق که من نیستم در پیش نفس خود برتر از این که خطا بکنم، و ایمن نیستم خطا را از کار خودم مگر این که کافی باشد خدا از نفس من چیزی را که قادرتر است بان چیز از من، پس جز این نیست که من و شما بندگان مملوکیم از برای پروردگاری که غیر از او پروردگاری نیست، مالک است از ما چیزی را که ما مالک آن نیستیم از نفسهای خود ما، و بیرون آورده است ما را از جهالتی که در آن بودیم بسوی علم و معرفتی که صلاح ما بر آن حاصل شد، پس بدل کرد ما را بعد از گمراهی بهدایت، و عطا فرمود بما بعد از نابینائی بصیرت را.

و من کلام له علیه السّلام و هو المأتان و السادس عشر من المختار فی باب الخطب

اشاره

و هو ملقط من کلام طویل قدّمنا روايته فی شرح الفصل الثّالث من الخطبه السّادسه و العشرين: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قَرِيشٍ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَ اكْفُتُوا إِنَائِي، وَ أَجْمَعُوا عَلَى مَنَازَعَتِي حَقًّا كُنْتُ أُولَىٰ بِهِ مِنْ غَيْرِي، وَ قَالُوا: أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَ فِي الْحَقِّ أَنْ تَمْنَعَهُ،

فاصبر مغموما، أو متأسِّفا، فنظرت فإذا ليس لى رافد، ولا ذابَّ، ولا مساعد إلاَّ أهل بيتى، فضننت بهم عن المتيه، فأغضيت على القذى، وجرعت ريقى على الشَّجى، وصبرت من كظم الغيظ على أمرٍ من العلقم، والم للقلب من حَزَّ الشَّفار، وقد مضى هذا الكلام فى أثناء خطبه متقدِّمه إلاَّ أنى كرَّرت هاهنا لاختلاف الروايتين.

و منه فى ذكر السائرين الى البصره لحربه عليه السلام فقدموا على عمّالى و خزّان بيت مال المسلمين الذى فى يدى، و على أهل مصر كلّهم فى طاعتي، و على بيعتي، فشئتوا كلمتهم، و أفسدوا علىّ جماعتهم، و وثبوا على شيعتى فقتلوا طائفه منهم غدرا، و طائفه منهم عضّوا على أسيافهم، فضاربوا بها حتّى لقوا الله صادقين.

اللغة

(الاستعداد) الاستعانه و الاستنصار، و قال الشّارح المعتزلى: العدوى طلبك إلى وال أن يعديك على من ظلمك أى ينتقم لك منه يقال استعداد الأمير على فلان فأعدانى أى استعنت به عليه فأعاننى و (كفاء) الاناء من باب منع قلبته و كفته و (تأخذه) و (تمنعه) بالتاء المثناه فيهما و الأوّل بصيغه المعلوم و الثانى بصيغه المجهول و فى بعض النسخ بالتون بصيغه المتكلم و المروى عن خطّ الرضى هو الأوّل.

و (رفده) رفدا من باب ضرب أعانه و أعطاه فهو رافد و (ضنّ) بالشّىء يضمنّ من باب تعب و ضرب بخل به و (أغضيت) على كذا أى صبرت و سكت و (القذى) ما يقع فى العين من تراب و غيره و (الشجى) ما اعترض فى الحلق من عظم و نحوه و (العلقم) شجر شديد المراره و (الحزّ) القطع و فى بعض النسخ ذخر الشفار و هو الطعن الخفيف

بالرمح وغيره و (الشّفار) جمع الشّفره و هو السّكين العظيم و ما عرّض و حدّ من الحديد و جانب النصل و حدّ السّيف.

الاعراب

قوله حقّا منصوب بنزع الخافض أى لحقّ أو فى حقّ و على الأوّل فمتعلّق بأجمعوا و على الثّانى بعلى منازعتى، و على فى قوله على القذى و على الشّجى و على أمرّ جميعا للاستعلاء المجازى قوله: و طائفه منهم عضّوا برفع طائفه على الابتداء، و جمله عضّوا خبره، و فى نسخه الشّارح المعتزلى و طائفه عضّوا بالتّصّب على العطف فتكون جمله عضّوا صفه.

المعنى

اشاره

اعلم أنّك قد عرفت فى شرح الفصل الثالث من الخطبه السّادسه و العشرين أنّ هذا الكلام من جمله فصول كلام طويل له عليه السّلام قدّمنا روايته هناك، و ظهر لك ثمه أنّ هذا الفصل منه وارد فى اقتصاص مجلس الشّورى و التّظلم من ازواء الخلافه عنه عليه السّلام إلى عثمان و التشكّى إلى الله عزّ و جلّ فى ذلك.

إذا عرفت ذلك فأقول: قوله (اللهمّ إنّى أستعديك على قريش) أى أطلب منك الاعانه و النّصره عليهم و الانتقام منهم (فأنّهم قد قطعوا رحمى) أى قرابتى قال الشّارح المعتزلى أى أجرونى مجرى الأجانب و يجوز أن يريد أنّهم عدّونى كالأجنبيّ من رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، و يجوز أن يريد أنّهم جعلونى كالأجنبيّ منهم لا ينصرونى و لا يقومون بأمرى.

(و اكفّوا إنائى) و هو استعاره لابطال حقّه فإنّ قلب الاناء بما فيه يوجب إضاعته و كذلك إبطال الحقّ مستلزم لاضاعته.

(و أجمعوا على منازعتى حقّا كنت أولى به من غيرى) أى اتّفقوا على النزاع معى فى حقّ أنا أولى به و هو حقّ الخلافه و الولايه، و المراد بأولويّته استحقاقه لها بالنّص الجلى من الله و رسوله حسبما عرفت فى تضاعيف الشّرح لا سيّما فى مقدّمات الخطبه الثّالثه المعروفه بالشّقشقيه لا الاستحقاق بمجرّد الأفضليّته فقط كما توهمه الشّارح المعتزلى وفاقا لسائر المعتزله.

(و قالوا الا أنّ في الحقّ أن تأخذه و في الحقّ أن تمنعه) قال القطب الراوندى في خطّ الرضىّ بالتاء و معنى ذلك أنّك إن وليت أنت كانت ولايتك حقا و إن ولي غيرك كانت حقا على مذهب أهل الاجتهاد و من رواها بالنون فالمعنى ظاهر.

(فاصبر مغموما أو مت متأسفا) يحتمل أن يكون هذا القول منهم بلسان القال و أن يكون بلسان الحال يعنى إذا كان ممنوعيتك حقا أيضا و لم تكن راضيا به فليس لك إلا الصبر أو الموت متلهفا متحسرا (فنظرت) لما رأيت منازعتهم و سمعت مقالتهم (فاذا ليس لى رافد) أى ناصر و معين (و لا ذابّ و لا مساعد) أى دافع و معاون (إلا أهل بيتى فضننت بهم عن المتيه) أى بخلت بهم عنها.

و هو صريح فى أنّ تركه لحقه لم يكن عن طوع كما زعمه المعتزله و انما تركه لما شاهد من أنه إذا نهض بطلب حقه لجعل نفسه و أهل بيته أغراضا للمنايا و يؤكد ذلك قوله (فأغضيت على القذى) لدلالته على شدّه تحمله و كذلك قوله (و جرعت) أى ابتلعت (ريقى على الشجى) لدلالته على مزيد غصته.

و هكذا قوله (و صبرت من كظم الغيظ على أمر من العلقم) لافادته غايه غيظه و قوله (و آلم للقلب من حرّ الشفار) لدلالته على منتهى تألمه و من هذا حاله فكيف يكون سكوته عن قيام غيره بالأمر دليلا على رضاه، و قد تقدّم فى شرح الفصل الثانى من الخطبه السادسه و العشرين فصل واف فى هذا المعنى.

قال الرضىّ «ره» (و قد مضى هذا الكلام فى أثناء خطبه متقدّمه) و هى الخطبه المأه و الحاديه و السبعون بل هذا الكلام و تلك الخطبه و الخطبه السادسه و العشرون جميعا ملتقطه من كلام طويل له عليه السّلام رويته فى شرح الفصل الثالث من الخطبه السادسه و العشرين، و الدّاعى على تكراره ما أشار إليه بقوله (إلا أنى كزرت ههنا لاختلاف الروايتين) أقول: و مع هذا التكرار ففيه أيضا بعض الاختلاف لما قدّمنا روايته كما هو ظاهر لمن راجع هناك، هذا.

و منه أى بعض هذا الكلام، و فى نسخه الشارح المعتزلى و البحرانى العنوان: و من كلام له عليه السّلام، و الظاهر أنه اشتباه من الناسخ لأنه مع ما قبله كلاهما من فقرات الكلام الذى تقدّم روايته و ليس كلّ منهما كلاماً مستقلاً أو ملقطاً من كلامين متغايرين.

و كيف كان فهو (فى ذكر السائرين إلى البصره لحربه عليه السّلام) من طلحه و الزبير و عايشه و جنودهم.

(فقدموا على عمالي) و هو عثمان بن حنيف الأنصارى و من تبعه كان عاملاً له عليه السّلام على البصره (و خزان بيت مال المسلمين العدى فى يدى) و كانوا أربعمائه رجل (و على أهل مصر) يريد به البصره (كلّهم فى طاعى و على بيعتى فشئتوا كلمتهم) أى ألقوا الاختلاف بينهم (و أفسدوا على جماعتهم).

و ذلك لأنّ عايشه بعد دخول البصره و التّقاء الفئتين أقبلت على جملها و نادى بصوت مرتفع: أيها الناس ألقوا الكلام و اسكتوا، فاسكت الناس لها فقالت فى جملة كلام تحرّضهم فيه على القتال و الاجلاب على قتله عثمان:

ألا إنّ عثمان قتل مظلوما فاطلبوا قتلته فاذا ظفرت بهم فاقتلوه ثم اجعلوا الأمر شورى بين الزّهط الذين اختارهم عمر بن الخطّاب و لا يدخل فيهم من شرك فى دم عثمان.

قال الزّاوى فماج التّياس و اختلطوا فمن قائل يقول: القول ما قالت، و من قائل يقول: و ما هى و هذا الأمر انما هى امرأه مأمره بلزوم بيتها، و ارتفعت الأصوات و كثر اللّغط حتّى تضاربوا بالنّعال و تراموا بالحصى، ثم إنّ الناس تمايزوا فصاروا فريقين فريق مع عثمان بن حنيف و فريق مع عايشه و أصحابها.

و الى هذا أشار عليه السّلام بقوله: فشئتوا كلمتهم و أفسدوا جماعتهم (و وثبوا على شيعتى فقتلوا طائفه منهم غدرا) و هم السّياحه حرّاس بيت المال (و طائفه منهم عضّوا على أسيافهم) و هم حكيم بن جبلة العبدى و أتباعه.

قال الشارح المعتزلى: عَضُّهُمْ عَلَى أَسْيَافِهِمْ كُنَايَه عَنْ الصَّبْرِ فِي الْحَرْبِ وَ تَرْكُ الْإِسْتِسْلَامِ، وَ هِيَ كُنَايَه فَصِيحَه شَبَّهَ قَبْضَهُمْ عَلَى السَّيُوفِ بِالْعَضِّ، انْتَهَى.

يَعْنَى أَنَّهُمْ جَدُّوا فِي الْحَرْبِ وَ لَزِمُوا سَيُوفَهُمْ (فَضَارَبُوا بِهَا حَتَّى لَقُوا اللَّهَ صَادِقِينَ) فِي وَلَائِهِمْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ فِي تَمَسُّكِهِمْ بِجَبَلِ بَيْعَتِهِ الْمَتِينِ أَوْ صَادِقِينَ فِيمَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى «مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ مَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا» وَ أَعْلَمَ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ الَّذِي نَقَلَهُ الرُّضَيُّ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي السَّائِرِينَ إِلَى الْبَصْرَةِ مُخْتَلَفٌ جَدًّا لَمَّا قَدَّمْنَا رَوَايَتَهُ عَنْهُ فِي شَرْحِ الْخُطْبَةِ السَّادِسَةِ وَ الْعِشْرِينَ، فَإِنَّ الْمَوْجُودَ فِيهِ هَكَذَا:

فَقَدَمَا - يَعْنَى طَلَحَهُ وَ الزَّبِيرَ - عَلَى عَامِلِي وَ خَزَانِ بَيْتِ مَالِي وَ عَلَى أَهْلِ مِصْرَ فِي الَّذِينَ كُلُّهُمْ عَلَى بَيْعَتِي وَ فِي طَاعَتِي فَشَتَّتُوا كَلِمَتَهُمْ وَ أَفْسَدُوا جَمَاعَتَهُمْ ثُمَّ وَثَبُوا «دَثَبُوا خ» عَلَى شِيعَتِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ غَدْرًا وَ طَائِفَةً صَبْرًا وَ طَائِفَةً مِنْهُمْ غَضَبُوا لِلَّهِ فَشَهَرُوا سَيُوفَهُمْ وَ ضَرَبُوا بِهَا حَتَّى لَقُوا اللَّهَ صَادِقِينَ.

ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ فِي شَرْحِ الْخُطْبَةِ الْمَاءِ وَ الْإِحْدَى وَ السَّبْعِينَ تَفْصِيلَ قِصَّةِ السَّائِرِينَ إِلَى الْبَصْرَةِ وَ مَا فَعَلُوا فِيهَا مِنْ قَتْلِ طَائِفَةٍ صَبْرًا وَ طَائِفَةٍ غَدْرًا وَ غَيْرِهِ مِنَ الْفَضَائِحِ الَّتِي لَا يَحْصَى مِنْ أَرَادَ الْإِطْلَاعَ عَلَيْهَا فَلْيَرَاجِعْ هُنَاكَ.

تَنْبِيْه

قال الشَّارِحُ الْمُعْتَزَلِيُّ بَعْدَ شَرْحِ الْفُقَرَاتِ الْأُولَى مِنْ هَذَا الْكَلَامِ أَعْنَى قَوْلِهِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قَرِيْشٍ إِلَى قَوْلِهِ مِنْ حَزِّ الشَّفَارِ مَا عِبَارَتُهُ:

وَ أَعْلَمَ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ قَدْ نَقَلَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا يَنْسَبُ وَ يَجْرَى مَجْرَاهُ وَ لَمْ يُوَرِّخْ الْوَقْتَ الَّذِي قَالَ فِيهِ وَ لَا الْحَالَ الَّتِي عَنَاهَا بِهِ، وَ أَصْحَابُنَا يَحْمِلُونَ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَهُ عَقِيبَ الشُّوْرَى وَ بَيْعَةِ عُثْمَانَ، فَانْه لَيْسَ يَرْتَابُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَلَى أَنَّهُ تَظَلَّمَ وَ تَأَلَّمَ حِينَئِذٍ، وَ يَكْرَهُ أَكْثَرُ أَصْحَابِنَا حَمْلَ أَمْثَالِ هَذَا الْكَلَامِ عَلَى التَّأَلُّمِ مِنْ يَوْمِ السَّقِيفَةِ.

و لقائل أن يقول لهم: أ تقولون إن بيعه عثمان لم تكن صحيحه؟ فيقولون: لا.

فيقال لهم: فعلى ما ذا تحملون كلامه عليه السلام مع تعظيمكم له و تصديقكم لأقواله؟ فيقولون: نحمل ذلك على تألمه و تظلمه منهم إذ تركوا الأولى و الأفضل، فانكم لستم تنكرون أنه كان الأفضل و الأحق بالأمر بل تعترفون بذلك و تقولون ساغت إمامه غيره و صحت لمنايع كان فيه و هو ما غلب على ظنون العقادين للأمر من أن العرب لا تطيعه فانه تخاف من فتنه عظيمه تحدث إن ولى الخلافه لأسباب يذكرونها و يعدونها، و قد روى كثير من المحدثين أنه عليه السلام عقيب يوم السقيفه تألم و تظلم و استنجد و استصرخ حيث ساموه الحضور و البيعه و أنه قال و هو يشير إلى القبر: إن القوم استضعفوني و كادوا يقتلونني، و أنه قال: و جعفره و لا- جعفر لى اليوم و حمزته و لا- حمزه لى اليوم، و قد ذكرنا من هذا المعنى جملة صالحه فيما تقدّم و كل ذلك محمول عندنا على أنه طلب الأمر من جهة الفضل و القرابه و ليس ببدال عندنا على وجود النص، لأنه لو كان هناك نص لكان أقل كلفه و أسهل طريقا و أيسر لما يريد تناولا أن يقول: يا هؤلاء إن العهد لم يطل و إن رسول الله أمركم بطاعتي و استخلفنى عليكم بعده، و لم يقع منه بعد ما علمتموه نص ينسخ ذلك و لا يرفعه فما الموجب لتركى و العدول عني.

فان قالت الاماميه: كان خاف القتل لو ذكر ذلك.

قيل لهم: فهلا خاف القتل و هو يقتل و يدفع ليابيع و هو يستصرخ تاره بقبر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و تاره بعمه جعفر و أخيه حمزه و هما ميتين، و تاره بالأنصار، و تاره بنى عبد مناف و يجمع الجموع فى داره و يبث الرسل ليلا و نهارا إلى الناس يذكروهم فضله و قرابته و يقول للمهاجرين خصمتم الأنصار بكونكم أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و أنا اخصمكم بما خصمتم به الأنصار، لأن القرابه إن كانت هى المعبره فأنا أقرب منكم و هلا- خاف من الامتناع و من هذا الاحتجاج و من الخلوه فى داره بأصحابه و من تنفير الناس عن البيعه التى عقدت حينئذ لمن عقدت له.

و كلّ هذا إذا تأمله المنصف علم أنّ الشيعة أصابت في أمر و أخطأت في أمر.

أمّا الأمر المذموم أصابت فيه فقولها إنّ امتنع و تلكا و أراد الأمر لنفسه و أما الأمر الذمّي أخطأت فيه فقولها إنّ كان منصوباً عليه نصّاً جلياً بالخلافه تعلمها الصّحابة كلّها أو أكثرها و إنّ ذلك خولف طلباً للرياسة الدنيويّة و ايثارا للعاجله، و إنّ حال المخالفين للنصّ لا تعدو أحد الأمرين إمّا الكفر أو الفسق فإنّ قرائن الأحوال و أماراتها لا تدلّ على ذلك و إنّما تدلّ و تشهد بخلافه.

و هذا يقتضى أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام كان في مبدء الأمر يظنّ أنّ العقد لغيره كان من غير نظر في المصلحه، و أنّه لم يقصد به إلّا صرف الأمر عنه و الاستيثار عليه فظهر منه ما ظهر من الامتناع و القعود في بيته إلى أن صحّ عنده و ثبت في نفسه أنّهم أصابوا فيما فعلوه و أنّهم لم يميلوا إلى الهوى و لا أرادوا الدّنيا، و إنّما فعلوا الأصلح في ظنونهم، لأنّه رأى من بغض النّاس له و انحرفهم عنه و ميلهم عليه و ثوران الأحقاد التي كانت في أنفسهم و احتدام النّيران التي كانت في قلوبهم، و التّرات التي و ترهم فيما قبل بها، و الدّماء التي سفكها منهم و أراقها، و تعلّل طائفه اخرى منهم للعدول عنه عليه السّلام بصغر سنّه و استهجانهم تقديم الشّاب على الشيوخ و الكهول، و تعلّل طائفه اخرى منهم بكراهيه الجمع بين النّبوه و الخلافه في بيت واحد فيجفخون(١) على النّاس كما قاله من قاله، و استصعاب قوم شكيمته و خوفهم شدّته و علمهم بأنّه لا يداجي(٢) و لا يحابي و لا يراقب و لا يجامل(٣) في الدّين، و أنّ الخلافه تحتاج إلى من يجتهد برأيه و يعمل بموجب استصلاحه، و انحراف قوم آخرين عنه كان للحسد الذي كان له عندهم في حياه رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم لشده اختصاصه له و تعظيمه اياه و ما قال فيه فأكثر من النّصوص الدّاله على رفعه شأنه و علوّ مكانه، و ما اختصّ به من مصاهرته و اخوّته و نحو ذلك من أحواله معه

ص: ١٧٦

١- (١) - أي يتكبرون.

٢- (٢) - أي لا يداري

٣- (٣) - جامله عامله بالجميل أو أحسن العشره

و تنكر قوم آخرين له لنسبتهم إليه العجب و التيه كما زعموا و احتقاره العرب و استصغاره الناس كما عدّوه عليه و إن كانوا عندنا كاذبين، و لكنّه قول قيل، و أمر ذكر، و حال نسبت إليه. و أعانهم عليها ما كان يصدر عنه من أقوال توهم مثل هذا نحو قوله: فأنّا صنائع ربّنا و الخلق بعد صنائع لنا ما صحّ به عنده أنّ الأمر لم يكن ليستتمّ له يوما واحدا و لا ينتظم و لا يستمرّ، و أنّه لو ولى الأمر لفتقت العرب عليه فتقا يكون فيه استيصال شافه الاسلام و هدم أركانه، فأذعن بالبيعه و سمح إلى الطّاعه و أمسك عن طلب الامر و إن كان على مضض و رمض، و هذا المذهب هو أقصد المذاهب و أصحّها، و إليه يذهب أصحابنا المتأخرون من البغداديين و به نقول.

قال: و اعلم أنّ حال عليّ عليه السّلام فى هذا المعنى أشهر من أن تحتاج فى الدّلاله عليها إلى الاسهاب و الاطناب، فقد رأيت انتقاض العرب عليه من أقطارها حين بويع بالخلافه بعد وفاه رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم بخمس و عشرين سنه، و فى دون هذه المده تنسى الأحقاد و تموت الثّرات و تبرد الأكباد الحاميه و تسلوا القلوب الواجده و يعدم قرن من النّاس و يوجد قرن و لا- يبقى من أرباب تلك الشّحناء و البغضاء إلّا- الأقلّ فكانت حاله بعد هذه المده الطويله مع قريش كأنّها حاله لو أفضت الخلافه إليه يوم وفاه ابن عمّه من إظهار ما فى النّفوس و هيجان ما فى القلوب حتّى أنّ الأخلاف من قريش و الأحداث و الفتیان العذین لم يشهدوا وقایعه و فتکاته فى أسلافهم و آبائهم فعلوا به ما لو كانت الأسلاف أحياء لقصرت عن فعله و تقاعست عن بلوغ شأوه، فكيف كانت تكون حاله لو جلس على منبر الخلافه و سيفه بعد يقطر دما من مهج العرب لا سیما من قريش الذّین بهم كان ینبغى لو دهمه خطب أن يعتضد، و علیهم كان وجب أن يعتمد إذا كانت تدرس أعلام الملّه و تتعقّى رسوم الشریعه و تعود الجاهلیّنه الجهلاء إلى حالها و یفسد ما أصلحه رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فى ثلاث و عشرين فى شهر واحد، فكان من عنایه الله تعالى بهذا الدّین أن ألهم الصّیحابه ما فعلوه، و الله متمّ نوره و لو کره المشرکون، انتهى کلامه جزاه الله ما یستحقّه أقول: و یتوجّه علیه:

أولاً أن قوله: إنَّ هذا الكلام قد نقل عن أمير المؤمنين عليه السَّلام ما يناسبه و يجرى مجراه و لم يورِّخ الوقت الَّذي قاله فيه و لا الحاله الَّتِي عنهاها.

فيه إنَّ تاريخ هذا الكلام بخصوصه هو أواخر خلافته بعد فتح مصر و شهادته محمَّد بن أبي بكر، و نظره فيه إلى مجلس الشورى و عدولهم عنه إلى عثمان حسبما ظهر لك ذلك في شرح الخطبه السادسة و العشرين عند ما روينا عنه عليه السَّلام تمام الخطبه الَّتِي هذا الكلام ملتقط منها.

و العجب أن الشَّارح المعتبرلى رواها أيضا في شرح الكلام السَّابع و الستين من كتاب الغارات كما روينا منه لكنَّه أسقط صدرها اختصارا أو اقتصارا فلعلَّه نسي ما قدَّمه فجعل التاريخ.

و أعجب من ذلك أن الشَّارح البحراني لقصور باعه و قلَّه اطلاعه على الأخبار و السير توهم أنَّه عليه السَّلام عنى به السَّيرين إلى البصره حيث قال: و يشبه أن يكون صدور هذا الكلام منه حين خروج طلحه و الزبير إلى البصره تظلمًا عليهما فيكون المفهوم من قوله عليه السَّلام: و أجمعوا على منازعتي حقًا إنكار إجماعهم منازعه ذلك الحق، هذا.

و أمَّا ما يجرى مجرى هذا الكلام و يناسبه فتاريخه بعد يوم السَّقيفه إلى آخر عمره كما يقف عليه المتتبع الخبير بالأخبار و النَّاقد البصير بما قدَّمناه في تضاعيف الشرح في غير موضع.

و ثانيا أن ما حكاه من أكثر أصحابه المعتزله من كراهتهم حمل أمثال هذا الكلام على التَّألم من يوم السَّقيفه و عدم استنكافهم لحملها على التَّظلم من يوم الشورى.

ففيه أن التفرقه بين اليومين شطط من الكلام كما اعترف به الشَّارح نفسه أيضا و اعترض به على أصحابه، و ذلك لأنَّ كلماته المتضمَّنه للتَّظلم و الشكاية من جميع الثلاثه فوق حدِّ الاحصاء متجاوزة عن طور الاستقصاء، و ليس كلَّها مجعلا قابلا للحمل على يوم الشورى على زعمهم، بل أكثرها نصٌّ في التَّظلم من الشيخين

و كثير منها عام لجميع الثلاثه، و قليل منها ناظر إلى الشورى، و المجمل منها إن كان فهو أقلّ القليل بل لا وجود له أصلا.

و ثالثا أنّ ما حكاه من أصحابه و هو مذهبه و معتقده أيضا و فاقا لهم من قولهم:

بأنّه ساءت إمامه غيره عليه السّلام و صحت لمانع كان فيه و هو ما غلب على ظنون العقادين للأمر من أن العرب لا تطيعه.

ففيه أنّه بعد اعترافهم و اتّفاقهم على أنّه عليه السّلام الأوّل و الأفضل المقتضى لأحقّيّته بها بحكم العقل و النقل فيكف يجوز العدول إلى غيره بمجرد الظنّ.

و قد نهى الله صريحا عن اتّباع هذا الظنّ بخصوصه في قوله «أفمن يهدى إلى الحقّ أحقّ أن يتبع أمّن لا يهدى إلّا أن يهدى فمالكم كيف تحكمون».

و ما يتّبع أكثرهم إلّا- ظنا إنّ الظنّ لا- يغنى من الحقّ شيئا إنّ الله عليهم بما يفعلون» و عموما في سائر الايات الناهيه عن العمل بالظنّ مثل قوله «و إن تطع أكثر من في الأرض يضلّوك عن سبيل الله إن يتّبعون إلّا الظنّ و إن هم إلّا يخرصون» و قوله «قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتّبعون إلّا- الظنّ و إنّ الظنّ لا- يغنى من الحقّ شيئا فأعرض عمّن تولّى عن ذكرنا و لم يرد إلّا الحيوه الدّنيا. ذلك مبلغهم من العلم إنّ ربك أعلم بمن ضلّ عن سبيله و هو أعلم بمن اهتدى» إلى غير هذه ممّا لا- نطيل بذكرها.

و رابعا أنّ قوله: و كلّ ذلك محمول عندنا على أنّه طلب الأمر من جهة الفضل و القرابه و ليس بدالّ عندنا على وجود النصّ لأنّه لو كان هناك نصّ لكان أقلّ كلفه و أسهل طريقا و أسهل لما يريد تناولا.

فيه أنّ إنكار النصّ كإنكار الأعمى للشمس في رابعه النهار، و نعم ما قيل:

إذا لم يكن للمرء عين صحيحه فلا غرو أن يرتاب و الصبح مسفر

و قد قدّمنا في مقدّمات الخطبه الشّقشقيه من النصوص المتواتره و الأدلّه العقليه و النقليه كتابا و سنه ما فيه كفايه لمن له إنصاف و درايه، و قد احتجّ عليه السّلام و احتجّ

أصحابه أيضا بها على المتخلفين يوم السقيفه و الشورى حسبما مرّ تفصيلا فى مقدّمات الخطبه المذكوره و غيرها من المواقع المناسبه فى تضاعيف الشرح فانظر ما ذا ترى لكنّهم خذلهم الله تعالى لم ينفعهم الذّكرى لما غلب عليهم من حبّ الرياسه و اتّباع الهوى.

و خامسا أنّ خوفه عليه السّلام من القتل مما لا غبار عليه كما يشهد به ما رواه الشارح نفسه هنا عن كثير من المحدثين أنّه عقيب يوم السقيفه تألّم و تظلمّ و استنجد و استصرخ حيث ساموه الحضور و البيعه و قال مشيرا إلى قبر رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: يا ابن امّ إنّ القوم استضعفونى و كادوا أن يقتلونى.

و يشهد به أيضا قوله عليه السلام هذا الكلام الذى نحن فى شرحه: فنظرت فاذا ليس لى رافد و لا ذابّ و لا مساعد إلاّ أهل بيتى فضننت بهم عن المتيّه و نظير ذلك فى كلماته عليه السّلام لكثير كما هو غير خفى على الناقد البصير.

و سادسا قوله إنّ أمير المؤمنين كان فى مبتدأ الأمر يظنّ أن العقد لغيره كان من غير نظر فى المصلحه إلى قوله و به نقول.

محصله على طوله إنّ أمير المؤمنين لم يكن فى بدء الأمر عالما بما علم به أبو بكر و عمر من مصلحه الاسلام و ظنّ أنّ قيامهما بالخلافه لمحض حبّ الرياسه و الاستيثار عليه، و لذلك تظلمّ و تألّم و أراد الأمر لنفسه، فلمّا استبان خلاف ظنّه و صحّ عنده أنّهم راعوا مصلحه الاسلام و أنّه لو قام به لم يكن ليتّم له و لا ينقاد العرب للسّخائم التى فى صدورهم أو غيرها من علل النفوس بل يستأصل شافه الاسلام و ينهدم أركانه و يذهب عن أصله سكت و أمسك عن الطلب و بايع طوعا و طاب به نفسا.

وفيه أولا- أنّ لازم ذلك أن يكون الأعرابيان الجاهلان الجلفان أعلم بمصالح الاسلام من باب مدينه العلم و الحكمه، و كيف يمكن أن يخفى عليه عليه السّلام ما لم يخف على الأعرابى البوّال على عقبيه، و قد اعترفت المعتزله أيضا بكونه أكثر

علما منهم كما هو قول الاماميه.

و ثانياً أنه لو كان الأمر على ما زعموا من أنه انكشف له خلاف ظنه و صحّ حقه غيره فأذعن بالبيعه و انقاد للطاعه لوجب له عليه السلام أن يستعتب و يعتذر و يستحلّ منهم حيث أساء الظنّ في حقهم و لوجب أن يترك التظلم و الشكاية و التّوجد مع أنه ما زال متظلماً إلى آخر عمره الشريف.

ألا ترى إلى الخطبه الشّقشقيّه المتضمّنه للتظلم و الشّكوى من أولها إلى آخرها و قد خطبها بعد وقعه الخوارج في أواخر عمره كما يشهد به مضمونها.

و إلى ما قاله في سادس المختار من باب الخطب حين عزمه على المسير إلى البصره لحرب الجمل من قوله: فوالله ما زلت مدفوعاً عن حقّي مستأثراً علىّ منذ قبض الله نبيّه صلى الله عليه و آله و سلّم حتّى يوم الناس هذا.

و ما قاله في الخطبه السادسه و العشرين التي خطبها بعد شهاده محمّد بن أبي بكر و فتح مصر: فنظرت فاذا ليس لى معين إلّا أهل بيتي فضننت بهم عن الموت إلى آخر ما مرّ.

و ما قاله في المختار المأه و الواحد و السّتين حين سأله بعض أصحابه كيف دفعكم القوم عن مقامكم و أنتم أحقّ به فقال: و أمّا الاستبداد علينا بهذا المقام و نحن الأعلون نسباً و الأشدّون بالرسول صلى الله عليه و آله و سلّم نوطاً فإنّها كانت أثره شحت عليها نفوس قوم و سخت عنها نفوس آخرين و الحكم الله و المعود إليه القيامة إلى غير هذا ممّا تقدّم في تضاعيف المتن و الشرح.

و الحاصل أنّ المعلوم من حاله عليه السلام عند المؤالف و المخالف أنّه لم يكن طلبه للخلافه من حبّ الرّياسه و السلطنه بل لاحكام أساس الدّين و انتظام حال الاسلام و المسلمين فاذا حصل هذا الغرض بقيام غيره فضلاً عن كونه أصلح به منه عليه السلام كما زعمه المعتزله فوجب عليه أن يرضى منهم أشدّ الرّضا و يشكر لهم و يقبل المّنه منهم حيث رفعوا عن عاتقه ثقل ما حملوه لا أن يتظلم منهم و يتشكّى عنهم و يزرى عليهم دائماً ليله و نهاره إلى آخر عمره.

و سابعا أنّ قوله: و اعلم أنّ حال علىّ عليه السلام في هذا المعنى أشهر من أن تحتاج

فى الدّلاله عليها إلى الاسهاب و الاطناب إلى آخر قوله: و الله متمّ نوره و لو كره المشركون.

فيه أنّه من تسويلات نفوس المعتزله و تمويهاتهم و تلبيساتهم و مزخرفاتهم الّتى أوحى بها إليهم أخوهم الشيطان كما قال عزّ و جلّ «وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ يُوحى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا » و سبقهم إلى تلك المزخرفات اللّعين بن اللّعين ابن آكله الأكباد معاويه بن أبى سفيان فى كتابه الّذى كتبه إلى أمير المؤمنين عليه السّلام فأنّه كتب فيه:

و من قبل ذلك ما عيّت خليفتى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم أيام حياتهما فقعدت عنهما و ألبت عليهما و امتنعت من بيعتهما و رمت أمرا لم يرك الله تعالى له أهلا- و رقيت سلّما و عرا و حاولت مقاما دحضا و ادّعت ما لم تجد عليه ناصرا، و لعمرى لو وليّتها حينئذ لما ازددت إلّا فسادا و اضطرابا، و لا أعقت و لا يتكها إلّا انتشارا و ارتدادا، لأنك الشامخ بأنفه الذّاهب بنفسه المستطيل على الناس بلسانه و يده.

فإنّ قوله لعنه الله تعالى: لو وليّتها حينئذ لما ازددت إلّا فسادا و اضطرابا و لا أعقت و لا يتكها إلّا انتشارا و ارتدادا عين ما يقوله المعتزله و يدين به و محصّل ما زخرفه الشّارح ببياناته الطويله المموّهه.

و يبطل جميع ما قاله و قالوه ما أبطل به الشارح نفسه قول معاويه، فأنّه عند شرح الثانى و السّتين من المختار فى باب الكتب و الرّسائل الّذى يأتى عنوانه من السّيد بقوله: و من كتاب له عليه السّلام إلى معاويه جوابا أمّا بعد فإنّا كنّا نحن و أنتم على ما ذكرت من الالفه و المحبه و الجماعه آه أورد هناك الكتاب الّذى كتبه معاويه إلى أمير المؤمنين عليه السّلام المتضمّن لما قدّمتنا ذكره ثمّ أجاب عن جميع ما أدرجه ذلك الملعون فى كتابه بجواب مفصل إلى أن بلغ إلى قوله المتقدّم ذكره فقال فيه ما لفظه:

فأمّا قوله: لو وليّتها حينئذ لفسد الأمر و اضطرب الاسلام فهذا علم غيب لا يعلمه إلّا الله و لعله عليه السّلام لو وليّها حينئذ لاستقام الأمر و صلح الاسلام و تمهّد

فأنه ما وقع الاضطراب عند ولايته بعد عثمان إلا لأن أمره عليه السلام هان عندهم بتأخره عن الخلافة و تقدّم غيره عليه، فصغر شأنه في النفوس و قرّر من تقدّمه في قلوب الناس أنه لا يصلح لها كلّ الصّلاحية، و الناس على ما يحصل في نفوسهم و لو كان وليها ابتداء و هو على تلك الجلاله التي كان عليها أيام حياه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم و تلك المنزله الرفيعه و الاختصاص الذي كان له لكان الأمر غير الذي رأيناه عند ولايته بعد عثمان، انتهى كلامه.

أقول: فوا عجباً عجباً و مالى لا أعجب من الشارح فإنه مع هذا الكلام الذى يبطل مذهب المعتزله من أصله و يزعم أن كانه و يهدم أساسه و بنيانه كيف لا يرفع يده عن ذيل مذهب الاعتزال أ فيرضى العاقل أن يتدين بدين بناؤه على الظنّ و التخريص و الحسبان و يذعن بمحض الوهم و الاستحسان بصحّه و لايه الجبت و الطاغوت إن مثلهم إلا كمثّل العنكبوت اتخذت بيتاً و إنّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت بل كمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنّم، هذا.

و قد مضى تحقيقات لطيفه في ما يتعلّق بهذا المعنى في مقدّمات الخطبه الشّشقيه.

الترجمه

از جمله كلام بلاغت نظام آن حضرتست در تظلم و شكایت از أهل شوری و غاصبان خلافت كه گفته:

بار إلهادرستی كه من طلب اعانت و انتقام میکنم از تو بر منافقان قریش، پس بدرستی كه ایشان بریدند ريسمان قرابت مرا و پشت رو کردند ظرف خلافت مرا، و اتفاق کردند بر منازعت من در حقى كه من سزاوارتر بودم بان از غير من و گفتند كه آگاه باش كه در حق است كه أخذ كنى تو خلافت را و در حق است كه ممنوع بشوى تو از آن، پس صبر كن در حالت اندوه و غم يا بمير در حالت تأسف و حسرت، پس نگاه كردم بكار خود پس آن زمان نبود مرا معينى و نه دفع كننده و نه ناصرى مگر أهل بيت خودم، پس بخل ورزیدم بایشان از اين كه هدف تیر مرگ نمايم ایشان را، پس پوشانیدم چشم خود را بالای چیزی كه اذیت

رساننده بود، و بلعیدم آب دهان خود را بالای غم و غصه که گلوگیر بود، و صبر کردم از نگاه داشتن غیظ خود بر چیزی که تلخ تر بود از طعم درخت علقم و دردناک تر بود مر قلب را از بریدن کارد بزرگ بر آن.

گفته است سید رضی رحمه الله علیه که گذشت این کلام در اثنای خطبه که سابقاً گذشته بود لیکن من مکرر نمودم ذکر آن را در اینجا بجهت اختلاف دو روایت.

و از جمله این کلام است در بیان سیر کنندگان بسوی شهر بصره از برای جنگ با آن حضرت که طلحه و زبیر و عایشه و متابعان ایشان بودند می فرماید:

پس آمدند ایشان بر حاکمان من که در بصره بود و بر خزینه داران بیت المال مسلمانان که در دست تصرف من بود و بر اهل شهری که همه ایشان در طاعت و بر بیعت من بودند، پس مختلف ساختند کلمه ایشان را، و فاسد نمودند جمعیت آنها را، و برجستند بر شیعیان من، پس کشتند طایفه از ایشان را از راه مکر و حيله، و طایفه دیگر از ایشان سخت گرفتند شمشیران خودشان را، پس محاربه کردند با آنها تا این که ملاقات نمودند پروردگار را و بدرجه شهادت رسیدند در حالتی که صادق الاعتقاد بودند.

و من کلام له علیه السلام و هو الماتان و السابع عشر من المختار فی باب الخطب

اشاره

لَمَّا مَرَّ بَطْلَحَهُ وَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَتَابٍ بَنَ اسِيدَ وَ هُمَا قَتِيلَانِ يَوْمَ الْجَمَلِ:

لَقَدْ أَصْبَحَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِهَذَا الْمَكَانِ غَرِيبًا، أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ قَرِيشُ قَتْلَى تَحْتَ بَطُونِ الْكُؤَاكِبِ، أَدْرَكَتْ وَتَرَى مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، وَ أَفْلَسْتَنِي أَعْيَانُ بَنِي جُمَحٍ، لَقَدْ أَتَلَعُوا أَعْنَاقَهُمْ إِلَى

أمر لم يكونوا أهله، فوقصوا دونه.

اللغة

(قريش) قبيله و أبوهم النضر بن كنانه و من لم يلدہ فليس بقريشى، و قيل:

قريش هو فهد بن مالك و من لم يلدہ فليس بقريشى، و أصل القرش الجمع و تفرشوا إذا تجمّعوا و بذلك سميت قريش لاجتماعها بعد تفرّقها فى البلاد، و قيل قريش دابه تسكن البحر و به سمى الرجل قال الشاعر:

و قريش هى التى تسكن البحر بها سميت قريش قريشا

قالوا: إنّ النضر بن كنانه ركب فى البحر الهند فقالوا قريش كسرت مركبنا فرماها النضر بالحراب فقتلها و حزّ رأسها و كان لها اذان كالشراع تأكل و لا تؤكل و تعلقو و لا تعلق فقدّم به مكّه فنصبه على أبى قبيس فكان الناس يتعجبون من عظمه فيقولون: قتل النضر قريشا فكسر الاستعمال حتّى سمّوا النضر قريش و قيل فى وجه التسميه وجوه اخر لا حاجة إلى ذكرها.

و (القتلى) جمع قتيل كالجرحى و جريح و (الوتر) بكسر الواو الجنايه التى يجبيها الرجل على غيره من قتل أو نهب أو سبى و (أفلت) الطائر و غيره افلاتا تخلّص و أفلتّه أنا إذا أطلقته و خلّصته يستعمل لازما و متعدّيا و اتفلت و تفلت خرج بسرعه و (الأعيان) بالتّون الرؤساء و الأشراف، و فى بعض النسخ بالزّاء المهمله جمع العير بفتح العين و جمع الجمع عيارات و العير الحمار و غلب على الوحشى و يقال أيضا للسّيد و الملك.

و (بنى جمع) فى نسخه الشّارح المعتزلى بضّم الجيم و فتح الميم، و فى بعض النسخ بسكون الميم و ما ظفرت بعد على ضبطه فيما عندى من كتب اللّغه و (التّلع) محرّكه طول العنق و تلّع الرجل من باب كرم و فرح طال عنقه فهو اتلع و تليّع و تلّع الرجل من باب منع أخرج رأسه من كلّشىء كان فيه و اتلع مدّ عنقه متطاولا و (وقص) عنقه كوعد كسرّها فوقصت يستعمل لازما و متعدّيا و وقص الرجل بالبناء على المفعول فهو موقوص.

الباء فى قوله عليه السّلام بهذا المكان بمعنى فى، و فى قوله أفلتتني على الحذف و الايصال أى أفلتت منى، و قوله أهله بالنّصب على أنّه خبر كان و يحتمل الانتصاب بحذف الجار فيكون الجار و المجرور خبرا لها أى لم يكونوا من أهله.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذا الكلام حسبما أشار إليه الرضى تكلم به عند تطوافه على القتلى بعد انقضاء الحرب فأنّه (لما مرّ بطلحه) بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تيم بن مرّه (و عبد الرحمن بن عتاب بن اسيد) بن أبى العيص بن اميّه ابن عبد شمس (و هما قتيلان يوم الجمل) وقف على جسد طلحه و قال:

(لقد أصبح أبو محمّد) و هو كنيه طلحه (بهذا المكان غريبا) و وقف على جسد عبد الرحمن بن عتاب و قال: لهفى عليك يعسوب قريش هذا فتى الفتان هذا اللّباب المحض من بنى عبد مناف شفيت نفسى و قتلت معشرى إلى الله عجرى و يجرى، فقال له قائل: لشدّ ما أطريت الفتى يا أمير المؤمنين منذ اليوم قال عليه السّلام إنّّه قام عتّى و عنه نسوه لم يقمن عنك، هكذا نقله الشارح المعتزلى، و قال أيضا: و عبد الرحمن هذا هو الذى احتملت العقاب كفّه يوم الجمل و فيها خاتمه فألقته باليمامة فعرفت بخاتمه و عرف أهل اليمامة بالوقعه، و قال أيضا: إنّّه ليس بصحابى و لكنّه من التّابعين و أبوه عتاب بن اسيد من مسلمة الفتح، و لما خرج رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم من مكّه إلى حنين استعمله عليها فلم يزل أميرها حتّى قبض رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم.

ثمّ أقسم بالقسم البار فقال (أما و الله لقد كنت أكره أن تكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب) أى مقتولين فى معارك القتال مصر و عين تحت السّماء فى الأودية و الفلوات بحاله الذلّ و الايتدال لا يكتنهم كنّ و لا يوارى أجسادهم سقف و لا ظلال.

و إنّما استكره عليه السّلام قتلهم لأنّ المطلوب الذاتى للأنبياء و الأولياء عليهم السّلام

جذب الخلق إلى الحق و هدايتهم إلى الصراط المستقيم و استقامه امورهم فى المعاش و الماب و حصول هذا المطلوب إنّما هو بوجودهم و حياتهم، فاهتدأؤهم بنور هدايته يكون أحبّ إليه من موتهم على الضلال.

و لذلك أنّه عليه السّلام لما استبطأ أصحابه اذنه لهم فى القتال بصّفين أجاب لهم بقوله المتقدّم فى الكلام الرابع و الخمسين: و أمّا قولكم شكّا فى أهل الشّام فوالله ما دفعت الحرب يوما إلّا و أنا أطمع أن تلحق بى طائفه فتهدى بى و تعشو إلى ضوئى و ذلك أحبّ إلىّ من أن أقتلها على ضلالها و إن كانت تبوء باثامها.

و تخصيص قريش بالذكر لاقتضاء المقام و لمزيد حبه لاهتدائهم بملاحظه الرّحم و القرابه.

و قوله (ادركت وترى من بنى عبد مناف) قال الزّاوندى فى محكّي كلامه:

يعنى طلحه و الزّبير كانا من بنى عبد مناف و اعترض عليه الشارح المعتزلى بأنّ طلحه من تيم بن مرّه و الزّبير من أسد بن عبد العزّى بن قصيّ، و ليس منهما أحد من بنى عبد مناف و ولد عبد مناف أربعة: هاشم، و عبد شمس، و نوفل، و المطلب، فكلّ من لم يكن من ولد عبد هؤلاء الأربعة، فليس من ولد عبد مناف، و ردّ بأنّهما من بنى عبد مناف من قبل الأمّ لا من قبل الأب.

و كيف كان فالمراد بقوله عليه السّلام ادركت وترى أدركت جنايتى التى جناها علىّ بنو عبد مناف، و المراد بتلك الجنايه ما فعلوها بالبصره من قتل النفوس، و نهب بيت المال و غيرها ممّا كان راجعا إليه عليه السّلام فإنّ الجنايه على شيعة و بيت ماله جنايه عليه.

و قوله (و أفلتنتنى أعيان بنى جمح) أى ساداتهم و أوتادهم و على كون أعيان جمع غير بمعنى الحمار فهى استعاره بالكنايه حيث شَبَّهوا بحمر مستنفره فرّت من قسوره.

قال الشارح المعتزلى: بنو جمح من بنى حصيص بن كعب بن لوى بن غالب و اسم جمح تيم بن عمرو بن حصيص، و قد كان مع عايشه منهم يوم الجمل جماعه

هربوا و لم يقتل منهم إلا اثنان فمن هرب و نجا بنفسه منهم عبد الله الطويل ابن صفوان بن اميّه بن خلف بن وهب بن حذافه بن جمح، و منهم يحيى بن حكيم بن صفوان بن اميّه بن خلف، و منهم عامر بن مسعود بن اميّه بن خلف كان يسمّى دحروجه الجعل لقصره و سواده، و منهم أيوب بن حبيب بن علقمه بن ربيعه الأعور ابن اهيّب بن حذافه بن جمح، و قتل من بنى جمح مع عايشه عبد الرحمن بن وهب بن اسيد بن خلف بن وهب بن حذافه و عبد الله بن ربيعه بن دراج بن العنيس بن دهيان ابن وهب بن حذافه لا أعرف من بنى جمح أنّه قتل ذلك اليوم منهم غيرهما.

(لقد اتلعوا أعناقهم إلى أمر لم يكونوا أهله) أى مدّت قريش بالتطاول أعناقهم إلى الخلافه مع عدم استحقاقهم و أهليتهم لها(فوقصوا دونه) أى كسرت أعناقهم و اندقت عند ذلك الأمر و هو كناية عن عدم نيلهم إلى المقصود و قتلهم قبل وصوله، خسرو الدنيا و الآخره ذلك هو الخسران المبين.

تذييل

روى فى البحار من الكافيه فى إبطال توبه الخاطئه قال: روى خالد بن مخلد عن زياد بن المنذر عن أبى جعفر عليه السّلام عن آبائه عليهم السلام قال: مرّ أمير المؤمنين عليه السّلام على طلحه و هو صريع فقال: أجلسوه، فاجلس، فقال: أم و الله لقد كانت لك صحبه و لقد شهدت و سمعت و رأيت و لكن الشيطان أزاغك و أما لك فأوردك جهنّم.

و قد قدّمنا هذه الرّوايه فى شرح الكلام الثانى عشر و كرّرنا هنا باقتضاء المقام و تقدّمت أيضا هناك مطالب نفيسه من أراد الاطلاع فليراجع ثمّه هذا.

و فى الارشاد و من كلامه عليه السّلام عند تطوافه على القتلى: هذه قريش جدعت أنفى و شفيت نفسى لقد تقدّمت إليكم احذّركم عضّ السّيف و كنتم أحداثا لا علم لكم بما ترون، و لكنّه الحين و سوء المصرع و أعوذ بالله من سوء المصرع ثمّ مرّ على معبد بن المقداد فقال: رحم الله أبا هذا لو كان حيّا لكان رأيه أحسن من رأى هذا، فقال عمار بن ياسر: الحمد لله الذى أوقعه و جعل خدّه الأسفل

أما والله يا أمير المؤمنين لا نبألى من عند الحق من والد و ولد، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: رحمك الله و جزاك عن الحق خيرا.

و مرّ بعبد الله بن ربيعة بن درّاج فى القتلى فقال: هذا البائس ما كان أخرجه أدين أخرجه أم نصر لعثمان؟ والله ما كان رأى عثمان فيه و لا فى أبيه بحسن.

ثمّ مرّ بمعبد بن زهير بن أبى اميّة فقال: لو كانت الفتنة برأس الثريّا لتناولها هذا الغلام و الله ما كان فيها بذى نخيره و لقد أخبرنى من أدركه و أنّه ليولول فره من السيف.

ثمّ مرّ بمسلم بن قرظ فقال: البرّ أخرج هذا و الله لقد كلّمنى أن أكلم عثمان فى شيء كان يدّعيه قبله بمكّه فأعطاه عثمان و قال: لولا أنت ما أعطيته ان هذا ما علمت بنس أخو العشيره ثمّ جاء المشوم للحين ينصر عثمان.

ثمّ مرّ بعبد الله بن حميد بن زهير فقال: هذا أيضا ممّن أوضع فى قتالنا زعم يطلب الله بذلك و لقد كتب إلّى كتبنا يؤذى عثمان فيها فأعطاه شيئا فرضى عنه.

ثمّ مرّ بعبد الله بن حكيم بن حزام فقال، هذا خالف أباه فى الخروج و أبوه حين لم ينصرنا قد أحسن فى بيعته لنا و إن كان قد كفّ و جلس حين شكّ فى القتال ما ألوم اليوم من كفّ عنا و عن غيرنا، و لكن المليم الذى يقاتلنا ثمّ مرّ عليه السلام بعبد الله بن المغيرة بن الأخنس فقال: أمّا هذا فقتل أبوه يوم قتل عثمان فى الدار فخرج مغضبا لقتل أبيه و هو غلام حدث جين لقتله.

ثمّ مرّ عليه السلام بعبد الله بن أبى عثمان بن الأخنس بن شريق فقال: أمّا هذا فكأنى أنظر إليه و قد أخذ القوم السيوف هاربا يعد و من الصّيف فنهت عنه فلم يسمع من نهت حتى قتله و كأنّ هذا مما خفى على فتیان قريش اغمار لا- علم لهم بالحرب خدعوا و استزلوا فلما وقفوا لججوا فقتلوا ثمّ مشى قليلا فمرّ بكعب بن سور فقال: هذا الذى خرج علينا فى عنقه المصحف يزعم أنه ناصر امه يدعو الناس إلى ما فيه و هو لا يعلم ما فيه، ثمّ استفتح فخاب كلّ جبار عنيد اما أنه دعا الله أن يقتلنى فقتله الله، اجلسوا كعب بن سور

فاجلس فقال له أمير المؤمنين: يا كعب لقد وجدت ما وعدني ربي حقاً فهل وجدت ما وعدك ربك حقاً؟ ثم قال عليه السلام: اضجعوا كعباً.

و مرّ على طلحه بن عبيد الله فقال: هذا الناكث بيعتي و المنشىء الفتنه فى الأمه و المجلب على و الداعى إلى قتلى و قتل عترتى اجلسوا طلحه بن عبيد الله، فأجلس، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: يا طلحه قد وجدت ما وعدني ربي حقاً فهل وجدت ما وعدك ربك حقاً؟ ثم قال عليه السلام: اضجعوا طلحه.

و سار فقال له عليه السلام بعض من كان معه: أتكلّم كعباً و طلحه بعد قتلهم؟ فقال عليه الصلاة و السلام: و الله لقد سمعوا كلامى كما سمع أهل القليب كلام رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم يوم بدر.

ايضاح

قوله «جدعت أنفى» أى قطعت و الفاعل راجع إلى قريش و هو كناية عن جنايتهم التى جنوها عليه عليه السلام حسبما عرفت فى شرح المتن، و قال المحدث العلامة المجلسي: جدعت أنفى أى لم أكن أحبّ قتل هؤلاء و هم من قبيلتى و عشيرتى و لكن اضطررت إلى ذلك، انتهى، و على تفسيره فجدعت بصيغه المتكلم و الأظهر أنه بصيغه الغائب كما قلناه و «العض» المسك بالأسنان فاستعير لحدّ السيف و «الحين» الهلاك.

قوله «ما كان بذى نخيره» النخير صوت بالأنف أى كان يقيم الفتنة لكن لم يكن بعد قيامها صوت و حركه بل كان يخاف.

قوله «و يولول» يقال و لولت المرأة أعولت و الفرق شدّه الفزع قوله «هذا ما علمت» أى فيما علمت و فى علمى قوله «ممن اوضع» على البناء على الفاعل أى ركض دابته و أسرع أو على البناء على المفعول، قال الجوهري: وضع الرجل فى تجارته و اوضع على ما لم يسمّ فاعله فيهما أى خسر و «المليم» المذموم قوله «فنهنت عنه» أى كففت و زجرت.

قوله «و كان هذا مما خفى على آه» قال العلامة المجلسي: أى لم أعلم

بوقت قتله فتیان قریش مبتداً و «الاغمار» جمع غمر بالضمّ و بضمتین و هو الذین لم یجرب الأمور انتهى.

«و لجج» السیف یلجج لججا من باب تعب أى نشب فلا یرج و مکان لجج ضیق.

و «کعب بن سور» قاضی البصره و لاه عمر بن الخطاب علی قضائها فلم یزل علیها حتی قتل عثمان فلما کان یوم الجمل خرج مع أهل البصره و فی عنقه مصحف فقتل هو یومئذ و ثلاثه اخوه له أو أربعة فجاءت أمّهم فوجدتهم فی القتلی فحملتهم و جعلت تقول:

أیا عین ابکی بدمع سرب علی فتیة من خیار العرب

فما ضرّهم غیر جبن النفوس و أى امرء لقریش غلب

قوله «ثم استفتح» تلمیح إلى قوله تعالى: و استفتحوا فخاب کلّ جبار عنید، أى سألوا من الله الفتح علی أعدائهم و «اجلب» علیه الناس أى حرّضهم و جمعهم و «القلب» البئر التی لم تطو یدکر و یؤنث و کان حفر یوم بدر قلب القی فیہ القتلی من الکفار.

الترجمه

از جمله کلام آن امام است علیه و آله السلام وقتی که مرور کرد به طلحه و عبد الرحمن بن عتاب بن اسید در حالتی که کشته شده بودند در روز جنگ جمل می فرماید:

هر آینه بتحقیق صباح کرد أبو محمّد یعنی طلحه در این مکان در حالتی که غریبست آگاه باش قسم بخدا بتحقیق بودم من ناخوش می گرفتم این که شوند طایفه قریش کشته شدگان در زیر شکم ستارگان، دریافت نمودم جنایت خود را از پسران عبد مناف و رمیدند و گریختند از من اشراف و بزرگان قبیله جمح، بتحقیق دراز کردند ایشان یعنی قریش گردنهای خودشان را بسوی چیزی که أهل آن نبودند، یعنی طلب خلافت نمودند بدون استحقاق پس شکسته شد گردنهای ایشان نزد آن چیز.

إشاره

قد أحيا عقله و أمات نفسه، حتّى دقّ جليله، و لطف غليظه، و برق له لامع كثير البرق، فأبان له الطريق، و سلك به السبيل، و تدافعت الأبواب إلى باب السّلامه، و دار الإقامة، و ثبتت رجلاه بطمأنينه بدنه فى قرار الأمن و الراحة، بما استعمل قلبه و أرضى ربّه.

اللغه

(دقّ) الشىء يدقّ دقه من باب ضرّ خلاف غلظ فهو دقيق و غلظ الشىء بالضمّ غلظا و زان عنب و الاسم الغلظه و هو غليظ و (أبان) و بين و تبين و استبان كلّها بمعنى الوضوح و الانكشاف و جميعها يستعمل لازما و متعدّيا إلّا بان الثلاثى فلا يستعمل إلّا لازما قاله الفيومى.

الاعراب

جليله و غليظه مرفوعان على الفاعل للزوم فعليهما، و الباء فى قوله سلك به للتعديه، و فى قوله بطمأنينه بدنه للمصاحبه، و فى قوله بما استعمل للسببيه، و كلتا الأخيرتين متعلقتان بقوله ثبتت.

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام على غايه و جازته جامع لجميع صفات العارف الكامل

و لكيفيته سلوكه و لمال أمره و لعمرى إنه لا يوجد كلام أوجز من هذا الكلام فى أداء هذا المعنى، و هو فى الحقيقة قطب دائره العرفان و عليه مدارها، و فى الايجاز الذى هو فن نفيس من علم البلاغه تالى كلام الملك الرحمن، مثل قوله: «لَكَيْلًا تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ» الجامع للزهد كله و قوله «خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ» الجامع لمكارم الأخلاق جميعا، و شرحه يحتاج إلى بسط فى المقال بتوفيق الرب المتعال فأقول مستعينا بالله و بوليته عليه السلام:

قوله عليه السلام (قد أحيا عقله و أمات نفسه) المراد بعقله العقل النظرى و العملى و بنفسه النفس الأماره بالسوء و المراد بحياه الأول كونه منشئا للآثار المترتبة عليه مقتدرا على تحصيل الكمالات و المعارف الحقه و مكارم الأخلاق المحصية للقرب و الزلفى لديه تعالى، و بموت الثانى بطلان تصرفاته و آثاره المبعده عنه عزّ و جلّ بحذافيره، فإنّ الحياه و الموت عباره اخرى عن الوجود و العدم لا أثر له أصلا.

و أراد باحيائه الأول و إماتته الثانى تقويته و تغليبه له عليه بحيث يكون الأول بمنزله سلطان قاهر يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد، و الثانى بمنزله عبد ذليل داخر مقهور لا يريد و لا يصدر إلّا بأذن مولاه.

و لا- يحصل تقويه الأول و تذليل الثانى إلّا بملازمه الكمالات العقلانيه و المجاهده و الرياضه النفسانيه، و المجاهده عباره عن ذبح النفس بسيوف المخالفه كما قال تعالى «وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ» و قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لما بعث سريه و رجعوا: مرحبا بقوم قضاوا الجهاد الأصغر و بقى عليهم الجهاد الأكبر، فقيل: يا رسول الله و ما الجهاد الأكبر؟ قال:

جهاد النفس.

و قال بعض أهل العرفان: جاهد نفسك بأسياف الرياضه و الرياضه على أربعة أوجه القوت من الطعام، و الغمض من المنام، و الحاجه من الكلام، و حمل الأذى من جميع الأنام، فيتوَلَّد من قَلِّه الطعام موت الشهوات، و من قَلِّه المنام صفو الارادات،

و من قلّه الكلام السيّلامه من الافات، و من احتمال الأذى البلوغ إلى الغايات و ليس على العبد شيء أشدّ من الحلم عند الجفا، و الصبر على الأذى، و إذا تحرّكت من النفس إرادته الشهوات و الآثام و هاجت منها حلاوه فضول الكلام جرّدت عليهم سيوف قلّه الطّعام من غمد التهيج و قلّه المنام و ضربتها بأيدي الخمول و قلّه الكلام حتّى تنقطع عن الظلم و الانتقام فتأمن من بوائقها من بين سائر الأناء و تصفّيها من ظلّه شهواتها فتنبجو من غوائل آفاتنا فتصير عند ذلك نظيفه و نوريه خفيفه روحانيه، فتجول في ميدان الخير و تسير في مسالك الطاعات كالفرس الفاره في الميدان و كالمسلك المتنزّه في البستان.

و قال أيضا: أعداء الانسان ثلاثه: دنياء، و شيطانه، و نفسه، فاحترس من الدّنيا بالزّهد فيها، و من الشّيطان بمخالفته، و من النفس بترك الشهوات.

و تفصيل ذلك على ما قرّر في علم السلوك إنّ للسالك لطريق الحقّ المريد للوصول إلى حظيره القدس شروطا و وظائف لا بدّ من ملازمتها.

أمّا الشروط التي لا بدّ من تقديمها في الاراده فهي رفع الموانع و الحجب التي بينه و بين الحقّ، فإنّ حرمان الخلق من الحقّ سببه تراكم الحجب و وقوع السّد على الطريق قال الله تعالى «وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ».

و السّد بين المريد و بين الحقّ ثلاثه: المال، و الجاه، و المعصيه و رفع حجاب المال إنّما يحصل بالخروج منه حتّى لا يبقى منه إلّا قدر الضروره فما دام يبقى له درهم ملتفت إليه فهو مقيد به محجوب عن الله عزّ و جلّ، و رفع حجاب الجاه إنّما يحصل بالبعد من موضع الجاه و الهرب منه و ايثار خمول الذّكر، و رفع حجاب المعصيه إنّما يحصل بالتّوبه و النّدم على ما مضى من المعاصي و تدارك ما فات من العبادات و ردّ المظالم و إرضاء الخصوم و إذا قدّم هذه الشّروط فلا بدّ له من المواظبه على وظائف السلوك، و هي خمس: الجوع، و الصّمت، و السّهر، و العزله، و الذّكر.

أمّا الجوع فأنّه ينقص دم القلب و يبيضه و يلطفه و فى بياضه و تلطفه نوره و يذيب شحم الفؤاد و فى ذوبانه رقتة و رقتة مفتاح انكشاف الحجب كما أنّ قساوته سبب الحجاب، و مهما نقص دم القلب ضاق مسلك العدوّ الشيطان فإنّ مجاريه العروق الممتلئة بالشهوات، و لذلك قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: إنّ الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فى العروق فضيقوا مجاريه بالجوع، أو قال بالصوم و فى حديث آخر ألا اخبركم بشيء ان أنتم فعلتموه تباعد الشيطان منكم كما تباعد المشرق من المغرب؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال صلى الله عليه و آله و سلم: الصّوم يسوّد وجهه الحديث.

ففائده الجوع فى كسر شهوات المعاصى كلّها و الاستيلاء على النفس الأماره بالسوء أمر ظاهر لأنّ منشأ المعاصى كلّها الشهوات و القوى و مادّة القوى و الشهوات لا- محاله الأ-طعمه، فتقليلها يضعف كلّ شهوة و قوّه و يكسر سوره النفس الأماره كالدابة الجموح إذا شبت شررت و جمحت لا- يمكن ضبطها باللجام، و إذا جاعت ذلت و انقادت و بالجملة فالشبع يورث القسوه و الشهوة و السبعيه، و الجوع يوجب الرّقه و انكسار الشهوة و الصولة، و هو مشاهد بالتجربه، و من هنا قيل: مفتاح الدّنيا الشبع و مفتاح الاخره الجوع، و قال النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم من أجاع بطنه عظم فكرته و فطن قلبه و قال أيضا أحيوا قلوبكم بقلّه الضحك و قلّه الشبع و طهّروها بالجوع تصفو و ترق.

و أما الصمت فينبغى أن لا يتكلّم إلّا بقدر الضروره لأنّ الكلام يشغل القلب و ميل القلوب إلى الكلام عظيم، فانه يستروح اليه و يستثقل التجرد للذكر و الفكر و فى الحديث طوبى لمن أنفق فضول ماله و أمسك عن فضول كلامه، هذا فى الكلام المباح و أما الكلام الغير المباح من الكذب و النميمه و البهت و غيرها فينبغى و بين السلوك إلى الحقّ بون بعيد بعد المشرقين.

و أما السهر فانه يجلو القلب و يصفيه و ينوّره و لذلك مدح الله سبحانه المستغفرين بالأسحار لأنها أوقات صفاء الدّهن و نزول الرّحمه و الألطاف الالهيه، فيضاف صفاء السّهر إلى الصفاء الحاصل من الجوع فيصير القلب كالكوكب الدّرّى و المرآه المجلوه مستعدا لافاضه الأنوار الالهيه، فيلوح فيه سبحات جمال الحقّ و يشاهد

رفعه الدّرجات الاخریّه و عظم خطرّها و حسّه الزّخارف الدّنیویّه و حقارتها، فتتمّ بذلك رغبته عن الدّنيا و شوقه إلى الاخره، و السّهر أيضا من خواصّ الجوع و بالشّبع غیر ممکن.

و أمّا العزله و الخلوه ففائدتها دفع الشواغل و ضبط السمع و البصر، فانهما دهليز القلب و القلب بمنزله حوض تنصبّ إليه مياه كریهه كدره من مجارى الحواس و المقصود بالریاضه تفريغ الحوض من المياه الردغه و من الطّین الحاصل منها فينفجر أصل الحوض فيبع منه ماء نظيف سائغ صاف و لا يمكن نزع ماء الحوض و الأنهار إليه مفتوحه فيتجدّد فی كلّ حال أكثر ممّا ينقص.

قال الرّضا علیه التحیّه و الثناء إنّ أمير المؤمنين علیه السّلام كان يقول: طوبى لمن أخلص لله العباده و لم يشغل قلبه بما تراه عيناه و لم ينس ذکر الله بما تسمع اذناه الحديث.

فلا بدّ من ضبط الحواس إلّا عن قدر الضروره و لا يتمّ ذلك إلّا بالعزله و الخلوه.

قال بعض السّیاحین: قلت لبعض الأبدال المنقطعين عن الخلق كيف الطريق إلى الحقّ؟ قال: أن تكون فی الدّنيا كأنّك عابر طریق، و قلت له مرّه: دلّنی على عمل أجد قلبی فيه مع الله تعالى على الدّوام، فقال لی: لا تنظر إلى الخلق فإنّ النّظر إليهم ظلمه، قلت: لا- بدّ لی من ذلك، قال: فلا تسمع كلامهم، فإنّ فی سماع كلامهم قسوه، قلت: لا بدّ لی من ذلك، قال: فلا تعاملهم فإنّ معاملتهم وحشه، قلت: أنا بین أظهرهم لا بدّ لی من معاملتهم، قال: فلا تسكن إليهم فإنّ السكون إليهم هلكه، قال:

قلت: هذا لعلّه يكون، قال یا هذا أنتنظر إلى الغافلين و تسمع كلام الجاهلين و تعامل البطالين و تريد أن تجد قلبك مع الله تعالى على الدّوام، و لا- يمكن ذلك إلّا- بأن يخلو عن غيره و لا يخلو عن غيره إلّا بطول المجاهده، و قد عرفت أنّ طريق المجاهده مضادّه الشهوات و مخالفه هوى النّفس، فاذا حصل للسالك هذه المقدمات اشتغل بذكر الله تعالى بالأذكار الشرعيّه من الصّلاه و تلاوه القرآن و الأدعيّه المأثوره و التّسبيح و التهليل و غیر ذلك بلسانه و قلبه، فلا يزال يواظب عليها حتّى لا يبقى على قلبه و لسانه

غير ذكره تعالى، ولا يكون له منظور غيره أصلاً، فعند ذلك يتجلى له من أنوار جماله و سبحات عظمته و جلاله ما لا يحيط به لسان الواصفين، و يقصر عنه نعت الناعتين.

هذا من الشرايط و الوظائف المقرّره قد أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام في مطاوى كلماته و خطبه المتقدمه و غيرها كثيرا.

مثل ما رواه في الوسائل من أمالي ابن الشيخ قال روى أنّ أمير المؤمنين عليه السلام خرج ذات ليله من المسجد و كانت ليله قمراء فأَمَّ الجيَّانه و لحقه جماعه تقفون أثره فوقف عليهم ثم قال عليه السلام: من أنتم؟ قالوا: شيعتك يا أمير المؤمنين، فتفرّس في وجوههم قال: فمالى لا أرى عليكم سيماء الشيعة، قالوا: و ما سيماء الشيعة يا أمير المؤمنين؟ قال عليه السلام: صفر الوجوه من الشهر عمش العيون من البكاء حذب الظهور من القيام خمص البطون من الصيام ذبل الشفاه من الدعاء عليهم غبره الخاشعين.

و قال عليه السلام في الخطبه الثانيه و الثمانين: فاتّقوا الله تقاه ذى لبّ شغل التفكّر قلبه و أنصب الخوف بدنه و أسهر التهجد غرار نومه و أظمأ الرّجاء هواجر يومه و أظلف الزّهد شهواته و أوجف الذّكر بلسانه و قدّم الخوف لابانه و تنكب المخالجات عن وضح السبيل و سلك أقصد المسالك إلى النهج المطلوب.

و غير ذلك ممّا تقدّم في ضمن خطبه المسوقه في الحثّ على الزهد و التقوى و وصف حال المتقين و لا حاجه إلى الاعاده.

ثمّ لا يخفى عليك أنّ مطلوبيّ الاعتزال و الخلوه إنّما هى للفراغ للذّكر و الخلوه و العباده و كون المعاشره مانعه منه، و أمّا إذا لم تكن المعاشره مانعه بل تبعته على سلوك الصّراط المستقيم كالجمعه و الجماعات و زياره الاخوان المؤمنين و الاجتماع فى مجالس الذّكر و نحوها فهى من أعظم العبادات، و سلوك نهج الحقّ على ما ذكرنا من الاداب و الوظائف هو المتلقّى من صاحب الشرع.

و أمّا غيرها ممّا ذكره الصّوفيه من الاداب و الوظائف فى المجاهده و الرّياضه و كيفيه السّلوک مثل قولهم بالجلوس فى بيت مظلم و الخلوه أربعين

يوماً، و اشتراطهم الاعتصام بالشيخ و كون السِّلوك بارشاده، و قولهم بالمداومه على ذكر مخصوص ألقاه الشيخ إلى المريد من الأذكار الفتحية أو غيرها نحوها من الأذكار المبتدعه أو من الأذكار الشرعية لكن على هيئة مخصوصه و عدد مخصوص لم يرد به نص، و قولهم بأن المريد إذا تم مجاهدته و لم يبق في قلبه علاقه تشغله يلزم قلبه على الدوام و يمنعه من تكثير الأوراد الظاهره بل يقتصر على الفرائض و الرواتب و يكون ورده وردا واحدا و هو ملازمه القلب لذكر الله بعد الخلو عن ذكر غيره، فعند ذلك يلزمه الشيخ زاويه ينفرد بها و يلقنه ذكرا من الأذكار حتى يشغل به لسانه و قلبه فيجلس و يقول مثلاً: الله الله أو سبحان الله سبحان الله أو ما يراه الشيخ من الكلمات فلا يزال يواظب عليه حتى تسقط حركه اللسان و تكون الكلمه كأنها جاريه على اللسان من غير تحريك، ثم لا يزال يواظب عليه حتى يسقط الأثر عن اللسان و تبقى صورته اللفظ في القلب ثم لا يزال كذلك حتى يمحى عن القلب حروف اللفظ و صورته و تبقى حقيقه معناه لازمه للقلب حاضره معه غالبه عليه قد فرغ من كل ما سواه و نحو ذلك مما قالوه فشيء منها لم يرد به اذن من الشارع بل هو من بدعاتهم التي أبدعوها اللهم إلا أن يستدل على الأخير أعني المواظبه على الذكر باللسان و القلب على ما وصل بعمومات أدله الاكثار من ذكر الله و التفكير في الله.

إذا عرفت ذلك فلنرجع إلى شرح المتن فأقول:

قوله عليه السلام (حتى دق جليله و لطف غليظه) غايه لا ماتته لنفسه أولها و لا حياته لعقله أيضا، و الجملة الثانيه إما مؤكده للامولى فالمعنى أن تكميله لعقله و تركه لشهوات نفسه انتهى إلى مرتبه أوجبت هزال جسمه و نحول بدنه، أو المراد بالجليل أعضاؤه العظام كالرأس و اليدين و الفخذين و الساقين، و بالغليظ غيرها، أو المراد بالأول عظامه و بالثاني جلده و أعصابه، أو بالأول بدنه و بالثاني قلبه.

و على أي معنى فالمقصود كونه ناكل الجسم ضعيف البدن إما من خوف الله تعالى و تحمله لمشاق العبادات أو لجوعه و كفه عن الأكل و الشرب و سائر الشهوات.

كما قال عليه السّلام فى الخطبه المأه و الثّانيه و التسعين فى وصف المتقين: قد براهم الخوف برى القداح ينظر اليهم الناظر فيحسبهم مرضى و ما بالقوم من مرض.

و قال فى الخطبه الثّانيه و الثمانين: فاتّقوا الله تقّيه ذى لبّ شغل التفكير قلبه و أنصب الخوف بدنه، أى أمرضه و أتعبه.

و قال فى الخطبه المأه و التاسعه و الخمسين حكايه عن كليم الله على نبينا و عليه السّلام إذ يقول ربّ إنّى لما أنزلت إلّى من خير فقير: و الله ما سأله إلّا- خبزا يأكله لأنّه كان يأكل بقله الأرض و لقد كانت خضره البقل ترى من شفيف صفاق بطنه لهزّاله و تشدّب لحمه.

و قوله عليه السّلام (و برق له لامع كثير البرق) الظاهر أنّه عطف على سابقه فيكون هو أيضا غايه لتكميل عقله و جهاد نفسه يعنى أنّه بلغ من كمال قوّته النظرية و العمليه إلى مقام شروق الأنوار المعارف الالهيه على مرآه سرّه فصار مشاهدا بعين بصيرته أنوار قدسه و سبحات وجهه عين اليقين.

كما أشار عليه السّلام إليه فى الخطبه السادسه و الثمانين فى وصف أحبّ عباد الله تعالى إليه عزّ و جلّ بقوله: فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس.

و قال زين العابدين و سيد السّاجدين عليه السّلام فى المناجاة التاسعه من المناجاة الخمس عشره و هى مناجاه المحيّين: يا من أنوار قدسه لأبصار محيّيه رائقه(١) و سبحات وجهه لقلوب عارفيه شائفه(٢) و قال عليه السّلام فى المناجاة الثّانيه عشر منها و هى مناجاه العارفين: إلهى فاجعلنا من الّذين ترسيخت أشجار الشّوق إليك فى حدائق صدورهم، و أخذت لوعه محبّتك بمجامع قلوبهم، فهم إلى أوكار الأفكار يأوون، و فى رياض القرب و المكاشفه يرتعون، و من حياض المحبّه بكاس الملاطفه يكرعون، و شرايع المصافات يروون، قد كشف الغطاء عن أبصارهم، و انجلت ظلمه الرّيب عن عقائدهم فى ضمائرهم

ص: ١٩٩

١- (١) - الروق الصافى من الماء و غيره و العجب.

٢- (٢) - شفته شوقا جلوته و دينار مشوف مجلو.

و انتفت مخالجه الشك عن قلوبهم و سرائرهم، و انشاحت بتحقيق المعرفه صدورهم، و علت لسبق السعاده فى الزهاده هممهم، و عذب فى معين المعامله شربهم، و طاب فى مجلس الانس سرهم، و أمن فى موطن المخافه سربهم، و اطمأنت بالرجوع إلى ربّ الأرباب أنفسهم، و تيقنت بالفوز و الفلاح أرواحهم، و قرت بالنظر إلى محبوبهم أعينهم، و استقرّ بادراك السؤل و نيل المأمول قرارهم، هذا.

و لأهل السلوك و الصّوفيه كلام طويل فى البروق اللامعه أسندوها إلى الشهود و المكاشفه.

قال الرئيس أبو على بن سينا فى محكى كلامه من الاشارات فى ذكر السالك إلى مرتبه العرفان ما لفظه:

ثمّ إنّه إذا بلغت به الرّياضه و الاراده حدّا ما عنت له خلّسات من اطلاع نور الحقّ عليه لذينه كأنها بروق تومض إليه ثمّ تخمد عنه، و هى الّتى تسمّى عندهم أوقاتا و كلّ وقت يكتنفه وجد اليه و وجد عليه، ثمّ إنّه ليكثر عليه هذا الغواشى إذا أمعن فى الارتياض، ثمّ إنّه ليتوغّل فى ذلك حتّى يغشاه فى غير الارتياض فكلّما لمح شيئا عاج منه إلى جانب القدس فتذكر من أمره أمرا فغشيه غاش فيكاد يرى الحقّ فى كلّشئ و لعلّه إلى هذا الجدّ تستولى عليه غواشيه و يزول عن سكينته و يتبّه جليسه لاستنفاره عن قراره، فاذا طالت عليه الرّياضه لم يستنفره غاشيه و هدى للتّأنس بما هو فيه، ثمّ إنّه لتبلغ به الرّياضه مبلغا ينقلب له وقته سكينته فيصير المخطوب ما لولا و الوميض شهابا بيّنا، و يحصل له معارفه مستقرّه كأنّها صحبه مستمرّه و يستمتع فيها ببهجته فاذا انقلب عنها انقلب حيران أسفا.

و قال أبو القاسم القشيري فى رساله القشيريّه: المحاضره قبل المكاشفه فاذا حصلت المكاشفه فبعدها المشاهده و قال: هى أرفع الدّرجات، فالمحاضره حضور القلب و قد تكون بتواترها البرهان و الانسان بعد وراء الستّر و إن كان حاضرا باستيلاء سلطان الذكر، و أمّا المكاشفه فهى الحضور البين غير مفتقر إلى تأمل الدّليل و تطلّب السّبيل، ثمّ المشاهده و هى وجود الحقّ من غير بقاء تهمه و قال أيضا: هى ثلاث

مراتب: اللّوايح، ثمّ اللّوامع، ثمّ الطّوالع، فاللّوايح كالبروق ما ظهرت حتّى استترت، ثمّ اللّوامع و هي أظهر من اللّوايح و ليس زوالها بتلك السّرعه فقد تبقى وقتين و ثلاثه و لكن كما قيل: و العين باكيه لم تشيع النظر فأصحاب هذا المقام بين روح و توح لأنّهم بين كشف و ستر يلمع ثمّ يقطع لا يستقرّ لهم نور النّهار حتى تكثر عليهم عساكر اللّيل، ثمّ الطّوالع و هي أبقي وقتا و أقوى سلطانا و أدوم مكثا و أذهب للظلمه و أنقى للّتهمه.

و قال عمرو بن عثمان المكيّ: المشاهده أن تتوالى أنوار التّجلى على القلب من غير أن يتخلّلها ستر و لا- انقطاع كما لو قدر اتصال البروق فى اللّيله المظلمه فكما أنّها تصير بذلك فى ضوء النّهار فكذلك القلب إذا دام له التّجلى منع النّهار فلا ليل و انشدوا شعرا:

ليلى بوجهك مشرق و ظلامه فى النّاس سار

و النّاس فى سدف الظلام و نحن فى ضوء النّهار

و قال الشّارح البحرانى قوله عليه السّلام: و برق له لامع كثير البروق أشار باللامع إلى ما يعرض للسّالك عند بلوغ الاراده بالرياضه به حدّ أما من الخلسات إلى الجناب الأعلى فيظهر له أنوار إلهيه لذيذه شبيهه بالبرق فى سرعه لمعانه و اختفائه و تلك اللّوامع مسّماه عند أهل الطّريقه أوقاتا و كلّ وقت فأنّه محفوف بوجد اليه ما قبله و وجد عليه ما بعده لأنّه لما ذاق تلك اللذّه ثمّ فارقها حصل فيه حنين و أنين الى ما فات منها، ثمّ إنّ هذه اللّوامع فى مبدء الأمر تعرض له قليلا فاذا أمعن فى الارتياض كثرت فأشار عليه السّلام، باللامع إلى نفس ذلك النور و بكثره برقه الى كثره عروضه بعد الامعان فى الرياضه، انتهى.

و هو كما ترى محضّ ما قدّمنا حكايته عن الشّيخ الرّئيس و مثل هذه المقالات فى كتب المتصوّفه كثير لكنها لم يرد بها خبر من الأئمه عليهم السّلام، مع أنّهم رؤساء السّالكين و أقطاب العارفين و نادر فى أخبارهم عليهم السّلام مثل هذا الكلام لأمر المؤمنين

عليه السّلام الذى نحن فى شرحه، فإنّما هو من المجملات و حملها على ما يوافق مذاق أهل الشّرع بأن يراد باللّوامع أنوار العلوم الحَقّه و لوامع المعارف الالهيه البالغه إلى مرتبه الكمال و مقام عين اليقين و ببروقها فيضانها عليه من الحضرة الأعلى أولى، و الله العالم بحقايق كلام وليه.

و قوله عليه السّلام (فأبان له الطريق و سلك به السّبيل) أى أظهر ذلك البرق اللّامع و أوضح له الطّريق المؤدّى إلى رضوانه و سلك به السّبيل المبلغ إلى جنانه و هو الطّريق المطلوب من الله تعالى الاهتداء إليه فى قوله: اهدنا الصّراط المستقيم قال الصّادق عليه السّلام فى تفسيره: يعنى أرشدنا للزّوم الطّريق المؤدّى إلى محبّتك و المبلّغ إلى جنّتك و المانع من أن نتبع أهواءنا فنعطب أو أن نأخذ بارائنا فنهلك.

و قال أمير المؤمنين عليه السّلام يعنى آدم لنا توفيقك الذى أطعناك به فى ماضى أيامنا حتى نطيعك كذلك فى مستقبل أعمارنا قال فى الصّافى: لمّا كان العبد محتاجا إلى الهدايه فى جميع أموره آنا فانا و لحظه فلحظه فادامه الهدايه هى هدايه أخرى بعد الهدايه الأولى فتفسير الهدايه بادامتها ليس خروجا عن ظاهر اللفظ.

و فيه من معانى الأخبار عن الصّادق عليه السّلام هى الطريق إلى معرفه الله و هما صراطان صراط فى الدّنيا و صراط فى الاخره فأما الصّراط فى الدّنيا فهو الامام المفترض الطّاعه من عرفه فى الدّنيا و اقتدى بهداه مرّ على الصّراط الذى هو جسر جهنّم فى الاخره، و من لم يعرفه فى الدّنيا زلّت قدمه عن الصّراط فى الاخره فتردى فى نار جهنّم.

قال الفاضل الفيض بعد نقله لتلك الأخبار: و مال الكلّ واحد عند العارفين بأسرارهم، و بيانه على قدر فهمك:

أنّ لكلّ إنسان من ابتداء حدوثه إلى منتهى عمره انتقالات جليّه باطنيه فى الكمال و حركات نفسانيّه و طبيعيّه تنشئ من تكرر الأعمال و تنشئ منها

المقامات والأحوال، فلا يزال ينتقل من صورة إلى صورة و من خلق إلى خلق و من عقيدته إلى عقيدته و من حال إلى حال و من مقام إلى مقام و من كمال إلى كمال حتّى يتّصل بالعالم العقلي و المقرّبين و يلحق الملاء الأعلى و السابقين ان ساعده التّوفيق و كان من الكاملين، أو بأصحاب اليمين إن كان من المتوسّطين أو يحشر مع الشياطين و أصحاب الشّمال إن ولاه الشيطان و قارنه الخذلان في المال، و هذا معنى الصّراط و المستقيم منه إذا سلّكه سالكه وصله إلى الجنّة و هو ما يشتمل عليه الشّرع كما قال الله عزّ و جلّ «وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ» و هو صراط التّوحيد و المعرفة و التّوسط بين الأضداد في الأخلاق و التزام صوالح الأعمال، و بالجملة صورته الهدى الّذى أنشأه المؤمن لنفسه ما دام في دار الدّنيا مقتديا فيه بهدى إمامه و هو أدقّ من الشّعر و أحدّ من السيّف في المعنى مظلم لا يهتدى إلّا من جعل الله له نورا كما يمشى به في الناس يسعى عليها على قدر أنوارهم، انتهى.

فان قلت: إنّ العارف إذا أحيا عقله و أمات نفسه فيكون واقعا قصد على الطريق و سالكا للسبيل البتّه فما معنى قوله عليه السّلام: فأبان له الطريق آه، فإنّ ظاهره بمقتضى افاده الفاء للترتيب كون وضوحها و ظهورها و سلوكها مترتبا على الاحياء و الاماته.

قلت: و إن كان المكمل لعقله و المجاهد لنفسه سالكا سبيل الحقّ، لكن في سلوكه هذا السبيل احتمال خلجان الشكّ و طريان القواطع عن سلوكه بعروض الوسوس الشيطانيّه كما قال الله تعالى حكاية عنه «قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَيْمَانِهِمْ وَ عَنْ شَمَائِلِهِمْ وَ لَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ» و أمّا بعد ما أكمل عقله بعلم اليقين و أمات نفسه و استنار قلبه بأنوار العلم و المعارف و تجلّى عليه اللّوامع الغيبيّه و الألفاظ الالهيه و بلغ في الكمال إلى مرتبه عين اليقين فأنّه يشاهد حينئذ بعين بصيرته الصراط المستقيم الّذى هو سبيل مقيم، و يكون مشيه و سلوكه فيه بذلك النور الّذى تجلّى له كما قال تعالى «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ آمِنُوا»

«بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ» و إذا كان سلوكه به فلا يضلّ و لا يشقى و لحق بالملاء الأعلى.

(و تدافعت الأبواب إلى باب السلامه و دار الاقامه) الظاهر أنّ المراد بالأبواب مقامات العارفين و درجات السالكين اللّاتى بعضها فوق بعض، و أراد بتدافعها إيّاه ترقيه من مقام إلى مقام و من درجه إلى درجه إلى أن ينتهى ترقّياته إلى مرتبه حقّ اليقين.

فوصل به الصراط الأقوم إلى باب الله الأعظم العلى من دخل منه كان سالما فى الدّنيا من المعاطب و المهالك و من الزّيف و الضّلال، و سالما فى الآخره من الخزي و النّكال، و هو فى الحقيقة باب دار السّلام الموعود للمذكّرين فى قوله «و هذا صراط ربّك مُستقيماً قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ لَهُمْ دَارُ السّلامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ هُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» و المدعوّ إليه فى قوله «و الله يَدْعُوا إلى دَارِ السّلامِ وَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» أى دار السلامه الدّائمه من كلّ آفه و بليّه ممّا يلقيه أهل النار و العذاب.

و وصل به أيضا إلى دار الاقامه و هى دار المخلصين فى التّوحيد فى الدّنيا و المقيمين عليه و هم «الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَ لَا تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ» و الجنّات المخصوصه فى الآخره و هى «جَنّاتُ عِدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَ لُؤْلُؤًا وَ لِبَاسِهِمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَ قَالُوا الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ».

قال فى التفسير: جنّات عدن أى جنّات إقامه و خلد و هى بطنان الجنّه أى وسطها، و قيل: هى مدينه فى الجنّه فيها الرّسل و الأنبياء و الشهداء و أئمّه الهدى و الناس حولهم و الجنان حولها، و قيل: إنّ عدن أعلى درجه فى الجنّه و فيها عين التسنيم و الجنان حولها محدقه بها و هى مغطاه من يوم خلقها الله حتّى ينزلها أهلها الأنبياء و الصّديقون و الشهداء و الصالحون و من شاء الله.

(و ثبتت رجلاه بطمأنينه بدنه فى قرار الأمن و الراحة) يعنى أنه بعد اندفاعه إلى باب السلامه و دار الاقامه التى هى مقر الأمن و الراحة استقرّ فيها، و ثبوت رجله كناية عنه و حصل له برد اليقين الموجب للطمأنينه الكامله و هو منتهى سير السالكين و غايه غايات المريدين و آخر مقامات العارفين، و أعلى درجات المقرّبين.

و هو الذى أشار إليه سيد الساجدين عليه السّلام فيما قدّمنا حكايته عنه عليه السّلام قريبا بقوله فى وصف العارفين: و طاب فى مجلس الانس سرّهم و أمن فى موطن المخافه سرّهم و اطمأنت بالرجوع إلى ربّ الأرباب أنفسهم و تيقنت بالفوز و الفلاح أرواحهم و قرّت بالنظر إلى محبوبهم أعينهم و استقرّ بادراك السؤل و نيل المأمول قرارهم قال الشارح البحرانى: قوله: و ثبتت رجلاه آه إشاره إلى الطور الثانى للسالك فأنه ما دام فى مرتبه الوقت يعرض لبدنه عند لمعان تلك البروق فى سرّه اضطراب و قلق، لأنّ النفس إذا فاجأها أمر عظيم اضطربت و تقلّقت، فاذا كثرت تلك الغواشى ألقته بحيث لا تنزعج عنها و لا يضطرب لورودها عليها البدن بل يسكن و يطمئنّ لثبوت قدم عقله فى درجه أعلى من درجات الجنّه التى هى قرار الأمن و الراحة من عذاب الله. انتهى.

و هو متفرّع على ما قدّمنا حكايته عن المتصوّفه فى شرح البروق اللامعه، و كلام السّجاد عليه السّلام غير خال عن الاشاره إليه. و يجوز أن يراد بقرار الأمن و الراحة جنه الاخره كما قال عليه السّلام فى الخطبه المأه و الثانيه و التسعين فى وصف المتّقين: صبروا أيّاما قصيره أعقبتهم راحه طويله تجاره مربحه يسرها لهم ربّهم.

و قال تعالى «أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَ يُلْقَوْنَ فِيهَا تَحِيَّهً وَ سَلَامًا خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَ مُقَامًا» و قال «وَ الْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ» و قال «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ أُدْخِلُوا فِيهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ» أى يقال لهم: ادخلوا الجنّات بسلامه من الافات

و براءه من المكاره و المضرات آمنين من الاخراج منها ساكنى النفس إلى انتفاء الضرر فيها قال الزجاج: السلام اسم جامع لكل خير لأنه يتضمن السلامة و قول الملائكة ادخلوها بسلام بشاره لهم بعظيم الثواب.

و ذلك كله (بما استعمل قلبه و أرضى ربه) أى حصول ذلك المقام العالى و نيل تلك الكرامات العظيمة له إنما هو بسبب استعمال قلبه فى الذكر و التفكير فى الله و إرضائه لربه بالمجاهده و الرياضات و الملازمه على الطاعات و القربات، بل خلوه عن الارادات و المرادات فى جميع الحالات و جعل رضا تابعا لرضى مولاه لا يشاء شيئا إلا أن يشاء الله.

فينادى من عند رب العزه بنداء «يا أَيَّتْهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَ ادْخُلِي جَنَّتِي » و يدخل فى حزب من قال تعالى فيهم «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عِدْنٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ » «دَعَاؤُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَ آخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

الترجمة

از جمله کلام آن امام عالمقام است علیه الصلاه و السلام در وصف عارف بحق می فرماید:

بتحقیق زنده کرده است او عقل خود را، و کشته است نفس خود را تا این که ضعیف و تحیف شده اعضای بزرگ او، و لطافت پیدا نموده اجزای درشت او، و برق زده بقلب او نور ساطعی که بغایت برآفتست، پس ظاهر گردانیده آن نور از برای او راه حق را، و راه رفته بروشنی او در راه حق، و دفع کرده او را درهای فضل و کرامت بسوی در سلامت و خانه خلود و اقامت، و محکم شده پاهای او با اطمینان و آرامی بدن او در قرارگاه ایمنی و استراحت بسبب استعمال قلب خود در تفکر و معرفت، و راضی نمودن پروردگار خود را با جهاد نفس و مواظبت

و من كلام له عليه السلام و هو المأتان و التاسع عشر من المختار فى باب الخطب

اشاره

بعد تلاوه ألهيكم التكاثر حتى زرتم المقابر، و رواه فى البحار من كتاب عيون الحكم و المواعظ لعلّى بن محمّد الواسطى مرسلًا كما فى المتن، و شرحه فى فصول:

الفصل الاول

اشاره

يا له مراما ما أبعده، و زورا ما أغفله، و خطرا ما أفضعه، لقد استخلوا منهم أى مذكر، و تناوشوهم من مكان بعيد، أ فبمصارع آبائهم يفخرون، أم بعديد الهلكى يتكاثرون، يرتجعون منهم أجسادا خوت، و حركات سكنت، و لأن يكونوا عبدا أحق من أن يكونوا مفتخرا، و لأن يهبطوا بهم جناب ذلّه، أحجى من أن يقوموا بهم مقام عزّه، لقد نظروا إليهم بأبصار العشوه، و ضربوا منهم فى غمره جهاله. و لو استنطقوا عنهم عرصات تلك الدّيار الخاويه، و الرّبوع الخاليه، لقات: ذهبوا فى الأرض ضلّالا، و ذهبتم فى أعقابهم جهّالا، تطئون

فِي هَامِهِمْ، وَ تَسْتَنْبِتُونَ فِي أَجْسَادِهِمْ، وَ تَرْتَعُونَ فِيْمَا لَفْظُوا، وَ تَسْكُنُونَ فِيْمَا خَرَّبُوا، وَ إِنَّمَا الْأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ بَوَاكٍ وَ نَوَائِحُ عَلَيْكُمْ، أَوْلَئِكَ سَلَفُ غَايَتِكُمْ، وَ فَرَّاطُ مَنَاهِلِكُمْ، الَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ مَقَاوِمُ الْعِزِّ وَ حَلِيَّاتُ الْفَخْرِ مَلُوكًا وَ سَوَاقًا سَلَكَوْا فِي بَطُونِ الْبَرَزْخِ سَيِّلًا، سَلَّطَتِ الْأَرْضُ عَلَيْهِمْ فِيهِ، فَأَكَلَتْ مِنْ لَحُومِهِمْ، وَ شَرِبَتْ مِنْ دِمَائِهِمْ، فَأَصْبَحُوا فِي فَجْوَاتِ قُبُورِهِمْ جَمَادَا لَا يَنْمُونَ، وَ ضَمَارًا لَا يَوْجِدُونَ، لَا يَفْزَعُهُمْ وَرُودُ الْأَهْوَالِ، وَ لَا يَحْزَنُهُمْ تَنْكُرُ الْأَحْوَالِ، وَ لَا يَحْفَلُونَ بِالزَّوْاجِفِ، وَ لَا يَأْذَنُونَ لِلْقَوَاصِفِ، غَيْبًا لَا يَنْتَظِرُونَ، وَ شُهُودًا لَا يَحْضُرُونَ، وَ إِنَّمَا كَانُوا جَمِيعًا فَتَشَتَّتُوا، وَ آلَافًا فَافْتَرَقُوا، وَ مَا عَنْ طَوْلِ عَهْدِهِمْ وَ بَعْدَ مَحَلِّهِمْ عَمِيتَ أَخْبَارُهُمْ، وَ صَمَّتْ دِيَارُهُمْ، وَ لَكِنَّهُمْ سَقَوْا كَأْسًا بَدَلْتَهُمْ بِالنُّطْقِ خَرَسًا، وَ بِالسَّمْعِ صَمَمًا، وَ بِالْحَرَكَاتِ سَكُونًا، فَكَأَنَّهُمْ فِي ارْتِجَالِ الصَّفْهِ صَرَعَى سِبَاتٍ.

اللغة

(الزَّور) بفتح الزَّاء و سكون الواو اسم يطلق على الواحد و الجمع كالضَّيف فيراد به الزَّائر و الزَّائرون و كذلك الزَّور بضمِّ الزَّاء و فتح الواو و (الخطر) محرَّكه الأَشْرَاف على الهلاك و (أَيَّ مَذْكَر) بصيغه اسم الفاعل من

التذكير و فى بعض النسخ أى مذكر مصدر ميمى من الادكار و أصله مدتكر قلبت تاؤه دالا و ادغم و (خوت) الدار و خويت خيا و خواء و خوايه تهدمت و خلت من أهلها، و أرض خاويه خاليه من أهلها، و الخوا بالقصر و المدّ خلو الجوف من الطعام.

و (الجناب) بفتح الجيم الفناء و (الحجى) العقل و الفطنه و هو حجى كفتى أى جدير و (العشوه) كالعشا مقصوره و العشاهه سوء البصر بالليل و (ضرب) فى الماء سبج و ضرب فى الأرض سار قال تعالى «إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ» و (غمرة) الشىء شدته و معظمه و غمر الماء كثر و الغمر معظم البحر و (العرصة) كلّ بقعه من الدّور واسعه ليس فيها بناء و الجمع عرصات و أعراص و عراض و (الرّبوع) جمع الرّبع و هى الدار حيث كانت و المحلّه و المنزل و (الهام) جمع الهامه و هى الرّاس.

و (تستنبتون) بالنون من النبات و يروى بالثاء المثلثة بدل النون و (لفظه) رماه من فيه و (السّلف) محرّكه كلّ من تقدّمك من آبائك و أقوامك و غيرهم و الجمع أسلاف و سلاف و (الغايه) الحدّ الذى ينتهى إليه الشىء و (الفرط) محرّكه المتقدّم إلى الماء يطلق على الواحد و الجمع و (المنهل) المشرب و الموضع الذى فيه المشرب و المنزل يكون بالمفازه.

و (المقاوم) المقامه كالمفاوز و المفازه و هى المجلس و قال الشارح المعتزلى جمع القوم و هى الخشبه التى يمسكها الحرّاث و (حلبات) جمع حلبه كعرصات و عرصه و هى الخيل تجمع للسباق من كلّ أوب لا تخرج من اصطبل واحد و (سوق) وزان صرد جمع سوقه بالضّم الرّعيه و (الفجوات) جمع فجوه و هى الفرجه و ساحه الدّار و (لا ينمون) بتخفيف الميم من نمى ينمى و ينمو نموًا و نميًا و نماء زاد و يروى بالتشديد من التّميمه و (الضّمار) وزان كتاب كلّ ما لا يرجى رجوعه من المال و الدّين و غيره.

و (حقل) القوم حفلا- كاحتفل و تحفّل اجتمعوا و (اذن) إليه و له من باب علم استمع معجبا و (الآف) جمع آلف مثل زهاد و زاهد و (ارتجل) الكلام تكلم

به من غير أن يهَيَّاه و (صرعى) جمع صريع و هو المصروع من الصَّرع و هو الطرح على الأرض و (السَّبات) كغراب النوم.

الاعراب

قوله عليه السَّلام: يا له مراما ما أبعد، النداء للتعجب دخل على المتعجب منه فإنَّ هذا النداء إنَّما يستعمل فى مقامين:

أحدهما أن يرى المتكلِّم أمرا عظيما عجيبا فينادى جنسه كقولهم يا للماء و للدَّواهى إذا تعجَّبوا من كثرتهما.

و الثانى أن يرى أمرا يستعظمه، فينادى من له نسبه إليه و مكنه فيه نحو يا للعلماء و غلب فى المنادى المتعجب منه جرّه باللام كما فى المنادى المستغاث و قد يستغنى عنها بالألف مثل يا عجبا.

و الضمير فى له مبهم يفسره التَّمييز بعده، و هذا من جملة المواضع التى جَوَّزوا فيها عود الضمير على المتأخَّر لفظا و رتبه كما فى نعم رجلا زيد، فإنَّ فاعل نعم ضمير يفسره رجلا و كذلك قوله تعالى «سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ» و «كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ» و قال الزَّمخشرى فى قوله تعالى «إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا» هذا ضمير لا يعلم ما يعنى به إِلَّا بما يتلوه، و أصله إن الحياه إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا، ثم وضع هى موضع الحياه لأنَّ الخبر يدلُّ عليها و يبيِّنُها.

و مراما منصوب على التَّمييز كما أشرنا إليه و هو رافع للابهام عن الضمير مقدَّر فى المعنى بمن أى ياله من مرام، و جملة ما أبعد صفه لمراما، و ما فيها للتعجب مبتدأ خبره أبعد كما فى قولهم ما أحسن زيدا قال سيبويه: هى نكره تامه بمعنى شىء لتضمَّنِها معنى التعجب و ما بعدها من الجملة الفعلية خبر و قال الفراء إنَّها استفهامية و هو المنقول عن الكوفيين و هو موافق لقولهم باسميَّ افعل لأنَّ الاستفهام المشوب بالتعجب لا يليه إِلَّا الأسماء نحو «ما أصحاب اليمين» و «مالى لا أرى الهدهد» قوله: و زورا ما أغفله، مأخوذ من فعل مفتوح العين من باب قعد و لكن بعد نقله إلى فعل مضموم العين لتصريح علماء الأدبيَّة بأنَّ فعل التعجب لا يبنى إِلَّا من

فعل مضموم العين فى أصل الوضع أو من المنقول إلى فعل إذا كان من غيره نحو ما اضرِبَ و ما اقتل ليدلّ بذلك على أنّ التعجّب منه صار كالغريزه لأنّ باب فعل موضوع لهذا المعنى.

و قوله: أى مذكّر، بنصب أى لكونها حالا من ضمير منهم كما فى قولك مررت بزيد أى رجل أى كاملا فى الرجوليّه و قوله: أفى مصارع آبائهم الاستفهام للتوبيخ و الإنكار، و قوله: يرتجعون منهم أجسادا الجملة لا محلّ لها من الاعراب لأنّها استئناف بيانيّ.

و قوله: الذين كانت لهم مقاوم العزّ، الجملة فى محلّ الرّفْع صفه لفراط و لهم خبر كانت قدّم على الاسم للتوسّع و قوله: ملوكا و سوقا منتصبان على الحال من لهم، و جمادا و ضمارا حالان من ضمير أصبحوا إن كانت تامّه و إلّا فخران لها و قوله: طول عهدهم، متعلّق بقوله: عميت، و قدم عليه للتوسّع

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام مسوق فى مقام الموعظه و النصيحة و ايقاظ المخاطبين من سبات الغفله، و خصّهم على الاعتبار بالماضين من الاءاء و الأسلاف و الأقرباء و الالاف و الأوكر بأهل المقابر حيث نزلوا من معاقل العزّ و ذروه القصور إلى وهذه القبور فعميت عنهم الآثار و انقطعت عنهم الأخبار.

قاله عليه السّلام بعد تلاوه قوله تعالى: «الْهَآكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ»، أى شغلکم التفاخر فى الكثره و التغالب بها.

و ذكر المفسّرون فى تفسيره وجهين:

الأوّل أنّ المراد به التّكاثر بالعدد روى أنّ بنى عبد مناف و بنى سهم بن عمر و تفاخروا و تعاوّدوا و تكاثروا بالسّادات و الأشراف، فقال كلّ من الفريقين:

نحن أكثر منكم سيّدا و أعزّ عزيزا و أعظم نفرا، فكثّروهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم:

إنّ البغى أفنانا فى الجاهليّه فعّدّوا مجموع أحيائنا و أمواتنا مع مجموع أحيائكم و أمواتكم، ففعلوا فكثّروهم، فنزلت الايه و المعنى أنّكم تكاثرتُم بالأحياء

حتّى إذا استوعبتم عددهم صرتم إلى التّفاخر و التّكاثر بالأموال فعبّر عن بلوغهم ذكر الموتى بزياره القبور تهكّما بهم، وقيل: كانوا يزورون المقابر فيقولون:

هذا قبر فلان و هذا قبر فلان يفتخرون بذلك.

الوجه الثّاني أنّ المراد به التّكاثر بالمال، و المعنى ألّهيكم التّكاثر بالأموال و طلب تكثيرها و الحرص على جمعها إلى أن ممّ و قبرتم مضيّعين أعماركم فى طلب الدّنيا معرضين عمّا يهّمكم من السّعى للآخرة فتكون زيّاره القبور كناية عن الموت.

و على كلا الوجهين فالإيه وارده فى مقام التّوبيخ و التّقريع على التّكاثر، و حذف متعلّق ألّهيكم ليذهب الوهم و الخيال فيه كلّ مذهب، فيعمّ جميع ما يحتمله المقام من الإلهاء عن ذكر الله و عن الواجبات و المندوبات فى المعرفة و الطّاعه و التدبّر و التّفكر، و محصّله إلهاء التّكاثر بالأموال الدّنيويّه عن الأمور الدّينيّه و الآخرويّه.

و ربّما أيّد الوجه الثّانى بما روى عن النّبي صلّى الله عليه و آله و سلّم أنّه تلا- هذه السّوره فقال: يقول ابن آدم مالى مالى و مالك من مالك إلّا ما أكلت فأفنيّت، أو لبست فأبليت، أو تصدّقت فأمضيت.

و يدلّ على الأوّل كلام أمير المؤمنين عليه السّلام هنا لانكاره عليهم التّكاثر بعدد الهلكى و التّفاخر بمصارع الآباء و تعجّبه من التّكاثر و التّفاخر مزيد التعجّب بقوله (يا له مراما ما أبعده) و فيه من الدّلاله على المبالغه فى التعجّب ما لا يخفى، حيث أتا ببناء التعجّب أولا و بلام التعجّب ثانيا، و بالضمير المبهّم المفسّر بما بعده لوقعه فى النفوس ثالثا و بماء التعجّب رابعا و بأفعل التعجّب خامسا و المعنى يا عجا من مرام هو من البعد بمكان، و بالغ فى التعجّب به غايته.

و المراد بالمرام هو ما كان مقصدهم من التّفاخر من إثبات الفخر و المنقبه لأنفسهم و لو بعدد الأموات، فبيّن عليه السّلام أنّ ذلك المرام بعيد جدّا، لأنّ الفخر بالميت كالفخر بالجماد فى جنب الانسان فحصوله به غير ممكن و طلبه تحصيل لما يتحصّل، و ما شأنه ذلك فهو أخرى بأن يتعجّب منه.

و بعد التَّنَزُّل عن ذلك نقول: إِنَّ التفاخر إنما يكون باثبات الانسان نوعا من أنواع الكمال لنفسه و خيال الكمال ثلاثه: أحدها فى النفس، و الثانى فى البدن و الثالث فيما له ربط بالبدن من خارج أما الذى فى النفس فهى العلوم و المعارف و الأخلاق الفاضله التى بها تنال السَّعاده الأبدية.

و أما الذى فى البدن فهى الصَّحَّة و الجمال.

و أما الذى له ربط بالبدن فقسمان: أحدهما ضرورى و هو المال و الجاه، و الآخر غير ضرورى و هو القوم و الأقرباء، و هذا الذى عدَّدناه فى المرتبه الثالثه إنما يراد كَلِّه للبدن بدليل أَنَّهُ إذا تألَّم عضو من أعضائه يجعل المال و الجاه فداء له، و أما الكمال البدنى من الصَّيحه و السلامه من الافات فأنما يريدُه العقلا للتَّيَلُّب به إلى الكمال النفسانى فأنه ما لم يكن صحيح البدن لا يتفرَّغ لاكتساب الكمال النفسانى المحض للسَّعاده الدَّائمه.

إذا عرفت ذلك فنقول: العاقل ينبغى أن يكون دائما نظره إلى الأهمَّ و الأفضل و يقدِّمه على غيره، فالتفاخر بكثرة العدد و كذا بالمال و الجاه تفاخر بأحسن مراتب الكمال و مانع من تحصيل السَّعاده النفسانيه بالعلم و العمل، فيكون ذلك ترجيحاً لأحسن المراتب فى الكمال على أشرفها و أفضلها و هو مورد التَّعجُّب.

و قوله (و زورا ما أغفله) و الكلام فى إفادته للمبالغه كالكلام فى سابقه.

و المراد بالزُّور الزائرون للمقابر المتفاخرون بهم و التَّعجب من غفلتهم لجعلهم الأموات التى هى محلّ الاعتبار مناطا للافتخار و موضع العبث عددا للكثرة غافلين عن الصُّواب معرضين عمَّا ينفعهم فى الماب.

و فيه أيضا من الدَّلاله على تماديهم فى الغفله ما لا يخفى، لاشتراطهم فى فعل التَّعجُّب أن لا يبنى إلا ممَّا وقع و استمرَّ حتَّى يستحقَّ أن يتعجَّب منه، و يضاف إلى ذلك ما قدَّمناه من اشتراطهم أيضا بنائه من فعل مضموم العين ليدلَّ على أنَّ المتعجَّب منه صار كالغريزه.

و قوله (و خطرا ما أفضعه) و الكلام فيه كما فى سابقه.

و المراد بالخطر الهلاك هلاكك من فى المقابر المشار إليه بقوله تعالى «زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ» و أشار عليه السّلام بقوله: ما أفضّعه إلى شدّه شناعته و غايه قباحتّه، لأنّ كلّ شنيع حقير عند شناعه الموت، فإنّ المرء عند الموت و حاله الاحتضار فى سكره ملهيه و غمره كارهته و أنّه موجه و جذبه مكربه و سوجه متعبه، و هو بين أهله لا- ينطق بلسانه و لا- يسمع بسمعه يردّد طرفه بالنظر فى وجوههم يرى حركات ألسنتهم و لا يسمع رجع كلامهم، ثمّ قبض بصره كما قبض سمعه و بعد ما خرج الرّوح من جسده صار جيفه بين أهله قد أوحشوا من جانبّه و تباعدوا من قربه، ثمّ حمل إلى دار غربته و منقطع زورته، و ابتلى هنا لك ببهته السّؤال و عثره الامتحان متقلّبا بين أطوار الموتات و عقوبات الساعات و نزل الحميم و تصليه الجحيم، فأى شىء يكون أعظم فظاعه منه.

و لما نبه عليه السّلام على عظم فظاعه هلاك المزورين تعريضا به على الزّائرين حيث لم يعتبروا بهم مع كونهم محلّ العبره أكّده بقوله:

(لقد استخلوا منهم أى مذكّر) أى استخلوا الدّيار، فالمفعول محذوف و المعنى أنّ الزّائرين المتفاخرين بالأموال وجدوا الدّيار خاليه منهم أى من المزورين حالكونهم كاملين فى التّذكير و الادكار و هذا المعنى أقرب و أنسب ممّا ذكره الشارح المعتزلى حيث قال: أراد باستخلوا ذكر من خلا من آبائهم أى من مضى، و المعنى أنّه عليه السّلام استعظم ما يوجب حديثهم عمّا خلا و عمن خلا من أسلافهم و آثار أسلافهم من التّذكير فقال أى مذكّر و واعظ فى ذلك.

(و تناوشوهم من مكان بعيد) أى تناولوهم من مكان بعيد بينهم و بينهم بعد المشرقين بل يزيد لبقاء المتناوشين فى الدّنيا و مصير الآخرين إلى الآخره فكيف يمكن لمن فى الدّنيا تناول من فى الآخره و تفاخره به و كسب الفخر و الشرف منه لنفسه و قد قال تعالى فى عكس ذلك «وَ أَنَّى لَهُمُ التَّنَافُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ» أى كيف يمكن لهم تناول الايمان فى الآخره و قد كفروا به فى الدّنيا، يعنى ما محلّه الدّنيا لا يمكن أن يتناوله من هو فى الآخره لغايه بعد الدّارين و تباعد النّشأتين.

و لما ذكر تناوشهم من مكان بعيد تعريضا به عليهم أردفه بقوله (أفبمصارع آبائهم يفخرون) تقريعا و توبيخا، و أكد بقوله (أم بعيد الهلكى يتكاثرون) انكارا.

و لما كان هنا مقام أن يسأل عن علّة إنكاره للتكاثر الهلكى وجهه تقرّيعه و توبيخه لهم به أجاب عن ذلك بقوله (يرتجعون منهم أجسادا) يعنى استحقاقهم للتوبيخ و الملام من جهة أنّهم يطلبون من الهلكى رجوع أجسادهم إلى الدنيا و هو طلب غير عقلانى لأنّ تلك الأجساد قد (خوت) أى خلت من الأرواح و ارتفعت عليها الحياه فرجوعها إلى الدّنيا محال و طالب المحال يعدّ فى زمره السفهاء و يستحقّ الطعن و التعزير و الانكار.

فان قلت: ما معنى ارتجاعهم للأجساد؟ قلت: إنّهم حيث تكاثروا بالأموات و تفاخروا بهم فكأنّهم طلبوا منهم أن يرجعوا إلى الدّنيا و يدخلوا فى حزبهم فيكثر بهم عددهم و يتمّ به فخرهم و شرفهم.

(و) يطلبون أيضا رجوع (حركات سكنت) أى يرتجعون من الأموات حركات أبدانهم ليتحرّكوا إليهم و يدخلوا فى زمريهم، و هو أيضا طلب للمحال لأنّ تلك الحركات قد فنت و نفدت و تبدّلت بالسّكون بطرؤ الموت عليها و ما هو كذلك فلا يطلبه العاقل.

ثمّ أكد التّوبيخ بقوله (و لأنّ يكونوا عبّرا أحقّ من أن يكونوا مفتخرا) لأنّ مقامهم مقام الاعتبار لا مقام الافتخار (و لأنّ يهبطوا بهم جناب ذلّه أحجى) و أجدر (من أن يقوموا بهم مقام عزّه) لأنّهم بأنفسهم فى بيت الوحده و دار الوحشه على غايه الابتذال و الدّله صار و اعظاما نخره و أجزاء متفتّته و جيّفا منتنه يهرب منها الحيوان و يتنفّر منها كلّ انسان و يكرهها لشده الانتان بل صاروا أوراثا فى أجواف الدّيدان، و من هذا حاله فينبغى أن يهرب منه و يتنفّر لا أن يتعزّز به و يفتخر، بل ينبغى أن يدفع قرابته و تنكر لأنّ النّسبه إليه تورث الدّله و تبطل العزّه بجلب الابتذال و الانكسار لا الشرف و الافتخار.

(لقد نظروا إليهم بأبصار العشوه) أى بأبصار مريضه و لذلك خفيت عليهم معانيهم (و ضربوا منهم فى غمره جهاله) أى خاضوا من ذكر هؤلاء الموتى فى بحر الجهل و الغفله و لذلك افتخروا بمصارعهم.

(و لو استنطقوا عنهم عرصات تلك الديار) أى ديارهم (الخوايه) منهم (و الزبوع) أى منازلهم (الخالیه) عنهم (لقلت) بلسان حالها (ذهبوا فى الأرض ضالّالا) هالكين (و ذهبتم فى أعقابهم جهّالا) غافلين (تطئون فى هامهم) أى تمشون فى رؤوسهم، و تخصيصها بالذكر لأنّها أشرف الأعضاء و الوطئ عليها أبلغ فى إظهار استهانتهم المنافيه للمفاخره بهم المسوق له الكلام، و قد أخذ أبو العلاء المعرى هذا المعنى فى نظمه قال:

خَفَّفَ الوَطْئُ مَا أَظَنَّ اأَدِيمَ اأَرْضَ إِلَّا مِنْ هَذِهِ اأَجْسَادِ

رَبِّ لِحَدِّ قَدْ صَارَ لِحَدِّا مَرَارًا ضَاحِكٌ مِنْ تَزَاحِمِ اأَضْدَادِ

و دفين على بقايا دفين من عهوده الالباء و الأجداد

صاح هذا قبورنا تملأ الأرض فأين القبور من عهد عاد

سران استطعت فى الهواء رويدا لا اختيالا على رقاب العباد

(و تستنبتون فى أجسادهم) أى تنبتون فيها النباتات و تزرعون الزراعات لأنّ أديم الأرض الظاهر إذا كان من أبدان الأموات يكون الزرع لا محاله فى التراب المستحيل من أجزاء الحيوانات، و على روايه تستنبتون بالثاء فالمراد أنكم تنصبون فى أجسادهم الأشياء المثبتة من الأوتاد و الدّعائم و الأساطين و غيرها.

(و ترتعون فيما لفظوا) أى تأكلون ممّا تركوا (و تسكنون فيما خرّبوا) أى تسكنون فى بيوت ارتحلوا عنها و فارقوها، فإنّ البيوت إنّما تكون عامره بأهلها، فالتخريب كناية عن الارتحال أو المراد أنّهم لم يعمروها بالعباده و الطاعات و قد فسّرت العماره فى قوله تعالى «إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ» بذلك قالوا: عمارتها شغلها بالعباده و تجنّب أعمال الدّنيا و اللّهُو و إكثار زيارتها.

و قال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلّم: قال الله تعالى: «إِنَّ بيوتى فى الأرض المساجد و إِنَّ زوّارى فيها عمّارها فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثمّ زارنى فى بيتى فحقّ على المزور أن يكرم زائره».

(و إنّما الأيام بينكم و بينهم بواك و نوائح عليكم) يعنى الأيام و الليالى التى بينكم و بين الأموات و هى بقيه زمان حياتكم و تحدوكم لالتحاقكم بهم تبكى و تنوح عليكم لمفارقتها إياكم.

(اولئكم سلف غايتكم) أى المتقدّمون إلى الموت اللّذى هو غايتكم و غايتهم لانتهاى كلّ ذى روح إليها (و فراط مناهلكم) أى سابقوكم إلى مشارب الاخره و منازلها و ردّوا إليها فشرّبوا من كأس الموت المصيّره و تجرّعوا من نغب سهام الاخره و غصص أقداح البرزخ جرعه بعد جرعه.

(الذين كانت لهم مقاوم العزّ) أى مجالسه (و حلبات الفخر) أى خيل السّباق و الصافنات الجياد التى يفتخر بها، و يحتمل أن تكون حلبات الفخر استعاره عن أسباب الفخر التى توجّهت إليهم من كلّ جهه كما تجمع الحلبات من كلّ اوب (ملوكا و سوقا) أى بعضهم سلاطين و بعضهم رعايا.

(سلكوا فى بطون البرزخ سبيلا) قال الشارح المعتزلى البرزخ الحاجز بين الشيتين و البرزخ ما بين الدّنيا و الاخره من وقت الموت إلى البعث فيجوز أن يكون البرزخ فى هذا الموضع القبر لأنّه حاجز بين الميّت و بين أهل الدّنيا، و يجوز أن يريد به الوقت اللّذى بين حال الموت إلى حال النشور، و الأوّل أقرب إلى مراده عليه السّلام لأنّه قال: فى بطون البرزخ و لفظه البطون يدلّ على التفسير الأوّل، انتهى.

أقول أمّا أنّ البرزخ بمعنى الحاجز فعليه قوله تعالى «بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ» و أمّا أنّه من حين الموت إلى وقت البعث فعليه قوله تعالى «وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ».

و أمّا كونه بمعنى القبر فيدلّ عليه ما فى البحار عن على بن الحسين عليهما السّلام أنّه تلا هذه الايه و قال: هو القبر، و أنّ لهم فيه لمعيشه ضنكا، و الله إنّ القبر

لروضه من رياض الجنة أو حفره من حفر النيران، و في مجمع البحرين في حديث الصادق عليه السّلام البرزخ القبر و هو الثواب والعقاب و بين الدّنيا و الاخره.

و أما أنّ المراد بالبرزخ هنا القبر فيؤيّد ما روى عن بعض النسخ من بطون القبور بدل بطون البرزخ.

و أما تأييد إرادته بلفظه البطون كما زعمه الشارح فلا، بل دلالتها على المعنى الثانى أظهر، إذ لو أراد الأوّل لكان الأنسب أن يقال فى بطن البرزخ بصيغه المفرد و إن كان يمكن تصحيحه بجعل اللّام فى البرزخ للجنس و لعلّ نظر الشارح إلى أنّ البرزخ بالمعنى الثانى ليس له بطن بخلاف القبر. و يدفعه أنّ بطن كلّ شيء جوفه و ما خفى منه فيراد ببطون البرزخ على المعنى الثانى ما خفى علينا و احتجب عنّا نشاته و حالاته.

و كيف كانشبه مكثهم فى البرزخ إلى حين البعث الذى هو غايتهم بمن سلك طريقا يسلك به إلى منزله، فاستعار عليه السّلام له لفظ السلوك.

ثمّ أشار عليه السّلام إلى بعض حالاتهم البرزخيّه فقال (سلطت الأرض عليهم فيه) أى فى البرزخ(فأكلت لحومهم و شربت من دمائهم)نسبه الأكل و الشرب إلى الأرض من باب المجاز و الاستعاره، فإنّ المأكول و المشروب يصيران جزء من بدن الاكل الشّارب، فحيث إنّ أبدانهم فى البرزخ تصير بعد البلى ترابا و تنقلب بالأجزاء الأرضيّه فكان الأرض كانت لهم آكله شارب.

(فأصبحوا فى فجوات قبورهم جمادا لا ينمون) أى صاروا فى فرج القبور بمنزله الجماد الذى لا ينمو و لا يزيد لبطلان حياتهم بالموت، و النّمّ و الزّيادة من توابع الحياه(و ضمّارا لا يوجدون)كنايه عن كونهم غيبا لا يرجى رجوعهم.

(لا-يفزعهم ورود الأهوال) أى لا يخافون من توارد أهويل الدّنيا و أفزاعها عليهم لخروجهم منها و كونهم من أهل العالم الاخر (و لا يحزنهم تنكّر الأحوال) أى تقلّب الحالات الدنيويّه و تغيّراتها الموجه لحزن أهلها.

(و لا يحفلون بالزواجف) أى لا يجتمعون بالزلازل و لا يبالون بها، و لعلّه كناية عن عدم مبالاتهم بالدواهي الدنيويّة الموقعه فى الاضطراب (و لا يأذنون للقواصف) أى لا يصغون إلى الأصوات الشديده الهايله كصوت الرعد و الأعاصير و غيرها.

(غيبا لا ينتظرون) أى لا ينتظر الناس عودهم (و شهودا لا يحضرون) أى شاهدين صوره حاضرين بالأبدان غير حاضرين حقيقه لغيبهم بالأرواح (و إنّما كانوا جميعا فتشتّوا) و كانوا مجتمعين ففترّقوا (و الآفا فافترّقوا) أى مؤتلفين فافترّقوا بالموت كما قال الشاعر:

و كنّا باجتماع كالثّريّا ففترّقنا الزّمان بنات نعش

(و ما عن طول عهدهم) و زمانهم (و) لا (بعد محلّهم) و مكانهم (عميت) أى خفيت (أخبارهمو صمّت ديارهم) إسناد الصّميم إلى الدّيار من التّوسع كما فى قولهم: سال الميزاب و جرى النّهر.

و المراد أنّ خفاء أخبارهم عن الأحياء ليس من جهه طول العهد و بعد المكان بين الطرفين، و كذلك صمم ديارهم أى قبورهم و مزارهم حيث لا تجيب داعيا و لا تكلم مناديا ليس من جهه عدم وصول ندائهم و بلوغ أصواتهم إليها ببعده المسافه (و لكنّهم سقوا كأسا) اليؤس للتفخيم أى كأسا و بيئه فيها سمّ نافع شديد المراره عظيم التأثير و هى كأس الموت (بدلّتهم بالنطق خرسا) فلا يستطيعون أن يجيبوا داعيا و لا أن يخبروا عن حالهم و (بالسّمع صمما) فلا يقدرّون أن يستمعوا مناديا و يردّوا جواب كلامه (و بالحركات سكونا) أى حركات الألسنه و الصماخ و ساير الأعضاء و الجوارح سكونها، فعجزوا عن التّكلم و الاصغاء و عن الحركة و السّعى إلى الأحياء و عن ايصال أحوالهم إليهم.

(فكأنّهم فى ارتجال الصّيفه صرعى سبات) يعنى إذا وصفهم و اصف مرتجلا بلا سبق تأمل و رويّه شبّههم بمصروعى سبات أى يقول إنّهم سقطوا فى الأرض للنّوم فإنّ النّوم و الموت أخوان و لا شيء أشدّ شباهاه من النّائم بالميت و لا من

المَيِّتِ بِالنَّائِمِ.

و قد أخذ الماتن الشريف أبو الحسن الرضی معنی الفقرات الأخيرة فی نظمه حیث قال:

و لقد حفظت له فأین حفاظه و لقد وفیت له فأین وفاؤه

أدعا الدّعاء فلم یجبه قطیعه أم ضلّ عنه من البعاد دعاؤه

هیئات أصبح سمعه و عیانه فی التّرب قد حجبتهما اقداؤه

یمسی و لین مهاده حصباؤه فیه و مونس لیلہ ظلماؤه

قد قلبت أعیانه و تنکّرت أعلامه و تکشّفت أضواؤه

معف و لیس للذّه إعفاؤه مغض و لیس لفکره أغضاؤه

و البیت الآخر مأخوذ من آخر کلامه علیه السّلام و هو قوله: صرعی سبات

الترجمه

از جمله کلام بلاغت و فصاحت نظام آن امام رفیع المقامست بعد از تلاوت آیه مبارکه أَلِیْهِکُمُ التَّکَاثُرُ حَتّٰی زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ.

مروست از مقاتل و کلبی که بنی عبد مناف و بنی سهم بر یکدیگر تفاخر کردند بکثرت مردم قبیله و هر یکی گفتند که مردمان ما بیشترند و سادات و اشراف در میان ما زیادتیر، چون تعداد مردمان یکدیگر کردند و همه را شمردند بنی عبد مناف غالب آمدند، بنی سهم گفتند بسیاری از مردمان ما را در زمان جاهلیت کشتند باید مرده و زنده قبیله طرفین را بشماریم، چون بدین نوع شمردند بنی سهم زیاد آمد، حق سبحانه و تعالی در مذمت ایشان سوره تکاثر را نازل ساخت، و فرمود «أَلْهَکُمُ التَّکَاثُرُ» یعنی مشغول کرد شما را مفاخرت بر یکدیگر به بسیاری قبیله «حَتّٰی زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ» تا این که گورستانها را زیارت کردید یعنی از زندگان گذشتید و مردگان را بشمار آوردید حضرت امیر مؤمنان بعد از تلاوه این آیه فرمودند.

ای بسا تعجب از مقصودی که چه قدر دور است آن، و از زیارت کننده

قבורی که چه اندازه با غفلتست آن، و از هلاکتی که بسیار زشت و شنیع است آن، بتحقیق که خالی یافتند شهرها را از ایشان در حالتی که کامل یاد آورنده بودند و تناول کردند ایشان را از مکان دوری، پس آیا به مکانهای افتادن و مردن پدران خود فخر می کنند، یا بشماره هلاک شدگان اظهار کثرت می نمایند، طلب برگشتن می کنند از ایشان بدنهایی را که افتاده اند بزمین، و حرکاتی را که مبدل شده بسکون، و هر آینه اگر شوند آن هلاک شدگان مایه عبرت ایشان سزاوارتر است از این که شوند مایه مفاخرت ایشان، و اگر نزول کنند بسبب ایشان در ناحیه حقارت خردمندانه تر است از این که بایستند بسبب ایشان در مقام عزت، بتحقیق که نگاه کردند بسوی ایشان بدیده‌های معیوب شب کور، و سیر کردند از ایشان در دریای جهالت.

و اگر استنطاق نمایند از حال ایشان عرصه های این شهرهای خراب شده و منزلهای خالی از سکنه را هر آینه می گویند آن عرصه ها بزبان حال که رفتند ایشان در زیر زمین در حالتی که گمراهان بودند، و رفتید شما در عقب ایشان در حالتی که بودید کام می گذارید در کله های سر ایشان، و نباتات می رویانید در جسدهای ایشان، و چرا می کنید در چیزی که ایشان انداختند، و ساکن می شوید در مکانی که ایشان خراب کردند، و جز این نیست که روزها میان شما و میان ایشان گریه کنندگان و نوحه کنندگانند بر شما، ایشان پیش روندگان مقصد شمایند و پیش رفتگان منزلگاه شما آن چنان اشخاصی که بود از برای ایشان مقامها یا قائمه های عزت و اعتبار، و مایه های مفاخرت و افتخار، در حالتی که پادشاهان و رعایا بودند.

راه رفتند در شکمهای عالم برزخ، مسلط گردیده شد زمین بر ایشان در آن برزخ قبر، پس خورد از گوشتهای ایشان و آشامید از خونهای ایشان، پس صباح کردند در شکافهای قبرهای خودشان در حالتی که جمادی بودند که نمونمی کردند، و غایبی بودند که امید مراجعت ایشان نبود، نمی ترسانند ایشان را

وارد شدن خوفهای دنیا، و غمگین نمی سازد ایشان را تغییر و انقلاب حالات دنیا، و مجتمع نمی شوند بسبب خوف زلزله‌ها و گوش نمی دهند آوازه‌های سخت و مهیب دنیا را، غایبانی باشند که انتظار کشیده نمی شوند، و حاضرانی باشند که حاضر نمی شوند.

و جز این نیست که بودند مجتمع با یکدیگر پس متفرّق شدند، و با الفت بودند پس جدا گشتند، و نه از جهت طول عهد و نه از جهت دوری مکان کور و پنهان گردید خبرهای ایشان و کر گردید شهرهای ایشان و لیکن آشامانند بایشان جام مرگی را که تبدیل کرد گویائی ایشان را بلالی، و شنوائی ایشان را به کری، و حرکت را بسکون، پس گویا ایشان در ارتجال صفت افتادگان بیهوشیند، یعنی اگر کسی بخواهد بدون فکر و مقدّمه بیان حال و صفت ایشان نماید می گوید که افتاده و خوابیده اند و بی هوشند.

الفصل الثانی

اشاره

جیران لا- یتأثّسون، و أحباء لا یتزاورون، بلیت بینهم عری التّعارف، و انقطعت منهم أسباب الإخاء، فكلّهم وحید و هم جمیع، و بجانب الهجر و هم أخلاء، لا یتعارفون للیل صباحا، و لا لنهار مساء، أیّ الجدیدین ظعنوا فیه کان علیهم سرمداء، شاهدوا من أخطار دارهم أظفّع ممّا خافوا، و رأو من آیاتها أعظم ممّا قدّروا، فكلتا الغایتین مدّت لهم إلی مباءه فانت مبالغ الخوف و الرّجاء، فلو کانوا ینطقون بها لعیوا بصفه ما شاهدوا و ما عاینوا، و لئن عمیت آثارهم و انقطعت

ص: ۲۲۲

أخبارهم لقد رجعت فيهم أبصار العبر، و سمعت عنهم آذان العقول، و تكلموا من غير جهات النطق، فقالوا: كلحت الوجوه النواضر، و خوت الأجساد النواعم، و لبسنا أهدام البلى، و تكائدنا ضيق المضجع، و توارثنا الوحشه، و تهكمت علينا الربوع الصيموت، فانمحت محاسن أجسادنا، و تنكرت معارف صورنا، و طالت فى مساكن الوحشه إقامتنا، و لم نجد من كرب فرجا، و لا- من ضيق متسعا. فلو مثلتهم بعقلك، أو كشف عنهم محجوب الغطاء لك، و قد ارتسخت أسماعهم بالهوام فاستكتت، و اكتحلت أبصارهم بالتراب فخشفت، و تقطعت الألسنه فى أفواههم بعد ذلاقتها، و همدت القلوب فى صدورهم بعد يقظتها، و عاث فى كل جارحه منهم جديد بلى سمجها، و سهل طرق الافه إليها مستسلمات، فلا أيد تدفع، و لا قلوب تجزع، لرأيت أشجان قلوب، و أقذاء عيون، لهم من كل فظاعه صفه حال لا تنتقل، و غمره لا تنجلي.

اللغه

(المباءه) بالمدّ و الفتح المنزل كالبيأه و الباءه و يقال: إنّ المباءه هو الموضع الذى تبوء أى ترجع إليه الابل ثم جعل عباره عن المنزل و قوله (لعيوا) بتشديد الياء من عى بالأمر و عن حجته يعيى من باب تعب عيّا عجز عنه، و قد يدغم فى الماضى و يقال عى و عليه قوله: لعيوا، و فى شرح المعتزلى و روى لعيوا

بالتخفيف كما تقول حيوا قالوا: ذهب الياء الثانيه لالتقاء الساكنين لأنّ الواو ساكنه و ضُمَّت الياء الاولى لأجل الواو.

و (كلح) يكلح من باب منع كلوحا تكشّر في عبوس و (نضر) نضاره حسن و (الأهدام) جمع الهدم بالكسر الثوب البالى و المرقّع و (تكاءد) فى الأمر و تكادنى من باب تفاعل و تفعل شقّ علىّ، و عقبه كئود أى صعب و (التهكم) التهّدّم فى البئر و نحوه، و فى بعض النسخ تهّدّمت بدل تهكّمت قال الشّارح المعتزلى يقال تهّدّم فلان على فلان غضبا إذا اشتدّ غضبه، و يجوز أن يكون تهّدّمت أى تساقطت قال: و روى تهكّمت بالكاف و هو كقولك تهّدّمت بالتفسيرين جميعا، و (رسخ) الغدير يرسخ من باب منع رسوخا نشّ ماءؤه و نصب فذهب، و رسخ المطر نصب نداؤه فى الأرض و (الهوامّ) بتشديد الميم جمع الهامّه بالتشديد أيضا مثل دوابّ و دابّه قال الأزهرى: ماله سمّ يقتل كالحية، و قال الفيومى: و قد تطلق الهوام على ما لا يقتل كالحشرات، و لسان (ذلق) ذرب و ذلق السكّين حدده و (الهمود) الموت و طفوء النار و ذهاب حرارتها و (عائه) يعيئه من باب ضرب أفسده.

الاعراب

قوله: و هو جميع الجمله فى محلّ النصب على الحال، و كذلك قوله:

و هم أخلاء، و قوله: أى الجديدين مبتدأ خبره كان، و قوله: و لئن عميت الواو للقسم و المقسم به محذوف و اللام موطنه عند سيبويه و زايده عند غيره، و جواب القسم قوله: لقد رجعت و استغنى به عن جواب الشرط كما فى قوله تعالى «لئن أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَ لئن قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ» و هذه قاعده مطرده، فإنّ القسم و الشرط إذا اجتمعا فى الكلام فالجواب للمتقدّم منهما و يستغنى عن جواب الثانى لقيام جواب الأوّل مقامه، و القسم المقدّر فى حكم المقسم الملفوظ كما صرح به ابن الحاجب فى الكافيه و نجم الأئمه الرضى فى شرحه و قوله: و قد ارتسخت، الجمله فى محلّ النصب على الحال من مفعول مثلثهم، و قوله: مستسلمات

حال من ضمير إليها و قوله: لرأيت أشجان قلوب جواب لو مثلتهم.

المعنى

اعلم أنه لمّا افتتح كلامه فى الفصل السابق بالتوبيخ و التعريض على المتكاثرين بالأموات، و استطرد بشرح حال الموتى فى البرزخ و ابانه فظايعهم اتبعه بهذا الفصل للتنبيه على بقيه حالاتهم فقال:

(جيران لا- يتأنسون و أحياء لا- يتراورون) يعنى أنهم جيران لقرب قبورهم و لكن لا- يقدرّون على الاستيناس، لأنّ الموانسه من صفات الأحياء، و أحياء لقرب أبدانهم فيها أو لمحابتهم فى دار الدنيا و لكن لا- يستطيعون التّراور لأنّ الزّياره من حالات المتّصفين بالحسّ و الحياه و هو عباره اخرى لقوله عليه السّلام فى بعض كلماته تدانوا فى خطّطهم و قربوا فى مزارهم و بعدوا فى لقاءهم.

(بليت بينهم عرى التّعارف و انقطعت منهم أسباب الاخاء) يعنى أنهم مع ما كانوا عليه فى الدّنيا من معرفه بعضهم بعضا و المحبّه و المودّه و الاخوّه التى كانت بينهم، فقد بليت عراها يعنى وصلها و اندرست و انقطعت حبالها و انفصمت بحلول الموت و نزول الفناء و الفوت.

(فكلّهم وحيدوهم جميع و بجانب الهجر و هم أخلاء) أى كلّ واحد منهم وحيد حقيقه و هم مع ذلك مجتمعون صوره لاجتماع مقابريهم، و كلّ منهم فى جانب الهجر واقعا مع خلتهم ظاهرا بمقتضى قرب الجوار، أو المراد بالاجتماع و الخلّه ما كانوا عليه فى الدّنيا من المودّه و الصّداقه و الأوّل أظهر، و قد أشار إليه الشريف الرضى فى قوله:

بادون فى صور الجميع و أنهم متفرّدون تفرّد الاحاد

قال الشّارح المعتزلى: فان قلت: ما معنى قوله: بجانب الهجر، و أىّ فايده فى لفظه جانب فى هذا الموضع؟ قلت: لأنهم يقولون: فلاذن فى جانب الهجره و فى جانب القطيعه و لا- يقولون فى جانب الوصل و فى جانب المصافاه، و ذلك أنّ لفظه جنب فى الأصل موضوع للمباعده و منه قولهم: الجار الجنب و هو جارك من قوم غرباء يقال: جنب الرّجل

و أجنبته و تجنبته و تجانبته كلّها بمعنى و رجل أجنبى و أجنب و جانب كلّه بمعنى (لا يتعارفون ليل صباحا و لا لنهار مساء) أى لا يعرفون ليل نهارا و لا للنهار ليلا، لأنّ اختلاف الليل و النهار و تبدّل أحدهما بالآخر من الأوضاع الدنيويّه و لا اختلاف لهما بالنسبه إلى أهل القبور لكونهم فى بيت الظلمه و النّشأه الآخره بالنسبه إليهم سيّان.

و يحتمل أن يكون المراد أنّهم لا- يتعارف بعضهم بعضا أى لا يجتمعون و لا يتكلّمون فى نهارهم للنظر فى أمور ليلهم و لا فى ليلهم للنظر فى أمور نهارهم كما هو عادّه أهل الدّنيا يجتمعون فى النهار لترتيب ما يفعلونه بالليل و فى اللّيل لترتيب ما يفعلونه بالنهار، و الأوّل أظهر.

و يؤمى إليه قوله عليه السّلام (أىّ الجديدین ظعنوا فيهم كان عليهم سرمداً) أراد بالجديدين اللّيل و النهار لتجدّدهما دائما أى أى واحد من اللّيل و النهار ارتحلوا فيه كان عليهم باقيا أبداً فإنّ من مات ليلا لا يتبدّل ليله بالنهار، و من مات نهارا لا ينقلب نهاره إلى ليل لخروجه من الدّنيا الّتى فيها يتعاقب اللّيل و النهار و يتبدّل أحدهما بالآخر.

و الظاهر أنّ ثبوت هذه الحاله للموتى كسائر الحالات المتقدّمه بالنّسبه إلى أجسادهم المدفونه فى القبور، و أمّا بالنسبه إلى أرواحهم المنتقله إلى جنّه الدّنيا و نعيمها كأرواح السّعداء أو المنتقله إلى نار الدّنيا و جحيمها كأرواح الأشقياء، فالمستفاد من أخبار أهل البيت عليهم السّلام تعاور اللّيل و النهار عليهم، و يستفاد منها أيضا أنّ أهل الجنّه من المؤمنین يجتمعون و يتزاورون و يتحدّثون و يتأنّسون.

و يدلّ عليه صريحا ما فى البحار من تفسير علىّ بن إبراهيم القمىّ فى قوله تعالى «وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا» قال عليه السّلام: ذلك فى جنّات الدّنيا قبل القيامه و الدّليل على ذلك قوله: بكره و عشيا فالبكره و العشيا لا تكونان فى الآخره فى جنان الخلد و إنّما يكون الغدوّ و العشىّ فى جنان الدّنيا الّتى تنتقل إليها

و فيه منه فى قوله تعالى «النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا» قال عليه السلام:

ذلك فى الدنيا قبل قيامه و ذلك إن فى القيامة لا يكون غدوًّا و لا عشيًّا، لأنَّ الغدوَّ و العشاء إنما يكونان فى الشمس و القمر و ليس فى جنان الخلد و نيرانها شمس و لا - قمر قال و قال رجل لأبى عبد الله صلوات الله عليه: ما تقول فى قول الله عزَّ و جلَّ «النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا» فقال أبو عبد الله عليه السَّلام: ما يقول الناس فيها؟ فقال: يقولون: إنها فى نار الخلد و هم لا يعدُّون فيما بين ذلك فقال عليه السَّلام: فهم من السَّعداء، فقيل له: جعلت فداك فكيف هذا؟ فقال: هذا فى الدنيا فأما فى نار الخلد فهو قوله تعالى «وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ».

و فيه منه عن أبيه رفعه قال: سئل الصادق عليه السَّلام عن جنَّه آدم على نبينا و عليه السَّلام أمن جنان الدنيا كانت أم من جنان الآخرة؟ فقال عليه السلام: كانت من جنان الدنيا تطلع فيها الشمس و القمر، و لو كانت من جنان الآخرة ما خرج منها.

و يدلّ على تأنّسهم و تراورهم ما قدّمنا روايته فى تذييلات شرح الفصل السابع من فصول الخطبة الثانية و الثمانين من الكافى باسناده عن حبه العرنى قال:

خرجت مع أمير المؤمنين عليه السَّلام إلى الظهر - أى ظهر الكوفة - فوقف بوادى السلام كأنه مخاطب لأقوام فقامت بقيامه حتّى أعييت، ثمّ جلست حتّى مللت، ثمّ قمت حتّى نالنى مثل ما نالنى أوّلا، ثمّ جلست حتّى مللت، ثمّ قمت و جمعت ردائى فقلت: يا أمير المؤمنين إننى قد أشفقت عليك من طول القيام فراحه ساعه، ثمّ طرحت الرداء ليجلس عليه، فقال عليه السلام لى: يا حبه إن هو إلاّ محادثه مؤمن أو مؤانسته، قال: قلت: يا أمير المؤمنين و إنهم لكذلك؟ قال عليه السلام: نعم و لو كشف لك لرأيتهم حلقا حلقا محتبين يتحدّثون، فقلت: أجساد أم أرواح؟ فقال عليه السلام لى:

أرواح، و ما من مؤمن يموت فى بقعه من بقاع الأرض إلاّ قيل لروحه: ألحقى بوادى السلام، و أنّها لبقعه من جنّه عدن.

و تقدّم هناك أيضا فى مرفوعه الكافى عن أبى عبد الله عليه السلام فى صفه

أرواح المؤمنين في وادي السلام: إنه عليه السلام قال: كأني بهم حلق حلق قعود يتحدثون، هذا.

وقوله عليه السلام: (شاهدوا من أخطار دارهم أفضح مميا خافوا و رأوا من آياتها أعظم مما قدروا) أى شاهد المجرمون من هلكات الدار الآخرة يعنى نعماتها وعقوباتها أشد مما كانوا يخافون منها ويحذرون فى الدنيا، ورأى المتيقن من آثار الفضل و الرحمة و علامات الثواب و الكرامه أعظم مما كانوا يقدرونها بحسناتهم و يرجون فى الدنيا كما قال عز من قائل «فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قَرّه أعين جزاء بما كانوا يعملون» و قال عليه السلام فى الخطبه المأه و الثالثه عشر: أنه ليس شىء بشر من الشر إلا عقابه و ليس شىء بخير من الخير إلا ثوابه، و كلشئ عمن الدنيا سماعه أعظم من عيانه، و كل شىء من الآخرة عيانه أعظم من سماعه.

(فكلتا الغايتين مدّت لهم إلى مباءه فأنت مبالغ الخوف و الرجاء) المراد بالغايتين غايتا المجرمين و المتيقن و أراد بالغايه الموت كما فى الحديث الموت غايه المخلوقين، أو أجلهما كما فى قوله عليه السلام فى الخطبه الثالثه و الستين: وإن غايه تنقصها اللحظه و تهدمها الساعه لجديره بقصر المدّه، و على أى تقدير فنسبه مدّت إلى الغايه من باب المجاز و التوسّع، إذ بها يحصل الوصول إلى مباءه، و أراد بالمباءه منزل الفريقين من النار و الجنّه.

فيكون محصّل المعنى أنّ موت المجرمين و موت المتيقن أو أجلهما استجرهم و جذبهم إلى منزل و مرجع تجاوز و كان هو فوق ما يبلغه خوف الخائف أو رجاء راج، فكئى بفوقه من مبالغ الخوف و الرجاء عن شدّه هول النار و عظم خطر الجنه و تجاوزهما عن غايه غايات الخوف و الرجاء.

(فلو كانوا ينطقون بها لعيّوا بصفه ما شاهدوا و ما عاينوا) أى لو كانت لهم قدره النطق و الاخبار عن تلك المباءه لعجزوا عن وصف ما شاهدوا فيها من مولمات العقاب و كلّت ألسنتهم عن شرح ما عاينوا فيها من مضاعفات الكرامه و الثواب.

(و لئن عميت آثارهم) أى خفيت عن أبصار الناظرين (و انقطعت أخبارهم)

عن آذان المستمعين (لقد رجعت فيهم أبصار العبر و سمعت عنهم آذان العقول) هذا ناظر إلى طرف الأحياء (و تكلموا من غير جهات النطق) هذا ناظر إلى طرف الأموات.

و محصل المراد أنّ الأحياء و إن لم يمكن لهم إدراك حالات من القبور بطرق المشاعر الظاهره و استطلاعها بالأبصار و الاذان، لكنهم تمكنوا من معرفتها بأبصار البصائر و العبر و الاطلاع عليها بطريق العقل، و كذلك الموتى و إن لم يكن لهم اتصال أخبارهم إلى الأحياء و إظهار حالاتهم بالنطق و لسان المقال، لكنهم أخبروهم و تكلموا بلسان الحال.

(فقالوا كلحت الوجوه التواضر) أى عبست الوجوه ذات الحسن و البياض و البهجه و النضاره قال تعالى «هُم فِيهَا كَالْحُوتِ» أى عابسون، و قيل: هو من الكلوح الذى قصرت شفته عن أسنانه كما تقلص رءوس الغنم إذا شيطت بالنار.

(و خوت الأجساد النواعم) و فى بعض النسخ الأجسام النواعم أى سقطت الأجساد المنعمه بلذايذ الدنيا فى هذه القبور أو خلت الأبدان الناعمه اللينه من الأرواح فصارت جيفه متنته أو المراد خلوها من الدم و الرطوبة و ذهاب طراوتها.

(و لبسنا أهدام البلى) قال الشّارح البحرانى استعار لفظ الأهdam للتغير و التقشف و التمزيق العارض لجسم الميت لمشابتها العظم البالى، و يحتمل أن يريد بها الأكفان، انتهى.

أقول: يجوز أن يكون الكلام من قبييل التشبيه المرشح بأن يقدر تشبيه البلى المحيط بهم بالأهdam و الأثواب الممزقه الباليه المحيطه بالبدن، فاضيف المشبه به إلى المشبه ثم قرن بما يلايم المشبه به و يناسبه و هو اللبس ترشيحا للتشبيه، و أن يكون من باب الاستعاره لا الاستعاره الأصليه كما توهمه الشارح لعدم انتظام معنى الكلام على ما ذكره إلا بتكلف، بل من الاستعاره التبعيه بأن يستعار اللبس للشمول و الاحاطه فيكون محصل المعنى أحاط بنا و شملنا البلى و التمزيق إحاطه اللباس بالبدن فافهم.

(و تكاءدنا ضيق المضجع) أى شق علينا ضيق القبر (و توارثنا الوحشه) أى وحشه القبور و استعار لفظ التوارث لكونالوحشهمنها لا بائهم و أسلافهم قبلهم

فحصلت لهم بعدهم (و تهكمت علينا الربوع الصي موت) أى تساقطت علينا المنازل الصامته و أراد بها القبور و وصفها بالصمت من المجاز العقلى و تساقطها كناية عن خرابها و انهدامها، و على كون التهكم بمعنى اشتداد الغضب فيكون استعاره لعذاب القبور و يختص بغير المؤمن لأن المؤمن مأمون منه.

كما يدل عليه ما رواه فى الكافى عن يحيى عن محمد بن الحسين عن عبد الرحمن ابن أبى هاشم عن سالم عن أبى عبد الله عليه السلام قال: ما من موضع قبر إلا- و هو ينطق كل يوم ثلاث مرات أنا بيت التراب، أنا بيت البلى، أنا بيت الدود قال عليه السلام: إذا دخله عبد مؤمن قال: مرحبا و أهلا- أما و الله لقد كنت أحبك و أنت تمشى على ظهري فكيف إذا دخلت بطنى فسترى ذلك، قال عليه السلام: فيفسح له مدّ البصر و يفتح له باب يرى مقعده من الجنة - إلى أن قال - فلا تزل نفحه من الجنة تصيب جسده و يجد لذتها و طيبها حتى يبعث.

قال عليه السلام: و إذا دخل الكافر قالت: لا مرحبا بك و لا أهلا و الله لقد كنت أبغضك و أنت تمشى على ظهري فكيف إذا دخلت بطنى ستري ذلك، قال عليه السلام: فتضمّ عليه فتجعله رميما و يعاد كما كان و يفتح له باب إلى النار يرى مقعده من النار - إلى أن قال - ثم لم تزل نفحه من النار تصيب جسده فيجد ألمها و حرّها فى جسده إلى يوم يبعث الحديث.

و قد مرّ بتمامه مع أحاديث آخر و مطالب نافعه فى التذييل الثالث من تذييلات شرح الفصل السابع من فصول الخطبه الثانيه و الثمانين فليراجع هناك.

و يؤيد المعنى الأخير تفريع قوله (فانمحت محاسن أجسادنا) أى ذهب آثار المواضع الحسنه من أبداننا لشده عذاب القبور و مزيد تأثير آلامها (و تنكرت معارف صورنا) أى تغيرت وجوهنا التى بها كنّا نعرف فى الدنيا بعظم تأثير أهوايل البرزخ (و طالت فى مساكن الوحشه) أى القبور (إقامتنا و لم نجد من كرب) و هو الغم الملى يأخذ بالنفس (فرجا و لا من ضيق متسعا) أى من ضيق

المضجع محلاً ذا سعه يكون بدلاً منه، أو مطلق الضيق أى لم نجد من ضيق الحال و ضنك المعيشه اتساعاً أى رفاه حال و رغد عيش قال تعالى «وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً» أى عيشاً ضيقاً، قال ابن مسعود و غيره: هو عذاب القبر.

(فلو مثلتهم بعقلك) أى تخيلت صورهم و مثلهم بقوتك المتخيله (أو كشف عنهم محجوب الغطاء لك) أى ارتفع عنهم الغطاء الحاجب و تبين حالهم عندك فالمفعول بمعنى الفاعل كما فى حجاباً مستورا و قال الشارح البحرانى، أى ما حجب بأغطيه التراب و السواتر لأجسادهم عن بصرك، انتهى.

و على قوله: فالمحجوب وصف للميت لا للغطاء و يبعده لفظه عنهم كما لا يخفى.

و كيف كان فالمراد إنه لو شاهدتهم (و) الحال أنه (قد ارتسخت أسماعهم بالهواء فاستكت) أى ذهب رطوبتها و نضبت نداوتها، بتسلط حشرات الأرض عليها فانسدت (و اكتحلت أبصارهم بالتراب فخشفت) أى فقئت (و تقطعت الألسنه فى أفواههم بعد ذلاقتها) و حدتها (و همدت القلوب فى صدورهم بعد يقظتها) أى سكنت حركتها و ذهب حرارتها بعد ما كانت متيقظه، و هو كناية عن موتها بعد حياتها (و عاث فى كل جارحه منهم جديد بلى سمجها) أى أوقع الفساد فى كل جارحه من جوارحهم بلى متجدد أوجب سماجتها و قبحها و سوء منظرها (و سهل طرق الافه إليها) لأنّ العنصر الترابى إذا استولى على الأعضاء قوى استعدادها للاستحاله من صورتها التى هى عليها إلى غيرها حال كونها (مستسلمات) منقادات غير ممتنعه من قبول الافه و الفساد (فلا أيد) أى قوه و قدره و سلطان أو كفّ (تدفع) الالام و الافات عنها (و لا قلوب تجزع) و تحزن لما نزل بها.

(لرأيت) جواب لو أى لو تصوّرت حالهم بخيالك أو شاهدت فظايعهم بعينك على ما فضّل لرأيت (أشجان قلوب و أقذاء عيون) أى شاهدت فيهم من الفظايع و الشنائع المفرطه المجاوزه عن الحدّ ما يورث حزن قلوب الناظرين و أذى عيونهم (لهم من كلّ فظاعه صفه حال لا تنتقل) قال الشارح المعتزلى أى لا تنتقل إلى حسن و صلاح و ليس يريد لا تنتقل مطلقاً لأنها تنتقل إلى فساد و اضمحلال

(و) من کلّ شناعه (غمره لا تنجلي) اى شده لا تنكشف و قد مضى فى شرح الخطبه الثانيه و الثمانين مطالب مناسبه لهذا الفصل من اراد الاطلاع فليراجع ثمه.

الترجمه

فصل ثانی از این کلام در ذکر شدايد برزخ و حالات اهل آنست می فرماید که ایشان همسایگانی باشند با یکدیگر انس نمی کنند، و دوستانی هستند که زیارت یکدیگر نمی نمایند، پوسیده شده در میان ایشان علاقه‌های شناسائی، و بریده شده از ایشان ریسمانهای اخوت و برادری، پس همه ایشان تنها باشند و حال آنکه در یکجا هستند، و بکنار هجران و دوری باشند و حال آنکه دوستان هستند، نمی شناسند از برای شب صبحی را، و نه از برای روز شبی را، هر یک از شب و روز را که رحلت کنند در آن باشد برایشان همیشگی مشاهده کردند از هلاکتهای خانه آخرت خودشان شدیدتر از آن چیزی که ترسیده بودند، و دیدند از علامتهای آخرت بزرگتر از آن چیزی که تصویر کرده بودند، پس هر دو غایب یعنی أجل سعدا و أجل أشقیا کشاند ایشان را بسوی منزلگاهی که متجاوز شد از منتهای مرتبه خوف خائفین و رجاء راجین، پس اگر بودند که ناطق بشوند بان هر آینه عاجز می شدند در بیان صفت آن چیزی که مشاهده کردند و بچشم دیدند، و اگر مخفی شده اثرهای ایشان و منقطع گردیده خبرهای ایشان.

بتحقیق مراجعت کرده در ایشان دیده‌های عبرتها، و شنیده از ایشان گوشه‌های عقلها، و سخن گفتند ایشان به زبان حال از غیر جهت نطق بلسان، پس گفتند که زشت گشت صورتهای با آب و رنگ، و بخاک افتاد بدنهای نرم و نازک، و پوشیدیم ما لباسهای پاره پاره کهنه را، و به مشقت انداخت ما را تنگی خوابگاه، و بارث بردیم از یکدیگر وحشت را، و منهدم شد بر ما منزلهای خاموش قبرها، پس محو گشت نیکوئیهای بدنهای ما، و تغییر یافت معروفهای صورتهای ما، و طول یافت در مسکنهای وحشت اقامت ما، و نیافتیم از شدت محنت فرجی، و از تنگی حالت وسعتی

پس اگر تصوّر نمائی تو حالتهای ایشان را بعقل خودت، پا برداشته شود از ایشان پرده پوشان از برای تو در حالتی که فرو رفته باشد رطوبت گوشهای ایشان بجهت تسلّط حشرات الأرض پس کر شده باشد، و سرمه کشیده باشد چشمهای ایشان بخاک پس فرو رفته باشد در استخوان سر، و پاره پاره گشته زبانها در دهنهای ایشان بعد از تیزی و بلاغت آنها، و مرده و ساکن شود قلبها در سینهای ایشان بعد از بیداری آنها، و فساد کرده باشد در هر عضوی از ایشان پوسیدگی تازه که زشت گردانیده باشد آنها را، و آسان کرده باشد طریق آفت به آنها در حالتی که آنها گردن نهاده باشند بان آفتها، پس نباشد دستهایی که دفع کنند آنها را و نه دلهایی که جزع کنند از آنها هر آینه بعد از آن تصوّر عقل و کشف حجاب خواهی دید اندوههای قلبها و خونابه چکیدن چشمها را، از برای ایشان است از هر شناعة و رسوائی صفت حالتی که منتقل نشود، و شدّت و سختی که منکشف نگردد و بر طرف نباشد.

الفصل الثالث

اشاره

و کم أكلت الأرض من عزيز جسد، و أنيق لون، كان في الدنيا غديّ ترف، و ريب شرف، يتعلّل بالسّرور في ساعه حزنه، و يفرع إلى السّلوله إن مصيبه نزلت به، ضنّاً بغضاره عيشه، و شحاحه بلهوه و لعبه. فبينما هو يضحك إلى الدّنيا، و تضحك الدّنيا إليه، في ظلّ عيش غفول، إذ وطئ الدّهر به حسكه، و نقضت الأيّام قواه، و نظرت إليه الحتوف من كئيب، فخالطه بثّ لا يعرفه، و نجى همّ ما كان يجده،

ص: ۲۳۳

و تولدت فيه فترات علل انس ما كان بصحته. ففزع إلى ما كان عوده الأطباء من تسكين الحارّ بالقارّ، و تحريك البارد بالحارّ، فلم يطفئ ببارد إلّا- ثور حراره، و لا- حرّك بحارّ إلّا هيج بروده، و لا اعتدل بممازج لتلك الطبايع إلّا أمدّ منها كلّ ذات داء، حتّى فتر معلله، و ذهل ممرّضه، و تعايا أهله بصفه دائه، و خرسوا عن جواب السّائلين عنه، و تنازعوا دونه شجى خبر يكتمونه، فقايل هو لما به، و ممّن لهم إياب عافيته، و مصبر لهم على فقده، يذكّرهم أسى الماضين من قبله. فيينا هو كذلك على جناح من فراق الدّنيا، و ترك الأحبّه، إذ عرض له عارض من غصصه، فتحيّرت نوافذ فطنته، و يبست رطوبه لسانه، فكم من مهمّ من جوابه عرفه فعى عن ردّه، و دعاء مولم لقلبه سمعه فتصامّ عنه، من كبير كان يعظّمه، أو صغير كان يرحمه، و إنّ للموت لغمرات هى أظلع من أن تستغرق بصفه، أو تعتدل على قلوب أهل الدّنيا.

اللغة

(ترف) ترفا من باب منع تنعم و أترفته النعمة أطعته و التّرفه بالضمّ النعمه و الطعام الطيّب و (ربّ) فلان الصّبي يرّبه ربّا ربّاه حتّى أدرك و الرّيب المربوب

قال تعالى «وَرَبَّائِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ» و (السِّلَوه) بفتح السّين و ضمّها اسم من سلى همّه سلّوا و سلّيا نسيه و (عيش غفول) و زان صبور كثير الغفله و (الحسك) محرّكه نبات تعلق ثمرته بصوف الغنم و عند ورقه شوّك ملزّز صلب ذو ثلاث شعب.

و (الحتوف) بالضمّ جمع الحتف بالفتح و هو الموت و (الكثب) محرّكه القرب و هو يرى من كثب أى قرب و (النّجى) فعيل من ناجاه مناجاه أى سارّه و (القارّ) البارد من قرّ القدر إذا صبّ فيه ماء باردا و (الثور) الهيجان و (علل) الصّبي بطعام و غيره شغله به و تعلّل بالأمر تشاغل و (التمرّيض) حسن القيام على المريض و (عى) بالأمر و عى و تعايا و استعيا لم يهتد لوجه مراده أو عجز منه و لم يطق احكامه و (خرس) خرسا من باب فرح انعقد لسانه عن الكلام و (الاسى) بالضمّ جمع الاسوه و هو ما يتأسى به الانسان و يتسلّى.

الاعراب

قوله عليه السّلام: و كم أكلت الأرض من عزيز جسد، لفظه كم خبريّة بمعنى كثير مبتيه على السّكون لشباهتها بكم الاستفهاميّة لفظا و معنى من حيث ابهام كليتهما، و هى منصوبه المحلّ لكونها مفعول أكلت قدمت عليه لأنّ لها صدر الكلام، و من عزيز جسد تميز رافع للابهام الّذى فيها، أى أكلت الأرض كثيرا من عزيز جسد، و عزيز صفه لموصوف محذوف أى من ميّت عزيز الجسد، و إضافه عزيز إلى جسد من إضافه الصّيه إلى فاعله كما فى قولك: مررت برجل حسن وجه أى حسن وجهه، و هذا القسم من اضافه الصّيه المشبّه و إن استقبّحه علماء الأدبّيه لأجل خلوّ الصّفه من ضمير يعود إلى الموصوف لفظا إلّا أنّه يسوغه كثره الاستعمال و وجود الضّمير تقديرا، و جمله كان فى الدّنيا، فى محلّ الخفض على أنّها صفه لعزيز جسد، و جمله يتعلّل، فى محلّ النصب حال من اسم كان.

و قوله: ضنّا مفعول لأجله، و عيش غفولفى نسبه غفول إلى عيش توسّع كما فى عيشه راضيه و قوله إذ وطئ الدّهر، إذ للمفاجاه لوقوعها بعد بينا نصّ على

ذلك سيوييه، قال: إذا وقعت بعد بينا وبينما فهي للمفاجاه و مثال وقوعها بعد بينما قوله:

استقدر الله خيرا و ارضين به فيبينما العسر إذ دارت مياسير

و بينما المرء في الأحياء مغتبط إذ صار في الرمس تعفوه الأعاصير

و الباء في وطىء به للتعديه أى أوطأه.

و قوله: عليه السلام آنس ما كان بصحته، آنس منصوب على الحال من ضمير فيه و العامل فيه تولدت، و ما نكره موصوفه كما فى مررت بما معجب لك، و كان تامه، و بصحته متعلق بانس و محصل المعنى تولدت فيه فترات و الحال أنه آنس شىء وجد أى آنس الأشياء بصحته، و يحتمل أن تكون ما مصدرية زمانية كما فى قوله تعالى «فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ» و قوله «مَا دُمْتُ حَيًّا» أى مدّه استطاعتكم و مدّه دوامى حيا فيكون معناه آنس مدّه كونه و وجوده بصحته أى آنس زمان عمره به، و قيل فيه معان اخر و ما قلته أظهر.

قوله: شجى خبر من اضافه الصفه إلى الموصوف أى خبر ذى شجى و غصه، و قوله فقائل، خبر لمبتدأ محذوف و الجمله معطوفه على جملة تنازعوا و تفصيل له، و اللام فى قوله: لما به، بمعنى على كما فى قوله تعالى «وَيَخْرُجُونَ لِلْذِّقَانِ» و قوله «وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ» و ليست بمعناها الأصلية كما توهم.

قوله: و دعاء مولم لقلبه، اللام للتقويه، و فى بعض النسخ بقلبه بالباء بدل اللام و عليه فهي زايده كما فى قوله تعالى «وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ» و يجوز جعلها بمعنى فى على تضمين مولم معنى مؤثر، و بهذا المعنى جاء الباء فى قوله تعالى «وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ» أى فيها.

المعنى

اعلم أنه عليه السلام ليّا ثبه فى الفصلين السابقين على أهاويل البرزخ و فظايحه أردفهما بهذا الفصل استطرادا و تنبيها على غمرات الموت و شدايده و حالات الميّت عند الاشراف على الموت و الاحتضار فقال:

(و كم أكلت الأرض من عزيز جسد و أنيق لون) إمّا استعاره بالكناية تشبيها للأرض بالاكل و اثبات الاكل تخيلا، أو استعاره تبعيه كما فى نطقت الحال بكذا تشبيها لا فناء الأرض لأجزاء الميت و استحالتها لها بالتراب بأكلها لها، فاستعير الأكل للافناء و دلّ على الاستعاره بذكر الأرض، و المعنى أفنت الأرض و أبلت كثيرا كثيرا من ميت طرى البدن معجب اللون لصفائه و بياضه و اشراقه.

(كان فى الدنيا غذى ترف و ريب شرف) أى غذى و تنعم بالتّعم الموجب لبطره و طغيانه، و ربّى فى عزّ و شرف و منعه.

(يتعلّم بالسرور فى ساعه حزنه) أى يتشاغل بما يسره و يتلهّى به عما يحزنه (و يفرع إلى السيلوه إن مصيبه نزلت به) أى يلتجى إلى ما يسلى همّه و ينسيه إن أصابته مصيبه (ضنا بغضاره عيشه) أى لأجل بخله بسعه عيشه و طيبه (و شحاحه) و بخاله (بلهوه و لعبه) حتّى لا يشوب لهما ما يكدرهما.

(فينا هو يضحك إلى الدنيا) ابتهاجا بها و شعفا بحبّها لجريانها على وفق مراده و تهيئتها لمقدمات عيشه و نشاطه (و تضحك الدنيا إليه) ابتهاجا به لكونه من أبنائها و الراغبين إليها و فرط محبّتها إيّاه، و حاصله تضحك كلّ منهما و اشتياقه إلى الآخر لمزيد المحابه و المعافاه بينهما (فى ظلّ عيش غفول) أى فى دعه و راحه و سعه عيش متّصف بكثرة الغفله.

و المراد غفله صاحبه به كما فى عيشه راضيه، و قال الشارح المعتزلى: عيش غفول قد غفل عن صاحبه، فهو مستغرق فى العيش لم يتنبّه له الدّهر فيكدر عليه وقته قال الشّاعر:

كأنّ المرء فى غفلات عيش كأنّ الدّهر عنها فى وثاق

- انتهى و لعلّ ما قلته أولى و دلالة الشعر عليه أظهر (إذ وطىء الدّهر به حسكه) أى أوطاه حسكه أى أنشب شوكة فيه و استعار الحسك لالام الدّهر و أسقامه و حوادثه الموجبه لأذاه كايجاب الحسك للأذى (و نقضت الأيام قواه) نسبه النّقص إلى الأيام من التوسّع و المراد به انحلال قواه النفسانيّه و ضعف جوارحه (و نظرت إليه الحتوف من كئيب)

أى من قرب، و تخصيصه بالذكر لأن تأثير النظر فيه أشدّ يعنى أنّ ملاحظه المنيه نحوه دانيه، و جمع الحتوف باعتبار تعدّد أسباب الموت.

(فخالطه بثّ لا- يعرفه) أى مازج قلبه حزن لا يعرف علته (و نجى هم ما كان يجده) أى همّ خفى لم يكن معهودا به (و تولّدت فيه فترات علل آنس ما كان بصحته) قال الشّارح المعتزلى: الفترات أوائل المرض انتهى و المراد أنّه طرئ عليه و ظهر فى مزاجه علل موجب لفتور بدنه و ضعف جسمه، و الحال أنّه فى غايه الانس بصحته و كمال الركون إلى سلامته فى لذات طربه و بدوات اربه لا يحتسب رزيّه و لا يحتمل بليّه.

(ف) لمّا وجد فى نفسه ذلك و أحسّ به استوحش منه و (فزع إلى ما كان عوّده الأطباء) أى التجأ إلى ما جعلوه معتادا له من المداواه و المعالجات (من تسكين الحارّ بالقارّ و تحريك البارد بالحارّ) تخصيص التّسكين بالقارّ و التحريك بالبارد لأنّ من شأنّ الحرارة التّحريك و التّهييج فاستعمل فى قهرها بالبارد لفظ التّسكين و من شأنّ البروده التّخدير و التّجميد فاستعمل فى قهرها بالحارّ لفظه التّحريك.

(فلم يطفىء) الحارّ (ببارد إلّا- ثور) و هيّج (حراره) زايده على حراره الحارّ (و لا حرّك) البارد (بحارّ إلّا هيّج) و ثور (بروده) زايده على بروده البارد.

و محصّله أنّه لم ينفعه استعمال المسخن و المبرد إلّا عكس المطلوب و أنتج له المسخن بروده و المبرد حراره.

(و لا- اعتدل بممازج لتلك الطبايع إلّا أمدّ منها كلّ ذات داء) أى لم يقصد الاعتدال بما يمازج تلك الطبايع الحارّه و الباردة المفرطه فيردّها إلى الاعتدال إلّا و أمدّ ذلك الممازج أو المريض و أعطى مددا و قوّه و أعان من هذه الطّبايع كلّ طبيعه ذات داء، أى صار مزج الممازج ممداً و معينا على الطبيعه الّتى هى منشأ المرض مع ماله من مضادّه خاصيّه لخاصيّتها.

و يوضح ما قاله عليه السّلام على وجه البسط ما رواه فى البحار من علل الشرائع بسنده عن وهب بن منبه أنّه وجد فى التوراه صفه خلقه آدم على نبينا و عليه السّلام

حين خلقه الله عزّ وجلّ وابتدعه، قال الله تبارك و تعالى:

أتى خلقت و ركبت جسده من أربعة أشياء، ثم جعلتها وراثته فى ولده تنمى فى أجسادهم و ينمون عليها إلى يوم القيامة، و ركبت جسده حين خلقتة من رطب و يابس و سخن و بارد، و ذلك أتى خلقتة من تراب و ماء ثم جعلت فيه نفساً و روحاً فيبوسه كلّ جسد من قبل التراب، و رطوبته من قبل الماء، و حرارته من قبل النفس، و برودته من قبل الرّوح.

ثم خلقت فى الجسد بعد هذا الخلق الأول أربعة أنواع، و هنّ ملاك الجسد و قوامه بادنا لا يقوم الجسد إلّا بهنّ و لا تقوم منهنّ واحده إلّا بالآخرى: منها المرّه السوداء، و المرّه الصّيفراء، و الدّم، و البلغم ثمّ اسكن بعض هذا الخلق فى بعض، فجعل مسكن اليبوسة فى المرّه السوداء، و مسكن الرّطوبة فى المرّه الصفراء، و مسكن الحرارة فى الدّم، و مسكن البرودة فى البلغم.

فأیما جسد اعتدلت فيه هذه الأنواع الأربع الّتى جعلتها ملاكه و قوامه و كانت كلّ واحده منهنّ أربعاً لا تزيد و لا تنقص كملت صحّته و اعتدل بنيانه، فان زاد منهنّ واحده عليهنّ فقهرتهنّ و مالت بهنّ دخل على البدن السّقم من ناحيتها بقدر ما زادت و إذا كانت ناقصه تقلّ عنهنّ حتّى تضعف من طاقتهنّ و تعجز عن مقارنتهنّ «مقاومتهنّ» قال وهب: فالطبيب العالم بالدّاء و الدّواء يعلم من حيث يأتى السقم من قبل زياده تكون فى احدى هذه الفطره الأربع أو نقصان منها، و يعلم الدّواء الذّى به يعالجهنّ فيزيد فى النّاقصه منهنّ أو ينقص من الزّايده حتّى يستقيم الجسد على فطرته و يعتدل الشّىء بأقرانه.

إذا عرفت ذلك فنقول: إذا أراد الله أن يشفى المريض و يحصل له البرء من مرضه أصاب المعالج و اهتدى إلى معرفه ما به من الدّاء و نفع الدّواء بالخاصّیه الّتى فيه و إذا قضى أجله أخطأ المعالج أو سقط الدّواء من التأثير أو أمدّ ضدّ خاصّيته المكمونه

(حتى) اشتد مرضه و (فتر معلله) أى من يشغله عن التوجه إلى مرضه و يمنيّه العافيه أو عمّا يضرّه من الأَطعمه و الأَشربه بالأدويه النافعه، و فتوره من جهه طول المرض و حصول اليأس، فإنّ العاده جاريه بأنّ أهل المريض فى أوّل مرضه يواظبون عليه و يجتمعون حوله و يعلّلونه حتى إذا طال المرض و اشتدّ و ظهر مخائل الموت يقلّ عزمهم و يفتّر هممهم و يحصل لهم التوانى و الكسل.

(و ذهل ممرّضه) أى من يواظب عليه و يقوم بأمره فى دوائه و غذائه و غيره، و ذهوله و غفلته من أجل أنه فى بدايه المرض يكون له جدّ أكيد و جهد جهيد فى التعهد و المواظبه بما له من رجاء الصّحه و العافيه، و بعد اشتداد المرض و ظهور أمارات الموت توانى و فتر، و تسرع اليه الغفله على ما جرت عليه العاده.

(و تعايا أهله بصفه دائه) أى عجزوا بوصف دائه و شرح مرضه على ما هو عليه للطبيب و غيره، و هذه عاده المريض المثلث.

(و خرسوا عن جواب السائلين عنه) هذه الجمله كالتفسير لسابقتها، و المراد أنّ أهله إذا سئلوا عنه يجمعون و لا يفصّحون عن بيان حاله كالأخرس الذى ينعقد لسانه عن التكلّم، و إنما يخرسون عن جوابهم لأنّه بعد ظهور أمارات الموت عليه لا يسعهم الجواب بصحّته لكونه خلاف الواقع، و لا يسوغهم الجواب بما هو الواقع من إشرافه على الموت لعدم طيب أنفسهم به و انطلاق لسانهم ببيانه.

(و تنازعوا دونه شجى خبر يكتمونونه) أى اختلفوا عنده فى خبر ذى حزن و غصه يخفونه منه و يجيبون السّائلين بالتناجى و المسارّه كيلا يشعر به، و فضّل كيفيه التنازع و الاختلاف بقوله:

(فقايل) منهم (هو لما به) أى على الحال الذى كان عليه لا تفاوت فى مرضه و قيل: معناه هو الأمر الذى نزل به، أى قد أشفى على الموت، و ما قلناه أظهر و أولى.

(و) آخر (ممنّ لهم إياب عافيته) أى يمنيهم و يطمعهم عود عافيته بقوله: قد رأيت مثل هذا المريض و أشدّ مرضا منه ثمّ عوفى.

(و) ثالث (مصبر لهم على فقده) أى يحملهم على الصبر و التحمل على فقده و فراقه (يذكرهم اسى الماضين من قبله) بقوله: تلك الرزیه مما لا اختصاص لهابكم و لا الموت مخصوصا بهذا المريض بل كلّ حى سالك سبيل و كلّ نفس ذائقه الموت، و قد مضى قبل هذا المريض عالم من الناس و بقى بعد الأسلاف الأخلاف فتعزّوا بعزاء الله و تسلّوا و اصبروا و لم يكن لهم علاج إلا أن قالوا: إنّ الله و إنّا إليه راجعون، فينبغى لكم التأسى بالماضين، فإنّ لكم فيهم اسوه، و فى هذا المعنى قال الشاعر و لنعم ما قال:

و إنّ الاولى بالطف من آل هاشم تأسّوا فسوّا للكرام التأسیا

و قالت الخنساء:

و ما يكون مثل أخى و لكن اسلى النفس عنه بالتأسى

و قد قال أمير المؤمنين عليه السلام فى المختار المأتين و الواحد الذى قاله عند دفن الصديقه عليهما السلام: قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبرى إلا أنّ لى فى التأسى بعظيم فرقتك و فادح مصيبتك موضع تعزّ.

(فينا هو كذلك على جناح) أى على حركه سريعه فإنّ الطيران بالجناح سبب سرعه الحركه فتجوز عنها (من فراق الدنيا و ترك الأحبّه إذ) دهمته فجعات المنيه و (عرض له عارض من غصصه) و اعترض فى حلقه و أخذ بخناقه.

(فتحيّرت نوافذ فطنته) أى تاهت إدراكات جودته و ذكائه الثاقبه المتعلقه بمصالح النشأ الدنيويّه و الاخرويّه، و فى بعض النسخ: فطنه، بصيغه الجمع، و المراد تبدل مشاعره و قواه الدّراكه و قصورها عن الادراكات النظرية.

(و يبست رطوبه لسانه) و جفّ حيله - ريقه - و حيل بينه و بين منطقه فصار بين أهله ينظر وجوههم و يسمع رجع كلامهم و يرى حركات ألسنتهم و لا يستطيع التّكلّم معهم.

(فكم من مهمّ من جوابه عرفه فعى عن ردّه) أى جواب سائل سألّه عن أمر مهمّ من وصيّته و دينه و مصارف ماله و قيم أطفاله و نحو ذلك فعجز عن ردّه.

(و دعاء مولم لقلبه سمعه فتصامّ عنه) أى نداء موجه لقلبه سمعه فأظهر الصّمم

لعدم قدرته على اجابه المنادى (من كبير كان يعظمه) كما إذا كان المنادى له والده و ولّى النعمه له (أو صغير كان يرحمه) كما إذا كان المنادى ولده الصغير.

(و أنّ للموت لغمرات) و أهاويل و سكرات (هى أفضع من أن تستغرق بصفه) أى تستعاب بوصف و بيان (أو تعتدل) و تستقيم (على قلوب أهل الدّنيا) لكونها خارجة عن حدّ الاحصاء متجاوزة عن طور الاستقصاء و كيف لا و هو هادم اللّذات و قاطع الامتّيات و جذبه من جذباته أهون عندها نشر المناشير و قرض المقاريض.

أعاننا الله عليه، و ثبتنا بالقول الثابت لديه، و وفّقنا الله و أيدنا و هداانا الصّراط المستقيم بفضلہ العميم، هذا.

و قد أشار بعض الشعراء إلى إجمال ما قاله عليه السّلام فى هذا الفصل و قال:

بينما الفتى مرح الخطا فرحا بما يسعى له إذ قيل قد مرض الفتى

إذ قيل بات بليله ما نامها إذ قيل أصبح مثقلا ما يرتجى

إذ قيل أمسى شاخصا و موجهها إذ قيل فارقهم و حلّ به الرّدى

و لله درّ المؤلّف أبى الحسن الرّضىّ قدّس سرّه ما أعجب نظمه فى شرح حال الدّنيا و أهلها و الهالكين منهم و وصف مضجعهم و برزخهم و سائر حالاتهم قال:

انظر إلى هذا الأنام بعبره لا يعجبّك خلقه و رواؤه

فتراه كالورق النضير تقصّفت أغصانه و تسلّبت شجراته

أنّى محاباه المنون و إنّما خلقت مراعى للرّدى خضراؤه

أم كيف تأمل فلتة أجساده من ذا الزّمان و حشوها اوداؤه

لا تعجبنّ فما العجيب فناؤه بيد المنون بل العجيب بقاؤه

إنّا لنعجب كيف حمّ حمامه عن صحّحه و يغيب عناد آؤه

من طاح فى سبل الرّدى آباؤه فليسلكن طريقهم أبناؤه

و مؤرّر نزلوا به فى سوقه لا شكله فيهم و لا نظراؤه

قد كان يفرق ظلّه أقرانه و يغصّ دون جلاله أكفأؤه

و محجّب ضربت عليه مهابه يغشى العيون بهاؤه و ضياؤه

نادته من خلف الحجاب متيه امم فكان جوابها حوباؤه

شقت إليه سيوفه و رماحه و اميط عنه عبیده و إماؤه

لم يغنه من كان ودّ لو أنّه قبل المنون من المنون فداؤه

حرّم عليه الدّلّ إلّا أنّه ابدا ليشهد بالجلال بناؤه

متخشع بعد الانيس جنائه متضائل بعد القطين فناؤه

عريان تطرد كلّ ریح ترابه و يطیع اوّل أمرها حصباؤه

و لقد مررت ببرزخ فسألته أين الاولى ضممتهم ارجاؤه

مثل المطیّ بوارکا أجداثه يسقى على جنباتها بوغاؤه

ناديته فخفى علىّ جوابه بالقول إلّا ما زقت أصدائه

من ناظر مطروفه ألحاظه أو خاطر مطلوبه سودائه

أو واجد مكظومه زفراته أو حاقد منسيّه شحناؤه

و مسندین علی الجنوب کأنّهم شرب تخاذل بالطلی أعضاؤه

تحت الصعید لغير إشفاق إلى يوم المعاد يضمّمهم أحشاؤه

أكلتهم الارض التي ولدتهم أكل الضروس حلت له اوائه

الترجمه

فصل سیم از این کلام در اشاره بحالات مرض موت و شداید مرگست می فرماید:

چه بسیار خورده زمین از بدن تازه و صاحب آب و رنگ خوش آینده را که بود در دنیا پرورده نعمت و پرورش یافته شرف و عزت، در حالتی که تعلّل می ورزید و بهانه میکرد بشادی در حالت حزن و پریشانی، و پناه می برد به تسلّی خواطر اگر مصیبتی نازل می شد باو از جهت بخل ورزیدن و ضایع نساختن خوش گذرانی خود، و از جهت خساست و هدر نکردن لهو و لعب خود.

پس در این اثنا که او خنده میکرد و فرحناک بود بر دنیا و خنده میکرد و فرحناک بود دنیا باو در سایه خوش گذرانی که باعث زیادت غفلت او بود ناگاه

ص: ۲۴۳

لگد کوب کرد او را زمانه خار خود را، و شکاند روزگار قوت او را، و نگاه کرد بسوی او مرگ ها از نزدیکی، پس آمیخت باو حزن و اندوهی که نمی شناخت او را، و غصه پنهانی که نیافته بود او را، و متولد شد در او سستیهای مرضها در حالت غایت انس او بصحت خود.

پس ملتجی شد بسوی آن چیزی که عادت داده بودند او را بان طبیعها از فرو نشاندن مایه حرارت بدوهای بارد، و حرکت دادن مایه برودت بدوهای حار، پس فرو نشاند باستعمال دواى بارد مگر این که حرکت داد حرارت را، و حرکت نداد بدواء حار مگر بهیجان آورد برودت را، و معتدل ساخت بچیزی که مخلوط نمود بان طبیعتهای حار و بارده مگر این که مدد نمود از این که طبیعتها هر ماده که منشأ درد بود.

تا این که سست شد پرستار او و غافل گردید مواظب مرض او و درمانده گردیدند اهل و عیال او در صفت ناخوشی او و لال گردیدند از جواب پرسندگان احوال او، و اختلاف کردند در نزد او در غمناک چیزی که پنهان می کردند آن را، پس از ایشان یکی می گفت او بهمین حالتست که هست، و یکی دیگر تطمیع می کرد اهل او را بر جوع کردن صحت او، و دیگری تسلی می داد ایشان را بر مرگ او در حالتی که یادآوری ایشان می کرد پیروی گذشتگان پیش از او را.

پس در این اثنا که او بر این حالت بود بر جناح حرکت از دنیا و ترک کردن احبنا ناگاه عارض شد او را عارضه از غصه های او، پس متحیر گردید زیرکیهای نافذه او، و خشک شد رطوبت زبان او، پس چه بسیار مهمی از جوابش بود که شناخت او را پس عاجز از رد آن شد، و چه بسیار از ندا کردن درد آوردنده قلب او بود که شنید او را پس خود را به کری زد بجهت عدم قدرت بر جواب، آن ندا از بزرگی بود که همیشه تعظیم می کرد او را مثل پدر، یا از کوچکی بود که همیشه مهربانی می کرد باو مثل اولاد، و بدرستی که مرگ راست سخیتهائی که دشوارترند از این که استیعاب وصف آنها شود، یا این که راست آید شرح آنها بعقلهای اهل دنیا.

قاله عليه السلام عند تلاوه رجال لا تلهيهم تجاره:

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الذِّكْرَ جَلَاءً لِلْقُلُوبِ، تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرِ، وَ تَبْصُرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ، وَ تَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمَعَانِدَةِ، وَ مَا بَرَحَ لِلَّهِ عِزٌّ
آلَانُهُ فِي الْبَرِّهِ بَعْدَ الْبَرِّهِ، وَ فِي أَرْزَامِ الْفَتَرَاتِ عِبَادَ نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ، وَ كَلَمِهِمْ فِي ذَاتِ عَقُولِهِمْ، فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقْظِهِ فِي
الْأَسْمَاعِ، وَ الْأَبْصَارِ، وَ الْأَفْتِنَةِ، يَذْكُرُونَ بِأَيَّامِ اللَّهِ، وَ يَخَوْفُونَ مَقَامَهُ، بِمَنْزِلَةِ الْأَدْلَةِ فِي الْفُلُوتِ، مَنْ أَخَذَ الْقَصْدَ حَمَدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ،
وَ بَشَّرُوهُ بِالنَّجَاهِ، وَ مَنْ أَخَذَ يَمِينًا وَ شِمَالًا ذَمُّوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ، وَ حَذَّرُوهُ مِنَ الْهَلَكَةِ، فَكَانُوا كَذَلِكَ مَصَابِيحَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ، وَ أَدْلَى
تِلْكَ الشَّبَهَاتِ. وَ إِنَّ لِلذِّكْرِ لِأَهْلًا- أَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلًا، فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجَارَتُهُ وَ لَا- بَيْعُ عَنْهُ، يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ، وَ يَهْتَفُونَ
بِالزَّوْجَرِ عَنْ مُحَارَمِ اللَّهِ فِي أَسْمَاعِ الْغَافِلِينَ، وَ يَأْمُرُونَ بِالْقَسْطِ، وَ يَأْتُمِرُونَ بِهِ، وَ يَنْهَوْنَ

عن المنكر، و يتناهون عنه، فكأنما قطعوا الدنيا إلى الآخره و هم فيها فشاهدوا ما وراء ذلك، فكأنما اطلعوا غيوب أهل البرزخ فى طول الإقامه فيه، و حققت القيامه عليهم عاداتها، فكشفوا غطاء ذلك لأهل الدنيا، حتى كأنهم يرون ما لا يرى الناس، و يسمعون ما لا يسمعون. فلو مثلتهم بعقلك فى مقاومتهم المحموده، و مجالسهم المشهوده، و قد نشروا دواوين أعمالهم، و فرغوا لمحاسبه أنفسهم، على كل صغيره و كبيره أمروا بها فقصروا عنها، أو نهوا عنها ففترطوا فيها، و حملوا ثقل أوزارهم ظهورهم، فضعفوا عن الإستقلال بها، فنشجوا نشيجا، و تجاوبوا نحيبا، يعجّون إلى ربّهم من مقاوم ندم و اعتراف. لرأيت أعلام هدى، و مصابيح دجى، قد حفت بهم الملائكه، و تنزلت عليهم السّكينه، و فتحت لهم أبواب السّماء، و أعدت لهم مقاعد الكرامات فى مقام اطلع الله عليكم فيه، فرضى سعيهم، و حمد مقامهم، يتنسمون بدعائه روح التّجاوز، رهائن فاقه إلى فضله، و أسارى ذلّه لعظمته، جرح طول الأسى قلوبهم، و طول البكاء عيونهم، لكلّ باب رغبه إلى الله منهم يد قارعه، يستلون من لا تضيق لديه المناوح، و لا يخيب عليه الرّاغبون، فحاسب نفسك لنفسك، فإنّ

اللغة

(الوقره) ثقل فى الاذن أو ذهاب السمع كله و (العشوه) مَرَّه من العشاء بالفتح و القصر سوء البصر بالليل و النهار أو العمى و (البرهه) بالضّم الزّمان الطّويل أو الأعمّ و (الفترة) ما بين كلّ التّبيين و (الفلاه) المفازة لا ماء فيها أو الصحراء الواسعه و (هتف) به من باب ضرب هتافا بالضّمّ صاح به.

و(المقاوم)المجالس جمع المقامه و هى مفعله من المقام و هما فى الأصل اسمان لوضع القيام إلّا أنّهم اتّسعوا فيهما فاستعملوهما استعمال المجلس و المكان قال تعالى «خير مقاما» أى مجلسا و (أقلّ) فلان بالشىء و استقلّ به إذا حمله قال تعالى «أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا» أى حملت الرّيح سحابا ثقالا بالماء و (النشيج) الصّوت مع بكاء و توجّع كما يرد الصبى بكاءه فى صدره و (النّحيب) رفع الصّوت بالبكاء و (عجّ) عجا من باب ضرب رفع صوته بالتّلييه و نحوها و (النسيم) نفس الرّيح الضعيف كالنسمه و تنسّم أى تنسّم أى تنفّس و تنسّم النّسيم أى تشمّمه.

و (الزّوج) بالفتح الرّحمة و الرّاحه قال تعالى «لا تَيَأْسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ» أى من رحمته، و يقال أيضا لنسيم الرّيح الطّيب من رَوْحِ الدّهْن ترويحاً جعلت فيه ريحا طيبا طابت به ريحه فتروح أى فاحت رائحته و قال فى مجمع البحرين فى قوله تعالى «فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَ رَيْحَانٌ وَ جَنَّةُ نَعِيمٍ» إنّ الرّوح بفتح أوّله الرّاحه و الاستراحه أو الحياه الدّائمه، و بضّمّه الرّحمة لأنّها كالرّوح للمرحوم، و بالوجهين قرء قوله: فروح.

و (المنادح) جمع المندح كقاتل و مقتل أو جمع المندوحه من ندح ندحا من باب منع اتّسع قال الفيروز آبادى: النّدح و بضّم الكثره و السّيعه و ما اتّسع من الأرض كالنّدحه و النّدحه و المندوحه و المنتدح و (الحسيب) المحاسب و فى بعض النسخ محاسب بدل حسيب.

قوله تعالى «يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ» قرء ابن عامر و أبو بكر يسبح بفتح الباء بالبناء على المفعول و الباقيون بكسرهما، فعلى قولهم يكون رجال فاعله و على القول الأول فالسَاد مسدّ الفاعل أحد الظُروف الثلاثة أعنى له فيها بالغدوّ، و على هذه القراءة فيكون رجال فاعلا لفعل محذوف مدلول عليه بالفعل المذكور فكأنّه قيل من يسبحه فقال: رجال، أى يسبحه رجال كما فى قول الشّاعر:

ليبك يزيد ضارع لخصومه و مختبط ممّا تطيح الطوايح

أى يبكيه ضارع، و قيل: هو خبر مبتدأ محذوف أى المسبح رجال و قيل:

التقدير فيها رجال.

و قوله عليه السّلام: و ما برح لله آه برح فعل ناقص بمعنى زال من نواسخ المبتدأ و الخبر يدخل عليهما فيرفع المبتدأ تشبيها بالفاعل و ينصب الخبر تشبيها بالمفعول، و لله خبره المقدّم و عباد اسمه المؤخّر، و إنما يعمل هذا العمل بشرط تقدّم النفى عليه كما هنا و فى قوله «لن نبرح عليه عاكفين» و مثله زال فى الاشتراط به قال تعالى: «وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ» و جملة عزّت آلاؤه حال من الله.

و قوله: فى البرهه بعد البرهه إما ظرف لغو متعلّق ببرح، أو ظرف مستقرّ حال من عباد قدّمت على ذيهما للظرفيه.

و قوله: حمدوا إليه تعديته بالى لتضمنين معنى الانهاء كما فى قولهم: أحمد إليك الله أى أحمد منها حمده إليك.

و قوله عليه السّلام: فكانوا كذلك مصاييح تلك الظلمات، كان فعل ناقص و الضمير اسمه و كذلك خبره، و الكاف فيه إما للتشبيه أو بمعنى على كما قاله الأَخفش و الكوفيّون مستدلّين بأنّ بعضهم قيل له كيف أصبحت فقال كخير أى على خير أى كان عباد الله كما وصفناه أو على ما وصفناه، و مصاييح تلك الظلمات فى بعض النسخ بالنصب و فى بعضها بالرفع، فعلى النصب يجوز أن تكون بدلا من كذلك بدل تفصيل كما فى

قوله تعالى «أَمِدتُّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ أَمِدتُّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ» و أن تكون حالا من اسم كان على القول بجواز عمل الفعل الناقص في الحال، و على الرفع فهو بدل من ضمير كانوا كابدال الذين ظلموا من ضمير أسروا في قوله تعالى «وَأَسِيرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا».

و قوله: يقطعون به أيام الحياه، الظرف مفعول به لا مفعول فيه مثل حيث في قوله تعالى «اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ» إذ المعنى أنه سبحانه يعلم نفس المكان المستحق للرسالة لا شيئا في المكان، و ناصبها يعلم محذوفا مدلولاً عليه بأعلم لا بأعلم نفسه لأن أفعال التفضيل لا ينصب المفعول به، و قوله: لرأيت جواب فلو مثلتهم.

و قوله عليه السلام: رهائن فاقه خبر لمبتدأ محذوف و قوله: لكل باب رغبه خبر قدّم على مسنده و هو يد قارعه، و منهم متعلّق برغبه و يحتمل أن يكون منهم يد قارعه خبر او مبتداء، فيكون لكل باب ظرف لغو متعلّق بقارعه و قدّم على متعلّقه للوسعه في الظروف.

و قوله: لا- يخيب عليه الراغبون، تعديته بعلى لتضمين لا يخيب معنى التوكل أى متوكلين عليه، و على للاستعلاء المجازى كما فى قوله تعالى «كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا» فإنه تعالى شانه من استعلاء شىء عليه و لكنه إذا صار الشىء مشهورا فى الاستعمال فى شىء لم يراع معناه الأصلى نحو ما أعظم الله و منه: توكلت على فلان كأنك تحمل ثقلك عليه، و منه توكلت على الله صرح بذلك نجم الأئمة الرضى، و يحتمل أن يكون عليه بمعنى فيه كما فى قوله تعالى «وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ» فيكون متعلّقا بالراغبون أى لا يخيب الراغبون فيه و الأول أظهر.

المعنى

إشاره

اعلم أنّ هذا الكلام الشريف حسبما أشار إليه الرضى قدّس سرّه (قاله) عليه السلام (عند تلاوته) قوله تعالى «رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ» و قبل الشروع فى شرحه ينبغى أن نفسر الايه باقتضاء المقام، و قد مضى بعض الكلام فيها فى شرح الكلام الماء و الثامن و التسعين و أقول هنا:

قال تعالى في سورة النور «فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ» أي هذه المشكاة المذكورة في سابق الآيه في بيوت أو توقد في بيوت هذه صفتها.

قال ابن عباس: و هي المساجد، و يعضده قول النبي صَلَّى الله عليه و آله و سَلَّمَ: المساجد بيوت الله في الأرض و هي تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض و قيل: هي بيوت الأنبياء قال في مجمع البيان: و روى ذلك مرفوعاً أنه سئل عن النبي صَلَّى الله عليه و آله و سَلَّمَ لما قرء الآيه أي بيوت هذه؟ فقال: بيوت الأنبياء، فقام أبو بكر فقال: يا رسول الله هذا البيت منها لبيت علي عليه السَّلام و فاطمه عليهما السَّلام؟ قال: نعم من أفاضلها، و يعضد هذا القول قوله «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» و قوله «رَحِمْتُ اللَّهُ وَ بَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ».

و في الصافي من الكافي و الاكمال عن الباقر عليه السَّلام هي بيوتات الأنبياء و الرسل و الحكماء و أئمة الهدى و القمى عنه عليه السَّلام هي بيوت الأنبياء و بيوت علي عليه السَّلام منها.

و قد مضى في شرح الكلام الماء و الثامن و التسعين حديث من غايه المرام عن موسى بن جعفر عن أبيه عليهما السَّلام في هذه الآيه أنه قال بيوت آل محمّد صَلَّى الله عليه و عليهم أجمعين بيت علي و فاطمه و الحسن و الحسين و حمزه و جعفر عليهم السَّلام.

و فيه أيضاً من الكافي باسناده عن أبي حمزه الثمالى قال: كنت جالسا في مسجد الرسول صَلَّى الله عليه و آله و سَلَّمَ إذ أقبل رجل فسَلَّمَ فقال: من أنت يا عبد الله؟ فقلت:

رجل من أهل الكوفة فما حاجتك؟ فقال لى: أ تعرف أبا جعفر محمّد بن علي عليهما السَّلام؟ فقلت: نعم فما حاجتك إليه؟ قال: هيأت له أربعين مسأله أسأله عنها فما كان من حقّ أخذته و ما كان من باطل تركته، فقلت له: هل تعرف ما بين الحقّ و الباطل؟ قال: نعم، قلت: فما حاجتك إليه إذا كنت تعرف ما بين الحقّ و الباطل، فقال لى:

يا أهل الكوفة أنتم قوم ما تطاقون إذا رأيت أبا جعفر عليه السَّلام فأخبرنى، فما انقطع كلامه

حتى أقبل أبو جعفر عليه السّلام و حوله أهل خراسان و غيرهم يسألونه عن مناسك الحجّ فمضى حتى جلس مجلسه و جلس الرجل قريبا منه، قال أبو حمزه: فجلست حتى أسمع الكلام و حوله العالم من الناس، فلما قضى حوائجهم و انصرفوا التفت عليه السّلام إلى الرجل فقال له: من أنت؟ قال أنا قتاده بن دعامة البصري، فقال أبو جعفر عليه السّلام أنت فقيه أهل البصرة؟ فقال: نعم، فقال له أبو جعفر عليه السّلام: ويحك يا قتاده إنّ الله عزّ و جلّ خلق خلقا من خلقه فجعلهم حججا على خلقه فهم أوتاد الأرض قوام بأمره، نجباء في علمه، اصطفاهم قبل خلقه، أظله عن يمين العرش، قال: فسكت قتاده طويلا ثم قال: أصلحك الله و الله لقد جلست بين يدي الفقهاء و قدّام ابن عباس فما اضطرب قلبي قدّام واحد منهم ما اضطرب قدّامك، فقال أبو جعفر عليه السّلام ما تدري أين أنت، أنت بين يدي «بُيُوتِ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَ الْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَ لَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ إِقَامِ الصَّلَاةِ وَ إِيتَاءِ الزَّكَاةِ» و نحن اولئك، فقال له قتاده: صدقت و الله جعلني الله فداك و الله ما هي بيوت حجاره و لا طين، الحديث.

و المراد بالرفع في قوله «أَنْ تُرْفَعَ» التعظيم و رفع القدر، و قيل: رفع الحوائج فيها إلى الله تعالى «وَ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُهُ» أى يتلى فيها كتابه، و قيل:

يذكر فيها أسماؤه الحسنی: و قيل: عام فيما يتضمن ذكره حتى المذكوره في أفعاله و المباحثه في أحكامه «يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَ الْآصَالِ» أى يصلّى فيها بالبكر و العشايا قال ابن عباس كلّ تسبيح في القرآن صلاه، و قيل: المراد بالتسبيح تنزيهه عما لا يجوز عليه و وصفه بصفات الكمال التي يستحقّها لذاته و أفعاله.

ثم بين المسبّح فقال «رجال لا تلهيهم» أى لا تشغلهم و لا تصرفهم «تجاره و لا بيع عن ذكر الله» و ستعرف الفرق بين التجاره و البيع في شرح المتن، و أما ذكر الله فهو يعمّ جميع الأذكار و قد مرّ تفصيلا في التنبیه الثاني من تنبيهات الفصل السادس من فصول الخطبه الثانيه و الثمانين.

إذا عرفت ذلك فلنرجع إلى شرح كلامه عليه السّلام فأقول: إنّ مدار هذا الكلام

على فصول ثلاثه:

الأول فى التنبیه على فضيله الذكر نفسه.

و الثانى فى وصف حال المذكرين و كيفيه تذكيرهم.

و الثالث فى بيان أوصاف الدّاکرين و الاشاره إلى مقاماتهم الجليله و مقاومتهم المحموده.

اما الفصل الاول

فهو قوله عليه السّلام (إنّ الله سبحانه جعل الذكر جلاء للقلوب) المراد بالذكر هنا مطلق الذكر من التسبیح و التهلیل و التّحمید و الدّعاء و المناجاء و تلاوه الكتاب الكريم و نحوها، فإنّ المداومه عليها باللسان مع حضور القلب و توجّهه إليها توجب صفاء القلب و نوره و جلّائه و طهارته و نقائه من ظلمه الذّنوب و رین المعاصی و الغواشى كالمرآه المجلّوه الّتى ليس عليها شىء من الكدر.

و ذلك لما عرفت فى شرح الكلام المأتين و السادس عشر أنّ الاستغراق فى الذكر و المداومه عليه يصرف القلب عمّا سوى الله إلى الله عزّ و جلّ، فلا يبقى فيه مجال للتّوجه إلى الدّواعى النفسانيّه و لا محلّ لطرد الوسوس الشّيطانيّه الّتى هى منشأ الذّنوب و مبدء ظلمات القلوب.

و قد تقدّم فى التنبیه الثانى من شرح الفصل السادس من فصول الخطبه الثانيه و الثمانين كيفيه مطارده جنود الملائكه و الشياطين فى القلب و غلبتهم على الشياطين و ابعادهم لهم عن القلب بالمداومه على الذكر و الطاعه، و مضى هناك مطالب نفيسه نافعه فى المقام.

و قوله عليه السّلام (تسمع به بعد الوقره) يعنى يكون الذكر سببا لكون القلوب سميعه بعد صممها أى مستعدّه لاستماع كلام الله و كلام الأنبياء و الدّعاء إلى الله و استفاده الكمالات و القربات منها بعد ما كانت قاصره عنها.

(و تبصر به بعد العشوه) أى يكون سببا لكونها بصيره بعد عشاها و ضعف

بصرها أى قابله للانتفاع بما فى الكون من عجائب التدبير مدركه لما فى الافاق و الأنفس من الايات و العبر بعد ما كانت غافله عن إدراكها.

(و تنقاد به بعد المعانده) أى تنقاد للحق بعد العناد و الالحاد، و ذلك لأنه يحصل بدوام الذكر و الفكر حاله المراقبه و استشعار عظمه الله تعالى و جلاله و كبريائه فيحصل بذلك ذلّ و انكسار و مهانه للقلب و يكون داخرا ذليلا منقادا لقبول أمر الرب و نهيه، سالكا لسييله بعد ما كانت منحرفا عنه و تجلو الذكر قلبه و تقرّ عين باطنه فتبصر بما لا يبصر به قبل المداومه بالذكر، اللهم أنسنا به بلطفك الخفى

و اما الفصل الثانى

فهو قوله:

(و ما برح) أى ما زال (لله) بمقتضى لطفه و رحمته (عزّت آلاؤه) و جلت نعمائوه (فى البرهه بعد البرهه و فى أزمان الفترات) من الرّسل و طول الهجعه من الائم (عباد) صالحون كاملون فى معرفته تآمّون فى عبوديته قائمون بأمره فى أنفسهم مبشرون و منذرون لغيرهم (ناجاهم فى فكرهم) أى ألهمهم معرفته و أفاض على قلوبهم كيفيه سلوك سبيله و هدايه الناس إليه (و كلمهم فى ذات عقولهم) أى خاطبهم فى باطنهم سرّا و تجوز به كالمناجاه عن الالهام و الإفاضه التى أشرنا إليها (فاستصبحوا بنور يقظه فى الأسماع و الأبصار و الأفئده) أى استيقظوا بشمول الألفاف الغيبية و الافاضات الالهية من نوم الغفله و رقد الجهاله، و استضاءوا بنور حاصل فى الأسماع بسبب استماعها إلى ما فيه صلاح الدّين من المواعظ و الحكم و الفضائل و آيات الكتاب المبين.

و قد قال تعالى «إِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَ أَنْصِتُوا» فإنّ الاستماع إلى ذلك بقصد الفهم و القبول محضل لأنوار الكمالات النفسانية، و لذلك مدح الله تعالى المؤمنين بكون استماعهم على هذا الوجه و قال عزّ من قائل «وَ إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا» أى إذا قرء على المؤمنين القرآن و استمعوه زادتهم آياته تبصره و يقينا

ص: ٢٥٣

على يقين و أما الاستماع لا بقصد الفهم و القبول فقد ذم المستمعين كذلك فى قوله:

«ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ» أى لم يستمعوه استماع نظر و تدبر و قبول و تفكر و إنما استمعوه استماع لعب و استهزاء، و فى قوله «وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَ لَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ» أى من جمله هؤلاء الكفار من يطلبون السمع إلى كلامك للرد و التعت لا للفهم و القبول، فلما كان استماعهم على هذا الوجه كانوا كأنهم صم لا يستمعوه حيث لم ينتفعوا به فاستحقوا الطعن و التعريض من الله عز و جل بذلك.

و استضاءوا أيضا بنور حاصل فى الابصار بسبب نظرها إلى ما هو محصل لنور المعرفة من آيات الكبرياء و العظمة و عجائب الصنيع و قدره كما قال تعالى «سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ» و قال «وَ مِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَ طَمَعًا وَ يُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَغْدًا مَوْثِيهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ».

هذا إذا كان النظر إليها للاستبصار و الاعتبار و إلا فلا خير فيه و لا منفعة و لا يزيد إلا الغفلة، و لذلك ذم الله تعالى شأنه الكفار بكون نظرهم على هذا الوجه فى قوله «وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَ لَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ» أى ينظر إلى أفعالك و أقوالك لا نظر الحقيقة و العبرة بل نظر العادة فلا ينتفع بنظره و لا يزيدهم النظر إلا عمى و جهالة.

و أما الاستضاء بنور يقظه الأفئدة فيقظتها عبارته عن فطانتها و جودتها و توجهها إلى ما ينبغى لها من الكمالات العقلية و تفكرها فى آثار قدره و الجلال و الجبروت و آيات العظمة و الكمال و الملك و الملكوت، و تدبرها فى بدايع المصنوعات و معانى الايات المحكمات كما قال تعالى «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولَى الْأَلْبَابِ» و قال «كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَ لِيَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ».

و المراد بنور يقظتها هو نور العلم و المعارف الحقّه و العقائد اليقينيّه الحاصله من التدبّر و التّفكّر.

و استعاره النّور للعلم شائع كاستعاره الظّلمه للجهل كما قال تعالى «أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَ جَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا» قال فى التفسير: أى كافرا فأحييناه بأن هديناه إلى الايمان و أنّما سمّى الله تعالى الكافر مَيِّتًا لأنّه لا ينتفع بحياته و لا ينتفع غيره به، و سمّى المؤمن حيًّا لأنّ له و لغيره المصلحه و المنفعه فى حياته، و جعلنا له نورا، أراد بالنور العلم و الحكمه قال أمين الاسلام الطبرسى: سمّى سبحانه ذلك نورا و الجهل ظلمه لأنّ العلم يهتدى به إلى الرّشاد كما يهتدى به فى الطرقات و قال ابن عباس: المراد بالنور الايمان، و قيل: المراد به القرآن كمن مثله فى الظّلمات أى ظلمات الكفر قال الطبرسى:

سمّى الايمان و القرآن و العلم نورا لأنّ النّاس يبصرون بذلك و يهتدون من ظلمات الكفر و حيره الضلاله كما يهتدى بساير الأنوار، و سمّى الكفر ظلمه لأنّ الكافر لا يهتدى بهداه و لا يبصر أمر رشده، و من هذا القبيل استعاره البصير و الأعمى للمؤمن و الكافر قال تعالى «وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَ الْبَصِيرُ».

و الحاصل أنّه تعالى لم يخل الأزمان من عباد استضاءوا و استصبحوا بنور المعرفه و اليقين الحاصل من طريق السمع بالاصغاء، و من طريق البصر بالنظر، و الأفئده بالفكر و التدبّر، هذا حالهم فى ذات أنفسهم.

و أمّا بالنسبه إلى الخلق فإنّهم يهدون بالحقّ و يحكمون بالقسط و يأمرّون بالمعروف و ينهون عن المنكر و (يذكرون بأيّام الله) أى يذكرون النّاس بوقايعه و قوارعه و عقوباته الواقعه بالامم الماضيه فى القرون الخاليه على ما عرفته فى شرح الفصل السابع من الخطبه المأه و الحاديه و التسعين.

و روى عن أبى عبد الله عليه السّلام فى تفسير قوله تعالى «وَذَكَّرْهُمْ بِأَيّامِ اللَّهِ» أنّه يريد بأيّام الله سنّته و أفعاله فى عباده من إناعم و انتقام.

و حاصله تذكير المحسنين بالانعام تبشيرا لهم، و المسيئين بالانتقام إنذارا

و تحذيرا كما ذكر الله تعالى أيضا كفار قريش بذلك فى كتابه العزيز فى سورة القمر حيث قال فيهم «وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ» و كرر قوله «وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ» عقيب التذكير بقصه قوم نوح و إهلاكهم بماء منهمر، و بقصه عاد و إهلاكهم بريح صرصر فى يوم نحس مستمر، و بقصه ثمود و إهلاكهم بصيحه واحده فكانوا كهشيم المحتظر، و بقصه قوم لوط و لقد صبحهم بكره عذاب مستقر، فختم بقصه آل فرعون و أخذه عزّ و جلّ لهم أخذ عزيز مقتدر، ثم اتبع ذلك كله بقوله «أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ» إلى أن قال تعالى «وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ».

قال أمين الاسلام الطبرسى: خَوْفٌ سبحانه كفار مكه فقال «أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ» و أشدّ و أقوى «من أولئكم» المذنبين ذكرناهم و قد أهلكناهم، و هذا استفهام إنكار أى لستم أفضل من قوم نوح و عاد و ثمود لا فى القوّه و لا فى الثروه و لا فى كثره العدد و العدّه، و المعنى أنه إذا هلك أولئك الكفار فما الذى يؤمنكم أن ينزل بكم ما نزل بهم «أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ» أى لكم براءه من العذاب فى الكتب السالفه أنّه لن يصيبكم ما أصاب الامم الخاليه.

و قال فى قوله «وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ» أى أشباهكم و نظراءكم فى الكفر من الامم الماضيه «فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ» أى فهل من متذكّر لما يوجهه هذا الوعظ من الانزجار عن مثل ما سلف من أعمال الكفار لئلا يقع فيه ما وقع بهم من الاهلاك.

(و يخوفون مقامه) أى يخوفونهم من مقام الربوبيه المتّصفه بالعظمه و الجلال و الكبرياء و القدره، و من كونه قائما على كلّ نفس بما كسبت، فإنّ التخويف بذلك مستلزم للخوف و الهييه أو من مقامهم بين يدى الرّب للحساب و ذلك يوم يقوم الناس لربّ العالمين و يقوم الاشهاد و يقوم الرّوح و الملائكه صفّا لا يتكلّمون إلّا من أذن له الرّحمن و قال صوابا.

ثم وصفهم بأنهم (بمنزله الأدله) و الهداه (فى) البوادي و (الفلوات) فكما أنّ

الأدلة يدلّون على الطريق و يهتدون إليه و (من أخذ القصد) أى قصد السبيل و هو الطريق المستقيم المحفوظ من الإفراط و التفريط المبلّغ قاصده و سالكه إلى ما يريد (حمدوا إليه طريقه و بشّروه بالنّجاه) من الهلكات (و من) انحرف عنه و (أخذ يمينا و شمالا- ذمّوا إليه الطريق و حذّروه من الهلكه) فكذلك هؤلاء يهدون السّائرين إلى الآخره إلى الصراط المستقيم و يبشّرون الاخذين به بالسّعاده الأبديه و النّجاه من المهالك، و يحذّرون المنحرفين عنه إلى اليمين و الشمال من الشقاوه الأبديه و الوقوع فى المعاتب.

(فكانوا كذلك) أى على ما وصفناه من التّذكير و التّخويف و التّبشير و التّحذير(مصاييح تلك الظّلمات و أدلّه تلك الشّبّهات)أشار بها إلى ظلمات أزمنه الفتره المذكوره سابقا و شبهاتها، و أراد بالظّلمات ظلمات الجهل و الحيره الّتى تغشى النّاس فيها، و بالشّبّهات الامور الباطله الشبيهه بالحقّ، و شبّههم بالمصاييح لأنّه يهتدى بهم و يقتبس من أنوار علومهم فى تلك الظّلمات كما يستضاء بالمصباح فى ذلك ظلمه اللّيل.

و بهذا الوجه شبّه الأئمّه عليهم السّلام بالعلامات و رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم بالنّجم فى قوله تعالى«وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ»قال أبو عبد الله عليه السّلام: نحن العلامات و النّجم رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم.

و شبّههم عليهم السّلام بالأدله لتمييزهم بين الحقّ و الباطل و إرشادهم إلى الحقّ كما يفرق الدّليل بين القصد و غيره و يدلّ على القصد.

و قد مرّ نظير ذلك فى كلامه عليه السّلام فى الخطبه الثامنه و الثلاثين حيث قال عليه السّلام هناك: و إنّما سمّيت الشّبّهه شبّهه لأنّها تشبه الحقّ فأمرّا أولياء الله فضيأؤهم فيها اليقين و دليلهم سمت الهدى، و أمّا أعداء الله فدعاؤهم فيها الضّلال و دليلهم العمى.

فهو قوله عليه السّلام (و أنّ للذكر لأهلا- أخذوه من الدّنيا بدلا) أراد بهم إمّا خصوص نفسه و الطيبين من أولاده لأنّهم أهله حقيقه يسبّحون اللّيل و النّهار و لا يفترّون و يذكرون الله قياما و قعودا و على جنوبهم و يتفكّرون فى خلق السّموات و الأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلا.

و هم أيضا أهل الذّكر الذى هو القرآن كما يشهد به ما فى الكافى عن الفضيل عن أبى عبد الله عليه السّلام فى قول الله تبارك و تعالى «وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَ لِقَوْمِكَ وَ سَوْفَ تُسْئَلُونَ» قال عليه السّلام: الذّكر القرآن و نحن قومه و نحن المسؤولون.

و أهل الذّكر الذى هو الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم كما يدلّ عليه ما فيه عن عبد الله بن عجلان عن أبى جعفر عليه الصّلاه و السّلام فى قول الله عزّ و جلّ «فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: الذّكر أنا و الأئمه عليهم السّلام أهل الذّكر.

و يؤيّد إرادته عليه السّلام خصوص نفسه و أولاده عليهم السّلام ما يفصّله عليه السّلام من صفات أهل الذّكر، فإنّ تلك الصّفات الاتّيه هم المتّصفون بها حقّ الاتّصاف و حقيقته و يؤيّدّه أيضا أكثر ما رويناه من الأخبار فى تفسير «بيوت أذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه» الايه.

و إن أراد به مطلق أهل الذّكر فهم عليهم السّلام أكثر كمل مصاديقه و أفراده.

و كيف كان فقد أخذ الذّكر أهله بدلا من الدّنيا و عوضا منها علما منهم بأنّ من أكثر ذكر الله أحبه الله كما رواه الصّادق عليه السّلام من رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و روى عنه أيضا من أحبّ أن يرتع فى رياض الجّنه فليكثر ذكر الله.

و لذلك (فلم تشغلهم تجاره و لا- بيع عنه) ذكر البيع بعد التّجاره من قبيل ذكر الخاصّ بعد العامّ لمزيد الاهتمام كما فى قوله تعالى «يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْهَاهُنَا قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَ الْحِجَجِ» فإنّ التّجاره تشمل جميع أنواع المكاسب و البيع أظهرها، و قال البيضاوى فى تفسير قوله تعالى «لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ» لا يشغلهم معاملته

رابحه «و لا بيع عن ذكر الله» مبالغه بالتعميم بعد التخصيص إن أريد به مطلق المعاوضه، أو بافرد ما هو أهم من قسمي التجاره فانّ الربح يتحقّق بالبيع و يتوقّع بالشرا، و قيل: المراد بالتجاره الشرى فأنّه أصلها و مبدؤها.

(يقطعون به أيام الحياه) أى أيام حياتهم، و يحتمل أن يكون المعنى أنّهم يقطعون بالاشتغال به عن العلايق الدنيويّه فى تمام عمرهم، فتكون أيام الحياه مفعولا فيه لا مفعولا به و الأول أظهر.

(و يهتفون بالزّواجر عن محارم الله فى أسمع الغافلين) عن ذكر الله أى يصيحون بالمواعظ البالغه و النصائح الزّاجره فى أسمع أهل اللّهُ و الغفله زجرا لهم أى إزعاجا و إبعادا عن المحارم (يأمرون) غيرهم (بالقسط) و العدل (و يأتُمرون) أى ينقادون (به) فى أنفسهم (و ينهون عن) الفحشاء و (المنكر و يتناهون) أى يكفّون (عنه) فى ذاتهم لما عرفت فى شرح الخطبه المأه و الرابعه أنّ التّهى عن المنكر إنّما هو بعد التناهى عنه.

(فكأنّما قطعوا الدّنيا) و انتهوا (إلى الآخره و هم فيها) أى و الحال أنّهم فى الدّنيا فكأنّهم قطعوها و مضوا إلى الدّار الآخرى (فشاهدوا) بعين اليقين (ما وراء ذلك) العالم.

(فكأنّما) هم و الجنّه كمن قد رآها فهم فيها منعمون و على الأرائك متكوّنون و هم و النار كمن قد رآها فهم فيها معذبون و من هولها مصطرخون و كأنّما (اطلعوا عيوب أهل البرزخ فى طول الاقامه فيه) أى علموا فظايع البرزخ و شدايد أهله الغاييه عن نظر أهل الدّنيا فى مدّه الاقامه المتماديه الطويله لهم فيه (و) كأنّما (حققت القيامة عليهم عداتها) فى إسناد التحقيق إلى القيامة و كذا إضافه العدات إلى ضميرها تجوّز، و المراد كأنّ القيامة قد قامت عليهم و حقّق الله تعالى مواعيده التى تكون فيها من تكوير الشمس و طمس النجوم و تسيير الجبال و حشر الوحوش و كون الناس كالفراش المبتوث و الجبال كالعهن المنفوش و فرار المرء من أخيه و أمّه و أبيه و صاحبتة و بنيه لكلّ امرء منهم يومئذ شأن يغنيه

وجوه يومئذ مسفره ضاحكه مستبشره و وجوه يومئذ عليها غبره ترهقها قتره إلى غير هذه مما أخبر به الكتاب العزيز و نطق به الأخبار.

(فكشفوا) بياناتهم الفصيحه و كلماتهم النصيحه (غطاء ذلك) أى ما رأوه بعين اليقين من محجوبات الغيوب و مستورات الغيب المحجوب (لأهل الدنيا) تنفيرا لهم عنها و ترغيبا إلى دار الاخرى (حتى كأنهم) من شدّة اليقين و قوّه أبصار البصائر و آذان العقول (يرون) من أحوال النشأ الأخرويه (ما لا يرى) ساير (الناس و يسمعون ما لا يسمعون) و هذا المقام مقام قوله عليه السّلام: لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا.

قال الشارح البحراني: لما كان السبب فى قصور النفوس عن ادراك أحوال الاخره و هو تعلّقها بهذه الأبدان و اشتغالها بتدبيرها و الانغماس فى الهيئات الدنيويه المكتسبه عنها، و كان هؤلاء الموصوفون قد غسلوا درن تلك الهيئات من ألواح نفوسهم بمداومه ذكر الله و ملازمه الرياضه التامه، حتى صارت نفوسهم كمرايا مجلّوه حوذى بها سطر الحقائق الالهيه فجلت و انتقشت بها، لا جرم شاهدوا بعين اليقين سبيل النجاه و سبيل الهلاك و ما بينهما فسلكوا على بصيره و هدوا الناس على يقين و اخبروا عن امور شاهدوها بأعين بصائرهم و سمعوا بأذان عقولهم، فكانهم فى وضوح ذلك لهم و ظهوره و اخبارهم عنه قد شاهدوا ما شاهده الناس بحواسهم ما لم يشاهده الناس و سمعوا ما لم يسمعوه.

(فلو مثلتهم بعقلك) أى تصوّرت مثالهم و صورهم (فى مقاومهم المحموده) أى مقامات عبوديتهم و تذللّهم التى يحمدهم الله ربّ العالمين بالقيام فى تلك المقامات (و مجالسهم المشهوده) أى مجالس عبادتهم و تضرّعهم التى تشهدا الملائكه المقربون كما قال عزّ من قائل «وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً» قال المفسرون معناه إنّ صلاه الفجر تشهدا ملائكه الليل و ملائكه النهار و قوله عليه السّلام: (و قد نشروا دواوين أعمالهم و فرغوا لمحاسبه أنفسهم) من الاستعاره التمثيليه حيث شبّههم عليه السّلام فى تتبّعهم لنفوسهم و ملاحظتهم لألواح ضمائرهم

و تفكرهم في ما ثبت في تلك الألواح من صور أعمالهم التي عملوها من خير أو شرّ و تدبيرهم في جبران الخاسره منها و مطالبتهم أنفسهم بتدارك ما فاتت و فرّطت فيها بالتاجر الذي يفتح دفتر تجارته، و ينشر ديوان حسابه و ينظر ما كتب فيه من صوره مكاسبه و يلاحظ ربحه و خسارته، و يدبّر تدارك خسارته.

و قد قال عليه السلام في الخطبه التاسعه و الثمانين: عباد الله زنوا أنفسكم من قبل أن توزنوا و حاسبوها من قبل أن تحاسبوا، و قد مرّ في شرحه ما ينفع في هذا المقام و حقيقه محاسبه النفس على ما تبه عليه الغزالي أن يكون للعبد ساعه في آخر النهار يطالب النفس و يحاسبها على جميع حركاتها و سكناتها كما يفعل التجار في الدّنيا مع الشركاء في آخر كلّ سنه أو شهر أو يوم حرصا منهم على الدّنيا و خوفا من فوات منافعها.

فإنّ التّاجر إذا جلس مجلس المحاسبه مع شريكه ينظر أولا في رأس المال، ثمّ في الرّبح و الخسران ليتبيّن له الزّيادة و النّقصان، فان كان من فضل حاصل استوفاه و شكره، و إن كان من خسران ضمّنه و كلّفه جبرانه في المستقبل و كذلك رأس مال العبد في دينه الفرائض و ربحه التّوافل و الفضائل و خسارته المعاصي و موسم تلك التجاره تمام النّهار، و النفس بمنزله الشريك فليحاسبها أولا على الفرائض فإنّ أذاها على وجهها شكر الله تعالى على ذلك، و إن فوّتها من أصلها طالبها بالقضاء و إن أذاها ناقصه كلّها الجبران بالتّوافل، و إن ارتكب معصيه اشتغل بمؤاخذتها و معاتبته ليستوفى منها ما يتدارك به ما فرّط كما يصنع التّاجر بشريكه.

و كما أنّه يفتّش في حساب الدّنيا عن الحبه و القيراط و يبالغ في المداقّه و يلاحظ مداخل الزّيادة و النقصان، فينبغي له أن يبالغ في المداقّه في حساب نفسه عن خواطره و أفكاره و قيامه و قعوده و أكله و شربه و تكلمه بل عن جميع حركاته و سكناته، و ينبغي أيضا أن يحاسب النفس على جميع عمره يوما فيوما و ساعه فساعه في جميع الأعضاء الظاهره و الباطنه.

و قد نقل عن بعض العرفاء و كان محاسباً لنفسه أنّه حسب يوماً فاذا هو ابن ستين سنة، فحسب أيامها فاذا هي أحد و عشرون ألف يوم و خمسمائه يوم، فصرخ و قال: يا ويلتى ألقى الملك بأحد و عشرين ألف ذنب فكيف و فى كل يوم عشره آلاف ذنب، ثم خرّ مغشياً عليه فاذا هو ميت.

فهكذا ينبغي أن يحاسب نفسه على الانفاس و على معصيته بالقلب و الجوارح فى كل ساعه، و لو رمى العبد بكل معصيه حجراً فى داره لكان فى مدّه قليله تلا صغيراً و لكنّه يتساهل فى حفظ المعاصى و الملكان يحفظان عليه ذلك أحصاه الله و نسوه و أمّا أولياء الله الكاملون فى مقام العبوديّة و الطاعه فلهم المداقه فى محاسبه أنفسهم و معاتبتها (على كل صغيره و كبيره امروا بها فقصّروا عنها أو نهوا عنها ففترطوا فيها) لعدم إخراجهم أنفسهم من حدّ التقصير فأنّه عزّ و جلّ لا يمكن أن ينال مدى عبادته، و كيف يمكن البلوغ إلى مدى عبادته من لا-مدى له، و من ذلك أنّ المعصومين عليهم السّلام كانوا يعدّون أنفسهم فى عداد المذنبين المقصّرين لكون حسنات الأبرار سيئات المقرّبين حسبما عرفت تفصيلاً فى شرح الخطبه الاولى عند تحقيق عصمه الأنبياء عليهم السّلام.

(و حمّلوا ثقل أوزارهم) و آثامهم (ظهورهم فضعفوا عن الاستقلال بها) أى عن حمل الأوزار (فنشجوا نشيجا) أى بكوا بكاء متوجّع (و تجاوبوا نحياً) أى جاوب بعضهم بعضاً بالنّحيب و البكاء الشّديد، و لفظ التّجاوب مجاز فأنّهم لمّا كانوا فى مقام محاسبه النّفس رافعين أصواتهم بالبكاء صاروا بمنزله المتجاوبين كأنّ كلّ منهم يجاوب الآخر ببكائه و نحيبه.

(يعجّون إلى ربّهم من مقاوم ندم و اعتراف) أى يرفعون أصواتهم إليه عزّ و جلّ بالتّضرّع و الابتهاال فى مقامات التوبه و الابتهاال و الاعتراف بالتّفريط و التّقصير.

و قوله (لرأيت) جواب لو مثّلتهم حسبما اشرنا إليه أى لو تصوّرت حالاً-تهم فى مقاماتهم المحموده و مجالسهم المشهوده و شاهدت من شئونهم كيت و كيت لرأيت (أعلام هدى) يهتدى باثارهم فى ظلم الضّلاله (و مصابيح دجى) يقتبس من أنوارهم

فى غياهب الجهاله (قد حَفَّت بهم الملائكه) أى أحاطت عليهم الملائكه تشريفاً و إكراماً و عنايه من الله تعالى فى حقهم (و تنزلت عليهم السكينه) و هى هيئه جسمائيه تنشأ من استقرار الأعضاء و طمأنينتها مع اعتدال حركاتها، و لعل المراد بها برد اليقين الذى اشرنا إليه فى شرح الكلام الذى قبل هذا الكلام له عليه السلام.

(و فتحت لهم أبواب السّماء) بالعنايات الالهيه و الافاضات الملكوتيه و الألطاف الغيبيه (و اعدت لهم مقاعد الكرامات) المشار إليها فى قوله عزّ و جلّ «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ نَهَرٍ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ».

قال أمين الاسلام الطبرسى: أى أنهار من الخمر و الماء و العسل، وضع نهر فى موضع أنهار لأنّه اسم جنس يقع على القليل و الكثير، و الاولى أن يكون أنما و حدّ لوفاق الفواصل فى «مَقْعَدٍ صِدْقٍ» أى فى مجلس حق لا لغو فيه و لا تأثيم و قيل: وصفه بالصدق لكونه رفيعاً مرضياً، و قيل: لدوام النعيم به و قيل: لأنّ الله صدق وعد أوليائه فيه «عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ» أى عند الله سبحانه فهو المالك القادر الذى لا يعجزه شىء، و ليس المراد قرب المكان تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً بل المراد أنهم فى كنفه و جواره و كفايته حيث تنالهم غواشى رحمته و فضله.

و الحاصل أنهم هيأت لهم تلك المقاعد (فى مقام اطلع الله عليكم فيه) و فى نسخه الشارح المعتزلى عليهم بدل عليكم و هو أنسب و على هذه النسخ فلعلّه من تغليب المخاطبين على الغائبين، و يمكن أن يكون النكتة فى العدول من الغيبه على الخطاب تهيج المخاطبين و الها بهم بالتنبيه على أنّ الله تعالى مطلع عليكم و عليهم جميعاً و لكن مقاعد كراماته صارت مخصوصه بهم لتكميلهم للعبوديه فينبغى أن تكونوا مثلهم حتى تكون معده لكم أيضاً كما اعدت لهم.

(فرضى سعيهم) أى جدّهم و جهدهم فى العباده (و حمد مقامهم) أى مقام عبوديتهم و هو فوق مرتبه مقام العباده لأنّ العباده للعوام من المؤمنين و العبوديه للخواصّ من السالكين و العباده لمن له علم اليقين و العبوديه لمن له عين اليقين فإنّ حقيقه العبوديه هى الاسر و التذلّل فى قيد الرّقيه و أن لا يبقى فيه أثر من آثار

هواه، و أن تكون أوقاته مستغرقه في خدمه مولاه مصروفه إلى تحصيل رضاه و لذلك وصف الله نبيه صلى الله عليه و آله و سلم بهذا الوصف في غايه غايات مقام القرب و الزلفى حيث قال تعالى «ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى» فعبر بلفظ العبد إشاره إلى أنه صلى الله عليه و آله و سلم في ذلك المقام كان فانيا في الله لم يكن له هم أصلا فيما سواه منقطعا عن جميع ما عداه.

(يتنسمون بدعائه روح التجاوز) أي يشمون بدعائه و مناجاته تعالى النسيم الطيب و الهواء الذي تستلذه النفس و يزيل عنها الهم لما حصل من تجاوزه عزّ و جلّ من تقصيرهم و صفحه عنهم (رهائن فاقه إلى فضله) قال الشارح البحراني استعار لهم لفظ الرهائن لكونهم في محلّ الحاجة إلى فضله لا معدل و لا ملجأ لهم عنه كالرهائن في يد المسترهن.

و كذلك الاسارى في قوله عليه السلام (و اسارى ذلّه لعظمته) و وجه المشابهه كونهم في مقام الذلّه تحت عظمته كالأسير بالنسبه إلى عظمه من اسره.

(جرح طول الاسى قلوبهم و طول البكاء عيونهم) أي صارت قلوبهم و عيونهم مجروحه من طول الحزن و البكاء لما فيهم من مزيد الخوف و الخشيه الملازم لكمال المعرفه التي لهم بعظمه الربّ تعالى و عزّته (لكلّ باب رغبه إلى الله منهم يد قارعه) أراد بأبواب الرغبه أنواع العبادات و القربات، و بقرعهم لتلك الأبواب جدّهم في اقامتها و عدم غفلتهم عنها.

و قال البحراني: أشار بقرعهم لكلّ باب من أبواب الرغبه إلى الله إلى توجيه أسرارهم و عقولهم إلى القبله الحقيقيه استشرافا لأنوار الله و استتماما لجوده.

(يسألون من لا تضيق لديه المنادح) الاتيان بالموصول لزياده التقرير أي تقرير الغرض المسوق له الكلام، فإنّ المقصود به الحثّ على سؤاله و الترغيب إليه تعالى بالتنبيه على سعه بحر كرمه وجوده و عدم ضيقه عن سؤال السائلين و آمال الراغبين، فهو أدلّ على هذا الغرض من أن يقول يسألون الله أو يسألون الربّ تعالى و محصّيه أنّه عزّ و جلّ لا يفره المنع و الجمود و لا يكديه الاعطاء و الجود

بل لو وهب ما تنفست عنه معادن الجبال و ضحكت عنه أصداف البحار من فلز اللجين و العقیان و نثاره الدرّ و حصید المرجان ما أثر ذلك فی جوده و لا أنفد سعه ما عنده و لكان عنده من ذخایر الأنعام ما لا تنفده مطالب الأنام لأنّه الجواد الذی لا یغیضه سؤال السائلین و لا یبخله إلحاح الملحّین.

(و لا یخیب علیه الرّاعبون) و لا ییأس من فضله و کرمه إلاّ الکافرون (فحاسب نفسک لنفسک) أى حاسب نفسک التّی هی أعزّ الأنفس علیک و أحبّها إلیک لأجل منفعه نفسک أى تولّ أنت بنفسک بمحاسبه نفسک قبل أن تحاسب بها (فانّ غیرها من الأنفس علیها حسیب) أى محاسب (غیرک) یعنی سایر الأنفس التّی لم یتولّ صاحبها محاسبتها فانّ لها حسیبا یحاسبها، و هو الله ربّ العالمین مالک یوم الدّین أسرع الحاسبین كما قال عزّ شأنه «إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ» «وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَ هُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَ هُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ».

الترجمه

از جمله کلام آن امام مبین است که گفته در نزد خواندن آیه شریفه «رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَ لَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ» یعنی تسبیح می کنند خدای تعالی را مردانی که مشغول نسازد ایشان را تکسب و نه مبیعه از ذکر پروردگار، آن بزرگوار در حین خواندن این آیه فرموده:

بتحقیق خدای منزّه از نقص گردانید ذکر خود را صیقل از برای قلبها در حالتی که می شنوند بسبب آن بعد از سنگینی و کوری، و می بینند بسبب آن بعد از کوری، و مطیع می باشند بجهت آن بعد از نافرمانی، و همیشه بوده از برای خدا در حالتی که عزیز است نعمتهای او در زمانی بعد از زمانی، و در اوقات فترت پیغمبران بندگانی که راز گوید و نجوی می کند حق تعالی با ایشان در پرده قلبهای ایشان و سخن می گوید با ایشان در باطن عقلهای ایشان، پس کسب روشنی کردند بنور

آگاهی در گوشها و چشمها و قلبها بیاد مردم می آورند اَیام اُنعام و انتقام خدا را در اَمّتان گذشته، و می ترسانند مردمان را بشناساندن مقام عظمت و اقتدار او.

و ایشان بمرتله راه نمایند گانند در بیابانها، هر کسی که راه راست را پیش بگیرد مدح می کند بسوی او راه او را، و بشارت می دهند او را بخلاصی از هلاکت، و هر کس که کج شود از راه راست و پیش بگیرد یمین و یسار را مذمت می کنند بسوی او راه او را، و می ترسانند او را از هلاکت.

پس باشند ایشان باین وصفها چراغان این تاریکیها، و دلیلان این شبهها و بدرستی که از برای ذکر خدا اهلی است که فرا گرفته اند آن را عوض از متاع دنیا، پس مشغول نساخت ایشان را نه کسب و نه مبیعه از آن ذکر می برند و می گذارند با ذکر اوقات زندگانی دنیا را، و صدا می کنند با مواعظ مانعه از محرمات الهی در گوشهای غافلان، و امر می کنند بعدالت و گردن می نهند خودشان بان، و نهی میکنند از قبیح و باز دارند خودشان را از آن.

پس گویا که قطع کرده اند دنیا را و رسیده اند باخرت و حال آنکه در دنیا باشند، پس مشاهده کرده اند پشت سر دنیا را، پس گویا که مطلع گشته اند بر پنهانیهای اهل برزخ درد رازی اقامت و توقف ایشان در آن، و محقق ساخته قیامت بر ایشان وعدهای خودش را، پس برداشتند پردهای حالات اهل برزخ و قیامت را از برای اهل دنیا باندازه که گویا می بینند ایشان چیزی را که نمی بینند مردمان و می شنوند چیزی را که نمی شنوند مردمان.

پس مصوّر سازی ایشان را بعقل خودت در مقامهای پسندیده ایشان، و مجلسهای برگزیده ایشان که شهادت گاه ملائکه مقربینند در حالتی که ایشان گشوده باشند دفترهای عملهای خودشان را، و فارغ شده باشند از برای محاسبه نفسهای خودشان بر هر عملی از عملهای کوچک و بزرگ که مأمور شده باشد بان، پس تقصیر کرده باشند در آن یا نهی شده باشند از آن پس مساحله کرده باشند در آن و بار کرده باشند گرانی گناهان خودشان را بر پشتهای خودشان، پس ناتوان باشند از بلند

کردن و برداشتن آن، پس گریه کنند به آواز بلند غمناک، و جواب یکدیگر را می دهند با گریه و زاری، ناله می کنند بسوی پروردگار خود در مقامهای توبه و پشیمانی، و اقرار بتقصیر.

هر آینه می بینی علامتهای هدایت و چراغهای تاریکی و ظلمت در حالتی که احاطه کرده باشند بایشان ملائکه ها، و نزول کرده باشد بایشان تمکین و وقار، و گشوده باشد از برای ایشان درهای رحمت آسمان، و مهیا شده باشد از برای ایشان مجلسهای کرامت و شرافت در مقامی که مطلع شده خدای تعالی بر شما در آن مقام، پس خوشنود شده خدا از سعی و کوشش ایشان، و پسندیده مقام بندگی ایشان را در حالتی که استشمام می کنند بسبب دعای او نسیم عفو و تجاوز را.

ایشان گروههای فقر و فاقه اند بسوی فضل و کرم او، و اسیرهای ذلتند مر بزرگواری و عزّت او را، مجروح و زخممدار نموده درازی حزن و اندوه دلهای ایشان را و درازی گریه چشمهای ایشان را از برای هر در رغبت کردن بسوی خدا از ایشانست دست کوبنده، سؤال می کنند از کسی که تنگ نمی شود در نزد او وسعتهای کرم وجود، و نومید نمی گردد بر درگاه نوال او رغبت کنندگان، پس محاسب باش نفس خودت را از برای نفس خود، پس بتحقیق که از برای غیر نفس تو از نفسها محاسبی هست غیر از تو که أسرع الحاسبین است

و من کلام له علیه السّلام و هو المأتان و الحادی و العشرون من المختار فی باب الخطب

اشاره

قاله علیه السّلام عند تلاوته: یا أیّها الانسان ما غرّک برّیک الکریم.

ص: ۲۶۷

أدحض مسئول حجّه، وأقطع مغتترّ معذره، لقد أبرح جهاله بنفسه، يا أيّها الإنسان ما جرّأك على ذنبك، و ما غرّك برّبك، و ما آنسك بهلكه نفسك، أ ما من دائك بلول، أم ليس من نومتك يقظه، أ ما ترحم من نفسك ما ترحم من غيرك، فربّما ترى الصّاحي من حرّ الشّمس فتظلّه، أو ترى المبتلى بألم يمضّ جسده فتبكي رحمه له، فما صبرك على دائك، و جلدك بمصائبك، و عزّاك عن البكاء على نفسك، و هي أعزّ الأنفس عليك، و كيف لا يوقظك خوف بيات نومه و قد تورّطت بمعاصيه مدارج سطواته، فتداو من داء الفتره في قلبك بعزيمه، و من كرى الغفله في ناظرک بيقظه، و كن لله مطيعا، و بذكره آنسا، و تمثّل في حال تولّيك عنه إقباله عليك، يدعوك إلى عفوّه، و يتغمّدك بفضله و أنت متولّ عنه إلى غيره. فتعالى من قوئى ما أكرمه، و تواضعت من ضعيف ما أجراأك على معصيته و أنت فى كنف ستره مقيم، و فى سعه فضله متقلّب، فلم يمنعك فضله، و لم يهتك عنك ستره، بل لم تخل من لطفه مطرف عين فى نعمه يحدثها لك، أو سيئه يسترها عليك، أو بليّه يصرفها عنك، فما ظنّك به لو أطعته، و أيّم الله لو أنّ هذه الصّفه كانت فى

مُتَّفِقِينَ فِي الْقُوَّةِ، مُتَوَازِنِينَ فِي الْقُدْرَةِ لَكُنْتَ أَوَّلَ حَاكِمٍ عَلَى نَفْسِكَ بِذَمِيمِ الْأَخْلَاقِ، وَ مُسَاوِي الْأَعْمَالِ. وَ حَقًّا أَقُولُ مَا الدُّنْيَا غَزَتَكَ، وَ لَكِنْ بِهَا اغْتَرَرْتَ، وَ قَدْ كَاشَفْتَكَ الْعِظَاتِ، وَ آذَنْتَكَ عَلَى سُوءٍ، وَ لَهِيَ بِمَا تَعَدُّكَ مِنْ نَزُولِ الْبَلَاءِ بِجِسْمِكَ وَ النِّقْصِ فِي قُوَّتِكَ أَصْدَقُ وَ أَوْفَى مِنْ أَنْ تَكْذِبَكَ أَوْ تَغَرَّكَ، وَ لِرَبِّ نَاصِحٍ لَهَا عِنْدَكَ مَتَّهِمٍ، وَ صَادِقٍ مِنْ خَبَرِهَا مَكْذُوبٍ، وَ لَنْ تَعْرِفْتَهَا فِي الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ وَ الرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ لِتَجِدَنَّهَا مِنْ حَسَنِ تَذْكِيرِكَ وَ بِلَاغِ مَوْعِظَتِكَ بِمَحَلِّ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ، وَ الشَّجِيحِ بِكَ، وَ لَنَعْمَ دَارٌ مِنْ لَمْ يَرْضَ بِهَا دَارًا، وَ مَحَلٌّ مِنْ لَمْ يُوْطِنَهَا مَحَلًّا. وَ إِنَّ السَّيِّئَ عَدَاةً بِالدُّنْيَا غَدَا هُمُ الْهَارِبُونَ مِنْهَا الْيَوْمَ، إِذْ رَجَفَتِ الرَّاجِفَةُ، وَ حَقَّتْ بِجَلَالِهَا الْقِيَامَةُ، وَ لَحِقَ بِكُلِّ مَنْسَكٍ أَهْلُهُ، وَ بِكُلِّ مَعْبُودٍ عِبْدَتُهُ، وَ بِكُلِّ مَطَاعٍ أَهْلُ طَاعَتِهِ، فَلَمْ يَجْزِ فِي عَدْلِهِ يَوْمُئِذٍ خَرَقَ بَصَرٍ فِي الْهَوَاءِ، وَ لَا هَمْسَ قَدَمٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَكَمْ حَجَّهَ يَوْمَ ذَاكَ دَاحِضُهُ، وَ عَلَاقِ عَذْرِ مَنْقَطَعُهُ، فَتَحَرَّ مِنْ أَمْرِكَ مَا يَقُومُ بِهِ عَذْرُكَ، وَ تَثَبَّتْ بِهِ حُجَّتُكَ، وَ خَذَ مَا يَبْقَى لَكَ مِمَّا لَا تَبْقَى لَهُ، وَ تَسَيَّرَ لِسَفَرِكَ، وَ شَمَّ بَرَقَ النِّجَاحِ، وَ ارْحَلَ مَطَايَا التَّشْمِيرِ.

(دحضت) الحجة دحضا من باب منع بطلت و يتعدى بالهمزة فيقال أدحضها الله و دحض الرجل زلق و (برح) به الضرب اشتد و عظم و هذا أبرح من ذاك أى أشد و يقال لقد أبرح فلان جهالة و أبرح لوما و أبرح شجاعه، و قتلوه أبرح قتل أى أشده (و ما آنسك) من باب الافعال، و روى آنسك بالتشديد من باب التفعيل و (بل) من مرضه يبل من باب ضرب بلا و بللا و بلولا كقعود برء و حسنت حاله بعد الهزال.

و (الضاحي) لحر الشمس البارز يقال ضحى فلان مثل دعى أى برز للشمس و مثل رضى و سعى أيضا أى أصابته الشمس و (مضضت) الشيء مضضا من باب تعب تألمت و يتعدى بالحركة و الهمزة فيقال مضه الجرح مضاً و أمضه امضاضا أى آلمه.

و (الجلاده) القوه و الشده و الصلابه، و جلدك بمصائبك أى جعلك جلدا، و روى و جلدك على مصائبك بلفظه على و صيغه و الجمع و (بيات نغمه) طروقها و النغمه وزان كلمه و نعمه و قرحه المكافاه بالعقوبه و الجمع نغم ككلم و عنب و (التورط) الوقوع فى الورطه بسكون الزاء و هى المهلكه و كل أرض مطمئنه لا طريق فيها و (عزم) على الشيء و عزمه عزما من باب ضرب عقد ضميره على فعله و عزم عزمه اجتهد و جد فى أمره و (الكرى) وزان عصا النعاس.

و (الكنف) محرّكه الجانب و الظل، و فلان فى كنف الله أى فى حرزه و (الستر) بالكسر الساتر و بالفتح المصدر و (طرف) البصر طرفا من باب ضرب تحرّك، و طرف العين نظرها و الطرفه المرّه منه و مطرف العين يحتمل المصدر و الزمان و (العظا) جمع العظه كالعذاب و هى الموعظه أى ما يلين القلب من ذكر الثواب و العقاب و الوعد و الوعيد و فى هذا (بلاغ) و بلغه و تبلغ أى كفايه.

و (حقّت) بجلالها أى ثبتت من حقّ الشيء يحقّ أى ثبت و قال الفيومى:

حقّت القيامة يحقّ من باب قتل أى أحاطت بالخلايق فهى حاقه و قال ابن الأنبارى الحاقه الواجبه حقّ أى وجب يحقّ حقا و حقوقا فهو حاق و قال أمين الاسلام الطبرسى سميت القيامة الحاقه لأنها ذات الحواق من الأمور و هى الصادقه الواجبه

الصّدق لأن جميع أحكام القيامه واجبه الوقوع صادقه الوجود.

و (نسك) الله من باب قتل تطوّع بقربه و النّسك بضمتين اسم منه و المنسك بفتح السين و كسرهما يكون زمانا و مصدرا و مكانا تذبح فيه النسيكه و هى الذبيحه و مناسك الحجّ عباداته و قيل مواضع العبادات و (العبد) جمع عابد كمرد و مارد.

(فلم يجر فى عدله) قال الشّارح المعتزلى قد اختلفت الرواه فى هذه اللفظه فرواها قوم فلم يجر و هو مضارع جرى تقول ما جرى اليوم فيقول من سألته قدم الأمير من السفر، و رواها قوم فلم يجر مضارع جاز يجوز، و رواها قوم فلم يجر من جار أى عدل عن الطّريق.

و (الهمس) الصّوت الخفى و قوله (فتحرّ من أمرك) أمر من تحرّيت الشىء قصدته و تحرّيت فى الأمر طلبت أحرى الأمرين و هو أولاها و (شام) البرق يشيمه نظر اليه اين يقصد و أين يمطر و (رحلت) مطيتى شددت على ظهرها الرّحل و (شمّر) تشمير أمرّ جادا، و شمّر الثوب دفعه و فى الأمر خف.

الاعراب

قوله تعالى «ما عَزَّكَ بِرَبِّكَ» الاستفهام للانكار على سبيل التوبيخ و التّفريع، و يجوز أن يكون للتقرير أى حمل المخاطب على الاعتراف و الاقرار بما يعرفه من جهة الاغترار و علتة، و قوله عليه السّلام: أدحض مسئّل حجه خبر لمبتدأ محذوف أى هو أدحض مسئّل، و الضّمير راجع الى الانسان المغرور، و حجه منصوب على التميز، و كذلك معذره و جهاله منصوبتان عليه أيضا.

و قوله: فلربما ترى، اللّام للتوكيد و ما كافه لرّب عن عمل الخبر و لذلك دخلت على الفعل كما فى قول الشاعر:

ربّما اوفيت فى علم ترفعن ثوبى شمالات

و قوله: الضّاحى من حرّ الشمس، فى نسخه الشارحين المعتزلى و البحرانى لحرّ الشمس باللام بدل من و لعلّ الأوّل بناء على كون الضّاحى بمعنى المصيب و الثّانى على كونه بمعنى البارز، و قوله: و هى أعزّ الأنفس الجملة فى محلّ

النَّصْب على الحال و كذلك جملة و قد توزّطت، و انتصاب مدارج سطواته إما على المفعول به أو على المفعول فيه و حذف الخافض أى فى مدارج سطواته، و مطرف عين منصوب على الظرفية.

و قوله: يدعوك الى فضله استيناف بيانى و ليس حالا كما زعمه الشّارح البحرانى، و جملة و أنت متول فى موضع النّصب على الحال و قوله حقّا أقول صفة لمصدر محذوف مقدّم على فعله أى أقول قولاً حقّاً، و قوله كاشفتك العظّات بنصب العظّات على أنّها مفعول به، و كاشفت بمعنى كشف أى كشفت لك المواظ أو مفعول بالواسطه أى كاشفتك بالعظّات و تروى بالرفع على أنّها فاعل كاشفت و متّهم صفة لناصح و مكذب صفة لمصدق.

و قوله: و لنعم داره المخصوص بالمدح محذوف و هو الضّمير الزّاجع إلى الدّنيا السابق ذكرها على حدّ قوله تعالى «إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَغْمُ الْعَبْدُ» أى هو و الضّمير لأَيُّوب على نبيّنا و عليه السّلام السابق ذكره فى قوله «وَ اذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ» و اضافته فاعل نعم إلى غير المعرّف باللام على حدّ قول الشاعر: فنعم صاحب قوم لا سلاح لهم.

و دارا و محلا- منصوبان على التّمييز، و الباء فى قوله بجلالها تحتل تعدّيه و المصاحبه و الضّمير فيه راجع إلى القيامه لتقدّمها رتبه و إن تأخرت لفظا و قوله:

خرق بصبر، بالرفع فاعل يجوز إن كان الفعل بصيغه المعلوم كما فى نسخه الشّارح المعتزلى و نايب عن الفاعل إن كان بصيغه المجهول كما حكى عن القطب الراوندى.

و قوله: فكم حبه يوم ذاك داحضه كم خبريه بمعنى كثير اضيفت إلى تميزها و هى فى محلّ الرفع على الابتداء، و يوم ذاك خبرها و داحضه بالجرّ على ما فى النسخ التى عندنا صفة لحبه و لو كانت داحضه بالرفع كفات «كذا» هى الخبر و يكون يوم ذاك ظرف لغو متعلّقا بها متقدّما عليها و هذا أنسب لكن النسخ لا تساعد عليه و من فى قوله: ممّا لا تبقى له، يحتمل البدل كما فى قوله تعالى «أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ» و يحتمل النشويه أيضا.

اعلم أنّ هذا الكلام كما نَبّه الرّضى قدّس سرّه (قاله) عليه السّلام (عند تلاوته) الايه الشريفه فى سورة الانفطار «يا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَزَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ» وقبل الشروع فى شرح كلامه عليه السّلام ينبغى أن نذكر ما قاله المفسّرون فى تفسير الايه فأقول:

لهم فى تفسير قوله: يا أيها الانسان، قولان:

أحدهما أنّه الكافر لقوله تعالى بعد ذلك «كَلا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ» قال عطا عن ابن عباس أنّها نزلت فى الوليد بن المغيرة.

و الثّانى أنّه عامّ لجميع العصاة و هو الأقرب و قوله «ما عَزَّكَ بِرَبِّكَ» أى أى شىء خدعك و سَوَّلَ لك الباطل حتّى تركت الواجبات و أتيت بالمحرّمات و عصيت خالقك و خالفته، و المراد ما الّذى آمنك من عقابه يقال غرّه بفلان إذا آمنه المحذور من جهه مع أنّه غير مأمون و هو كقوله «لا يَغُرَّنْكُمْ بِاللّهِ الْغُرُورُ».

و اختلف فى معنى الكريم، ف قيل: هو المنعم الّذى كلّ أفعاله إحسان و إنعام لا يجزّ به نفعاً و لا يدفع به ضرراً، و قيل: هو الّذى يعطى ما عليه و ما ليس عليه و لا يطلب ماله، و قيل: هو الّذى يقبل اليسير و يعطى الكثير، و قيل: إنّ من كرمه سبحانه أنّه لم يرض بالعفو عن السيّات حتّى بدّلها بالحسنات.

و اختلفوا فى جهه تخصيص كريميّته بالذّكر دون ساير أسمائه و صفاته ف قيل: لأنّه كأنّه لقّنه الاجابه حتّى يقول: غرّنى كرم الكريم، و قيل: للمنع عن المبالغه فى الاغترار و الاشعار بما به يغرّه الشّيطان فإنّه يقول له افعل ما شئت فإنّ ربّك الكريم لا يعذب أحداً و لا يعاجل بالعقوبه، و قيل: للدّلاله على أنّ كثره كرمه مستدعى الجّدّ فى طاعته لا الانهماك فى عصيانه اغتراراً بكرمه.

و قال فى الكشف:

فان قلت: ما معنى قوله «ما عَزَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ» و كيف طابق الوصف بالكرم انكار الاغترار به و أنّما يغترّ بالكريم.

قلت: معناه أنّ حقّ الانسان أن لا يغترّ لكرم الله عليه حيث خلقه حيّا لنفعه و بتفضّله عليه بذلك حتّى ينفع يطمع بعد ما مكّنه و كلّفه فعصى و كفر النعمه المتفضّل بها أن يتفضّل عليه بالثواب و طرح العقاب اغترارا ما لتفضّل الأوّل فأنّه منكر خارج من حدّ الحكمه و لذا قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم لما تلاها: غرّه جهله و قال الحسن: غرّه و الله شيطانه الخبيث أى زين له المعاصى و قال له: افعّل ما شئت فرّبك الكريم الذى تفضّل عليك بما تفضّل به أولا و هو متفضّل عليك آخرا حتّى ورّطه و قيل للفضيل بن عياض: إن أقامك الله يوم القيامه و قال لك:

ما غرّك برّبك الكريم ما ذا تقول؟ قال: أقول: غرّنى ستورك المرخاه و هذا على سبيل الاعتراف بالخطأ فى الاغترار بالستر و ليس باعتذار كما يظنّه الطماع و تظنّ قصاص الحشويه و يروون عن أئمتهم أنّه إنّما قال برّبك الكريم دون سائر صفاته ليلقن عبده الجواب حتّى يقول: غرّنى كرم الكريم، انتهى.

و قال الشّارح المعتزلى:

لقائل أن يقول: لو قال: ما غرّك برّبك العزيز أو المنتقم أو نحو ذلك كان أولى لأنّ للانسان المعاتب أن يقول له غرّنى كرمك أو ما وصفت به نفسك.

و جواب هذا أن يقال: إنّ مجموع الصّيفات كشىء واحد و هو الكريم الذى خلقك فسوّيك فعد لك فى أىّ صورته ما شاء ربّك، و المعنى ما غرّك برّب هذه صفته و هذه شأنه و هو قادر على أن يجعلك فى أىّ صورته شاء فما الذى يؤمنك من أن يمسحك فى صورته القرد أو الخنازير و نحوها من الحيوانات العجم، و معنى الكريم ههنا الفياض على الموادّ بالصّور، و من هذه صفته ينبغى أن يخاف منه تبديل الصّوره.

إذا عرفت ذلك فلنشرع فى شرح كلامه عليه السّلام فأقول قوله (أدحض مسئّل حجّه) أى الانسان المخاطب بخطاب يا أيّها الانسان و المسئّل المعاتب بعتاب ما غرّك إن أراد الجواب عن ذلك الخطاب و الاحتجاج و الاستدلال فى قبال ذلك السّؤال و الاعتراض فحجّته أبطل الحجج و أزيّفها

و ذلك لأنه إن قال في مقام الجواب، غرّني كرمك فهو جواب سقيم لأنّ كثرة الكرم و التفضّل و الاحسان تقتضى الجدّ و الاجتهاد فى العبوديّة و العبادة و الشكر و الطّاعة لا الاغترار و الكفران و التّواني و الخلاف و العصيان.

و إن قال: غرّنى الشّيطان فيقال له: «أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنَى آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ وَ أَنْ اِعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ».

و إن قال: غرّنى جهلى فيقال له: أ فلم ارسل إليكم المرسلين مبشّرين و منذرين و علّمتكم الأحكام و التكاليف بما انزلت فى صحف الأوّلين و زبر الآخرين كيلا تقولوا إنّنا كنّا عن هذا غافلين.

(و) بذلك ظهر أيضا أنّه (أقطع مغتر معذره) يعنى أنّه إن اعتذر عن اغتراره بعذر من المعاذير السّابقة و ما ضاهاها فعذره أقطع الأعذار و أسقطها عن درجه الاعتبار كما قال عزّ من قائل «فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ».

(لقد أبرح جهاله بنفسه) أى اشتدّ بنفسه من حيث الجهاله، قيل: الجهاله اختيار اللّذه الفانيه على اللّذه الباقيه، و قيل: اجتمعت الصّحابه على أنّ كلّ ما عصى الله به فهو جهاله و كلّ من عصى الله فهو جاهل (يا أيّها الانسان ما جرّاك على ذنبك و ما غرّك برّيك و ما آنسك بهلكه نفسك) هذه الاستفهامات الثلاثه وارده فى معرض التّوبيخ و الانكار على أسباب الجراء و الاغترار و الانس بالقاء النفس فى الهلكات و توريطها فى الموبقات قال الشارح البحرانى و يحتمل أن يكون قوله:

ما آنسك تعجّبا.

(أما من دائك بلوى أم ليس من نومتك يقظه أما ترحم من نفسك ما ترحم من غيرك) هذه الاستفهامات كسابقتها أيضا وارده فى مقام الانكار و التقريع لكنّها لدخولها على النفى تفيد العرض و الطلب أى طلب البراءة من داء الذنوب و أسقام الاثام و الانتباه من نومه الغفله و الجهاله و الترحّم و العطوفه للنفس مثل الترحّم و العطف للغير و حاصله أنّه لا ينبغى لك عدم البراءة و اليقظه و الرّحمه.

و أوضح ترخمه للغير بقوله (فلربما ترى الضاحي من حرّ الشمس فتظله) أى ترى من أصابته حرارتها و تأذى بها فتظله بالظلال ترخما و تلطفا و دفعا للذى عنه (أو ترى المبتلى بألم يمضّ جسده) أى يولمه (فتبكي رحمه له) و إذا كان هذا شأنك مع الغير فما بالك فى نفسك حيث تركت نصحتها و ملاحظتها.

(فما صبرك على دائك) الدوى (و جلدك بمصابك) العظيم (و عزاك) أى سلاك (عن البكاء على نفسك و هى أعزّ الأنفس عليك) و أحبها إليك (و كيف لا يوقظك) من نومك (خوف بيات نومه) و مفاجات عقوبه، و أصل البيات أن يقصده بالعدو فى الليل من غير أن يشعر فيأخذه بغته فاستعير لنزول العذاب فيها قال تعالى «أَفَأَمِّنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَ هُمْ نَائِمُونَ».

و قوله (و قد تورّطت بمعاصيه مدارج سطواته) أى وقعت باكتساب آثامه فى فى ورطاه الهلكات و صعدت مدارج السطوات و السخطات و التعبير بالمدارج نظرا إلى اختلاف المعاصي و كون بعضها فوق بعض من حيث الصغر و الكبر الموجب لتفاوت مراتب السطوة و درجات السخطة من حيث الضعف و الشده.

و يحتمل أن يكون المراد بالمدارج الطرق نحو ما فى الحديث: إياكم و التعريس فى بطون الأودية فانها مدارج السباع تأوى إليها، قال الطريحي هى جمع مدرج بفتح الميم الطريق و المعنى الأول ألطف.

(فتداو من داء الفتره فى قلبك بعزيمه) أى عالج من مرض الفتور و الضعف و الانكسار الذى فى قلبك بدواء الجّد و العزم على العبوديّة و الطاعة (و من كرى الغفله فى ناظرك بيقظه) أى من نوم الغفله فى ناظر بصيرتك عن الذكر و الفكر بالتنبيه و اليقظه.

(و كن لله مطيعا) و هى أعنى الطاعة نتيجة العزيمه (و بذكره آنسا) و هو أعنى الذكر ثمره اليقظه (و تمثل فى حال توليك عنه إقباله عليك) أى تصوّر إقباله تعالى عليك بالفضل و الاحسان و الكرم و الامتنان فى حال اعراضك عنه و المقابله لذلك بالكفران و المخالفه و العصيان كما أوضحه بقوله (يدعوك إلى عفوه) بما

أنزله في كتابه من قوله «أُدْعُونِي أَشْتَجِبْ لَكُمْ» وقوله «أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ» ونحوه (و يتغمّدك بفضلته) و كرمه (و أنت متولّ) و معرض (عنه إلى غيره) تعالى و مقبل إلى الدنيا و راكن إليها و منهمك في لذاتها و شهواتها.

(فتعالى من قوى) و قادر على مؤاخذتك (ما أكرمته) و أجزل إحسانه و في بعض النسخ ما أحلمه أي صفحه عنك (و تواضعت من ضعيف) و حقير (ما أجرأك) و أعظم كفرانك و جار لك (على معصيته) و مخالفته (و أنت في كنف ستره مقيم) حيث ستر من شناع أعمالك و قبائح ذنوبك ما لو كشف عن أدناها لافتضحت (و في سعه فضله متقلّب) حيث أسبغ عليك من نعمه الجسام و آلائه العظام ما لو شكرت على أقلّ قليلها لعجزت.

(فلم يمنعك فضله) بكفرانك (و لم يهتك عنك ستره) بطغيانك (بل لم تخل من لطفه) و برّه (مطرف عين) أي مقدار حركه البصر (في نعمه يحدثها لك أو سيئه يسترها عليك أو بليه يصرفها عنك) و هذا تفصيل ضروب أطافه تعالى الخفيّه و الجليه.

و الغرض من قوله عليه السلام: فتمثّل إلى هنا تذكير المخاطبين بعوائد نعمه و موائد كرمه و جميل آلائه و جزيل نعمائه و عموم نواله في حقّهم، مع ما هم عليه من الغفلة و الاغراض حثّا لهم بذلك على المداومه بالذكر و الطاعة، و التنبّه من نوم الغفلة و الجهالة، و المواظبه على دعائه و مناجاته بنحو ما في دعاء الافتتاح:

فكم يا إلهي من كربته قد فرّجتها، و هموم قد كشفتها، و عثره قد أقلتها، و حلقه بلاء قد فككتها، اللهم إنّ عفوك عن ذنبي و تجاوزك عن خطيئتي و صفحك عن ظلمي و سترك على قبيح عملي و حلمك عن كثير جرمي عند ما كان من خطائي و عمدى أطمعني في أن أسألك ما لا- أستوجه منك، فلم أر مولا كريما أصبر على عبد لئيم منك عليّ يا ربّ إنك تدعوني فأولّي عنك و تتحبّب إليّ فأتبغض إليك و تتودّد إليّ فلا أقبل منك، كأنّ لي التطوّل عليك فلم يمنعك ذلك من الرّحمه بي و الاحسان إليّ و التفضّل عليّ بجودك و كرمك.

هذا كله فضله و لطفه و احسانه عليك مع عصيانك و طغيانك (فما ظنك به لو أطعته) و كيف يؤيسك من كرمه مع طاعتك و قد قال «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» أم كيف يحرمك من نعمه مع توكلك عليه و قد قال «وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ» أم كيف ينقص عطائه و حباه مع شكرك و ذكرك و قد قال «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ».

ثم أكد جذبهم إلى التبعيد و الطاعة بأبلغ بيان و أحسن تقرير و عباره فقال (و أيم الله لو أن هذه الصّيفه) التي ذكرت من إقبال الله عليك و توليك عنه (كانت في) متماثلين من الناس (متفقين في القوّه متوازنين في القدره) متساويين في الدرجه و الرّتبّه و كنت أنت أحدهما (لكنت) لو أنصفت (أول حاكم على نفسك بذميم الأخلاق و مساوى الأعمال) حيث إنه أقبل و توليت، و تحبب و تعاديت، و وصلك فقطعت، و تدانى فتباعدت فكيف إذا كان الطرف المقابل هو الله القاهر القادر مالك الملوك ربك و رب العالمين كلهم، فحكومتك على نفسك و تعزيزك عليها حينئذ أولى و أحجى.

ثم لما كان منشاء اغترار الغافلين العصاة المخاطبين المسؤولين بخطاب ما غرك ربك الكريم و علّه إعراضهم عنه تعالى و توليهم عن ذكره عزّ و جلّ هو الاغترار بالدنيا و الافتتان بشهواتها و لذاتها و امتياتها حسبما يشهد به التجربه و الوجدان و نطق به القرآن في قوله «وَعَزَّيْتُمْ الْأُمَانِيَّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَ غَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ» و قوله «اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوءًا وَ عَزَّيْتُمْ الْحَيَاهُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَ لَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ» و غيره من الايات الكريمه.

نبّه على و هن هذه العلّه و ضعفها بقوله (و حقّا أقول ما الدنيا غرتك) يعنى انها ليست علّه تامّه قويّه للاغترار (و لكن) علّه مادّيه ضعيفه سخيّفه بنقصان عقلك (بها اغتررت) كما اغترّ بها كلّ ناقص العقل فاتصافك بالاغترار بها حقيقه و اتصافها بالغرور لك مجاز و إسناد الأول إليك أصدق و أجدر من إسناد الثانى إليها.

و أوضح عدم كونها سببا تامّا للغرور بالتنبيه على اتصافها بضدّه من النصح

و الموعظه فقال (و) ل (قد كاشفتك العظمت) أى وعظمتك جهارا بالمواعظ البالغه و النصايح الكامله من تقلباتها و تصاريدها بأهلها و فنائها و زوالها و غيرها فلم يكن أحد منها فى حبره إلا أعقبته بعدها عبره، و لم يلق من سررائها بطنا إلا منحتة من ضررائها ظهرا، و إن جانب منها اعذوذ و أحلى أمر منها جانب فأوبى لا ينال امر من غضارتها رغبا إلا أرهقته من نوائبها تعباً، و لا يمسو منها فى جناح أمن إلا أصبح على قوادم خوف.

و حسبك من عظاتها النظر فى السلف الماضين من الاخوان و الأقربين الذين أرهقتهم المنايا دون الامال، و شذبهم عنها تخرم الاجال، حملوا إلى و هذه القبور بعد سكنى القصور، و جعل من الصفيح أجنان، و من التراب أكفان و من الرفات جيران، جميع و هم آحاد، و جيره و هم أبعاد. متدانون لا يتزاورون، و قرييون لا يتقاربون، إلى غير تلك ممّا لا حاجة إلى ذكرها.

(و آذنتك على سواء) اى أعلمتك مساويها و معاييها و مال أمرها على عدل و صدق و صواب من دون جيف و ميل و زيغ عن مستقيم طريق الصدق.

(و) اقسم بالله تعالى حقاً (لهى بما تعدك من نزول البلاء بجسمك) و بسرعه الافه إلى جسدك (و النقص فى قوتك) و الضعف و الانحلال فى قواك (أصدق و أوفى) بوعدها (من أن تكذبك أو تغرّك) و تخلف الميعاد (و لرّب ناصح لها عندك متّهم و صادق من خبرها مكذّب) أى كم من ناصح و واعظ من عبرتها و عظاتها هو متّهم عندك فى نصحه فلا تقبل قوله و لا تلتفت إلى نصحه لكونه خلاف هوى نفسك، و كم من صادق من اخباراتها الصادقه هو مكذّب لديك أى تكذبه لكون خبره منافيا لرأيك مكروها لطبعك.

و حاصله أنّ العبر الدنيويه ترشدك إلى الخير و الصلاح و حسن العاقبه و أنت فى غفله منها أو متوجّه إليها، و لكنك معرض عنها لاستكراه نفسك لها و مضادّتها لشهواتك و امتياتك الحاضره.

و تبه عليه السلام على خطاء المخاطب فى الاتّهام و التكذيب و أنّ خبرها على

وجه الصدق و الصواب و نصحتها عن وجه الشفقة و الصداقه بقوله (و لئن تعرّفتها) أى طلبت معرفه حالها فى الصدق و الكذب و استخبرت نصحتها و غشّها (فى الدّيار الخاويه) اى الساقطه او الخاليه من اسكانها (و الرّبوع الخاليه) أى المنازل الخاليه من أهلها (لتجدنّها من حسن تذكيرك و بلاغ موعظتك) أى موعظتها الكافيه (بمحله الشفيق عليك) العطوف الرءوف بك حيث لم تألوك نصحا و لم تكذب فى تذكيرها و لم تغشّ فى نصحتها (و) بمنزله (الشحيح بك) أى البخيل بأن تصيبك ما يسوؤك و يكون مال أمرك مال أمر الغافلين الهالكين من عذاب النّار و سخط الجبار.

(و لنعم دار من لم يرض بها دارا) بل جعلها ممرا لمقرّه (و محلّ من لم يوطنها محلا) بل جعلها مجازا إلى مأواه.

و هؤلاء هم السّعداء المتقون المنتفعون بما فيها من العبر المشار إليهم بقوله (و إنّ السّعداء بالدّنيا غدا هم الهاربون منها اليوم) قال الشّارح البحرانى: وجه سعادتهم بها استثمارهم للكمالات المعده فى الاخره منها و لن يحصل ذلك إلاّ بالهرب منها اليوم و كنى بالهرب منها عن الاعراض الحقيقى عن لذاتها و التّباعد من اقتنائها لذاتها لاستلزام الهرب عن الشىء التّباعده عنه و الزّهد فيه، و ظاهر أنّ التّباعده منها بالقلوب إلاّ ما دعت الضروره إليه و اتّخاذها مع ذلك سببا إلى الاخره من أسباب السّعاده و مستلزماتها.

كما أشار إليه سيّد المرسلين عليه السّلام من حاله فيها بقوله: ما أنا و الدّنيا إنّما مثل فيها كمثل راكب سار فى يوم صايف فرفعت له شجره فنزل فقعد فى ظلّها ساعه ثم راح فتركها، هذا.

و لمّا نبّه عليه السّلام على أنّ أهل السّعاده غدا هم الهاربون منها اليوم فسّر مراده بالغد بقوله (إذ رجفت الرّاجفه) أى تحرّكت بترديد و اضطراب و الرّجفه الزّلزله العظيمة الشديده و هو اقتباس من الايه الشريفه «يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتَّبَعُهَا الرَّادِفَةُ» قال بعض المفسّرين: معناها يوم تضطرب الأرض اضطرابا شديدا

و تحرّك تحرّكا عظيما يعنى يوم القيامة تتبعها الرّادفه اى اضطرابه اخرى كايته بعد الأولى فى موضع الرّدف من الراكب.

(و حَقَّتْ بجلالها القيامة) أى أهاويلها الجليله و دواهيها العظيمه الشديده (و لحَقَّ بكلّ منسك أهله و بكلّ معبود عبدته و بكلّ مطاع أهل طاعته) أشار إلى حقوق كلّ نفس يوم القيامة بما و من تحبّه و تهويه من عمل الصالح و السيّء و معبوده الحقّ و الباطل.

و اليه الاشاره فى التّبوى: يحشر المرء مع من أحبّ و لو أحبّ أحدكم حجرا لحشر معه، و فى قوله تعالى «يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا وَ نَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِثَةً».

فان كان عمل المرء فى الدّنيا لله و معبوده هو الله و هواه فى الله فحشره يوم القيامة مع أولياء الله الذين لا خوف عليهم و لا هم يحزنون.

و ان كان عمله لغير الله و معبوده سوى الله و محبته لأعداء الله فحشره معهم و مع الشياطين كما قال تعالى «وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ وَ إِنَّهُمْ لَصِيبٌ مِّمَّنْهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَ بَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ».

فان قيل: إذا كان يلتحق بكلّ معبود عبدته و بكلّ مطاع أهل طاعته فالتحاق النصارى إذا بعيسى و الغلاه بأمر المؤمنين عليه السلام و كذلك عبده الملائكه فما تقول فى ذلك.

قيل: معنى الالتحاق أن يؤمر الاتباع فى الموقف بالتميز إلى الجبهه التى فيها الرّؤساء، ثمّ يقال للرّؤساء أهؤلاء أتباعكم و عبدتكم فحينئذ يتبرّون منهم فينجو الرّؤساء و تهلك الاتباع كما قال سبحانه «وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ».

أقول: و أوضح دلاله من هذه الايه قوله سبحانه فى سوره الفرقان «وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَ مَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ»

«قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا».

قال أمين الاسلام الطبرسى فى تفسيرها أى يجمعهم و ما يعبدون يعنى عيسى و عزيز و الملائكة «فيقول» لهؤلاء المعبودين «أ أنتم أضللتم عبادى أم هم ضلّوا السبيل» أى طريق الجنّه و النجاه «قالوا» يعنى المعبودين «سبحانك» يعنى تنزيها لك عن الشريك و عن أن يكون معبودا سواك «ما كان ينبغى لنا أن نتخذ» بضمّ النون و فتح الخاء فى روايه الصادق عليه السلام و زيد بن علىّ و أكثر القراء بفتح النون و كسر الخاء «من دونك من أولياء» أى ليس لنا أن نوالى أعداءك بل أنت ولينا من دونهم، و قيل: معناه ما كان يجوز لنا و للعابدين و ما كان يحقّ لنا أن نأمر أحدا بأن يعبدنا و لا يعبدك فانا لو أمرناهم بذلك لكنا و الينا هم و نحن لا- نوالى من يكفر بك، و من قرء تتخذ فمعناه ما كان يحقّ لنا أن نعبد «و لكن متّعتهم و آبائهم حتى نسوا الذّكر» معناه و لكن طوّلت أعمارهم و أعمار آبائهم و متّعتهم بالأموال و الأولاد بعد موت الرّسل حتى نسوا الذّكر المنزل على الأنبياء و تركوه «و كانوا قوما بورا» أى هلكى فاسدين.

هذا تمام الحكايه عن قول المعبودين من دون الله سبحانه فيقول الله سبحانه عند تبرّء المعبودين من عبدتهم «فقد كذبوكم» أى كذبكم المعبودون أيها المشركون «بما تقولون» أى بقولكم إنّهم آلهة شركاء لله «فما تستطيعون صرفا و لا نصرا» أى فما يستطيع المعبودين صرف العذاب عنكم و لا نصرا لكم بدفع العذاب عنكم، هذا.

و قوله (فلم يجر فى عدله يومئذ خرق بصر فى الهواء و لا همس قدم فى الأرض إلّا بحقه) قد عرفت اختلاف الروايات فى قوله فلم يجر.

فعلى كونه مضارع جرى فمعناه فلم يكن و لم يتحدد فى ديوان حسابه ذلك اليوم صغير و لا حقير إلّا بالحقّ و الانصاف، و هذا مثل قوله تعالى «لا ظلم اليوم»

«إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ».

و على كونه مضارع جاز فالمعنى أنه لم يسغ ولا- يَرخص ذلك اليوم لأحد من المكلفين فى حركه من الحركات المحقّرات المستصغرات إلّا إذا كانت قد فعلها بحقّ.

و على كونه مضارع جار بالزّاء المهمله فالمعنى أنّه لم يذهب عنه سبحانه و لم يضلّ و لم يشذّ عن حسابه شىء من محقرات الامور إلّا بحقّه أى إلّا ما لا فايده فى اثباته و المحاسبه عليه نحو الحركات المباحه هكذا فى شرح المعتزلى.

و يظهر من بعض الشروح روايه رابعه و هو كونه مضارع جزى بالزّاء المعجمه بصيغه المجهول حيث قال: قوله فلم يجرى فى عدله آه أى لا يجرى أحد يومئذ و لا يكافئ إلّا بما يستحقّه من الثّواب و العقاب.

و على هذه الروايه فيكون مساقه مساق قوله تعالى «فَالْيَوْمَ لَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» و على أى تقدير فالغرض الاخبار عن عموم عدله تعالى فى مظالم النّاس على أنفسهم و على غيرهم، و قد مضى فى شرح الخطبه المأه و الخامسه و السّبعين ما ينفعك ذكره فى هذا المقام.

(فكم حجّه يوم ذاك داحضه) أى لم يبق للنّاس على الله حجّه بعد الرّسل و إنّما هلك من هلك عن بينه و حى من حى عن بينه (و علائق عذر منقطعه) فلا ينفع الذين ظلموا معذرتهم و لا هم يستعتبون.

(فتحرّ من أمرك ما يقوم به عذرک و تثبت به حجّتک) أى اطلب و اعتمد من أمورک و أفعالک فى الدّنيا ما به قوام اعدارک المقبوله يوم القيامه و ما به ثبات حججک الصحيحه يومئذ و هو أمر بتحصيل الكمالات النّفسانيه و مواظبه التّكاليف الشرعيّه و ملازمه سنن الشّريعه، إذ الأعذار الشرعيه مقبوله البته و كذلك الحجج البرهانيّه الموافقه لأساس الشّريعه.

(و خذ ما يبقى لك) و هو الاخره و نعيمها الباقي (مما لا تبقى له) و هو الدّنيا

و نعيمها الفانى كما قال عليه الصّلاه و السّلام فى الدّيوان:

فلا الدّنيا بباقيه لحى و لا حى على الدّنيا بباقي

و المراد أخذ الاخره عوضا من الدّنيا أو تحصيلها فيها فانّ الفوز بالسّعاده الدّائمه إنّما يحصل بالقيام على التكاليف فى دار الدّنيا لأنّها دار التّكليف و الاخره دار الجزاء، و هذه الفقره نظير قوله عليه السّلام فى الكلام المأتين و الثّانى: فخذوا من ممّركم لمقرّكم.

و فى الاتيان بالموصول من دون أن يقول و خذ الاخره من الدّنيا تأكيد للغرض المسوق له الكلام و حثّ على شدّه الأخذ (و تيسّر لسفر ك) و هو أمر بتهيئه الزّاد لسفر الاخره و الاستعداد للمعاد و خير الزّاد الزّهد و التّقوى (و شم برق النّجاه) أى انظر إلى لوامع الأنوار الالهيه و بوارق النّجاه الّتى تنجيك من الظّلمات و مهاوى الهلكات (و ارحل مطايا التّشمير) و الجدّ إلى الجبهه الّتى أنت متوجّه إليها و هو أمر بالاجتهاد فى العمل لما بعد الموت، قال البحرانى استعار لفظ المطايا لالات العمل و لفظ الارحال لاعمالها.

الترجمه

از جمله کلام نصایح انجام آن امام است که فرمود آن را در وقت تلاوت کردن آیه شریفه «يا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ما عَزَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ» یعنی ای فرزند آدم چه چیز مغرور ساخت تو را پروردگار تو که موصوفست بجود و کرم، آن حضرت بعد از تلاوت آیه که انسان مخاطب بخطاب این آیه است فرمود:

باطل ترین سؤال شدگانست از حیثیت حجت و دلیل، و بریده ترین فریفته شدگان است از حیثیت عذرخواهی، هر آینه شدّت نموده بنفس خود از حیثیت نادانى، ای انسان چه چیز جری و جسور نمود تو را بر گناه خودت، و چه چیز مغرور ساخت تو را به پروردگار خودت، و چه چیز انس داد تو را به هلاکت نفس خودت آیا نیست از درد گناه تو بهبودی، آیا نیست از خواب غفلت تو بیداری، آیا رحم

نمی‌کنی بر نفس خود بقراری که رحم می‌کنی بر غیر خود(۱) هر آینه بسیار است که می‌بینی شخصی را در آفتاب پس بر او از رحمت سایه کنی، یا می‌بینی شخصی بآلم مبتلا شده مثل زخمی و بثره که در می‌آورد و می‌سوزاند تن او را پس از ترحم بر او گریه کنی، پس چه چیز صابر ساخته است ترا بر درد و مرض تو، و قوی کرده است ترا بر مصیبت‌های تو، و خرسند کرده است ترا از گریستن بر نفس خود که بچنین بلا گرفتار است و آن عزیزترین جانهاست بر تو و چگونه بیدار نمی‌کند ترا ترس شیخون خشمهای خدا و حال آنکه در آمده بسبب معاصی در ورطه مسالک سطوات او تعالی.

پس دوا پذیر از این درد سستی که در دل مرده داری بجده و جهد و قوت عزمی و از خواب غفلت که در چشم گران خواب داری به بیداری و هشیارئی، و باش خدای را فرمان برنده و بیاد او انس گیرنده، و ممثل گردان پیش نظر خویش در حالی که روی گردانیده از خداوند تعالی اقبال او را بر تو، می‌خواند ترا بعفو خود، و می‌پوشاند تو را بفضل خود، و تو روی گردانیده از او بسوی غیر او و اقبال نمی‌کنی بر او.

پس بلند است خدای توانا چه حلیم است، و پستی بنده ضعیف چه دلیری بر معصیت خدا و حال آنکه در پناه عفو او اقامت کننده، و در فراخی فضل او گردنده و رونده، پس منع نکرد ترا با این حال از فضل خود، و ندرید از تو پرده عفو خود را بلکه خالی بودی از آثار لطف او یک چشم زدن در نعمتی که احداث میکند برای تو، یا بدئی که می‌پوشد بر تو، یا بلائی که باز میگرداند از تو - با نافرمانی - پس چه گمان داری بأو تعالی اگر اطاعت کنی او را.

و بخدا قسم اگر آنکه این صفت در دو شخص موافق در قوت یکسان در قدرت می‌بود و این معامله با مثل خود بشری می‌کردی هر آینه بودی تو اول حکم کننده بر خود بأخلاق نکوهیده و اعمال ناپسندیده، و حق می‌گویم نه دنیا تو را فریب

ص: ۲۸۵

۱- (۱) - چون تتمه ترجمه در اصل نسخه بیاض بود لذا ما بقیه آنرا از شرح نهج البلاغه فاضل متبحر ملا صالح قزوینی قدس الله روحه نقل کردیم. «مصحح».

دارد بلکه تو باو فریفته گشتی، و او هر آینه روشن کرد برای تو پندها و اعتبارها، و اعلام نمود براستی بیخلاف و جفا.

و این دنیا باین وعدها که ترا می دهد بنزول بلا بر جسمت و نقصان قوتت و شکستگی بنیان جانب راستگوتر و وفا کننده تر است از آن که دروغ گوید با تو یا غدر کند و بفریبد ترا، و بسا ناصح مر دنیا را که نزد تو متهم است و نصیحت او باور نداری و خبر راست از او که دروغ شماری.

و اگر خبر بگیری از دنیا در دیار او که خراب مانده است، و منازل او که از اهل آن خالی مانده است هر آینه می یابی او را از راه موعظت نیکو و پند بلیغ که ترا داده است بمنزلت پدر مهربان است و بخیل است بتو، و خوب سرائیست دنیا برای کسی که راضی نشود بان که سرای خود داند، و خوب محلی است برای کسی که آن را محل وطن نسازد.

و بدرستی نیکبختان بدنیا فردا ایشانند که می گریزند امروز از دنیا، روزی که بلرزد زمین و ثابت گردد بوقایع جلیله قیامت، و ملحق شود بهر عبادت و دینی اهل آن و بهر معبودی عابدان آن - عابدان اُصنام به اُصنام و عابدان اُنام به اُنام و عابدان حق بمعبود خویش - و ملحق شود بهر طاعت برده شده طاعت بران او.

پس جزا داده نشود یا نگذرد یا جاری نگردد در عدل و داد خداوند عباد آن روز نفوذ نظری در هوا، و نه نرم گذاشتن قدمی در زمین مگر بحق آن، پس بسا حجتها که آن روز باطل گردد، و عذرها که شخص بان در آویخته بود منقطع گردد.

پس طلب کن از کار خود برای مصلحت آن روز آنچه قائم شود بان عذر تو و ثابت گردد حجت تو، و فرا گیر آنچه را باقی می ماند برای تو از آنچه باقی نمی مانی تو برای آن، آماده و مهیا شو برای سفر خود، و نظر کن برق نجات از کجا می زند و بکجا می رود و بر کجا میبارد، و بار بر نه شتران چالاک شدن و راه پیمودن را.

ملتقط من كلام طويل رواه المحدث العلامة المجلسى قدس سره فى البحار من الامالى بتفصيل و اختلاف كثير تطلع عليه إنشاء الله تعالى فى التكملة الا تيه بعد الفراغ من شرح ما رواه الرضى قدس سره، و هو قوله عليه الصلاه و السلام:

و الله لان أبيت على حسك السعدان مسهدا، و أجر فى الأغلال مصفدا، أحب إلى من أن ألقى الله و رسوله - صلى الله عليه و آله و سلم - يوم القيمه ظالما لبعض العباد، و غاصبا لشيء من الحطام، و كيف أظلم أحدا لنفس يسرع إلى البلى قفولها، و يطول فى الثرى حلولها. و الله لقد رأيت عقيلاً و قد أملق، حتى استماحنى من بركم صاعا، و رأيت صبيانه شعث الشعور، غبر الألوان من فقرهم كأنما سودت وجوههم بالعظم، و عاودنى مؤكداً و كرر على القول مردداً، فأصغيت إليه سمعى، فظن أنى أبيع دينى، و أتبع قياده مفارقاً طريقي، فأحميت له حديده ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها، فضج ضجيج ذى دنف من ألمها، و كاد أن يحترق من ميسمها، فقلت له: ثكلتك

الثواكل يا عقيل أ تئنّ من حديدته أحماها إنسانها للعبه، و تجرنى إلى نار سجّرها جبارها لغضبه، أ تئنّ من الأذى، و لا أئنّ من لظى. و أعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفه فى وعائها، و معجونه شنتتها، كأئما عجت بريق حيّه أو قيئها، فقلت: أ صله أم زكاه أم صدقه، فذلك محرم علينا أهل البيت، فقال: لا ذا و لا ذك و لكنّها هديّه، فقلت: هيلتك الهبول أ عن دين الله أتيتنى لتخدعنى، أ مختبط أم ذو جنّه، أم تهجر.

و الله لو أعطيت الأقاليم السّبعه بما تحت أفلاكها على أن أعصى الله فى نمله أسلبها جلب شعيره ما فعلته، و إنّ دنياكم عندى لأهون من ورقه فى فم جواده تقضمها، ما لعلّى و لنعيم يفنى، و لذّه لا- تبقى، نعوذ بالله من سبات العقل و قبح الزّلل، و به نستعين.

اللغة

(بات) فلان يفعل كذا يبيت بيتا و بياتا و ميتا و بيتوته أى يفعل له ليلا و ليس من النوم و قال الزجاج: كلّ من أدركه الليل فقد بات نام أم لم ينم.

و(السّعدان)بفتح السين نبت ذو شوكة يقال له حسك السّعدان يشبه به حلمه الثّدى و هو من أفضل مراعى الابل و منه قولهم مرعى و لا كالسّعدان و بتفسير أوضح نبت ذو حسك له ثلاث شعب محدّده على أى وجه وقعت على الأرض كانت له شعبتان قائمتان

و (السَّهْد) بالضمّ الأرق و بضمتين القليل النّوم و قد سهد سهدا من باب فرح و سهدته أى منعته من النّوم فهو مسهّد و (أَجَرَ) بالبناء على المفعول و (صفده) يصفده من باب ضرب شدّه و أوثقه كأصفده و صفّده و الصّفاد وزان كتاب ما يوثق به الأسير من قيد أوقد و (الحطام) بالضمّ فتات التبن و الحشيش و ما يتكسر من شىء يابس قال تعالى «ثُمَّ يَهَيِّجُ قَتْرَهُ مُضْفَرًا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا» أى رفاتا منكسرا متفتّتا و (قفل) من باب نصر و ضرب قفولا رجع فهو قافل و القافلة الجماعة الراجعة من السّيفر و (الاملاق) الافتقار قال تعالى «وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ» و (الاستماحه) طلب المنح هو كالامتياح الاعطاء و (البرّ) الحنطه.

و (الصّاع) أربعة أمداد كلّ مدّ رطل و ثلث و الرطل اثنتا عشره أوقيه و الاوقيه إستار و ثلثا إستار، و الاستار أربعة مثاقيل و نصف، و المثقال درهم و ثلاثه اسباع درهم و فى مجمع البحرين فى الحديث كان يغتسل بالصّاع و يتوضّأ بالمدّ قال بعض شراح الحديث الصّاع ألف و مائه و سبعون درهما و ثمانمائه و تسعه عشر مثقالا و (العظم) وزان زبرج شىء يصبغ به قيل هو النيل و قيل الوسمه و ربّما يقال: اللّيل المظلم و (القياد) بالكسر ما يقاد به و (الميسم) بكسر الميم و فتح السّين آله الوسم و (الثكل) بالضمّ و بالتحريك أيضا فقدان الحبيب أو الولد و ثكله من باب فرح فهى ثاكل و ثكلانه القليله و الثّواكل النّساء الفاقدرات لأولادهما و (أَنَّ) يَأَنَّ أَنَا و أَنِينَا تَأَوّه و (الطّارق) هو الاتى بالليل و سمى طارقا لاحتياجه إلى طرق الباب بالمطرقة و (شناه) من باب منع و سمع شئنا بتثليث الأوّل و شنأته أبغضته و (هبلته) أمّه من باب فرح ثكلته و (الهبول) بفتح الهاء التى لا يبقى لها ولد من النساء.

و (خبط) الشّيطان فلانا مسّه بأذى كتخبطه و خبط زيدا و اختبطه سألّه

المعروف من غير أصره أى قرابه و رحم و سابقه بينهما و (الهجر) الهذيان و (الجلب) و الجلبه بالضم القشره التى تعلو الجرح عند البرء و (قضم) قضمًا من باب سمع اكل بأطراف أسنانه أو أكل يابسًا و (السَّيَّات) وزان غراب النَّوم أو خفيّه أو ابتداؤه فى الرّأس حتّى يبلغ القلب.

الاعراب

لفظه أن فى قوله عليه السّلام و الله لأنّ أبيت مصدرِيّه ناصبه للفعل المضارع المتكلّم و هى و منصوبها فى تأويل المصدر و محلّ الرّفع بالابتداء و خبر المبتدأ قوله أحبّ إلّى، و قوله عليه السّلام: مسهّدا حال مؤكّده لعاملها و هو أبيت إن كان السّهر مأخوذاً فى معنى البيات، و إلّا- كما هو قول الزّجاج و غيره حسبما عرفت فتكون حالا مؤسّسه و قوله عليه السّلام: و كيف أظلم، استفهام إنكارى على حدّ قوله تعالى «أَفَأَصْبَحْتُمْ رُبُّكُمْ بِالْبَيْنِ» فيكون ما بعد الاستفهام غير واقع و مدّعيه كاذبا و مؤكّدا و مردّدا أيضا حالان مؤكّدتان على حدّ قوله تعالى «وَلَيْ مُدْبِرًا» و قوله عليه السّلام أ تئنّ من حديده استفهام للتّقرير أو التّقريع و كذلك قوله: أ مختبئ أم ذو جَنّ آه

المعنى

إشارة

اعلم أنّ المقصود بهذا الكلام التنبية على نزاهه نفسه من محبّه الدّنيا و الرّغبة إلى حطامها الموجه للظلم على النّاس و العدول عن سنن العدل فى حقوقهم فدلّ على ذلك المقصود بنفى إقدامه على الظلم لينتقل بذلك إلى نفى ملزومه الذى هو حبّ الدّنيا و افتتح الكلام بالقسم البارّ.

فقال (و الله لأنّ أبيت على حسك السّعدان مسهّدا) أى ممنوعا من النّوم (و اجرّ فى الأغلال مصفّدا) أى مشدّدا موثقا بالسلاسل (أحبّ إلّى من أن ألقى الله و رسوله صلّى الله عليه و آله و سلّم يوم القيامة ظالما لبعض العباد) فى حقّه مالِيّا أو غير مالى (و غاصبا لشيء من الحطام) أى للحقّ المالى فيكون عطف الثّانى على الأوّل من عطف الخاصّ على العامّ على حدّ قوله تعالى «قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَ الْحَجَّ» و استعار

لفظ الحطام لمتاع الدنيا و زبرجها و الجامع الحقاره.

و نظير ذلك وجه الشبه في قوله تعالى «اعْلَمُوا أَنَّمَا الدُّنْيَا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِينَةٌ وَ تَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ».

و حلفه عليه السلام على كون البيات عن الحسك و الجرّ في الأغلال أحبّ إليه من لقاء الله و رسوله متّصفا بالظلم و الغصب ممّا لا غبار عليه، و علّه أحبّيتها إليه عليه السّلام أنّهما و إن كان فيهما ألم شديد إلّا أنّ ذلك الألم بالنسبه إلى ما يترتب على الظلم من العذاب الشّديد الاخرى أسهل و أهون.

و هذا في حقّ عموم العقلاء الملا حظين لعاقبه الامور، و أمّا في حقّه عليه السّلام و حقّ ساير أولياء الله المقربين فلو لم يترتب على الظلم من العقوبات الاخرى سوى سوء لقاء الله و رسوله و الاستحياء منهما و الحجب عن مقام الرّلى فقط لكفى ذلك في ترجيح البيات على الأشواك و الجرّ في الأغلال عليه.

و بما ذكرته علم أنّ لفظ أحبّ في كلامه عليه السّلام لم يرد به التّفضيل الذى صيغه أفعال حقيقه فيه و إنّما أراد به المعنى الوصلى نظير صيغه المبالغه في قوله تعالى «وَ مَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ».

و يؤمى إليه أيضا تشديده النكير على إقدامه على الظلم في قوله عليه السّلام (و كيف أظلم أحدا لنفس يسرع إلى البلى قفولها) أى رجوعها من الشّباب إلى الشّيب الذى معدّ للبلى و الاندراس و ضعف القوى كما أشير إليه في قوله تعالى «اللَّهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَ شَيْبَةً» أو رجوعها إلى الاخره فإنّها المكان الأصلى و فيها تبلى الأجساد كما قال تعالى «مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَ فِيهَا نُعِيدُكُمْ وَ مِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى» و على الاحتمال الأخير فنسبه البلى إلى نفسه عليه السّلام بالنظر إلى زعم الناس لما قد عرفت في شرح الخطبه السادس و الثمانين عدم سرعه البلى إلى أبدان الأنبياء و الأوصياء عليهم السلام.

قال العلامة المجلسى قدّس سرّه: و يحتمل أن يكون قفول جمع قفل

بالضمّ فأنّه يجمع على أقفال و قفول فاستعير هنا لمفاصل الجسد، و على أىّ تقدير فالمراد بالنفس فى كلامه عليه السّلام هو الجسد لا الرّوح كما هو ظاهر.

و قوله عليه الصّلاه و السّلام (و يطول فى الثّرى حلولها) إشاره إلى طول لبثها فى القبر إلى يوم البعث.

ثمّ اكّد عليه السّلام براءه ساحته من الظلم باقتصاص قصّته مع أخيه عقيل فقال مؤكّداً بالقسم البارّ (و الله لقد رأيت عقيلاً و قد أملق) أى افتقر و صار ملقاً ضعيفاً (حتّى استماحنى) أى طلب منّى السّماحه و الجود و أن أعطيه (من برّكم صاعاً) و قد مضى مقداره فى بيان اللّغه (و رأيت صبيانه شعث الشعور غير الألوان) أى مغبر الرّؤوس متغيّر الألوان (من) شدّه (فقرهم) و ضرّهم (كأنّما سوّدت وجوههم بالعظم) فإنّ من نحل جسمه من الجوع يضرب لونه إلى السّواد كما أنّ البادن بعكس ذلك.

(و عادونى) أى العقيل (مؤكّداً) للاستماحه (و كرّر علىّ القول مردّداً) و بعد ما أصرّ على سؤاله (فأصغيت إليه سمعى) أى أملتّها نحوه (فظنّ أنّى أبيعه دينى) و أخون فى بيت مال المسلمين (و اتّبع قياده) أى أطيعه و أنقاد له قال الشّارح البحرانى: قياده ما يقوده به من الاستعطاف و الرّحم، و فى بعض النّسخ اتّبع بصيغه الغيبه قال العلامة المحدث المجلسى: فلعلّه إشاره إلى ذهابه إلى معاويه، انتهى و الأوّل أولى و أنسب بالسّياق.

و قوله عليه السّلام (مفارقاً طريقتى) أى العدل و الاسوه (فأحميت له حديده ثمّ أدنيتها من جسمه ليعتبر بها) و ينزجر و يذكر نار الاخره (ف) لَمّا مسّته حراره الحديد (ضجّ ضجيج ذى دنف) أى مرض مولم (من ألمها و كاد أن يحترق من ميسمها) أى من أثرها فى يده (فقلت له ثكلتك الثّواكل) أى النّساء النّادبات (يا عقيل أتئنّ) و تضجّ (من حديده أحماها إنسانها للعبه).

قال الشّارح المعتزلى: لم يقل إنسان لأنّه يريد أن يقابل هذه اللفظه بقوله جبارها و المراد باللّعب خلاف الجدّ فى الاحماء النّاشى من الغضب و لذلك

قابله بالغضب فى قوله عليه السّلام (و تجزّنى إلى نار سجّرها) أى أوقدها (جبارها لغضبه أتتّ من الأذى) أذى نار الدّنيا (و لا أئنّ من لظى) نزّاعه للشّوى أى إذا كنت تتنّ من أذى نار الدّنيا و ألمها على ضعفها و حقارتها فكيف لا- أئنّ من نار الاخره الّتى وقودها النّاس و الحجاره على شدّتها و قوّتها.

و محصّل غرضه من ذكر قصّه عقيل التّنبيه على غايه مراعاته للعدل و تجنّبه عن الظلم و محافظته على بيت مال المسلمين، فإنّ من منع أخاه على شدّه فاقتة و فاقه عياله مع قرابتهم القريبه و الرّحم الماسّه و كونهم من جمله ذوى الحقوق فى بيت المال من أن يعطيه منه شيئا يسيرا من الطعام و هو الصّاع من البرّ لمحض الاحتياط فى الدّين و ملاحظه حقوق المسلمين، و خوفا من شبهه الظلم، فأبعد من أن يحوم حوم الظلم ثمّ أبعد.

قال الشارح المعتزلى: سأل معاويه عقيلّا عن قصّه الحديده المحماه المذكوره قال: أصابتنى مخمصه شديده فسألته عليه السّلام فلم تند صفاته، فجمعت صبيانى فجئت بهم إليه و البؤس و الضرّ ظاهران عليهم، فقال عليه السّلام: اتنى عشيه لأدفع إليك شيئا فجئتّه يقودنى أحد ولدى، فأمره بالتّنحّى ثمّ قال عليه السّلام: أأفدونك، فأهويت حريصا قد غلبنى الجشع، أظنّها صرّه فوضعت يدى على حديده تلتهب نارا، فلما قبضتها نبذتها و خرت كما يخور الثّور تحت يد جازره فقال: ثكلتك أمّك هذا من حديده أوقدت لها نار الدّنيا، فكيف بك و بى غدا إن سلكتنا فى سلاسل جهنّم ثمّ قرء:

«إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَ السَّلَاسِلُ يُسَيِّجُونَ» ثمّ قال عليه السّلام: ليس عندى فوق حقّك الّذى فرضه الله لك إلّا ما ترى فانصرف إلى أهلك، فجعل معاويه يتعجّب و يقول:

هيهات هيهات النّساء أن يلدن بمثله.

و فى البحار من مناقب ابن شهر آشوب من جمل أنساب الأشراف قال:

و قدم عليه عليه السّلام عقيل فقال للحسن: اكس عمّك، فكساه قميصا من قمصه و ردائه من أرديته، فلما حضر العشاء فاذا هو خبز و ملح فقال عقيل: ليس إلّا ما أرى فقال عليه السّلام: أو ليس هذا من نعمه الله و له الحمد كثيرا، فقال: اعطنى ما اقضى به دينى

و عَجَل سراحى حتّى أرحل عنك، قال عليه السّلام: فكم دينك يا أبا يزيد؟ قال: مائة ألف درهم، قال عليه السّلام: لا والله ما هى عندى ولا أملكها ولكن اصبر حتّى يخرج عطائى فاواسيكه و لولا أنّه لا بدّ للعال من شىء لأعطيتك كلّهُ، فقال عقيل: بيت المال فى يدك و أنت تسوّفنى إلى عطائك و كم عطاؤك و ما عساه يكون و لو أعطيتنيه كلّهُ فقال عليه السّلام: ما أنا و أنت فيه إلّا بمنزله رجل من المسلمين و كانا يتكلّمان فوق قصر الاماره مشرفين على صناديق أهل السوق فقال علىّ عليه السّلام: إن أبيت يا أبا يزيد ما أقول فانزل إلى بعض هذه الصناديق فاكسر أقفاله و خذ ما فيه قال: و ما فى هذه الصناديق؟ قال عليه السّلام: فيها أموال التجار، قال أ تأمرنى أن اكسر صناديق قوم قد توكلوا على الله و جعلوا فيها أموالهم، فقال أمير المؤمنين عليه السّلام أ تأمرنى أن أفتح بيت مال المسلمين فأعطيك أموالهم و قد توكلوا على الله و أقفلوا عليها و إن شئت أخذت سيفك و أخذت سيفى و خرجنا جميعا إلى الحيره فإنّ بها تجارا مياسير فدخلنا على بعضهم فأخذنا ماله، فقال: أو سارقا جئت؟ قال عليه السّلام: نسرق من واحد خير من أن يسرق من المسلمين جميعا، قال له: أو تأذن لى أن أخرج إلى معاويه؟ فقال عليه الصلاة و السلام له:

قد أذنت لك، قال: فأعنى على سفرى هذا، فقال عليه السّلام: يا حسن اعط عمك أربعمائه درهم، فخرج عقيل و هو يقول:

سيغنينى الذى أغناك عنى و يقضى ديننا ربّ قريب

و ذكر عمرو بن العلاء أنّ عقيلًا لما سأل عطاءه من بيت المال قال له أمير المؤمنين عليه السّلام: تقيم إلى يوم الجمعة فأقام، فلما صلّى أمير المؤمنين عليه السّلام الجمعة قال لعقيل: ما تقول فيمن خان هؤلاء أجمعين؟ قال: بس الرجل ذاك قال عليه السّلام:

فأنت تأمرنى أن أخون هؤلاء و أعطيك.

و فيه من المناقب أيضا قال: سمعت مذاكره من الشيوخ أنّه دخل عليه عمرو بن العاص ليله و هو فى بيت المال فطفى السراج و جلس فى ضوء القمر و لم يستحلّ أن يجلس فى الضوء بغير استحقاق، هذا (و أعجب من ذلك) أى ممّا ذكرته من قصّه عقيل قصّه الأشعث بن قيس الكندى و تقرّبه إلى بالهديه التى كانت رشوه فى الحقيقه استماله لى و تخديعا إياى. فأنّه كما قال الشارح المعتزلى: كان أهدي له نوعا من الحلواء تأتق فيه و كان

يغض الأشعث لأنّ الأشعث كان يغيظه، و ظنّ الأشعث أنه يستميله بالمهاداه لغرض دنيوى كان فى نفس الأشعث و كان عليه السّلام يتفطن لذلك و يعلمه، و لذلك ردّ هديته و لولا ذلك لقبها كما تبه عليه السّلام على ذلك بقوله:

(طارق طرقنا) أى أتى إلينا ليلا (بملفوفه) أى بهديّه على زعم الطارق بها لفّها و غطاها (فى وعائها و معجونه شنتها) أى أبغضتها و نفرت عنها لما علمت من الطارق بها (كأنّما عجنت بريق حيّه أو قيئها) أى بالسّم القاتل الموجب لغايه البخل و النفرة (فقلت أ صله أم زكاه أم صدقه فذلك) أى كلّ منها (محرم علينا أهل البيت).

قال الشارح المعتزلى: الصله العطيه لا يراد بها الاخره بل يراد بها وصله إلى الموصول و أكثر ما تفعل للذكر و الصّيت و الزكاه هى ما تجب فى النّصاب من المال، و الصدقه ههنا هى صدقه التطوع.

فان قلت: كيف قال فذلك محرم علينا أهل البيت و إنّما يحرم عليهم الزّكاه الواجبه خاصّه و لا يحرم عليهم الصدقه التطوع و لا قبول الصلاه.

قلت: أراد بقوله أهل البيت الأشخاص الخمسه و هم محمّد و علىّ و فاطمه و الحسن و الحسين عليهم السّلام فهؤلاء خاصّه دون غيرهم من بنى هاشم يحرم عليهم قبول الصدقه و الصلاه، انتهى ملخصا.

أقول: أمّا الصلاه فلم يقل أحد بحرمتها عليهم عليهم السّلام و لا على غيرهم من الهاشميين، و أمّا الصدقه المندوبه فكذلك على مذهب المشهور من أصحابنا، فلا بدّ فى رفع الاشكال من جعل المشار إليه بقوله فذلك أحد الأخيرين أعنى الزّكاه و الصدقه أو الصدقه المستحبّه مع البناء على مذهب بعض الأصحاب من تحريمها عليهم أيضا و جعل المراد بالصدقه الكفّارات الواجبه.

و يؤيّد ذلك أعنى كون الاشاره إلى أحد الأخيرين فقط جواب الأشعث بقوله: لا ذا و لا ذاك، حيث نفى الاثنين من الثلاث دون الثلاث جميعا، فيكون قوله:

و لكنّها هديّه بمعنى أنّها صله.

و على كون المشار إليه جميع الثلاث فاللّازم حمل الصّله على ما كان

على وجه المصانعه و الرّشوه، و على كون المراد بالصدقه صدقه التطوع و البناء على مذهب المشهور فلا بدّ من ارتكاب المجاز فى التحريم، و حمل قوله عليه السّلام:

محرم على ما يعمّ الكراهه و الحرمة المصطلحه، فافهم جيّدا.

(فقال لا ذا و لا ذاك و لكنّها هديّه) و إنّما قال ذلك لكونه عارفا بأنّه عليه السّلام كان يقبل الهدايا و لا يشمئزّ منها إلّا أنّه عليه السّلام لمّا عرف فساد غرضه فيها اعترض عليه و أجابه بقوله (فقلت هبّلتك الهول) أى ثكلتك أمّك (أ عن دين الله أتيتنى لتخدعنى أ مختبئ) أنت (أم ذو جنّه أم تهجر) الاستفهام إنكارى و الغرض منه توبيخ الأشعث و تقريره على ما أتى به من الهديه و التعريض عليه بأنّ إتيانه بها مع ما أضمر من سوء التّيه يشبه فعل صاحب الخبط و الجنون و الهذيان قال الشارح المعتزلى: المختبئ المصروع من غلبه الاخلاط السّوداء أو غيرها عليه و ذو الجنّه من به مسّ من الشيطان، و الذى يهجر هو الذى يهذى فى مرض ليس بصرع كالبرسم و نحوه، انتهى.

أقول: إن أراد أنّ المختبئ قسيم ذى الجنّه يعنى خصوص المصروع من غير مسّ الشيطان فيردّه قوله تعالى «لا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ» و إن أراد كونه أعمّ منه فلا بأس به لكن الأظهر أن يكون مراده عليه السّلام به كونه ذا خبط أى طالب معروف من غير سابقه و لا قرابه أو أنّه ذو خبط أى حرّكه على غير النّحو الطّبيعى كخبط العشواء ثمّ شدّد النّكير على الطارق و أبطل ما كان فى خلدّه من إمكان إقدامه عليه السّلام على الظلم و المعصيه بوسيله الهديه و دقّ عليه السّلام خيشومه بقارعه الخيبه فقال (و الله) الكريم و أنّه لقسم لو تعلمون عظيم (لو أعطيت الأقاليم السبعه) و بقاع الأرضين (بما تحت أفلاكها على أن أعصى الله) طرفه عين و أقدم على الظلم و لو (فى) حقّ (نمله) هى أضعف مخلوق (أسلبها جلب شعيره) و قشرها (ما فعلته) و هذا دليل على كمال عدله عليه السّلام و بلوغه فيه الغايه القصوى التى لا يتصوّر ما فوقها.

و لما تبه على نزاهته من الظلم و كان منشأ الظلم كساير المعاصى هو

حُبِّهَا لكونها رأس كل خطيئه أردفه بالتنبيه على غايه زهده فيها و طهاره لوح نفسه من دنس حُبِّها فقال (و إنّ دنياكم عندي لأهون من ورقه في فم جراده تقضمها) و تكسرهما (ما لعلّي و لنعيم يفنى و لذّه لا تبقى) إنكار لميل نفسه إلى نعيم الدّنيا و لذّاتها الفانيه، يعنى أنّ حال عليّ ينافى رغبته إلى تلك اللذات.

(نعوذ بالله من سبات العقل) أى نومه و غفلته عن ادراك مفسد تلك اللذات و ما يترتب عليها من المخازى و الهلكات (و قبح الزّلل) و الضّلال عن الصّراط المستقيم الناشى من الرّكون إلى الدنيا و الرّغبه إلى نعيمها (و به نستعين) فى النّجاه من تلك الورطاه و فى جميع الحالات.

قال كاشف الغمّه و لنعم ما قال:

و اعلم أنّ أنواع العباده كثيره، و هى متوقّفه على قوّه اليقين بالله تعالى و ما عنده و ما أعدّه لأوليائه فى دار الجزاء، و على شدّه الخوف من الله تعالى و أليم عقابه، و علىّ عليه السّلام القائل: لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا، فشده يقينه داله على قوّه دينه و رجاحه موازينه، و قد تظاهرت الروايات أنّه لم يكن نوع من أنواع العباده و الزّهد و الورع إلّا- و حظه عليه السّلام منه وافر الأقسام، و نصيبه منه تامّ بل زائد على التّمام، و ما اجتمع الأصحاب على خير إلّا كانت له رتبه الامام، و لا ارتقوا قبه مجد إلّا و له ذروه الغارب و قلّه السّنام، و لا احتكموا فى قضيه شرف إلّا و ألقوا إليه أزمه الأحكام.

و روى الحافظ أبو نعيم بسنده فى حليته أنّ التّبيّ صلى الله عليه و آله و سلّم قال: يا عليّ إنّ الله قد زينك بزينة لم يزيّن العباد بزينة أحبّ إلى الله منها هى زينه الأبرار عند الله تعالى: الزّهد فى الدّنيا فجعلك لا ترزء من الدّنيا شيئا و لا ترزء منك الدّنيا شيئا أى لا تنقص منها و لا تنقص منك.

و قد أوردّه صاحب كفايه الطالب أبسط من هذا قال: سمعت أبا مريم السلولى يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم يقول: يا عليّ إنّ الله قد زينك بزينة لم يزيّن العباد بزينة أحبّ إلى الله منها: الزّهد فى الدّنيا فجعلك لا تنال من الدّنيا شيئا و لا تنال

الدُّنْيَا مِنْكَ شَيْئًا، وَوَهَبَ لَكَ حَبَّ الْمَسَاكِينِ فَرَضُوا بِكَ إِمَامًا وَرَضِيَتْ بِهِمْ أَتْبَاعًا فَطُوبَى لِمَنْ أَحَبَّكَ وَصَدَّقَ فِيكَ وَوَيْلَ لِمَنْ أَبْغَضَكَ وَكَذَبَ عَلَيْكَ، فَأَمَّا الَّذِينَ أَحَبُّوكَ وَصَدَّقُوا فِيكَ، فَهُمْ جِيرَانُكَ فِي دَارِكَ وَرَفَقَاؤُكَ فِي قَصْرِكَ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْغَضُوكَ وَكَذَبُوا عَلَيْكَ فَحَقَّقَ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُوَقِّفَهُمْ مَوْقِفَ الْكَذَّابِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَذَكَرَهُ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ فِي مَنَاقِبِهِ.

فَقَدْ ثَبَتَ لَعَلِّيَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الزَّهْدَ بِشَهَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَهُ بِذَلِكَ، وَ لَا يَصِحُّ الزَّهْدُ فِي الشَّيْءِ إِلَّا بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ وَ الْعِلْمِ بِهِ وَ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَرَفَ الدُّنْيَا بَعَيْنِهَا وَ تَبَرَّجَتْ لَهُ فَلَمْ يَحْفَلْ بِزِينَتِهَا لِشَيْنِهَا وَ تَحَقَّقَ زَوَالُهَا، فَعَافَ وَصَالَهَا وَ تَبَيَّنَ انْتِقَالُهَا، فَصَرَمَ حِبَالَهَا وَ اسْتَبَانَ قَبْحَ عَوَاقِبِهَا وَ كَدَرَ مِشَارَ بِهَا فَأَلْقَى حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا وَ تَرَكَهَا لَطَالِبِهَا وَ تَيَقَّنَ بُؤْسَهَا وَ ضَرَرَهَا فَطَلَّقَهَا ثَلَاثًا وَ هَجَرَهَا، وَ عَصَاهَا إِذْ أَمَرْتَهُ فَعَصَتْهُ إِذْ أَمَرَهَا وَ عَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ رَجَالِهَا وَ لَا مِنْ ذَوِي الرُّغْبَةِ فِي جَاهِهَا وَ مَالِهَا وَ لَا مَمَّنْ تَقُودُهُ فِي حِبَالِهَا وَ تَوْرَدُهُ مَوَارِدَ وَبَالَهَا، فَصَاحِبَتُهُ هَدَنَهُ عَلَى دَخْنٍ، وَ ابْتَلَتْهُ بِأَنْوَاعِ الْمُحَنِ وَ جَرَتْ فِي مَعَادَاتِهِ عَلَى سَنَنِ، وَ غَالَتْهُ بَعْدَهُ فِي ابْنِهِ الْحُسَيْنِ وَ الْحَسَنِ، وَ هُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ لَا- يَزِدَادُ عَلَى شِدَّةِ لِلْأَوَاءِ إِلَّا صَبْرًا، وَ لَا عَلَى تَظَاهِرِ الْأَعْدَاءِ إِلَّا حَمْدًا لِلَّهِ تَعَالَى وَ شُكْرًا، أَخَذَا بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَسَلَّمَ لَا يَحُولُ عَنْهَا مُقْتَفِيًا لِأَثَارِهِ لَا يَفَارِقُهَا، وَاطْنَا لِعَقْبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَسَلَّمَ لَا- يَجَاوِزُهَا حَتَّى نَقْلَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى جَوَارِهِ وَ اخْتَارَ لَهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ فَمَضَى مُحَمَّدٌ الْأَثَرُ، مَشْكُورُ الْوَرْدِ وَ الصَّدْرُ، مُسْتَبَدِّلُ الْبَدَارِ الصِّفَاءِ مِنْ دَارِ الْكَدْرِ، قَدْ لَقِيَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَسَلَّمَ بِوَجْهِهِ لَمْ يَشُوْهُهُ التَّبْدِيلُ، وَ قَلْبُ لَمْ تَزِدْهُهُ الْأَبَاطِيلُ.

تكملة

هَذَا الْكَلَامُ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَوَاهُ الْمُحَدِّثُ الْعَلَامَةُ الْمَجْلِسِيُّ قَدْ سَرَّهُ فِي الْمَجْلَدِ الثَّانِي وَ الْمَجْلَدِ السَّابِعِ عَشَرَ مِنَ الْبَحَارِ مِنَ الْأُمَالِي عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ الدَّقَّاقِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الطَّارِي عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْخَشَابِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَسَّنٍ عَنْ الْمُفَضَّلِ ابْنِ عَمْرِو بْنِ الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ أَبِيهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَالَ:

قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَاللَّهِ مَا دُنْيَاكُمْ عِنْدِي إِلَّا كَسَفَرٍ عَلَى مَنَهْلٍ حَلَّوْا إِذَا صَاحَ

بهم سائقهم فارتحلوا ولا لذاذتها في عيني إلا كحميم أشربه غساقا وعلقم أتجزعه زعاقا وسم أفعاه أسفاه دهاقا وقلاده من نار
أوهقها خناقا، ولقد رقت مدرعتي هذه حتى استحيت من راقعها وقال لي: اقذف بها قذف الاتن لا يرتضيها ليراقعها، فقلت له:
اعزب عني فعند الصباح يحمد القوم السرى وينجلي عنا غيابات الكرى، ولو شئت لتسربت بالعبرى المنقوش من ديباجكم و
لأكلت لباب البر بصدور دجاجكم ولشربت الماء الزلال برقيق زجاجكم، ولكني أصدق الله جلّت عظمتة حيث يقول:

«مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ».

فكيف استطيع المصير على نار لو قذفت بشره إلى الأرض لأحرقت نبتها ولو اعتصمت نفس بقله لأنضجها وهج النار في قلتها،
وأيما خير لعلّي أن يكون عند ذي العرش مقربا أو يكون في لظى خسيئا مبعدا مسخوطا عليه بجرمه مكذبا والله لأن أبيت على
حسك السعدان مرقدا وتحتي أطار على سفاهها ممددا، أو اجرّ في أغلال مصفدا، أحبّ إليّ من أن ألقى في القيامة محمدا
صلّى الله عليه وآله وسلم خائنا في ذي يتمه اظلمه بفلسه متعمدا ولم أظلم اليتيم وغير اليتيم لنفس تسرع إلى البلى قفولها و
يمتدّ في أطباق الثرى حلولها، وإن عاشت رويدا فبذى العرش نزولها.

معاشر شيعتي احذروا فقد عضّتكم الدنيا بأنيابها، تختطف منكم نفسا بعد نفس كذئابها، وهذه مطايا الرّحيل قد أنيخت لركابها
إلا أن الحديث ذو شجون فلا يقولنّ قائلكم إنّ كلام عليّ متناقض، لأنّ الكلام عارض.

ولقد بلغني أنّ رجلا من قطان المدائن تبع بعد الحنيفيّة علوجه، ولبس من ناله دهقانه منسوجه، وتصمخ بمسك هذه النوافج
صباحه، وتبخّر عود الهند رواحه، وحوله ريحان حديقه يشم تفّاحه، وقد مدّ له مفروشات الرّوم على سرره، تعسا له بعد ما ناهز
السّبعين من عمره وحوله شيخ يدبّ على أرضه من هرمه وذا يتمه تصوّر من ضرّه ومن قرمه، فما واساهم بفاضلات من علقمه
لئن أمكنني الله منه لأخضمّه

خضم البر، ولا قيمن عليه حد المرتد، ولا ضربته الثمانين بعد حد ولا سدن من جهله كل مسد، تعسا له أفلا شعر أفلا صوف أفلا وبر أفلا رغي ففار الليل افطار معدم أفلا عبره على حد في ظلمه ليالي تنحدر و لو كان مؤمنا لا تسقت له الحجة إذا ضيع ما لا يملك.

والله لقد رأيت عقيلأ أخى و قد أملق حتى استماحنى من بر كم صاعه، و عاودنى فى عشر وسق من شعير كم يطعمه جياعه، و يكاد يلوى ثالث أيامه خامصا ما استطاعه و رأيت أطفاله شعث الألوان من ضرهم كأنما اشمازت وجوههم من قرهم، فلما عاودنى فى قوله و كرره أصغيت إليه سمعى فغره، و ظننى اوتغ دينى فاتبع ما سره أحيت له حديده ينزجر إذ لا يستطيع منها دنوا و لا يصبر، ثم أدنيتها من جسمه فضج من ألمه ضجيج ذى دنف يئن من سقمه، و كاد يسبنى سفها من كظمه، و لحرقة فى لظى أضناله من عدمه فقلت له: ثكلتك الثواكل يا عقيل أتن من حديده أحماها إنسانها لمدعبه، و تجرنى إلى نار سجرها جبارها من غضبه، أتن من الأذى و لا أتن من لظى.

والله لو سقطت المكافاه عن الامم و تركت فى مضاجعها باليات الرمم لاستحييت من مقت رقيب يكشف فاضحات من الأوزار تنسخ فصبرا على دنيا تمر بلاء وائها كليله بأحلامها تنسلخ، كم بين نفس فى خيامها ناعمه و بين أثيم فى جحيم يصطرخ فلا تعجب من هذا.

و أعجب بلا صنع منا من طارق طرقنا بملفوفات زملها فى وعائها و معجونه بسطها فى إنائها فقلت له: أصدقه أم نذر أم زكاه و كل ذلك يحرم علينا أهل بيت النبوه و عوضنا منه خمس ذى القربى فى الكتاب و السنه، فقال لى: لا ذاك و لا ذاك و لكنّه هديّه فقلت له: ثكلتك الثواكل أفعن دين الله تخدعنى بمعجونه عرقتموها بقندكم، و خبيصه صفراء أتيتمونى بها بعصير تمر كم، أ مختبط أم ذو جنّه أم تهجر أ ليست النفوس عن مثقال حبه من خردل مسئوله، فما ذا أقول فى معجونه اترقمها معموله و الله لو اعطيت الأقاليم السبعه بما تحت أفلاكها و استرق لى قطانها مدعنه بأملاكها

على أن أعصى الله في نمله أسلبها شعيره فألو كها ما قبلت و لا أردت، و لدنياكم أهون عندي من ورقه في فم جراده تقضمها و أقذر عندي من عراقه خنزير يقذف بها أجذمها، و أمرّ على فؤادي من حنظله يلو كها ذو سقم فيشتمها «فيشتمها» فكيف أقبل ملفوفات عكمتها في طيها و معجونه كأنها عجت بريق حيّه أو فيئها.

اللهم انى نفرت عنها نفار المهره من كيتها أريه السها و يرينى القمر.

أ أمتنع من وبره من قلو صها ساقطه، و أبتلع إبلا- فى مبركها رابطه، أديب العقارب من و كرها ألتقط، أم قوا تل الرّقش فى مبيتى ارتبط، فدعونى أكتفى من دنياكم بملحى و أقراصى، فبتقوى الله أرجو خلاصى ما لعلّى و نعيم يفنى و لذّه تنحتها المعاصى سالقى و شيعتى ربنا بعيون ساهره و بطون خماص ليمخص الله الذين آمنوا و يمحق الكافرين، و نعوذ بالله من سيّات الأعمال، و صلّى الله على محمّد و آله الطّاهرين (١).

بيان

ما يحتاج الى التّوضيح و البيان من غرب ألفاظ هذه الروايه التى لم تتقدّم فى روايه الرضى فنقول و بالله التّوفيق:

«الحميم» الماء الحارّ الشّديد الحراره يسقى منه أهل النّار و عن ابن عبّاس لو سقطت منه نقطه على جبال الدنيا لأذابتها «و الغساق» بالتّخفيف و التّشديد ما يسيل من صديد أهل النّار و غسالتهم أو ما يسيل من دموعهم و «العلقم» شجر مرّ و يقال للحنظل و لكلّ شىء مرّ: علقم.

و السم «الرّعاق» وزان غراب هو الذى يقتل سريعا، و الماء الرّعاق الملح الغليظ لا يطاق شربه و «الدّهاق» وزان كتاب الممتلى و «الوهق» بالتحريك و يسكن الحبل يرى به فى انشوطه فيؤخذ به الدابه و الانسان و «المدرعه» القميص و قوله «قذف الاتن» هو بضمّتين جمع الاتان و هى الحماره و التّشبيه بقذفها لكونها أشدّ امتناعا للحمل من غيرها أو لكونها أكثر قذفا لجلّها، و «غيابات الكرى» بالضم جمع غيابه و غياهه كلّ شىء ما سترك منه و منه غيابات الجبّ، و قال الجوهري

ص: ٣٠١

١- (١) - أقول: حيث كانت النسخه مغلوطة جدا و بعضها لا يكاد يقرأ، صحّحت هذا الكلام الشريف عن نسخه البحار المطبوعه اخيرا ج ٤٠ ص ٣٤٥ و هكذا من البيان ما كان موجودا فى البحار «المصحح».

الغيا به كل شيء تظلّ الانسان فوق رأسه مثل السيّاح به و الغيره و الظلمه و نحو ذلك، و فى بعض النسخ علامات الكرى بالضمّ أيضا جمع علامه بقيه كلّ شيء و الكرى النعاس و التّوم أى من يسرى بالليل يعرضه فى اليوم النعاس لكنّه ينجلي منه بعد النوم فكذلك يذهب مشقه الطاعات بعد الموت هكذا قال علامه المجلسيّ قدّس سره و قال الميدانى «عند الصباح يحمد القوم السرى» يضرب للرجل يحتمل المشقه رجاء الراحه و «العبرى» الديّاج و قيل البسط الوشيه.

و قوله «و لو اعتصمت نفس بقله» أى بعد قذف الشرره لو التجأت نفس إلى رأس جبل لا- نضج تلك النفس «و هج النار» بسكون الهاء أى اتقادها و حرّها و الضمير «فى قلّتها» راجع إلى التّفس و الاضافه للملابسه «و الخسىء» الصاغر و المبعد و «الأطمار» جمع طمر بالكسر و هو الثوب الخلق البالى و «السّفا» التراب الذى تسفيه الرّيح و كلّ شجر له شوكة و ضمير سفاها راجع إلى الأرض بقرينه المقام.

و قوله «رويدا» أى قليلا و «الدّئاب» جمع الدّئب و الضمير راجع إلى الدّنيا أى كما تختطف الدّئاب فى الدّنيا و «الشّجون» الطرق و يقال الحديث ذو شجون أى يدخل بعضه فى بعض قال علامه المجلسيّ قدّس سرّه: و المراد بالتّناقض هنا عدم التناسب.

و قوله «إنّ رجلا- من قطان المدائن» قال المجلسيّ: يحتمل أن يكون مراده به معاويه بل هو الظاهر، فالمدائن جمع المدينه لا التّياحيه الموسومه بذلك، و المراد بعلوجه آباؤه الكفره شبّههم فى كفرهم بالعلوج و هو جمع علقج بالكسر الرّجل من كفّار العجم هكذا فى القاموس و «النّاله» جمع النّائل و هو العطاء كالقاده و القائد و «الدّهقان» بالضمّ و الكسر القوى على التصرّف مع عدّه و رئيس الاقليم معرّب، و الضّمير فى «منسوجه» راجع إلى الدّهقان قال المجلسيّ قدّس سرّه أو راجع إلى النّاله بتأويل أى ليس من عطايا دهقانه أو ممّا أصاب و أخذ منه ما نسجه الدهقان أو ما كان منسوجا من عطاياه.

و «تضمّخ» بالطّيب تلطّخ به و «التّوافج» جمع نافجه معرّب نافه و «دبّ» الشيخ ديبا مشى مشيا رويدا و الضمير فى «أرضه» إما راجع إلى

الشيخ أو إلى الرجل و «تضوّر» فلان من شدة الحمى أى تلوى و صاح و تقلّب ظهرها لبطن و «الضّر» بالضمّ سوء الحال و «القرم» شدّه شهوه اللحم و «العلقم» الحنظل و كلّشىء مرّ، و إنّما شبه ما يأكله من الحرام بالعلقم لسوء عاقبته و كثيرا ما يشبه الحرام فى العرف بسمّ الحيّه و الحنظل.

و «الخضم» الأكل بأقصى الأضراس «و إقامه حدّ المرتدّ عليه» لانكاره بعض الضروريات كما يشعر به ما تقدّم من قوله: و تبع بعد الحنيفيه علوجه، أو استحلاله دماء المسلمين إن كان المراد بالرجل معاويه حسبما اشرنا إليه و «ضرب الثمانين» لشرب الخمر أو قذف المحصنه.

و قوله «و لأسدّن من جهله كلّ مسدّ» قال المجلسى قدّس سرّه: كناية عن إتمام الحجّه و قطع أعذاره أو تضيق الأمر عليه، و قوله «أفلا- رغيّف» بالرفع و يجوز فى مثله الرفع و النّصب و البناء على الفتح و «القفار» بالفتح ما لا ادام معه من الخبز و أضيف إلى اللّيل و هو صفه للرّغيّف و «إفطار معدّم» بدل من رغيّف، و فى بعض النسخ قفارا بالنّصب على الحال ليل إفطار معدّم باللام الجارّه و إضافه ليل إلى الافطار المضاف إلى المعدّم أى الفقير.

و «الاتّساق» الانتظام و «الوسق» ستون صاعا و قوله «يكاد يلوى ثالث أيامه» لعلّه من لويت الحبل فتلته أى يلتفّ إحدى رجليه بالأخرى من شدّه جوعه و قوله «خامصا ما استطاعه» أى جائعا ما كان قادرا على الجوع و «القرّ» بالضمّ البرد و «عاوده» فى مسأله مسأله مرّه بعد اخرى و «اوتغ» بالتاء المثناه و الغين المعجمه من الوتغ بالتحريك و هو الهلاك و «السّفه» الجهل و خفه الحلم.

و قوله «من كظمه» أى من قلّه كظمه للغيط و قوله «لحرقه» عطف على قوله سفها، و لمّا لم يكن الحرقه مثل السّفه من فعل الساب أتى باللام للتعليل و «أضنا» أفعل من أضناه المرض أثقله من ضنى ضنا من باب رضى أى مرض مرضا ملازما حتّى أشرف على الموت أى كاد يسبّنى لحرقه كانت أمرض له من فقره الذى كان به

و يحتمل أن يكون الواو فى و لحرقة للقسم و اللام فيها بالفتح أى و الله لحرقة فى نار جهنم أو فى هذه الحديد المصمى أمرض له من عدمه.

و قوله «من مقت رقيب» الظاهر أن المراد بالزقيب هنا هو الله تعالى لأنه من جملة أسمائه الحسنى و فى الكتاب العزيز - فلما توفيتنى كنت أنت الزقيب عليهم و أنت على كل شىء شهيد - و جملة «تنسخ» صفه أو حال من فاضحات أو من الأوزار قال تعالى - إنما كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون - أى نثبت ما كنتم تعملون أو نأخذ نسخه، و قوله «فصبرا» الفاء للتفريع أى فاصبروا صبرا على دنيا تمرّ مع شدتها مثل ليله تنسلخ و تمضى مع أضغاث أحلامها، و قوله «كم بين نفس» الاستفهام للتعجب و الضمير فى «خيامها» راجع إلى الجنة المعلومه بقرينه المقام و «الاصطراخ» الصياح الشديد.

و قوله «بلا- صنع منا» قال العلامة المجلسى قدس سره حال من مفعول أعجب أى أعجب مما صدر من طارق منا من غير أن يكون منا فيما فعله مدخل و «زملها» أى لفها و قوله «أم نذر» لعل المراد كفاره النذر و «الزقم» اللقم الشديد و الشرب المفرط و الضمير فى «املاكها» راجع إلى القطان أى معتقده بأنى أملكها، و يحتمل رجوعه إلى الأقاليم أى مدعنه بأنى أملك الأقاليم و ليس لهم فيها حق.

و «اللوك» العلك و هو دون المضغ قال العلامة المجلسى قدس سره و قبحه يدل على قبح العلك بطريق أولى و على قبح السلب أيضا بغير انتفاع بطريق أولى لأن النفس قد تنازع السلب فى صورته الانتفاع بخلاف غيرها كما قيل.

و «العراقه» بالضمّ العظم إذا أكل لحمه و الضمير فى «بها» راجع الى العراقه و فى «أجذمها» إلى الدنيا أو العراقه بأدنى الملابس، و فى هذه الفقره من المبالغات فى التنفّر و النكير ما لا يتصوّر فوقها، و كذا فى الحنظله التى مضغها

ذو السقم فيشتمها أى يسبها نفره عنها و قال المجلسى أى لفظها بغضا و عداوه لها فلفظه مع اختلال ذائقته يدل على كمال مرارته و ملفوظه أقدر من ملفوظ غيره لمراره فيه و لتوهم سرايه مرضه أيضا، انتهى.

أقول: لا دلالة في شتمها على لفظها كما في نسخه البحار، و يحتمل أن يكون يشتمها من تحريف النساخ و يكون الأصل يسمها أى يأكلها على مرارتها مأخوذا من المسم وزان مسن و هو الذى يأكل ما قدر عليه كما في القاموس و لعل قوله: على فؤادى يؤيد ذلك فإن ذا السقم إذا ابتلع الحنظله يؤثر مرارتها في باطنه و يفسد معدته و امعائه، و التخصيص بذى السقم لأن صحيح المزاج لا يلوك الحنظله و لا يلقمها.

و «عكمت» المتاع شدته بثوب و المراد بالطى ما يطوى فيه الشىء أى المطوى على الشىء و «المهر» ولد الفرس.

و قوله «أريه السها و يرينى القمر» قال المجلسى أى انى فى وفور العلم و دقه النظر ارى الناس خفايا الامور و هم يعاملون معى معامله من يخفى عليه أوضح الامور عند إرادته مخادعتى قال الزمخشري فى مستقصى الأمثال: اريها السها و ترينى القمر، السها كوكب صغير خفى فى بنات النعش و أصله أن رجلا كان يكلم امرأه بالخفى الغامض من الكلام و هى تكلمه بالواضح البين، فضرب السها و القمر مثلا لكلامه و كلامها يضرب لمن اقترح على صاحبه شيئا فأجابه بخلاف مراده قال الكميت:

شكونا إليه خراب السواد فحرم علينا لحوم البقر

فكنّا كما كان من قبلنا أريها السها و ترينى القمر

الضمير فى إليه راجع إلى الحجاج بن يوسف شكى إليه أهل السواد خراب السواد و ثقل الخراج فقال: حرمت عليكم ذبح الثيران، أراد بذلك أنها إذا لم تذبح كثرت و اذا كثرت كثرت العماره و خف الخراج، انتهى.

و قوله «أ امتنع اه» الاستفهام للتعجب أو الانكار أى انى لكمال زهدى أمتنع

من أحد وبره ساقطه من ناقة فكيف أبتلع إبلا رابطته في مربوطها لملاكها و «القلوص» الشابه من النوق و قيل القلوص بفتح القاف من الابل الباقيه من السير خصيها بالذكر لأن الوبر الساقط من الابل حين السير أهون عند صاحبها من الساقط من الرابطه و منه يظهر فايده قيد الربط في الأخير.

و قوله «اديب العقارب من وكرها التقط» قال الجوهري: كلما مشى على وجه الأرض دأبه و ديب أى ألتقط العقارب الكبيره التى تدب من وكرها أى جحرها مجازا فأنها إذا أريد أخذها من جحرها كان أشدّ لدعا شبه عليه السلام بها الأموال المحرّمه المنتزعه من محالها لما يترتب على أخذها من الهلكات الاخرويه.

و قال بعض الأفاضل: الدّيب مصدر دبّ من باب ضرب إذا مشى، و هو مفعول التقط و فى الكلام مجاز يقال: دبّ عقارب فلان علينا أى طعن فى عرضنا، فالمقصود أ أجعل عرضى فى عرضه طعن الناس طعنا صادقا لا افتراء فيه و كان طعنهم صدقا و ناشيا عن وكره و محلّه لأن أخذ الرّشوه الملفوفات إذا صدر عن التارك لجميع الدّنيا للاحتراز عن معصيته فى نمله من السفاهه بحيث لا يخفى، انتهى.

و «الرّقش» بالضمّ جمع الرّقشاء و هى الأفعى سمّيت بذلك لترقيش فى ظهرها و هى خطوط و نقط و «الارتباط» شدّ الفرس و نحوه للانتفاع به، و قوله «تنحتها المعاصى» هو من التّحت برى التّبل و نحوه استعاره و فى بعض النسخ تنتجها أى تفيدها و ثمرها و بالله التوفيق.

الترجمه

از جمله کلام بلاغت فرجام آن حضرتست در تنزیه نفس قدسی خود از ظلم کردن انام می فرماید:

سوگند بخدا که شب به روز آوردن من بر بالای خار سعدان در حالتی که بیدار باشم، و کشیده شدن من در زنجیرها در حالتی که دست و گردن بسته در بند باشم، دوست تر است بمن از این که ملاقات نمایم خدا و رسول او را در روز قیامت در حالتی که ظلم نماینده بعض بندگان باشم و غصب کننده چیزی از متاع این جهان

و چگونه ظلم کنم اُحدی را از برای نفسی که سرعت می نماید بسوی پوسیدن باز گشتن او، و دراز می شود در خاک نزول کردن آن.

قسم بخدا که دیدم برادرِم عقیل را در حالتی که فقیر و بی چیز شده بود تا بحدّی که خواهش نمود از من از گندم شما یک صاع، و دیدم کودکان او را پریشان مویها و غبار آلود رنگها از غایت فقر گویا سیاه رنگ شده بود رخسارهای ایشان با رنگ نیل، و آمد و رفت نمود نزد من در حالتی که تأکید کننده بود در خواهش خود، و مکرر کرد بر من آن سخن را در حالتی که اعاده نمایند بود، پس برگرداندم بطرف او گوش خود را پس گمان نمود که می فروشم باو دین خود را و متابعت می کنم افسار او را در حالتی که مفارقت کننده باشم از طریق عدالت خود چون اصرار از اندازه گذرانید پس گرم کردم از برای او آهنی را بعد از آن نزدیک کردم آن آهن گرم را از بدن او تا عبرت بردارد بان، پس ناله کرد مثل ناله کردن صاحب مرض از درد آن و نزدیک بود که بسوزد از اثر آن آهن، پس گفتم او را که بنشینند در ماتم تو زنانی که بچه مردگان باشند ای عقیل آیا ناله میکنی از آهنی که گرم کرده باشد آن را آدمی برای شوخی و بازیچه گی خود، و می کشی مرا باتشی که افروزنده است آن را خداوند قهار آن برای غضب و خشم خود، آیا ناله می کنی از اذیت این آهن و ناله نکنم من از آتش سوزان جهنّم.

و عجب تر از این قصّه عقیل اینست که آینده وقت شب آمد نزد ما با هدیه پیچیده شده در ظرفش و با معجونى که دشمن داشتم آن را باندازه که گویا سرشته شده آن با آب دهن مار یا باقیء آن، پس گفتم باو آیا این عطیه است یا زکاه است یا صدقه پس این حرام است بر ما اهل بیت رسالت، پس گفت نه اینست و نه آن و لکن هدیه است که آورده ام، پس گفتم گریان باد بتو چشم مادر بی پسر تو آیا از دین خدا آمده نزد من تا فریب دهی مرا، آیا مرض خبط داری یا صاحب جنون هستی یا هذیان می گوئی، قسم بخدا اگر عطا کرده شوم من اقلیمهای هفتگانه را با آنچه که در زیر افلاک آنهاست بر آنکه معصیت نمایم خدا را در

حقّ مورچه که برابیم از او پوست جویرا، نمی کنم این کار را، و بدرستی که دنیای شما نزد من هر آینه خوارتر است از برگی که در دهن ملخ باشد بخورد آن را، چیست علی را با نعمت فانی و لذّت غیر باقی، پناه می برم بخدا از غفلت عقل و قباح لغزش و باو استعانت میکنم در امور دنیا و آخرت.

و من دعاء له علیه السّلام و هو المأتان و الثالث و العشرون من المختار فی باب الخطب

اشاره

اللّهم صن وجهی بالیسار، و لا- تبذل جاهی بالإقتار، فأسترزق طالبی رزقک، و أستعطف شرار خلقک، و ابتلی بحمد من أعطانی، و أفتن بدم من منعی، و أنت من وراء ذلك کله ولیّ الإعطاء و المنع، إنک علی کلّ شیء قدير.

اللغه

(صانه) صونا و صيانا و صيانه حفظه فهو مصون و (الوجه) هنا بمعنى الجاه و منه كان لعلی علیه السّلام وجه من النّاس حياه فاطمه أی جاه و عزّ قاله ابن الأثير و (البذل) كالأبتذال ضدّ الصيانه، و المبتذل بالكسر لابس البذله و هو الثّوب الخلق و ما لا یصان من الثّياب و (القتر) و التفتير الرّمقه من العیش و قلّه النفقه و أقتر علی عياله ضيّق فی النفقه.

ص: ۳۰۸

قوله عليه السّلام: فأسترزق، منصوب بأن مضمره وجوبا لوقوعه في جواب الدّعاء وقوله: و أنت آه الجملة في محلّ النّصب على الحال و أنت مبتدأ و الظّرف خبره و ولّى خبر بعد خبر و يجوز كون ولّى خبره و الظّرف متعلّقا به متقدّما عليه للتّوسع فيكون ظرف لغو.

المعنى

إشارة

اعلم أنّ مقصوده بهذا الدّعاء طلب الغنى و عدم الابتلاء بالفقر و لوازمه فقوله (اللهم صن وجهى باليسار) أى اجعل جاهى محفوظا بالغنى و السّعة حتّى أستغنى عن مسأله المخلوقين، و مراده عليه السّلام به الكفاف و هو ما يكفّ عن المسأله و يستغنى به فيكون مساوقا لما ورد في الدّعاء النبوى صلّى الله عليه و آله و سلّم المروى في الكافى: اللهم ارزق محمّدا و آل محمّد الكفاف، و هو بالفتح ما لا يحتاج معه و لا يفضل عن الحاجه فهو متوسّط بين الفقر و الغنى و خير الامور أوسطها و إنّما سمى بذلك لأنّه يكفّ عن النّاس و يغنى عنهم.

و فى الكافى أيضا عن التّوفلى عن السّكونى عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: اللهم ارزق محمّدا و آل محمّد و من أحبّ محمّدا و آل محمّد العفاف و الكفاف و ارزق من أبغض محمّدا و آل محمّد المال و الولد.

قال بعض شراح الحديث: العفاف بالفتح عفه البطن و الفرج عن الطّغيان أو العفه من السّؤال عن الانسان أو الجميع، و قال: لمّا كان شىء من المال ضروريا فى البقاء و العباده و هو الكفاف الواقع بين الطرفين طرف الفقر الذى فيه رائحه الكفر و العصيان، و طرف الغنى الذى فيه شايه التّكبر و الطّغيان، طلبه صلّى الله عليه و آله و سلّم لنفسه و لمحبيه، و طلب لمن أبغضهم طرف الغنى و الكثره لأنّ مفساده أكثر و أعظم و فتنته أشدّ و أفحم من مفساد الفقر و فتنته كما قال عزّ و جلّ «إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ» و قال «إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ».

و بالجملة لمّا كان حصول الكفاف مانعا من دواعى طرفى التّفريط و الافراط

و كان العبد معه مستقيم الأحوال على سواء الصّراط طلبه لنفسه و لمحبيّه.

قال الشّارح: و اعلم أنّ الأحاديث مختلفه ففى بعضها طلب الغنى و اليسار و فى بعضها طلب الكفاف، و فى بعضها طلب الفقر، و فى بعضها الاستعاذه من الفقر، و وجه الجمع بينها أن يقال: المراد بطلب الغنى طلب الكفاف لأنّ الكفاف هو المطلوب عند أهل العصمه، و ليس المراد به ما هو المتعارف عن أبناء الدّنيا من جمع المال و اذخاره و الاتّساع به فوق الحاجه، فإنّ ذلك مناف لما هو المعهود من حالهم من طلاق الدّنيا و الزّهد فيها و قد قال أمير المؤمنين عليه السّلام:

عَلَّلَ النَّفْسَ بِالْكَفَافِ وَ إِلَّا طَلَبْتَ مِنْكَ فَوْقَ مَا يَكْفِيهَا

ما لما قد مضى و لا للذى لم يأت من لذّه لمستحليّها

إنّما أنت طول مدّه ما عمرت كالسّاعه التى أنت فيها

و رواه فى البحار من كتاب مطالب السّؤل لمحمّد بن طلحه، و قال أيضا من نظمه عليه السّلام

دليلك أنّ الفقر خير من الغنى أنّ قليل المال خير من المثرى

لقاؤك مخلوقا عصى الله بالغنى لم تر مخلوقا عصى الله بالفقر

و هذا هو الذى أراد النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم بقوله: نعم المال الصّالح للعبد الصّالح و المراد بطلب الفقر طلب قدر الحاجه و الكفاف لأنّ الكفاف فقر عند أهل الدنيا و إن كان يسارا عندهم عليهم السّلام و المراد بالاستعاذه من الفقر الاستعاذه ممّا دون الكفاف و هو الفقر عندهم عليهم السّلام و أقوى أفراده عند أهل الدّنيا هذا.

و قال المحدّث العلّامه المجلسىّ قدّس سرّه: سؤال الفقر لم يرو فى الأدعيّه بل ورد فى أكثرها الاستعاذه من الفقر الذى يشقى به و عن الغنى الذى يسير سببا لطغيانه انتهى.

و كيف كان فقد ظهر بذلك كلّ أنّ غرضه عليه السّلام بالسّؤال صون جاهه و عزّه باليسار لاستلزام الغنى احترام صاحبه عند عامّه النّاس كاستلزام الفقر لمهانته المبتلى به عندهم.

و لذلك عَقَبَه بقوله (و لا تبذل جاهي بالاقتار) أى لا تجعل مروّتى و حرمتى ساقطه عند النَّاس بضيق المعيشه و قَلَه النفقه، فإنَّ الاقتار يوجب الاستهانَه و الاحتقار و استخفاف النَّاس بالمتَّصف به.

و من هنا قال الصّادق عليه السّلام: لا تدعوا التّجاره فتهونوا.

و فى بعض الاثار أحسنوا تعهّد المال فإنّه ما افتقر أحد قطّ إلّا أصابه ثلاث خصال: رَقَه فى دينه، و ضعف فى عقله، و ذهاب من مروّته، و الرابعه هى العظمى و هى استخفاف الناس به.

و فى وصايا لقمان: يا بنى اكلت الحنظل و ذقت الصّبر فلم يكن أمرٌ من الفقر، فان افتقرت فلا تحدّث النَّاس كيلا ينتقصوك.

و ترك ابن المبارك دنانير و قال: اللهمّ إنك تعلم أنّى لم أجمعها إلّا لأصون بها حسبى و دينى.

و قالت الحكماء: المال يرفع صاحبه و إن كان وضيع النّسب قليل الأدب و ينصره و إن كان جباناً، و ينبسط لسانه و إن كان عيابه، يظهر المروه و يتم الرياسه يصلك إذا قطعك النَّاس، و ينصرك إذا اخذ لك الأقربون، و لولاه ما مدح كريم و لا صين حريم.

و كان بعضهم يقول: النَّاس لصاحب المال ألزم من الشعاع للشمس، و من الذّئب للمصر، و من الحكم للمقرّ، و هو عندهم أرفع من السّماء و أعذب من الماء و أحلى من الشهد و أزكى من الورد، خطاؤه صواب، و سيّئته حسنه و قوله مقبول، و حديثه مغسول، يغشى مجلسه و لا يملّ صحبته، و المفلس عند النَّاس أكذب من لمعان السّراب، و من سحاب تموز لا يسأل منه إن تخلف، و لا يسلمّ عليه إن قدم إذا غاب شتموه و إن حضر طردوه و إذا غضب ضعفوه، مصافحته تنقض الوضوء، و قراءته تقطع الصّلاه أثقل من الامانه و أبغض من المبرم الملحف.

و قد أكثر الشعراء فى نظمهم من هذا المعنى قال بعضهم:

فصاحه سبحان و خطّ ابن مقله و حكمه لقمان و زهد ابن أدهم

إذا اجتمعت للمرء و المرء مفلس فليس له قدر بمقدار درهم

و قال آخر:

و زيني للغنى أسعى فاني رأيت الناس شرّهم الفقير

و أبعدهم و أهونهم عليهم و إن أمسى له حسب و خير

و يكرهه النّدى و تزدريه خليلته و ينهره الصّغير

و يلقي ذو الغنى و له جلال يكاد فؤاد صاحبه يطير

قليل ذنبه و الذنب جمّ و لكن الغنى ربّ غفور

و قال آخر:

و لم أر بعد الدّين خيرا من الغنى و لم أر بعد الكفر شرا من الفقر

و قال الرّمخسرى:

لا تلمنى إذا رقيت الأواقي فالأواقي لماء وجهى اراقى

ثمّ المراد بالجاء أيضا الذى سأل عليه السّلام صونه باليسار و عدم ابتذاله بالاقتار ليس ما يقصد به الفخر و التّراّس كما هو شأن أهل الدنيا بل ما يستعان به على القيام بطاعه الله و عبادته و أداء حقوقه اللازمه و الذى من هو الله سبحانه به على الأنبياء و اشير إليه فى قوله تعالى «يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ».

و فى الحديث النبوى صلّى الله عليه و آله و سلّم اذا كان يوم القيامة دعى الله بعبد من عباده فيتوقّف بين يديه فيسأله عن جاهه كما يسأله عن ماله و قوله عليه السّلام (فأسترزق طالبى رزقك) الفاء للسّببيّه أى فيسبّب ابتذال جاهى بالاقتار أن أسترزق طالبى رزقك الذين من شأنهم أن يطلبوا منك الرزق لا أن يطلب منهم.

(و أستعطف شرار خلقك) أى أطلب العاطفه و الافضال من شرار خلقك الذين ليسوا بأهل الاستعطاف، و فى بيانه لهذين السببين تأكيد للالتجاء بالله تعالى فى

صيانته من الفقر و اعادته من الابتذال اذ فى استرزاق الخلق و استعطافهم من الذلّ و الخضوع و التملّق و المهانه للمسئول منه ما يجب أن يتصرّع إلى الله عزّ و جلّ فى الوقايه منه.

و قد تواترت الأخبار و الاثار و تطابقت الأشعار على ذمّ السّؤال و كراهه بذل الوجه فى الطلب من الخلق خصوصا ممّن لم يكن معروفا بالمعروف.

فمن ذلك ما فى الكافى عن عبد الأعلى بن أعين قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: طلب الحوائج إلى النّاس استلاب للعرّ مذهبه للحياء و اليأس مما فى أيدي النّاس عزّ للمؤمن فى دينه و الطمع هو الفقر الحاضر.

وفيه عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: إنّ الله تبارك و تعالى أحبّ شيئا لنفسه و أبغضه لخلقه أبغض لخلقه المسأله و أحبّ لنفسه أن يسأل و ليس شيء أحبّ إلى الله عزّ و جلّ من أن يسأل فلا يستحى أحدكم أن يسأل الله عزّ و جلّ من فضله و لو شجع نعله.

و روى عنه عليه السّلام اياكم و سؤال النّاس فأنّه ذلّ فى الدّنيا و فقر تعجّلونه و حساب طويل يوم القيامة.

و عن أبى جعفر عليه السّلام لو يعلم السائل ما فى المسأله ما سأل أحد أحدا، و لو يعلم المعطى ما فى العطية ما ردّ أحد أحدا.

و فى البحار عن النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم قال: قال الله عزّ و جلّ ما من مخلوق يعتصم بمخلوق دونى إلّا قطعت أسباب السّماوات و أسباب الأرض من دونه فان سألنى لم اعطه و إن دعانى لما اجهه، و ما من مخلوق يعتصم بى دون خلقى إلّا ضمنت السّماوات و الأرض رزقه فان دعانى أجبته و إن سألنى أعطيته و إن استغفرنى غفرت له.

و قال بعض السّيلف: من سأل حاجه فقد عرض نفسه على الرّث، فان قضاها المسئول استعبده بها و إن ردّه عنها رجع حرّا و هما دليان هذا بذلّ اللّوم و ذلك بذلّ الرّد، و من الشعر المنسوب إلى الحسين عليه السّلام:

أغن عن الخلق بالخالق تغن عن الكاذب بالصّادق

و استرزق الرّحمه من فضله فليس غير الله من رازق

و قال محمود الورّاق:

ساو الملوک قصورهم و تحصّنوا من كلّ طالب حاجه أو راغب

فارغب إلى تلك الملوک و لا تكن بادی الصّراعه طالبا من طالب

و قال آخر:

لموت الفتى خير من البخل للفتى و للبخل خير من سؤال فقير

لعمرك ما شيء لوجهك قيمه فلا تلق إنسانا بوجه ذليل

ثمّ الظّاهر أنّ مراده عليه السّلام بشرار الخلق فى قوله: و أستعطف شرار خلقك من لم يكن أهلا- للمعروف و من هو باللّوم موصوف، فان طلب العاطفه و البرّ منهم أمرّ على ذوى الوجوه من طعم الحنظل و العلقم و أدهى و أضرّ من إدخال اليد فى فم الأرقم.

قال شارح الصّحيحه السّجّاديه: قد روى أنّ فى زبور داود عليه السّلام إن كنت تسأل عبادى فاسأل معادن الخير ترجع مغبوطا مسرورا، و لا تسأل معادن الشرّ ترجع ملوما محسورا.

و روى المحدث الجزايرى عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: قلت: اللهم لا تحوجنى الى أحد من خلقك، فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: لا تقولنّ هكذا فليس من أحد إلّا و هو محتاج إلى النّاس، قال: فكيف أقول يا رسول الله؟ قال: قل: اللهم لا تحوجنى إلى شرار خلقك، قال: قلت: يا رسول الله و من شرار خلقه؟ قال: الذين إذا أعطوا منّوا و إذا منعوا عابوا.

و فى الأثر أنّ الله تعالى أوحى إلى موسى على نبينا و عليه السّلام لأن تدخل يدك فى فم التّنين إلى المرفق خير من أن تبسطها إلى غنى نشأ فى الفقر.

و فى كلامهم: لا شيء أوجع للأحرار من الرّجوع إلى الأشرار.

و قيل لأعرابي: ما السَّقم الَّذي لا يبرء و الجرح الَّذي لا يندمل؟ قال حاجه الكريم إلى اللّيم.

و أوصى بعضهم ابنه فقال: لا- تدنّس عرضك و لا- تبذلّ وجهك بالطلب إلى من ردّك كان ردّه عليك عيبا و ان قضى حاجتك جعلها عليك مئاً، و احتمل الفقر بالتزّه عمّا فى أيدي النّاس و الزم القناعه بما قد قسم لك.

و قال رجل لابنه: اياك أن تريق ماء وجهك عند من لا ماء فى وجهه رأى الاصمعى كنّاسا يكتّس كنيفا و هو ينشد:

و اكرم نفسى أنّى ان أهنتها و حقّك لم تكرم على أحد بعدى

و قال: فقلت له: يا هذا إنّك و الله لم تترك من الهوان شيئا إلّا و قد فعلته بنفسك مع هذه الحرفه، فقال: بلى و الله إنّنى صنتها عمّا هو أعظم من هذا من الهوان فقلت و ائى شىء هو؟ قال: سؤال مثلك، قال: فانصرفت عنه و أنا من أخزى النّاس.

و قال عمر بن أحمد الباهلى:

من يطلب المعروف من غير أهله يجد مطلب المعروف غير يسير

إذا أنت لم تجعل لعرضك جنه من الدّلّ سار الدّلّ كلّ مسير

و قال آخر:

و إذا بليت ببذل ماء وجهك سائلا فابذله للمتكرّم المفضل

إنّ الجواد إذا حباك بموعده أعطاكه سلسا بغير مطال

ما اعتاض باذل وجهه بمطاله عوضا و لو نال المنى بسؤال

و إذا السّؤال مع التّوال قرننه رجح السّؤال و خفّ كلّ نوال

و قال آخر:

اسأل العرف إن سألت جوادا لم يزل يعرف الغنى و اليسارا

فاذا لم تجد من الدّلّ بدّا فالتق بالدّلّ إن لقيت الكبارا

ليس إجلالك الكبير بذلّ إنّما الدّلّ أن تجلّ الصّغارا

و قال آخر:

إِنَّ الْغِنَى عَنْ لَثَامِ النَّاسِ مَكْرَمُهُ وَ عَنْ كِرَامِهِمْ أَدْنَى إِلَى الْكِرَمِ

و فى البحار من الكافى عن بكر الارقط أو ابن شبيب عن أبى عبد الله عليه السلام أنه دخل عليه واحد فقال له: أصلحك الله أنى رجل منقطع اليكم بمودتى و قد أصابتنى حاجه شديده و قد تقربت بذلك إلى أهل بيتى و قومى فلم يزدنى بذلك منهم الا بعدا، قال عليه السلام: فما أتاك الله خير مما أخذ منك، قال: جعلت فداك ادع الله أن يغينى من خلقه، قال عليه السلام إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَسَمَ رِزْقَ مَنْ شَاءَ عَلَى يَدَى مَنْ شَاءَ، و لكن اسأل الله أن يغنيك عن الحاجه التى تضطرّك إلى لثام خلقه.

قال العلامة المجلسى قدس سرّه: اللثام جمع اللّثيم يقال للشّحيح الدّنى النّفس و المهين و نحوهم، لأنّ اللّؤم ضدّ الكرم، و يؤمى الحديث إلى أنّ الفقر المذموم ما يصير سببا كذلك و غير ممدوح و ذمّه لأنّ اللّثيم لا يقضى حاجه و ربّما يلومه فى رفع الحاجه إليه و إذا قضاه لا يخلو من منّه، و يمكن أن يشمل الظالم و الفاسق المعلن بفسقه.

و فى كثير من الأدعيه: اللهم لا- تجعل لظالم و لا فاسق علىّ يدا و لا منّه و ذلك لأنّ القلب مجبول بحبّ من أحسن إليه و فى حبّ الظالم معاصى كثيره كما فى قوله تعالى «وَلَا تَوَكَّنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ» هذا.

و فى عطف قوله عليه السلام (و ابتلى بحمد من أعطانى و افتتن بدمّ من منعى) على ما سبق تأكيد آخر للاعاده من الاقتار الموجب لاسترزاق طالبى الرزق و استعطاف شرار الخلق المستلزمين للابتلاء ببناء المعطى و الافتتان بازراء المانع أى الميل إلى تعييبه دونه و الطعن عليه لكون النفوس مجبولة مفتونه بذلك بشهاده العيان و التجربه.

و يشير إليه أيضا قوله تعالى «و مِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسَخَطُونَ».

و إنّما أكّد عليه السلام التجاه إلى الله تعالى بذكر هذين اللّازمين لأنّ ابتلاء

العبد و افتتانه بحمد المخلوق و ذمّه معطيا و ما نعا يوجب انصرافه عن الخالق و عنايته بالمخلوق و هما خلاف وظيفه العبوديه.

و قوله عليه السّلام (و أنت من وراء ذلك كله وليّ الاعطاء و المنع) قد قلنا إنّ الجملة حاله أى لا تبذل جاهى بالاقتار فيلحقنى بسببه ما يلحقنى من المكاره المعدوده و الحال أنّك من وراء ذلك الخلق كلّ القيم بالاعطاء و المنع و القاهر القادر على التيسير و التقتير، لأنّ أزمه الامور كلّها بيد قدرتك.

و المراد بكونه من وراء الخلق سلطانه عليهم و احاطته بهم كما قال تعالى:

«بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ» قال أمين الاسلام قدّس سرّه: معناه أنّهم فى قبضه الله و سلطانه لا يفوتونه كالمحاصر المحاط به من جوابه لا يمكنه الفوات و الهرب و هذا من بلاغه القرآن.

و قوله عليه السّلام (انّك على كلّ شىء قدير) مسوق فى معرض التعليل لكونه عزّ و جلّ وليّ الاعطاء و المنع، أى أنت وليّهما بمقتضى عموم قدرتك على جميع الأشياء.

تبصره

هذا الدّعاء الذى نسبه الرّضى قدّس سرّه إلى أمير المؤمنين عليه السّلام قد روى عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام فى ضمن أدعيّه الصّحيّفه الكامله فى فقرات دعائه عليه السّلام فى مكارم الأخلاق باختلاف يسير و هو قوله عليه السّلام: اللهم صلّ على محمّد و آل محمّد و صن وجهى باليسار و لا تبذل جاهى بالاقتار فأسترزق أهل رزقك و أستعطى شرار خلقك، فافتتن بحمد من أعطانى و ابتلى بدم من منعى و أنت من دونهم وليّ الاعطاء و المنع، هكذا وجدته.

تذييل

قد تقدّم فى شرح الكلام السّادس و الأربعين فصل مبسوط فى فضل الدّعاء و التّغيب عليه و مطلوبيته من طريق العقل و النّقل و مطالب نفسه ينفعك مراجعتها فى هذا المقام، و أحببت أن اورد هنا بعض الأدعيّه الوارده فى طلب الرّزق

روى فى البحار من العيون عن الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

من أنعم الله عزّ وجلّ عليه نعمه فليحمد الله، و من استبطأ الرزق فليستغفر الله، و من حزنه أمر فليقل لا حول و لا قوّه إلا بالله.

و فيه من الخصال عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: الاستغفار يزيد فى الرزق.

و فيه من الكتاب العتيق الغرورى دعاء اللهم كما صنت وجهى عن السجود إلا لك فصنه عن طلب الرزق إلا منك، اللهم قونى على ما خلقتنى له و لا تشغلنى بما تكلفت «تكلفت ظ» لى به و اعصمنى ممّا تعاقبنى عليه.

و منه أيضا دعاء فى سجده الشكر لطلب الرزق: اللهم يا من لا يزيد ملكه حسناتى و لا تشينه سيئاتى و لا ينقص خزائنه غناى و لا يزيد فيها فقرى صلّ على محمّد و آل محمّد و أثبت رجاءك فى قلبى و اقطع رجائى عمّن سواك حتّى لا أرجو إلا إياك و لا أخاف إلاّ منك و لا أثق إلاّ بك و لا أتكّل إلاّ عليك، و أجرنى من تحويل ما أنعمت به علىّ فى الدّين و الدّنيا و الآخره أيام الدّنيا برحمتك يا أرحم الراحمين و فيه من علل الشرائع عن سليمان بن مقبل قال: قلت لأبى الحسن موسى عليه السلام: لأىّ عله يستحبّ للانسان إذا سمع الأذان أن يقول كما يقول المؤذنّ و إن كان على البول و الغايط؟ قال عليه السلام: إنّ ذلك يزيد فى الرزق.

و من الأمالى عن أحمد بن عامر عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم: من قال فى كلّ يوم مائة مرّه لا إله إلاّ الله الحقّ المبين، استجلب به الغنى و استدفع به الفقر و سدّ عنه باب النّار و استفتح له باب الجنّة.

و من ثواب الأعمال عن محمّد بن عمر رفعه إلى أبى عبد الله عليه السلام قال: من كتب على خاتمه ما شاء الله لا قوّه إلاّ بالله استغفر الله، أمن من الفقر المدقع.

و من المحاسن عن التّوفلىّ عن السّكونى عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من ألحّ عليه الفقر فليكثر لا حول و لا قوّه إلاّ بالله ينفى الله عنه الفقر.

و من تفسير العياشى عن التوفلى عن السيكونى عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام قال: إنّ النّبىّ صلى الله عليه وآله و سلم: فقد رجلاه فقال ما بطأ بك عنا؟ فقال: السقم و العيال فقال صلى الله عليه وآله و سلم: ألا أعلمك بكلمات تدعو بهنّ يذهب الله عنك السيّقم و ينفى عنك الفقر لا حول و لا قوّه إلاّ بالله العليّ العظيم توكلت على الحيّ الذى لا يموت الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا و لم يكن له شريك فى الملك و لم يكن له وليّ من الدّلّ و كبره تكبيرا.

و رواه فى الكافى عن أبى عبد الله عليه السلام نحوه و زاد فى آخره فقال الرّجل:

فو الله ما قلته إلاّ ثلاثه أيام حتى ذهب عني الفقر و السيّقم، و قد تقدّم تمامه بهذا الطريق فى شرح الخطبه المأتين و الثالثه عشر و فى البحار أيضا من عدّه الدّاعى عن الصادق عليه السلام لطلب الرزق: يا الله يا الله يا الله أسألك بحقّ من حقّه عليك عظيم أن تصلّى على محمّد و آل محمّد و أن ترزقنى العمل بما علّمتنى من معرفه حقّك و أن تبسط علىّ ما حظرت من رزقك و من الاختصاص عن القسم بن بريد عن أبيه قال دخلت على أبى عبد الله عليه السلام فقلت: جعلت فداك قد كان الحال حسنا و أنّ الأشياء اليوم متغيره، فقال عليه السلام:

إذا قدمت الكوفه فاطلب عشره دراهم فإن لم تصبها فبع و ساد من وسائدك بعشره دراهم ثم ادع عشره من أصحابك و اصنع لهم طعاما فاذا أكلوا فاسألهم فيدعوا الله لك، قال: فقدمت الكوفه فطلبت عشره دراهم فلم أقدر عليها حتى بعت و سادتا لى بعشره دراهم كما قال عليه الصّلاه و السّلام و جعلت لهم طعاما و دعوت أصحابى عشره فلما أكلوا سألتهم أن يدعوا الله تعالى فما مكثت حتى مالت علىّ الدّنيا، هذا.

و الأخبار فى هذا المعنى كثيره مرويه فى كتب أصحابنا منقوله عن أنمتنا عليهم صلوات الله الملك المّان المبين، و لنقتصر على ما أوردنا و الله الموقّق و هو الرّزاق ذو القوّه المتين.

از جمله دعای آن امام است بار الها حفظ بفرما قدر و منزلت مرا با غنا و وسعت معیشت، و مبتذل مکن جاه و مرتبه مرا با فقر و تنگی روزی تا این که محتاج شوم بطلب کردن روزی از طالبان روزی تو، و طلب کردن عاطفت و احسان از شریران خلق تو، و مبتلا شوم بتعریف و توصیف کسی که بمن ریزش نماید، و مایل شوم بمذمت آن کسی که از من مضایقه کند، و حال آنکه تو از پشت همه این خلق متولّی إعطاء و منع هستی، بدرستی که تو بر همه چیز قادر و قاهری.

و من خطبه له علیه السلام و هی المأثان و الرابعه و العشرون من المختار فی باب الخطب

اشاره

و هی مرویه فی البحار من کتاب عیون الحکمه و المواعظ باختلاف و زیاده کثیره تقف علیها إنشاء الله بعد الفراغ من شرح ما آورده السید فی المتن، و هو قوله علیه السلام:

دار بالبلاء محفوفه، و بالغدر معروفه، لا تدوم أحوالها، و لا تسلم نزالها، أحوال مختلفه، و تارات متصرفه، العیش فیها مذموم، و الأمان منها معدوم، و إنما أهلها فیها أغراض مستهدفه، ترمیهم بسهامها، و تفنیهم بحمامها.

واعلموا عباد الله أنكم و ما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى قبلكم ممن كان أطول منكم أعماراً، و أعمر دياراً، و أبعد آثاراً، أصبحت أصواتهم هامده، و رياحهم راكده، و أجسادهم باليه، و ديارهم خاليه، و آثارهم عافيه، فاستبدلوا بالقصور المشيده، و النمارق الممهده، الصخور و الأحجار المسنده، و القبور اللاطئه الملحده، التي قد بنى بالخراب فناءها، و شيد بالتراب بنائها، فمحلها مقرب، و ساكنها مغرب، بين أهل محلّه موحشين، و أهل فراغ متشاغلين، لا يستأنسون بالأوطان، و لا يتواصلون تواصل الجيران، على ما بينهم من قرب الجوار، و دنوّ الدّار.

و كيف يكون بينهم تزاور و قد طحنهم بكلّكله البلى، و أكلتهم الجنادل و الثرى، و كأن قد صرتم إلى ما صاروا إليه، و ارتهنكم ذلك المضجع، و ضمكم ذلك المستودع، فكيف بكم لو تناهت بكم الامور، و بعثرت القبور، هنالك تبلو كلّ نفس ما أسلفت و ردّوا إلى الله مولاهم الحقّ و ضلّ عنهم ما كانوا يفترون.

اللغة

(سلم) المسافر يسلم من باب تعب نجا و خلص من الافات و (تارات)

ص: ٣٢١

جمع تاره و هي مَرّه واحده و (الأغراض) جمع الغرض و هي الهدف الذي يرمى إليه السِّهام و (المستهدفه) بصيغه الفاعل أى منتصبه للرمى إليها، و فى بعض النسخ بصيغه المفعول أى جعلت هدفا و (همد) النَّار همودا من باب قعد ذهب حرّها و لم يبق منها شيء و همدت الرّيح سكنت.

و (المشيّده) بضمّ الميم و تشديد الياء و فتحها كما فى قوله تعالى «وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ» أى قصور مصونه و قيل: مجصّيه و قيل: مزينه، و فى بعض النسخ المشيده بفتح الميم و تخفيف الياء كما فى قوله تعالى «وَقَصِيرٍ مَّشِيدٍ» أى المعمول بالشّيد و الجصّ يقال: شدت البيت من باب باع أى بنيته بالجصّ و شاده شيّدا أى جصّصه.

و (النّمرق) و النمرقه بتثليث النّون و ضمّ الرّاء الوساده و هي المتكاء، و الجمع نمارق قال تعالى «وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ» و (المسنّده) بتشديد النّون و تخفيفها من سند إلى الشّيء من باب قعد و تعب اعتمد عليه كاستند إليه و يعدّى بالهمزه و التّضعيف يقال اسندته إلى الشّيء و سندته فسند هو و (اللّطأ) بالأرض من باب منع و فرح لصق و (لحد) القبر و ألحده عمل به لحدا و (فناء) البيت بالكسر ما امتدّ من جوانبه.

و (موحشين) فى بعض النسخ بصيغه الفاعل من أوحش المكان و توحش خلاء من الانس و أوحش النّاس أى انقطع و بعد قلوبهم عن المودّه و الالفه و فى بعضها بصيغه المفعول من أوحش الأرض وجدّها وحشه خاليه من الانس كلّها مأخوذه من الوحش و هو ما لا يستأنس من دواب البرّ و يقال إذا أقبل اللّيل: استأنس كلّ و حشّى و استوحش كلّ انسّى.

و (الكلكل) و زان جعفر الصّيدر و (الجنّدل) و زان جعفر أيضا ما يقلّله الرّجل من الحجاره و قد تكسر الدّال و (بعثرات القبور) أى قلبت ترابها و أخرج موتاها من بعثرت الشّيء و بعثرته إذا استخرجته و كشفته.

قوله عليه السلام: دار، خبر لمبتدأ محذوف أى الدنيا دار، وقوله: أحوال مختلفه أيضا خبر محذوف المبتدأ أى أحوالها أحوال مختلفه، وقوله: الأمان منها معدوم، فى نسخه الشارح المعتزلى و كذا البحرانى بدل منها فيها، وقوله: ترميهم بسهامها الباء للتعدية إلى المفعول الثانى أى ترمى إليهم سهامها، وقوله: تفنيهم بحمامها الباء للاله، وقوله: إنكم و ما أنتم فيه، الواو بمعنى مع، وقوله: فاستبدلوا بالقصور، الباء للمقابلة، وقوله: قد بنى بالخراب، الباء بمعنى على، و يؤيده ما فى بعض النسخ على الخراب بدله و هى للاستعلاء المجازى.

و قوله: بين أهل، متعلق بقوله: مغترب، و على فى قوله: على ما بينهم، بمعنى مع كما فى قوله تعالى «وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ» و قوله: «إِنَّ رَبَّكَ لَمَذُومٌ مَغْفِرٌ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ» و قوله: و قد طحنهم، الجملة فى محلّ النصب على الحال، و البلى فاعل طحن، و قوله: و كأن قد صرتم، مخفف كأن المشبهه و الاسم محذوف أى كأنكم، و يحتمل أن يكون ضمير شأن أى كأنه قد صرتم و على التقديرين فكأن هنا مفيدة للتقريب لأنّ شباهه الأحوال بعضها ببعض تفيد قرب بعضها من بعض، و قوله: فكيف بكم، الفاء فصيحه و كيف اسم استفهام فى محلّ الرفع خبر لمبتدأ محذوف أى فكيف الحال بكم.

المعنى

إشارة

اعلم أنّ الغرض من هذه الخطبة الشريفة التنفير عن الدنيا و التحذير منها و التنبيه على مساوئها و مخازيها الموجهة للتفرد و الحذر، قال عليه السلام (دار بالبلاء محفوفة) أى حفت بالمكاره و البليّات و أحاطت بها من كلّ جانب الآلام و الآفات و فى نسبه محفوفة إلى الدار توسّع و المراد كون أهلها محفوفة بها.

(و بالغدر معروفه) قال الشارح البحرانى: استعار لفظ الغدر عمّا يتوهم الانسان دوامها عليها من أحوالها المعجبه له كالمال و الصّحه و الشّباب فكأنّه فى مدّه بقاء تلك الأحوال قد أخذ منها عهدا فكأن التغير العارض لها المستلزم لزوال

تلك الأحوال أشبه شيء بالغدر، انتهى.

أقول: مراده عليه السلام أنها مشهوره بالغدر و الخداع، معروفه بالمكر و الغرور غير مختفيه حيلتها و مكيدتها على أهل البصيره، لأنها بكونها حلوه خضره محفوفه بالشهوات و مهياه للامال و الامتيازات، أعجبت الناس بشهواتها العاجله و تحببت إليهم بلذاتها الحاضره، و تزيتت بالغرور، فاعتز بها كل من كان غافلا- عن مكيدتها و افتتن بحبها كل من كان جاهلا بحقيقتها، حتى إذا أوقعتهم فى حبال محبتها أبدت ما كان مضمرأ فى باطنها من مكرها و حيلتها، فلم يكن امرء منها فى حبره إلا أعقبته بعدها عبره و لم يلق من سرائها بطنا إلا منحتة من ضرائها ظهرا، و لم ينل أحد من غضارتها رغبا إلا أرهقته من نوائبها تعبأ، فكم من واثق بها قد فجعتة، و ذى طمأنينه قد صرعتة، و ذى ابهه قد جعلته حقيرا، و ذى نحوه قد ردته ذليلا.

و كفى فى ايضاح غدرها ما قاله بعض قدماء أهل الحقيقه و البصيره من أنها الاخذة ما تعطى و المورثه بعد ذلك التبعه، السالبه لمن تكسو و المورثه بعد ذلك العرى، الواضعه لمن ترفع و المورثه بعد ذلك الجزع، التاركه لمن يعشقها و المورثه بعد ذلك الشقوه، المغويه لمن أطاعها الغداره بمن أئتمنها، هى المحبوبه التى لا تحب أحدا، الملزومه التى لا تلزم أحدا يوف لها و تغدر، و يصدق لها و تكذب و ينجز لها فتخلف، هى المعوجه لمن استقام بها، و المتلاعبه بمن استمكنت منه بيناهى تطعمه إذ حولته مأكولا، و بيناهى تخدمه إذ جعلته خادما، و بيناهى تضحكه إذ ضحكت منه، و بيناهى تشتمه إذ شتمت منه، و بيناهى تبكيه إذ بكت عليه، و بيناهى قد بسطت يده بالعطيه إذ بسطتها بالمسأله، و بينا هو فيها عزيز إذ أذلته، و بينا هو فيها مكرم إذ أهانتة، و بينا هو فيها معظم إذ حقرتة، و بينا هو فيها رفيع إذ وضعته، و بينا هى له مطيعه إذ عصته، و بينا هو فيها مسرور إذ أحزنته، و بينا هو فيها شعبان إذ أجاعته، و بينا هو فيها حى إذ أماتته.

فأف لها من دار هذه صفتها تضع التاج على رأسه غدوه، و تعفر خده بالتراب

عشيّه، و تحلى الأيدى بالأسوره عشيّه، و تجعلها فى الأغلال غدوه، و تقعد الرّجل على السرير غدوه، و ترمى به فى السجن عشيّه، تفرش له الدّياج عشيّه، و تفرش له التراب غدوه، و تجمع له الملاهى و المعازف غدوه، و تجمع عليه النوائح و النوادب عشيّه، تحبّ إلى أهله قربه عشيّه، و تحبّ إليهم بعده غدوه، تطيب ريحه غدوه، و تنتن ريحه عشيّه.

فهو فى كلّ ساعه متوقّع لسطوتها غير آمن غدرها و خديعتها، غير ناج من بلائها و فتنها، تمتّع نفسه من أحاديثها، و عينه من أعاجيبها، و يده من جمعها، ثمّ يصبح باكى العينين، صفر اليدين، فى أوديه الندامه و الحسره و الخذلان حيران.

و من ذلك كلّ علم أنها (لا تدوم أحوالها) بل يصير حياتها موتا و غناؤها فقرا و فرحها ترحا، و صحتها سقما، و قوّتها ضعفا، و عزّها ذلا، إلى غير هذه من حالاتها المتبدّله المتغيّره.

(و لا تسلم نزالها) أى لا تسلم النازل فى تلك الدّار من آلامها و آفاتها و صدماتها بل هو فى كلّ آن مترقّب لإصابه مكروه، و جل من كلّ بلاء.

فإنّ كلّ ذى جسد فيها لا ينفكّ جسده من أنّ الحرّ يذيبه، و البرد يجمده و السيّوم يتخلّله، و الماء يغرقه، و الشّمس تحرقه، و الهواء يسقمه، و السّباع يفترسه، و الطّير تنقره، و الحديد يقطعه، و الصّدم يحطمه.

ثمّ هو معجون بطينه من ألوان الأسقام و الأوجاع و الأمراض، فهو مرتهن بها مترصد لها دائما، لكونه مخلوقا من الأخلاط الأربعه التى لو غلب أحدها على الآخر أحدث أنواعا من المرض أ لا ترى إنّ أصحّ الأخلاط و أقربها إلى الحياه هو الدّم، فاذا خرج عن حدّ الاعتدال يموت صاحبه بموت الفجأه و الطّاعون و الاكله و السّرسام.

هذا كلّ مع ماله من مقارنه الافات السّبع التى لا يتخلّص منها ذو جسد، و هى الجوع، و الظّماء، و الحرّ، و البرد، و الخوف، و الجوع «و المرض ظ» و الموت.

أحوالها (أحوال مختلفه) إن جانب منها اعذوذ و احلولى أمرّ منها جانب فأوبى، لم تطل على أحد فيها ديمه رخاء إلا هتنت عليه مزنه بلاء، و لم يمس امرء منها فى جناح أمن إلا أصبح على قوادم خوف.

(و تارات متصرفه) يعنى أنّ حالاتها تتغير بأهلها تاره بعد اخرى، و مرّه بعد مرّه، فأنّها تنقل أقواما من الجذب إلى الخصب و من الرّجله إلى الرّكب، و من البؤس إلى النّعمه، و من الشّدّه إلى الرّخاء، و من الشّقاء إلى الرّاحه، ثمّ تنقلب بهم فتسلبهم الخصب و تنزع منهم النّعمه و الرّاحه.

و محصّيه أنّها دار تصرّف و انتقال و تقلّب من حال إلى حال صحتّها تتبدّل بالسّقم، و شبابها بالهرم، و غناها بالفقر، و فرحها بالترح، و سرورها بالحزن، و عزّها بالذلّ، و أمنها بالخوف.

بينما ترى المرء فيها مغتبطا محبورا و ملكا مسرورا فى خفض و دعه و نعمه و لذّه و أمن و وسعه، فى بهجه من شبابه و حداته من سنّه، و بهاء من سلطانه، و صحّه من بدنه إذا انقلبت به الدّنيا أسرّ ما كان فيها قلبا، و أطيب ما كان فيها نفسا، و أقرّ ما كان فيها عينا، و ألدّ ما كان فيها عيشا، فأخرجته من ملكها و غبطتها و خفضها و دعتها و بهجتها، فأبدلته بالعزّ ذلّا، و بالسّرور حزنا، و بالنّعمه نقمه، و بالغنى فقرا، و بالسّعه ضيقا، و بالشّباب هرما، و بالشّرف ضعه و بالحياه موتا.

ففارق الأحبّه و فارقه، و خذله إخوانه و تركوه، و صار ما جمع فيها مفزقا و ما عمل فيها متبرا، و ما شيّد فيها خرابا و صار اسمه مجهولا، و ذكره منسيّا، و حسبه خاملا، و جسده باليا، و شرفه وضيعا، و نعمته وبالا، و كسبه خسارا، و ورث أعداؤه سلطانه، و استدّلوا عقبه، و استباحوا حريمه، و تملّكوا أمواله، و نقضوا عهده و ملكوا جنوده، فافّ و تفّ لدار حالها هذا، و شأن ساكنها ذلك، و فّقنا الله تعالى للزّهد فيها و الاعراض عنها.

و بما ذكرنا ظهر أنّ (العيش فيها مذموم) و أراد بالعيش التّرفّه فيها و التّعمّ بلذّاتها و الالتذاذ بشهواتها و إنّما كان مذموما لكونه شاغلا عن التّوجه

إلى الحقّ و عن الالتفات إلى الآخرة، و معقبا للندم و الحسرة الطويلة و العذاب الشديد يوم القيامة.

قد وقع ذمّه فى كتاب الله تعالى و على ألسنه الأنبياء و الرّسل متجاوزا عن حدّ الاحصاء قال تعالى «إِعْلَمُوا أَنَّما الْحَياءُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِينَةٌ وَ تَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تَكَاثُرٌ فى الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَراهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطامًا وَ فى الْآخِرَةِ عَذابٌ شَدِيدٌ » و قال أيضا «مَنْ كانَ يُريدُ الْحَياءَ الدُّنْيا وَ زِينَتَها نُوفَّ إِلَيْها أَعْمالُها فِيها وَ هُمْ فِيها لا يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فى الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَ حَبِطَ ما صَيَّعُوا فِيها وَ باطَلَ ما كانوا يَعْمَلُونَ » و قد وقع تشبيه المتنعم باللذات الدنيويّه و المتلذذ بشهواتها الملهيه له عن التوجّه إلى عاقبه أمره و الالتفات إلى مال حاله فى كلام الحكماء برجل حمل عليه فيل مغتم، فانطلق موليا هاربا، فاتّبعه الفيل فغشيه حتّى اضطرّه إلى بثر فتدلّى فيها و تعلّق بغصنين نابتين على شفير البئر، فاذا فى أصلهما جردان يقرضان الغصنين أحدهما أبيض و الآخر أسود، فلمّا نظر إلى تحت قدميه فاذا رءوس أربع أفاع قد طلّعن من جحرهن، فلمّا نظر إلى قعر البئر إذا تنين فاغر فاه نحوه يريد التقامه، فلما رفع رأسه إلى أعلى الغصنين إذا عليهما شىء من عسل النحل فألهاه ما طعم منه و ما نال من لذّة العسل و حلاوته عن الفكر فى أمر الأفاعى اللواتى لا يدرى متى يبادرونه، و ألهاه عن التّنين الذى لا يدرى كيف مصيره بعد وقوعه فى لهواته أما الفيل فهو الأجل، و أمّا البئر فالدنيا المملوّه من الافات و البلايا و الشرور و أمّا الغصنان فالعمر، و أمّا الجردان فالليل و النهار يسرعان فى قطع العمر، و أمّا الأفاعى الأربعة فالأخلاق الأربعة التى هى السّموم القاتله من المّرّه و البلغم و الرّيح و الدّم التى لا يدرى صاحبها متى تهيج به، و أمّا التّنين الفاغر فاه ليلتقمه فالموت الرّاصد الطالب، و أمّا العسل الذى اغترّ بأكله فما ينال النّاس من عيش الدّنيا و لذّتها و شهوتها و نعيمها و دعتها من لذّة الطّعام و الشّراب و اللباس و الشم و اللمس و البصر، هذا هو العيش المذموم.

و بقباله العيش الممدوح و هو العيش الهنيء الذى اشير إليه فى الحديث القدسى المروى فى البحار من إرشاد القلوب للديلمى عن أمير المؤمنين عليه السلام إنّ الله تعالى شأنه قال للنبي صلى الله عليه وآله و سلم ليله المعراج فى جملة مخاطباته: يا أحمد هل تدري أى عيش أهنى و أى حياه أبقي؟ قال: اللهم لا، قال: أما العيش الهنيء فهو الذى لا يفتر صاحبه عن ذكرى و لا ينسى نعمتى و لا- يجهل حقى، يطلب رضائى فى ليله و نهاره، و أما الحياه الباقية فهى التى تعمل لنفسه حتى تهون عليه الدنيا و تصغر فى عينه و تعظم الاخره عنده و يؤثر هواى على هواه، و يتغى مرضاتى، و يعظم حق عظمتى، و يذكر عملى به، و يراقبنى بالليل و النهار عند كل سيئه أو معصيه، و ينقى قلبه عن كل ما أكره، و يبغض الشيطان و وساوسه، و لا يجعل لابليس على قلبه سلطانا و لا- سييلا، فاذا فعل ذلك أسكنت قلبه حبا حتى اجعل قلبه لى و فراغه و اشتغاله و همّه و حديثه من النعمه التى أنعمت بها على أهل محبتى من خلقى و أفتح عين قلبه و سمعه حتى يسمع بقلبه و ينظر بقلبه إلى جلالى و عظمتى، و أضيق عليه الدنيا و أبغض إليه ما فيها من اللذات، و أحذرّه من الدنيا و ما فيها كما يحذر الرّاعى على غنمه مراتع الهلكه فاذا كان هكذا يفترّ من الناس فرارا، و ينقل من دار الفناء إلى دار البقاء، و من دار الشيطان إلى دار الرحمن، يا أحمد لأزيتّه بالهيبة و العظمه، فهذا هو العيش الهنيء و الحياه الباقية، و هذا مقام الرّاضين، الحديث (و الأمان فيها معدوم) لأنها إذا كانت بالبلاء محفوفه و بالخديعه موصوفه مختلفه الحالات متصرفه التارات حسبما عرفت تفصيلا و توضيحا فكيف يؤمن من بوائقها و يطمنّ من طوارقها، و كيف يسلم من فجعتها و يستراح من خدعتها، و يتخلص من غيلتها؟!

فهى غراره ضراره حائله زائله نافذه بائده أكاله غوّاله حيّها بعرض موت و صحيحها بعرض سقم، ملكها مسلوب، و مالها منهوب، و عزيزها مغلوب، و موفورها منكوب، كيف لا و قد رايتها تنكرها لمن أمن بها و دان لها و اطمئنّ إليها حتى ظعنوا عنها لفراق الأبد هل زوّدتهم إلا السغب، أو أحلتهم إلا الضنك،

أو نُورَت لهم إِلَّا الظلمه، أو أعقبتهم إِلَّا الحسره و الندامه، فبُست الدّار لمن لم يَتَّهمها و لم يكن فيها على وجل.

(و انما أهلها فيها أغراض مستهدفه ترميهم بسهامها) قال الشارح البحراني استعار لفظ الأغراض و رشح بذكر الاستهداف و كذلك استعار لفظ الرّمي لايقاع المصائب بهم و رشح بذكر السهام.

أقول: بل هو استعاره مكنيه تخيليه ترشيحيه فأنّه عليه الصلاه و السلام شبه الدّنيا بنبال ينصب غرضا و يتخذ هدفا يرمى إليه بسهامه، فطوى عن ذكر المشبّه به و ذكر المشبّه كما هو شأن الاستعاره المكنيه، و أثبت له ما هو من لوازم المشبّه به تخيلا و هو الأغراض و السهام، و رشح بذكر ما هو من ملايمات المشبّه به و هو الرّمي و الاستهداف.

و محصّل المراد أنّ الناس في الدّنيا بمنزله أغراض منصوبه للهدفه ترمى الدّنيا إليهم بسهامها أي مصائبها و محنها و آلامها قال الشاعر:

رمانى الدّهر بالارزاء حتّى فؤادى فى غشاء من نبال

فصرت إذا أصابتى سهام تكسّرت النصال على النصال

و قوله عليه السّلام (و تفنيهم بحمامها) ترشح آخر أى تهلكهم بموتها.

ثمّ ذكرهم بالاعتبار بأحوال السلف الماضين و ما جرت عليهم من تقلّبات الدّنيا و تصاريফها و تنكّر حالاتها و اغتيالها لهم و ما صار إليه عاقبه أمورهم ايضاحا بذلك لما قدّمه سابقا من غدر الدّنيا و عدم دوام أحوالها و سلامه نزالتها و انتفاء الأمان فيها و إفنائها بحمامها و تنبيها به على أنّ الباقين فيها سيحلّقون بالماضين و يحذون حذوهم و ينقلون من القصور إلى القبور، و يبدّلون السّرور بالويل و الثّبور.

فقال عليه السّلام (و اعلموا عباد الله أنكم و ما أنتم فيه من هذه الدّنيا) من متاعها و حطامها و زبرجها و زخارفها (على سبيل من قد مضى قبلكم) من أهل الدّيار الخاليه و الربوع الخاويه (ممنّ كان أطول منكم أعمارا) منهم عوج بن عناق كان جبارا عدو الله و للاسلام، و له بسطه فى الجسم و الخلق

و كان يضرب يده فيأخذ الحوت من أسفل البحر ثم يرفعه إلى السماء فيشويه في حرّ الشمس و كان عمره ثلاثه آلاف و ستمائه سنه.

و منهم عاد قوم هود فقد كانت بلادهم في البادية و كان لهم زرع و نخل كثير و لهم أعمار طويله فعبدوا الأصنام و بعث الله إليهم هودا يدعوهم إلى الاسلام و خلع الأنداد فأبوا.

و منهم شداد بن عاد الذي بنى ارم ذات العماد في عدّه ثلاثمأه سنه و كان عمره تسعمائه سنه قال في إكمال الدّين: وجدت في كتب معمر أنّه ذكر عن هشام بن سعيد الرّحال، قال: إنّنا وجدنا حجرا بالاسكندرّيّه مكتوبا فيه: أنا شدّاد بن عاد أنا شيدت إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد، و جنّدت الأجناد و شدّدت بساعدي الواد.

و منهم لقمان بن عاد و كان من بقيّه عاد الاولى فقد روى أنّه عاش ثلاثه آلاف و خمسمائه سنه.

و منهم فرعون ذو الأوتاد قال في مجمع البيان: قال الضّحّاك: أنّه عاش أربعمائه سنه و كان قصيرا ذميما و هو أوّل من خضب بالسّواد.

و منهم عمرو بن عامر الملقّب بمزيقيا و ماء السّيماء ملك أرض سبا فقد عاش ثمانمائه سنه أربعمائه سنه سوقه في حياه أبيه و أربعمائه سنه ملكا و كان يلبس كلّ يوم حليتين في سنّى ملكه فاذا كان بالعشّى مزق الحليتين حتّى لا يلبسهما أحد غيره سمّى مزيقيا و سمّى بماء السّماء أيضا لأنّه كان حياه أينما نزل كمثّل ماء السّماء.

و منهم أبو هبل بن عبد الله بن كنانه عاش ستمائه سنه.

و منهم جلهمه بن اود و يقال له طيّ و اليه تنسب قبيله طيّ كلّها، و كان له ابن أخ يقال له: بجابر بن ملك بن اود، و قد عاش كلّ منهما خمسمائه سنه.

و منهم عبيد بن الأبرص عاش ثلاثمأه سنه فقال:

فنيّت و أفناني الزّمان و أصبحت لدىّ بنو العشرون هنّ الفواقد

و منهم عزيز مصر الذي كان في زمن يوسف و أبوه و جدّه و هم الوليد بن

الرّيان بن ذوسع و كان عمر العزيز سبعمائه سنه و عمر الرّيان ألف و سبعمائه سنه و عمر ذوسع ثلاثه آلاف سنه.

و منهم الضّحّاك صاحب الحيتين عاش ألفا و مأتى سنه.

و منهم افريدون العادل عاش فوق ألف سنه.

و منهم الملك الذى أحدث المهرجان فقد زعمت الفرس أنّه عاش ألفى سنه و خمسمائه.

إلى غير هؤلاء من المعمرين الذين لا نطول بذكرهم، و أنّما ذكرنا هؤلاء تاييدا لما قاله أمير المؤمنين عليه السّلام و ايضاحا له، لأنّ هؤلاء مع كونهم أطول أعمارا قد كانوا (أعمر ديارا و أبعد آثارا) أيضا حسبما أشرنا إليه.

و المراد ببعد الآثار بعدها عن أن يقتدر على مثلها المخاطبون الذين خاطبهم عليه السّلام بهذه الخطبه و كفى بذلك شاهدا بناء الهرمين بمصر، و هما إلى الان باقيان و قد بناهما عزيز مصر وليد بن الرّيان كما نقله تفصيلا الصّدوق فى كتاب اكمال الدّين و قد اشير الى بعد آثار بعض من تقدّم ذكرهم فى قوله تعالى «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ وَ ثَمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ وَ فِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ».

قال أمين الاسلام الطّبرسى: الايه خطاب للنّبي صلّى الله عليه و آله و سلّم و تنبيه للكفّار على ما فعله سبحانه بالامم السّالفه لما كفرت بالله و بأنبيائه و كانت أطول أعمارا و أشدّ قوّه و عاد قوم هود.

و اختلفوا فى إرم على أقوال:

أحدها أنّه اسم قبيله و قيل إنّّه جدّ عاد و هو عاد بن عوص بن إرم بن سام ابن نوح.

و ثانيها أنّه اسم بلد و هو دمشق و قيل: هو مدينه الاسكندريّه و قيل مدينه شدّاد بن عاد فلمّا أتمّها و أراد أن يدخلها أهلكه الله بصيحه نزلت من السّماء

و ثالثها أنّه لقب عاد و قوله «ذات العماد» معناه ذات الطول و الشدّه و قيل: ذات الأبنيه العظام المرتفعه، و قال ابن زيد ذات العماد فى احكام البنيان «التي لم يخلق مثلها» أى مثل أبنيتها «فى البلاد و ثمود الذين جابوا الصخر بالواد» أى قطعوا الصخر و نقبوها بالوادى الذين كانوا ينزلونه و هو وادى القرى.

قال ابن عباس: كانوا ينحتون الجبال فيجعلون منها بيوتا كما قال تعالى «وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ» «وَفِرْعَوْنُ ذِي الْأُوتَادِ» قال على بن إبراهيم القمى عمل الاوتاد التى أراد أن يصعد بها إلى السماء.

و قال الطبرسى قيل فى معناه أقوال:

أحدها أنه كانت له ملاعب من أوتاد يلعب له عليها.

و الثانى انه كان يعذب بالأوتاد و ذلك أنه إذا غضب على أحد و تد يديه و رجله و رأسه على الأرض و الثالث أنّ معناه ذو البنيان و البنيان أوتاد.

و الرابع أنه ذو الجموع و الجنود الكثيره بمعنى أنهم يشددون ملكه و يقوون أمره كما يقوى الوتد الشىء.

و الخامس أنه سمى ذو الأوتاد لكثرة جيوشه السائره فى الأرض و كثره أوتاد خيامهم فعبر بكثرة الأوتاد عن كثره الأجناد و كيف كان فقد ظهر بذلك كلّ أنّ السلف الماضين كانوا طويله الأعمار عامره الديار بعيدة الاثار من أن يصفها الواصفون أو يقوى على إتيان مثلها الغابرون و مع اتصافهم بهذه الابهه و العظمه و القوّه و الجلال:

(أصبحت أصواتهم هامده) و هذه الجملة استينافيه بيانيه فانه لما نبّه المخاطبين على أنهم على سبيل من قد مضى قبلهم فكان لقائل أن يستفهم و يقول: كيف كان حال الماضين و مال أمرهم؟ أجاب عليه السلام بأنّ أصواتهم العاليه الجمهوريه بالأمر

و النّهي و الحكم و الالتزام صارت ساكنته ذاهبه الاثر بالمرّه.

(و رياحهم راكده) قال الشارح البحراني: ركود رياحهم كناية عن سكون أحوالهم و خمول ذكرهم بعد العظمه في الصّيدور انتهى.

و الأظهر أن يراد أنّ أعاصيرهم العاصفه الشديده الهبوب التي كانت تهب بالزّرق و الفتق و السّياسات صارت ساكنه.

(و أجسادهم باليه) بعد بضاضتها و نضارتها (و ديارهم خاليه) من أهلها بعد عمارتها (و آثارهم عافيه) مندرسه بعد عظمتها و جلالتها.

(فاستبدلوا بالقصور المشيده) المجصّيه صه الزّفيعة البنيان المحكمه القواعد و الأركان (و النمارق الممهّده) أى الوسائد المهيئه للمتكنين (الصخور و الأحجار المسنّده) اى المستنده بعضها إلى بعض أو أنها كانت لهم سنادا (و القبور اللّاطئه الملحده) أى اللاصقه بالأرض المعمول لها اللّحد (التي قد بنى بالخراب فناؤها) أى على الخراب، و المراد خراب نفس القبور و تسرّع انهدامها، و انما نسب البناء إلى الفناء و لم يقل قد بنيت بالخراب، لأنّه من باب الكنايه باقتضاء البلاغه و قد عرفت في ديباجه الشرح في مبحث الكنايه أنّهم يقصدون إثبات شيء لشيء فيتركون التصريح باثباته له و يثبتونه لمتعلّقه كما في قول الشّاعر:

إنّ المروّه و السّماحه و الندى في قبه ضربت على ابن الحشر

جعل الأوصاف الثلاثه في قبه الممدوح و كنى به عن ثبوتها له و قول الاخر في وصف الخمر

صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها لو مسّها حجر مسّته سرّاء

كنى عن نفى الحزن عنها بنفيها عن ساحتها و هو أبلغ من التّصريح به و يحتمل أن يكون المراد خراب الأبدان المدفونه فيها و فناؤها بالبلّى (و شيّد بالتراب بناؤها) و في وصفها بذلك أى يكون شيدها التراب دون الجصّ ايماء إلى هوانها و هوان من دفن فيها.

(فمحلّها مقترّب و ساكنها مغترب) يحتمل أن يكون المراد أنّ محلّ القبور و مكانها قريب من الأحياء و لكن ساكنها غريب عنهم، و أن يكون المراد أنّ محلّ كلّ منها قريب من الآخر و لكن ساكنوها غرباء، يعنى أنّهم تدانوا فى خطّطهم و قربوا فى مزارهم و بعدوا فى لقائهم.

(بين أهل محلّه موحشين) أى ذوى وحشه ليس بينهم مودّه و لا- الفه و على كون موحشين بصيغه المفعول فالمعنى استيحاش الاحياء منهم، و حاصله أنّهم لا يستأنسون بأحد و لا يستأنس بهم أحد لا من الأحياء و لا من الأموات (و أهل فراغ متشاغلين) أى فراغ من الأمور الدنيويّه متشاغلين بالأمور البرزخيّه من السؤال و الجواب و الثواب و العقاب.

(لا يستأنسون بالأوطان) كاستيناس الاحياء بأوطانهم (و لا يتواصلون تواصل الجيران) كتوصّل أهل الدّنيا بجيرانهم (على ما بينهم من قرب الجوار و دنوّ الدّار) و حاصله أنّهم جيران لا- يتأنسون و أحياء لا يتزاورون، بليت بينهم عرى التّعارف، و انقطعت منهم أسباب التّواصل، فكلّهم و حيدوهم جميع، و بجانب الهجران و هم جيران (و كيف يكون بينهم تراور) و تأنّس (و قد طحنهم بكلّكله البلى) استعاره بالكنايه شبه البلى بالجمل الضّروس الذى يرضّ و يدقّ ما يركب عليه بكلّكله أى صدره فأثبت له الكلّكل تخيلاً، و الطحن ترشيحاً، و الجامع أنّ البلى يجعل الأجساد أجزاء دقّاقاً مثل الدّقيق و الطّحين، و كذلك يجعل الضّروس بكلّكله ما برك عليه عند الصّيّال، و محصّله استبعاد تراورهم مع اضمحلال أجسامهم و انحلالها بالبلى و كونهم ممزّقين كلّ ممزّق (و أكلتهم الجنادل و الثرى) استعاره تبعيّة كما فى قولهم: نطق الحال، و المراد إفناؤها لهم، فاستعار لفظ الاكل للافناء أى كيف يكون بينهم تراور و قد أفنتهم الجنادل و التّراب هذا.

و لا يخفى عليك أنّ إنكار التّراور و التّأنس إمّا مخصوص بغير المؤمنين

أو محمول على التزاور بالأجساد، وهو الأظهر، لأنّ المستفاد من الأخبار الكثيره ثبوت التزاور بين أرواحهم، وقد مضت عدّه منها فى أواخر التّذييل الثالث من شرح الفصل السّابع من فصول الخطبه الثانيه و الثّمانين فليراجع ثمّه.

و رويت هنا مضافا إلى ما سبق من البحار من المحاسن عن ابن محبوب عن إبراهيم بن إسحاق الجازى قال: قلت لأبى عبد الله عليه السّلام أين أرواح المؤمنين؟ فقال: أرواح المؤمنين فى حجرات الجنّه يأكلون من طعامها و يشربون من شرابها و يتزاورون فيها و يقولون ربّنا أقم لنا السّاعه لتنجز لنا ما وعدتنا، قال: قلت:

فأين أرواح الكفار؟ فقال: فى حجرات النّار يأكلون من طعامها و يشربون من شرابها و يتزاورون فيها و يقولون: ربّنا لا تقم لنا السّاعه لتنجز لنا ما وعدتنا.

و من المحاسن أيضا عن ابن فضّال عن حماد بن عثمان عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: ذكر الأرواح أرواح المؤمنين فقال: يلتقون، قلت: يلتقون؟ قال: نعم يتساءلون و يتعارفون حتى إذا رأيته قلت فلان.

و فيه من الكافى باسناده عن أبى بصير عن أبى عبد الله عليه السّلام إنّ الأرواح فى صفه الأجساد فى شجر الجنه تعارف و تسائل، فاذا قدمت الرّوح على الأرواح تقول:

دعوها فانها قد أقبلت من هول عظيم، ثمّ يسألونها ما فعل فلان و ما فعل فلان، فان قالت لهم: تركته حيا ارتجوه، و إن قالت لهم: قد هلك، قالوا: قد هوى هوى و الاخبار فى هذا المعنى كثيره و لا حاجه إلى الاطاله.

ثمّ إنه عليه السّلام لما ذكر المخاطبين بشرح أحوال الماضين و عظم ما حلّ بهم من احوال القبر و دواهيهِ عقّب عليه السّلام ذلك بالتنبيه على قرب لحاقهم بهم فقال (و كأن قد صرتم إلى ما صاروا إليه) أى انتقلتم من ذروه القصور إلى هذه القبور و بدّلتم النّمارق الممهّده بالأحجار المشيده، و دار الانس و العيش و السّعه بيت الوحده و الوحشه و الضيق و الغربه (و ارتهنكم ذلك المضجع) أى أخذكم أخذ المرتهن لرهنه (و ضمّمكم ذلك المستودع) أى ضغطكم القبر الذى هو محلّ الاستيداع

قال الشارح البحراني: و اطلق عليه لفظ المستودع باعتبار كونهم سيخرجون منه يوم القيامة، انتهى.

و قد تقدّم بيان ضغطه القبر تفصيلا و تحقيقا مع الأخبار الواردة فيها في التذييل الثالث من شرح الفصل السابع من الخطبه الثانيه و الثمانين و لا حاجه إلى الاعاده.

ثم ذكرهم عليه السلام بدواهي القيامة و أفزاعها فقال (فكيف بكم لو تناهت بكم الأمور) أى الامور البرزخيه (و بعثت القبور) أى قلب ترابها و بعث الموتى الذين فيها و جدّدوا بعد اخلاقهم و جمعوا بعد افتراقهم لنقاش الحساب و معاينه الجزاء و هذه اللفظه من ألفاظ الكتاب العزيز قال سبحانه «إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وَ إِذَا الْكُوَاكِبُ انْتَشَرَتْ وَ إِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ وَ إِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَ أَخَّرَتْ » و قال أيضا «أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ وَ حُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ » أى بحث عن الموتى فاخرجوا عنها يعنى عند البعث.

(هنا لك تبلو كلّ نفس ما أسلفت و ردّوا إلى الله مولاهم الحقّ و ضلّ عنهم ما كانوا يفترون) اقتباس من الايه الشريفه فى سوره يونس أى فى ذلك المقام يعنى مقام البعث تختبر كلّ نفس ما قدّمت من عمل فتعائين نفعه و ضرّه، و قرء بعضهم تتلو أى تقرأ من التلاوه أو تتبع من التلو، و ردّوا إلى الله مولاهم الحقّ أى إلى ربّهم الصّادق ربوبيّته المتولّى لأمرهم على الحقيقه لا ما اتّخذوه موليو ضلّ عنهم ما كانوا يفترون، أى ضاع عنهم ما كانوا يدعونه أنّهم شركاء الله و أنّهم تشفع لهم روى فى البحار من كتاب مطالب السّؤل عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال:

انظروا إلى الدّنيا نظر الزّاهدين فيها فإنّها و الله عن قليل تشقى المترف، و تحرّك السيّاكن، و تزيل الثّاوى، صفوها مشوب بالكدر، و سرورها منسوج بالحزن، و آخر حياتها مقترن بالضعف، فلا يعجبنكم ما يغرنكم منها فعن كشب تنقلون

عنها، و كل ما هو آت قريب، و هنا لك تبلو كل نفس ما اسلفت و ردّوا إلى الله موليهم الحق و ضلّ عنهم ما كانوا يفترون.

تكملة

هذه الخطبة رواها المحدث العلامة المجلسي قدس سرّه في المجلّد السابع عشر من البحار من كتاب عيون الحكمة و المواعظ لعلّي بن محمّد الواسطي قال:

و من كلام له عليه السّلام: إنكم مخلوقون اقتدارا، و مربوبون اقتسارا، و مضّمّنون أجداثا، و كائنون رفاتا، و مبعوثون افرادا، و مدينون جزاء، و مميّزون حسابا، فرحم الله عبدا اقترف فاعترف، و وجل فععمل، و حاذر فبادر، و عبّر فاعتبر، و حذر فازدجر، و أجاب فأناب، و راجع فتاب، و اقتدى فاحتدى، فأسرع طلبا، و نجا هربا فأفاد ذخيره، و أطاب سريرته، و تأهب للمعاد، و استظهر بالزّاد، ليوم رحيله، و وجه سبيله، و حال حاجته، و موطن فاقته، تقدّم امامه لدار مقامه فمهّدوا لأنفسكم في سلامه الأبدان، فهل ينتظر أهل غضاره الشّباب إلّا حوانى الهرم، و أهل بضاضه الصّحّه إلّا نوازل السّقم، و أهل مدّه البقاء إلّا مفاجاه الفناء، و اقتراب الفوت و دنوّ الموت، و ازوف الانتقال، و اشفاء الزّوال، و حفى الأنين، و رشح الجبين، و امتداد العرنيين، و علز القلق، و فيض الرّمق، و ألم المضض، و غصص الجرض.

و اعلموا عباد الله أنكم و ما أنتم فيه من هذه الدّنيا على سبيل من قد مضى ممّن كان أطول منكم أعمارا، و أشدّ بطشا، و أعمر ديارا، و أبعد آثارا، فأصبحت أصواتهم هامده جامده من بعد طول تقلبها، و أجسادهم باليه، و ديارهم خاليه، و آثارهم عافيه، و استبدلوا بالقصور المشيّد، و السّرور و التّمارق الممهّده، الصّخور و الأحجار المسنده، في القبور اللاطئه الملحده التي قد بين الخراب فنائها و شيد التراب بنائها، فمحلّها مقرب و ساكنها مغرب، بين أهل عماره موحشين، و أهل محلّه متشاغلين، لا يستأنسون بالعمران، و لا يتواصلون الجيران و الاخوان على ما بينهم من قرب الجوار و دنوّ الدّار.

و كيف يكون بينهم تواصل و قد طحنهم بكللكه البلى، فأكلهم الجنادل و الثرى، فأصبحوا بعد الحياه أمواتا، و بعد غضاره العيش رفاتا، فجع بهم الأحباب و سكنوا التراب، و ظعنوا فليس لهم ايباب، هيهات هيهات «كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا و من ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون».

و كأن قد صرتم إلى ما صاروا إليه من البلى و الوحده فى دار الموت، و ارتهنتهم فى ذلك المضجع، و ضمكم ذلك المستودع، فكيف بكم لو قد تناهت الامور، و بعثت القبور و حصّل ما فى الصّيدور و وقعتم للتحصيل، بين يدى الملك الجليل، فطارت القلوب لاشفاقها من سلف الذنوب، هتكت منكم الحجب و الأستار، و ظهرت منكم العيوب و الأسرار «هنا لك تجزى كلّ نفس بما كسبت» إنّ الله يقول «لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَ يَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى».

اغتنموا أُنْيَام الصّحّه قبل السقم، و أيام الشيبه قبل الهرم، و بادروا بالتوبه قبل النّدم، و لا يحملنكم المهله على طول الغفله، فان الأجل يهدم الأمل، و الأيّام موكله بنقص المدّه، و تفريق الأحبّه.

فبادروا رحمكم الله بالتوبه قبل حضور النوبه، و بروز اللّعبه التى لا ينتظر معه الأوبه و استعينوا على بعد المسافه بطول المخافه.

فكم من غافل وثق لغفلته، و تعلّل بمهلتة، فأمل بعيدا، و بنى مشيدا، فنقص بقرب أجله بعد أمله، فأجابه متيّته، فصار بعد العزّ و المنعه و الشرف و الرفعه مرتها بموبقات عمله، قد غاب فما رجع، و ندم فما انتفع، و شقى بما جمع فى يومه و سعد به غيره فى غده، و بقى مرتها بكسب يده، زاهلا- عن أهله و ولده، لا يغنى عنه ما ترك فتىلا، و لا يجد إلى مناص سبيلا فعلمهم عباد الله التعرّج و الدّلع و إلى أين المفزّ و المهرب، و هذا الموت فى الطلب يخترم الأوّل فالأوّل، لا يتحنّن على ضعيف، و لا يعرّج على شريف، و الجديد ان يحثّان الأجل تحثشا، و يسوقانه سوقا حثشا، و كلّ ما هو آت فقريب، و من وراء ذلك العجب العجب فأعدّوا الجواب يوم الحساب، و أكثروا الزّاد ليوم المعاد، عصمنا الله و إياكم بطاعته، و أعاننا و إياكم

على ما يقرب إليه و يزلف لديه، فانما نحن به و له إِنَّ اللَّهَ وَقَّتْ لَكُمْ الاجال، و ضرب لكم الأمثال، و ألبسكم الرياش، و أرفع لكم المعاش، و آثركم بالنعيم السوابغ، و تقدم إليكم بالحجج البوالغ، و أوسع لكم فى الرفد الرافع، فتنهزوا فقد أحاط بكم الاحصاء، و ارتهن لكم الجزاء القلوب قاسيه عن حظها، لا-هيه عن رشدها، اتّقوا اللَّهَ تقّيّه من شمرّ تجريدا، و جدّ تشميرا و انكمش فى مهل، و أشفق فى وجل، و نظر فى كثره الموئل، و عافيه الصبر، و معيه المرجع، و كفى باللّهِ منتقما و نصيرا، و كفى بكتاب اللَّه حجيحا و خصيما.

رحم اللَّه عبدا استشعر الحزن، و تجلبب الخوف و أضمر اليقين، و عرى من الشك فى توهم الزوال، فهو منه على و بال، فزهر مصباح الهدى فى قلبه، و قرّب على نفسه البعيد، و هوّن الشديد، فخرج من صفه العمى، و شاركه الموتى و اجتاز من مفاتيح الهدى، و مغاليق أبواب الردى، و استفتح بما فتح العالم به أبوابه، و خاض بحاره، و قطع غماره، و وضحت له سبيله و مناره، و استمسك من العرى بأوثقها، و استعصم من الجبال بأمتنها، خواض غمرات، فتاح مبهمات، دافع معضلات امه و لا- مطيه إلاّ قصدها

تنبيه

قد تقدّم أوائل فقرات هذا الكلام بهذه الروايه إلى قوله و غصص الجرض فى ضمن فقرات الخطبه الثانيه و الثمانين باختلاف أيضا فانظر ما ذا ترى و بما ذكرناه فى شرح هذه الخطبه و الخطب المتقدمه يتّضح لك قريب «غريب ظ» ما فى هذه الروايه و لا حاجه إلى الاعاده هذا.

و يستفاد من بعض الروايات كون هذه الخطبه مع الكلام الثانى و الأربعين ملتقطين من خطبه طويله، و هو ما رواه أيضا فى المجلّد السابع عشر من البحار فى موضع آخر من مناقب ابن الجوزى قال: خطبه و يعرف بالبالغه.

روى ابن أبي ذئب عن أبي صالح العجلي قال: شهدت أمير المؤمنين كرم الله وجهه وهو يخطب فقال بعد أن حمد الله تعالى و صلى على محمد رسوله صلى الله عليه وآله وسلم:

أيها الناس إن الله أرسل إليكم رسولا- ليربح به عليكم، ويوقظ به غفلتكم وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل، أما اتباع الهوى فيصدكم عن الحق، وأما طول الأمل فينسيكم الآخرة، ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبره، وإن الآخرة قد ترحلت مقبله، ولكل واحد منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب و غدا حساب ولا عمل.

واعلموا أنكم ميتون و مبعوثون من بعد الموت و محاسبون على أعمالكم و مجازون بها، فلا يغرنكم الحياه الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور.

فإنها دار بالبلاء محفوفه، و بالعناء و الغدر موصوفه، و كل ما فيها إلى زوال، و هي بين أهلها دول و سجال، لا تدوم أحوالها، و لا يسلم من شرها نزالها، بينا أهلها في رخاء و سرور، إذا هم في بلاء و غرور، العيش فيها مذموم، و الرخاء فيها لا يدوم، أهلها فيها أغراض مستهدفه، كل حثفه فيها مقدور، و حظله من نوائبها موفور.

و أنتم عباد الله على محجّه من قد مضى، و سبيل من كان ثم انقضى، ممّن كان أطول منكم أعمارا و أشدّ بطشا، و أعمار ديارا، أصبحت أجسادهم باليه، و ديارهم خاليه، فاستبدلوا بالقصور المشيّد، و التمارق الموشّيده، بطون اللّحد، و مجاوره الدّود، في دار ساكنها مغترب، و محلّها مقترب، بين قوم مستوحشين، متجاوزين غير متزاورين، لا يستأنسون بالعمران، و لا يتواصلون تواصل الجيران، على ما بينهم من قرب الجوار، و دنوّ الدّار.

و كيف يكون بينهم تواصل و قد طحتهم البلى، و أظلتهم الجنادل و الثرى، فأصبحوا بعد الحياه أمواتا، و بعد غضاره العيش رفاتا، قد فجع بهم الأحباب، و اسكنوا التّراب، و ظعنوا فليس لهم ايب، و تمنّوا الرّجوع فحيل بينهم و بين ما يشتهون

كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ.

قال وقد أخرج أبو نعيم طرفاً من هذه الخطبة في كتابه المعروف بالحلية.

الترجمة

از جمله خطب شریفه آن حضرتست در تنفیر از دنیا و تنبیه سرعت زوال آن می فرماید:

دنیا خانه ایست بیلا احاطه کرده شده، و با مکر و حيله اشتها یافته، ثبات ندارد حالات آن، و سلامت نمی ماند نازل شوندگان آن، حالهای آن حالتهای مختلف است، و مرّات متغیر و متبدّل تعیش و التذاذ در آن مضموم است، و ایمنی در آن معدوم است، و جز این نیست که اهل دنیا در دنیا نشانگاهانی هستند که نصب شده اند بنشانگی می اندازد دنیا بایشان با تیرهای خود، و فانی می سازد ایشان را با مرگ خود.

و بدانید ای بندگان خدا بدرستی که شما با چیزی که هستید در آن از متاع این دنیا بر طریقه و روش کسانی هستید که گذشته اند پیش از شما از اشخاصی که درازتر بودند از شما از حیثیت عمرها، و معمورتر بودند از حیثیت خانهها، و دورتر بودند از حیثیت اثرها، گردید آوازهای ایشان خاموش، و بادهای غرور ایشان ساکن، و بدنهای ایشان پوسیده، خانه های ایشان خالی، و اثرهای ایشان مندرس پس عوض کردند بقصرهای محکم شده با گچ و متکاهاى مهیا شده، سنگها و حجرهای تکیه کرده بهم قبرهای هموار شده بزمین صاحب لحد را، چنان قبرهایی که بنا کرده شده بر خرابی اطراف آنها، و بخاک محکم کرده شد بنای آنها، پس مکان آن قبرها نزدیکست، و ساکن آنها غریبست در میان اهل محله که صاحبان وحشتند، و در میان اهل فراغت که مشغولند بهولهای برزخ، انس نمی گیرند ایشان بوطنها، و وصلت نمی کنند مثل وصلت کردن همسایها، با وجود این که در میان ایشانست از قرب همسایگی و نزدیکی خانه.

و چگونه می شود در میان ایشان زیارت کردن یکدیگر و حال آنکه مثل آرد کرده بدنهای ایشان را پوشیدگی بسینه خود، و خورده است ایشان را خاکها و سنگها، و گویا گردیدید شما بسوی آنچه که گردیدند ایشان بسوی آن و بگرو گرفت شما را آن خوابگاه قبر، و فشار داد شما را آن امانت گاه.

پس چگونه باشد حال شما اگر پایان برسد بشما کارها، و بیرون آورده شود مردهای قبرها، در آن زمان امتحان می کند هر نفس آن چیزی را که پیش فرستاده و رد کرده شوند بسوی خدا که مولای بحق ایشانست، و گم شود از ایشان آن چیزی که افترا می گفتند یعنی شریکی که قرار می دادند برای خدا.

و من دعاء له علیه السلام و هو المأتان و الخامس و العشرون من المختار فی باب الخطب

اشاره

اللّهُمَّ إِنَّكَ أَنْسَ الْإِنْسِينَ لَاوِلِيَاءَكَ، وَ أَحْضَرَهُمْ بِالْكَفَايَةِ لِلْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ، تَشَاهِدُهُمْ فِي سِرَائِهِمْ، وَ تَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ فِي ضَمَائِهِمْ وَ تَعْلَمُ مَبْلَغَ بَصَائِرِهِمْ، فَأَسْرَارَهُمْ لَكَ مَكْشُوفَةٌ، وَ قُلُوبُهُمْ إِلَيْكَ مَلْهُوفَةٌ، إِنْ أَوْحَشْتَهُمُ الْغُرْبَةَ أَنْسَهُمْ ذِكْرَكَ، وَ إِنْ صَبَّتَ عَلَيْهِمُ الْمَصَائِبَ لَجِئُوا إِلَى الْإِسْتِجَارَةِ بِكَ، عَلِمَا بِأَنَّ أَرْزَمَ الْأُمُورِ بَيْدَكَ، وَ مَصَادِرُهَا عَنْ قَضَائِكَ.

ص: ۳۴۲

اللَّهُمَّ إِن فَهَيْت عَنْ مَسْئَلَتِي، أَوْ عَمِهْتَ عَنْ طَلْبَتِي، فَدَلَّنِي عَلَى مَصَالِحِي، وَخَذْ بَقَلْبِي إِلَى مَرِاشِدِي، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِنَكْرٍ مِنْ هِدَايَاتِكَ وَلَا يَبْدَعُ مِنْ كَفَايَاتِكَ، اللَّهُمَّ اَحْمِلْنِي عَلَى عَفْوِكَ وَلَا تَحْمِلْنِي عَلَى عَدْلِكَ.

اللغة

(الانس) بالضمّ و بالتحرّيك ضدّ الوحشه اسم من آنست بالشىء انسا من باب علم و فى لغه من باب ضرب و فى القاموس من باب شرف أيضا، و الأنيس المونس و كلّ ما يونس به، و الايناس ضد الايحاش و هو وجدان الشىء الذى يونس به قال تعالى «آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا» أى أبصره و أحسّ به و استأنست به و تأنست به أى ذهب التوحّش عنيّ و سكن القلب و لم ينفر.

إذا عرفت ذلك فأقول: قوله عليه السّلام: إنّك آنس الانسين آنس بفتح النون على وزن افعل اسم تفضيل من الانس، و آنسين بكسر التّون جمع انس اسم فاعل من انس بالشىء، و أمّا ما قاله الشّارح المعتزلى من أنّه كان القياس أن يقول إنّك آنس المؤمنين، لأنّ الماضى أفعال و إنّما الانسون جمع انس و هو الفاعل عن آنست بكذا فالزّوايه الصّحيحة إذا بأوليائك أى أنت أكثرهم انسا بأوليائك، فلا يكاد يفهم له معنى محصّل.

و (لهف) لهفا من باب فرح حزن كتلهف عليه و هو لهيف القلب و لاهفه و ملهوفه أى محترقه و (الفهه) و الفهاهه العي، و قد فهه عي، و فهه الشىء نسيه و (العمه) الحيره و التردّد مصدر عمه يعمه من باب فرح و منع، و فى بعض النسخ بدل عمهت عميت و (الطلب) بكسر اللّام ما تطلبه و (النكر) بالضمّ و بضمتين المنكر.

و (البدع) بالكسر الأمر الذى كان أولا يقال فلان بدع فى هذا الأمر أى هو

أَوَّل من فعله فيكون اسم فاعل بمعنى المبتدع و البديع فعيل منه و فيه معنى التّعجب و منه قوله تبارك و تعالى «قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنْ الرُّسُلِ» أى ما أنا بأوّل من جاء بالوحي من عند الله و نشر الشرائع و الأحكام

الاعراب

قوله عليه السّلام: لأوليائك، متعلّق بانس و اللّام هنا بمعنى الباء تفيد كون الأولياء مأنوسا بهم و تسمّى هذه اللّام لام التّبين لتبيينه المفعول من الفاعل، و ضابطها أن تقع بعد فعل تعجّب أو اسم تفضيل مفهمين حبّاً أو بغضا تقول ما أحبّنى و ما أبغضنى فان قلت لفلان فأنت فاعل الحبّ و البغض و هو أعنى فلان مفعولهما، و إن قلت إلى فلان فالأمر بالعكس لأنّ إلى تفيد فاعليّه مجرورها بعد فعل التعجّب أو اسم التفضيل المفيد للحبّ و البغض نحو ربّ السجن أحبّ إلّى و فلان أمقت إلّى.

و بما ذكرناه علم أنّ ما قدّمنا نقله من الشّارح المعتزلى من قوله: فالزوايه الصّحيحة إذا بأوليائك و هم هذا.

و أنّما عدل عليه السّلام عن الباء إلى اللّام مع كون الباء أصرح و أقيس تضمينا للانس معنى الحبّ، فإنّ الانس بمعناه الحقيقى كالوحشه من صفات الاجسام لا يمكن اتّصافه تعالى به، فيراد ما يلازمه و هو الحبّ و ستعرف الملازمه بينهما فى بيان المعنى.

و قوله عليه السّلام: آنسهم ذكررك من إضافه المصدر إلى المفعول أى ذكرهم أيّاك و قوله: علما مفعول لأجله لقوله لجئوا.

المعنى

إشارة

اعلم أنّه لمّا كان من جملة آداب الدّعاء تقديم المدحه لله عزّ و جلّ و الثناء عليه قبل المسأله كما قال الصادق عليه السّلام: إذا طلب أحدكم الحاجه فليش على ربّه و ليمدحه فإنّ الرّجل منكم إذا طلب الحاجه من سلطان هيأ له من الكلام أحسن

ما يقدر عليه، فإذا طلبتم الحاجة فمجدوا الله العزيز الجبار و امدحوه و أثنوا عليه الحديث لا جرم قدّم عليه السلام قبل مسألته بقوله اللهم إن فهت، وقوله اللهم احملى على عفوك، تمجيد الله تعالى و تعظيمه، و وصفه بجمله من أوصاف كماله فقال:

(اللهم إنيك أنس الانسين لأولائك) قد عرفت في شرح الفصل السادس من الخطبه الاولى استحاله الاستيناس و الاستيحاش على الله سبحانه، فلا بد من أن يراد بالانس المحبه أى أنت أشد حبا لأولائك من جميع المحبين.

أمّا أولياؤه فهم الحائزون قصب السبق في مضمار العرفان و اليقين، و البالغون إلى الغايه القصوى في حمايه حمى الدين، و سلوك مسالك الشرع المبين، و هم عباد الله المخلصون المتصفون بالأوصاف المتقدمه الذكر في الخطبه السادسة و الثمانين و الخطبه المئه و الثانيه و التسعين، و الكلام المأتين و الثامن عشر و غيرها.

و أمّا اتصافه بالمحبه لأولياؤه المقربين فشواهد من النقل متجاوزة عن حدّ الاحصاء قال تعالى في كتابه العزيز «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» و قال «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ» و قال «يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ» و قال «يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ» و قال «إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ» إلى غير هذه ممّا لا حاجة إلى ذكرها.

و في الحديث القدسي: ما تحبّ إلى عبدى بشيء أحبّ إلى مما افترضته إليه، و أنّ عبدى ليتحبّ إلى بالنافله حتّى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، الحديث.

و أما محبه الله لعبده فليس بالمعنى الذى يتصوّر فى المخلوق إذ الحبّ فى الاصطلاح عبارته عن ميل النفس إلى الشيء الموافق الملائم، و هذا من صفات ذوى النفوس الناقصه المستفيدة بنيل المحبوب كمالاته فتلتذّ به، و هذا محال على الله سبحانه إذ ليس له تعالى و تقدّس نفس فضلا عن كونه ناقصا و قد عرفت فى تضاعيف الشرح فى غير موضع أنّ ذات الله تعالى شأنه تامّ

فوق التمام، و جميع صفات الجلال و الجمال و الكمال حاصله له بالفعل و واجب الحصول أزلا و أبدا، و من هذا شأنه فكيف يتصور أن يكون ناقصا بذاته مستكملا بغيره، فلا بد أن يراد بحبه عز شأنه لعبده معنى آخر.

و قد اختلفوا فى تقريره و بيانه بوجوه يقرب بعضها من بعض.

فقال صدر المتألهين: إنّ المحبة تابعة لادراك الوجود لأنه خير محض فكلّ ما وجوده أتم كانت خيريته أعظم و الادراك به أقوى و الابتهاج به أشدّ، فأجلّ مبتهج بذاته هو الحقّ الأوّل، لأنه أشدّ إدراكا لأعظم مدرك له الشرف الأكمل و النور الأنور و الجلال الارفع، فمحبه الله لعباده راجعه إلى محبته لذاته، لأنه لما ثبت أنّ ذاته أحبّ الأشياء إليه تعالى و هو أشدّ مبتهج به و كلّ من أحبّ شيئا أحبّ جميع أفعاله و حركاته و آثاره لذلك المحبوب، و كلّ ما هو أقرب إليه فهو أحبّ إليه، و جميع الممكنات آثار الحقّ و أفعاله فالله يحبّها لأجل ذاته، و أقرب المجعولات إليه تعالى الرّوح المحمّدى صلّى الله عليه و آله فكان عليه السّلام حبيب الله و أحبّ الخلق إليه، انتهى.

و قال الغزالى بعد ما ذكر أنّ المحبّة عبارته عن ميل النّفس إلى الشىء الموافق ما لفظه:

فأما حبّ الله للعبد فلا يمكن أن يكون بهذا المعنى أصلا، بل الأسامى كلّها إذا اطلقت على الله تعالى و على غير الله تعالى لم تطلق عليهما بمعنى واحد أصلا حتى أنّ اسم الوجود الذى هو أعمّ الأسماء اشتراكا لا يشمل الخالق و الخلق على وجه واحد، بل كلّ ما سوى الله تعالى فوجوده مستفاد من وجود الله تعالى، فالوجود التابع لا يكون مساويا للوجود المتبوع، و إنما الاستواء فى إطلاق الاسم، فكان استعمال الأسامى فى حقّ الخالق بطريق الاستعاره و التجوّز و النقل، و المحبة فى وضع اللسان عبارته عن ميل النفس إلى موافق ملايم.

و هذا إنما يتصور فى نفس ناقصه، فانها تستفيد بنيل ما يوافقها كمالا فتلتذّ بنيله، و هذا محال على الله تعالى، فإنّ كلّ كمال و جمال و بهاء و جلال ممكن

فى حقّ الالهيه، فهو حاضر و حاصل و واجب الحصول أزلا و أبدا، و لا يتصوّر تجدّده و لا زواله، فلا يكون له نظر إلى غيره من حيث إنه غيره، بل نظره إلى ذاته و أفعاله فقط، و ليس فى الوجود إلّا ذاته و أفعاله، فلا يجاوز حبّه ذاته و توابع ذاته من حيث هى متعلّقه بذاته، فهو اذا لا يحبّ إلّا نفسه.

و ما ورد من الألفاظ فى حبّه لعباده فهو مؤوّل و يرجع معناه إلى كشف الحجاب عن قلبه حتّى يراه بقلبه و إلى تمكينه إياه من القرب منه و الى إرادته ذلك به فى الأزل، فحبّه لمن أحبّه أزلّى مهما أضيف إلى الاراده الأزليه اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طرق هذا القرب، و إذا أضيف إلى فعله الذى يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحدوث السبب المقتضى له كما قال تعالى: لا يزال عبدى يتقرّب إلىّ بالنوافل حتّى أحبّه.

فيكون تقرّبه بالنوافل سببا لصفاء باطنه و ارتفاع الحجاب من قلبه و حصوله فى درجه القرب من ربّه، فكلّ ذلك فعل الله تعالى و لطفه به فهو معنى قربه و هو قرب بالصفه لا بالمكان و من لم يكن قريبا ثمّ صار قريبا فقد تغير، فربما يظنّ بهذا أنّ القرب لما تجدد فقد تغير وصف العبد و الربّ جميعا إذ صار قريبا بعد أن لم يكن و هو محال فى حقّ الله تعالى، إذ التغير عليه محال، بل لا يزال فى نعوت الجلال على ما كان عليه فى أزل الازال و لا ينكشف هذا إلّا بمثال فى القرب بين الأشخاص.

فإنّ الشخصين قد يتقاربان بتحركهما جميعا، و قد يكون أحدهما ثابتا فيتحرّك الآخر فيحصل القرب بتغيّر فى أحدهما من غير تغير فى الآخر، بل القرب فى الصفات أيضا كذلك، فإنّ التلميذ يطلب من درجه استاده فى كمال العلم و جماله، و الاستاد واقف فى كمال علمه غير متحرّك بالنزول إلى درجه تلميذه، و التلميذ متحرّك مترق من حضيض الجهل إلى ارتفاع العلم، فلا يزال دائما فى التغير و الترقى إلى أن يقرب من الاستاد، و الاستاد ثابت غير متغيّر.

فكذلك ينبغي أن يفهم ترقى العبد في درجات القرب، فكلمًا صار أكمل صفه و أتم علما و إحاطه بحقايق الامور و أثبت قوه في قهر الشيطان و قمع الشهوات و أظهر نزاهه عن الرزائل صار أقرب من درجه الكمال و منتهى الكمال لله و قرب كل أحد من الله بقدر كماله.

نعم قد يقدر التلميذ على القرب من الاستاد و على مساواته و على مجاوزته، و ذلك في حق الله تعالى محال فانه لا نهايه لكماله و سلوك العبد في درجات الكمال متناه و لا ينتهى إلا إلى حد محدود، فلا مطمع له في المساواه.

ثم درجات القرب تتفاوت تفاوتًا لا- نهايه له أيضا، لأجل انتفاء النهايه عن ذلك الكمال، فاذا محبه الله للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل و المعاصي عنه و تطهير باطنه من كدورات الدنيا و رفع الحجاب من قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه.

و أما محبه العبد لله فهو ميله إلى درك ذلك الكمال الذى هو مفلس عنه فاقد له فلا جرم يشتاق إلى ما فاته و إذا أدرك منه شيئا يلتذ به، و الشوق و المحبه بهذا المعنى محال على الله، انتهى كلامه ملخصا.

و محصيه ما قاله بعض المحققين من أن محبه الله للعبد كشف الحجاب عن قلبه و تمكينه من أن يسطأ على بساط قربه، فانما يوصف به سبحانه باعتبار الغايات لا المبادئ، و علامه حبه للعبد توفيقه للتجافى عن دار الغرور و الترقى إلى عالم النور و الانس بالله و الوحشه ممن سواه و صيروره جميع الهموم هما واحدا.

و قال بعض الشارحين للحديث القدسى: إذا أحببت عبدى كنت سمعه الذى يسمع به آه، إن هذا مبالغه للقرب و بيان لاستيلاء سلطان المحبه على ظاهر العبد و باطنه و سره و علانيته، فالمراد إنى اذا أحببت عبدى جذبتة إلى محلّ الانس و صرفته إلى عالم القدس، فصيرته مستغرقا فى عالم الملكوت، و حواسه مقصوره على اجتذاب أنوار الجبروت، فتثبت حينئذ فى مقام القرب قدمه، و يمتزج بالمحبه لحمه و دمه

إلى أن يغيب عن نفسه و يذهل عن حبه حتى أكون بمنزله سمعه و بصره، انتهى.

و قيل: محبه الله صفه من صفات فعله فهي إحسان مخصوص يليق بالعبد و أما محبه العبد لله فحاله يجدها في قلبه يحصل منها التعظيم و ايثار رضاه و الاستيناس بذكره، هذا.

و أنت بعد الخبره بما ذكرناه فلا يخفى عليك معنى التفضيل في قوله عليه السلام آنس الانسين، فإنه إن كان المراد بالمحبه المراده بالانس على ما حققناه إدراك الكمال على ما حكيناه عن صدر المتألهين كان معنى آنس أنه عزّ و جلّ أكمل إدراكا لكمال أوليائه المقرّبين إليه و أشدّ ابتهاجا بعباده المخلصين، لما لهم من مزيد القرب و الكمال.

و ان كان المراد بها تقرب العبد و توفيقه للتّرقى إلى معارج الملكوت و مدارج الجبروت و جذبه إلى حظائر القدس و محافل الانس، كان معناه أنه أعظم قدره على التّوفيق و التّأييد و أكثر عنايه و لطفا في حقّ أوليائه.

قال أبو الدرداء الكعب الحبر: أخبرني عن أخصّ آيه يعنى في التّوراه فقال:

يقول الله تعالى: طال شوق الأبرار إلى لقائي و أنى إلى لقائهم لأشدّ شوقا.

و في أخبار داود عليه السلام: إنّ الله تعالى قال: يا داود أبلغ أهل أرضى أنى حبيب لمن أحبني، و جليس لمن جالسنى، و مونس لمن انس بذكرى، و صاحب لمن صاحبنى و مختار لمن اختارنى، و مطيع لمن أطاعنى، ما أحبني عبد أعلم ذلك يقينا من قلبه إلا قبلته لنفسى، و أحبته حبّا لا يتقدّمه أحد من خلقى، من طلبنى بالحق وجدنى و من طلب غيرى لم يجدنى، فافضوا يا أهل الأرض ما أنتم عليه من غرورها، و هلمّوا إلى كرامتى و مصاحبتى و مجالستى، و آنسوا بى أوأنسكم و اسار إلى محبتكم فانى خلقت طينه أحبائى من طينه إبراهيم خليلى و موسى نجيبى و محمّد صفيى، و خلقت قلوب المشتاقين من نورى و نعمتها بجلالى، هذا.

و بما ذكرناه كلّ ظهر لك أنّ المراد بقوله عليه السلام: آنس الانسين لأولائك

انس الله تعالى بأوليائه لا انس أوليائه به كما زعمه الشارح البحرانى و فصل الكلام فى كيفيه انسهم به.

(و أحضرهم بالكفايه للمتوكلين عليك) يحتمل رجوع ضمير الجمع إلى الانسين و الى الأولياء، و الأول أنسب إلى سياق العبارة، و الثانى أقرب معنى، و المراد واحد، أى أنت اكمل حضورا بالكفايه للمتوكلين عليك منهم، أى أبلغ إحضارا لكفائتهم، و انما كان كذلك لأنه عزّ و جلّ الغنى المطلق الذى لا ينقص خزائنه بالكرم و الجود، و العالم الذى لا يعزب عن علمه شىء، و القادر الذى لا يعجزه شىء، و الجواد الذى لا بخل من جهته و لا رادع من افضاله.

و مع اتّصافه بهذه الأوصاف فهو أقدر على بذل محاويع عبادته، و القيام بكفايه المتكّلين عليه بعد ما علم من حالهم حسن اتكالهم و اعتمادهم فى جميع امورهم عليه، و انقطاعهم عمّن سواه، و استعدادهم بالهم من التوكل لقبول إفاضاته و عناياته، فيفيض كلا منهم مقدار كفايته من دون رادع و لا مانع و لا ابطاء و لا تأخير، فكان أسرع إحضارا لكفايه من استكفاه قال تعالى «وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ» و قال «أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ» و هو وارد فى معرض التقرير على منكر كفايته.

ثمّ لما كان من لوازم كونه تعالى أحضر كفايه علمه بأحوال المتوكلين و مكنونات قلوبهم فيما يخافون و يرجون حسبما اشرنا إليه أردفه عليه السلام بقوله (تشاهدكم فى سرائرهم و تطلع عليهم فى ضمائرهم و تعلم مبلغ بصائرهم) أى أنت بصير بما يسرونه، و خبير بما يضمرونه، محيط بهم علما لا يعزب عنك شىء من مكنونات قلوبهم و مخفيات صدورهم (فأسرارهم) المخفيه (لك مكشوفه) كما قال عزّ من قائل «وَإِنْ تَجَهَّزْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفَى السِّرِّ مَا أَكْنَتَهُ فِى نَفْسِكَ وَ أَخْفَى مَا خَطَرَ بِبَالِكَ ثُمَّ نَسِيَتْهُ.

(و قلوبهم اليك ملهوفه) أى محترفه مشتعله، و هو إشاره إلى احتراق قلوبهم

بنار الاشتياق و المحبه للوصول إليه و الحضور بين يديه و الرغبه بما لديه، و اليه أشار الشاعر بقوله:

و قالوا قريب قلت ما أنا صانع بقرب شعاع الشمس لو كان فى حجرى

فمالى منه غير ذكر بخاطرى يهيج نار الحبّ و الشوق فى صدرى

و قال آخر:

لا تخدعنّ فللمحبّ دلائل و لديه من تحف الحبيب و سائل

منها تنعمه بمرّ بلائه و سروره فى كلّ ما هو فاعل

و من الدلائل حزنه و نحيبه جوف الظلام فما له من عاذل

و الشوق من لوازم المحبه، و المحبّ لله تعالى مضطرّ إلى الشوق إليه.

توضيح ذلك أنّ كلّ محبوب فهو يشّاق اليه فى غيبته لا محاله، فأما الحاضر الحاصل فلا يشّاق اليه، لأنّ الشوق طلب و تشوّف إلى أمر، و الموجود لا يطلب، و ذلك لأنّ الشوق إنّما يتصوّر بالنسبه إلى شىء يكون مدركا من وجه غير مدرك من وجه، فأما ما لا يكون مدركا أصلا فلا يشّاق اليه، فإنّ من لم ير شخصا و لم يسمع وصفه لا يتصوّر اشتياقه اليه كما أنّ ما يكون مدركا بكماله و بمرئى من المحبّ و مشهد منه لا يتصوّر له أن يشّاق إليه أيضا، فالشوق لا يتعلق إلّا بما ادرك من وجه و لم يدرك من وجه.

و مثاله فى عالم الظاهر أنّ من غاب عنه معشوقه و بقى فى قلبه خياله فهو يشّاق إلى استكمال خياله بالرؤيه، فلو انمحي عن قلبه ذكره و خياله حتّى نسيه لم يتصوّر أن يشّاق إليه كما أنه لو رآه لم يتصوّر أيضا أن يشّاق إليه فى وقت رؤيته، فمعنى شوقه تشوّف نفسه إلى استكمال خياله.

و قد يكون الاشتياق بأن يرى وجه محبوبه و لكنه لم ير سائر محاسنه فيشتاق إلى أن ينكشف له ما لم يره من تلك المحاسن و لم يثبت فى نفسه خيال صادر عن رؤيتها و لكنه علم اجمالا بأنّ له أعضاء جميله مستوره فيكون مشتاقا إلى إدراكها تفصيلا

و الوجهان جميعا متصوران في حق المشتاقين إلى الله.

فإن ما اتضح للعارفين من المعارف الالهيه مشوب بشوائب التخيلات و كدورات الأوهام، فهم مشتاقون دائما إلى استكمال ذلك الوضوح و دفع مكدرات المعارف و منقصاتها عن ألواح ضمائرهم حتى يحصل لهم الترقى من درجه علم اليقين إلى عين اليقين، و هذا أحد وجهى الشوق إليه تعالى.

و الوجه الثانى أن الكمالات الالهيه لا نهايه لها، و أنما ينكشف لكل عبد من العباد بعضها على حسب قابليته و استعداده، و يبقى وراءه ما لا ينتهى إلى غايه و العارف يعرف وجودها و يعرف أن ما غاب له منها أكثر مما حصل له، فلا يزال متشوقا إلى أن يحصل له أصل المعرفة فيما لم يحصل له من المعارف، و لم يعرفه أصلا لا معرفه واضحه و لا معرفه غير واضحه.

و الحاصل أن أولياء الله المحبين له و الانسين به قلوبهم إليه تعالى ملهوفه، و بنار الشوق و المحبه محترقه و لعل إلى هذا نظر من قال:

إليك إشاراتي و أنت مرادى و إياك أعنى عند ذكر سعاد

و أنت مثير الوجد بين جوانحي إذا قال جاد أو ترنم شاد

و حبك ألقى النار بين جوانحي بقدر و داد لا بقدر زناد

- هذا قال المحدث الجزائري فى الحديث عنه صلى الله عليه و آله و سلم أنه بكى شعيب عليه السلام من حب الله عز و جل حتى عمى، فرد الله عليه بصره، ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره، فلما كانت الرابعه أوحى الله إليه يا شعيب إلى متى يكون هذا أبدا منك إن يكن هذا خوفا من النار فقد اجرتك، و إن يكن شوقا إلى الجنه فقد أبحتك قال: إلهى و سيدي أنت تعلم أنى ما بكيت خوفا من نارك و لا شوقا إلى جنتك و لكن عقد حبك على قلبى فلست أصبر أو أراك، فأوحى الله جل جلاله إليه أما إذا كان هذا هكذا فمن أجل هذا سأخدمك كليمى موسى بن عمران.

و قوله عليه السّلام (إن أوحشتهم الغربه آنسهم ذكرك) يعنى إن استوحشوا من غربتهم و غيبتهم عن أوطانهم الأصليه و عن كونهم مسجونين فى سجن الدّنيا استأنسوا بذكرك بلسانهم و جنانهم و بالتفكر فى ذاتك و صفاتك و جلالك و جمالك.

و هو اشاره إلى انسهم باللّه كما أنّ ما تقدّم من قوله عليه الصّلاه و السّلام:

إنّك آنس الانسين لأوليائك، اشاره إلى انس اللّه تعالى بهم حسبما عرفت تفصيلا و تحقيقا، و الانس به تبارك و تعالى من صفات الأولياء المقرّبين و الكملين فى محبّته عزّ و جلّ كما قال الشّاعر:

الانس باللّه لا يحويه بطّال و ليس يدركه بالحول محتال

و الانسون رجال كلّهم نجب و كلّهم صفوه لله عمّال

و قالت رابعه العدويّه:

أحبّك حبّين حبّ الهوى و حبّا لأتّك أهل لذاكا

فأمّا الذى هو حبّ الهوى فشغلى بذكرك عمّن سواكا

و أمّا الذى أنت أهل له فكشفك لى الحجب حتّى أراكا

فلا الحمد فى ذا و لا ذاك لى و لكن لك الحمد فى ذا و ذاك

و ينبغى أن يعلم أنّ الانس باللّه أيضا من آثار المحبّه له تعالى كالشوق إليه عزّ و جلّ حسبما عرفت قريبا لكنّ هذين الأثرين يختلفان على المحبّ بحسب اختلاف حالاته.

فأنّه إذا غلب عليه التّطلّع من وراء حجب الغيب إلى منتهى الكمال و استشعر قصوره عن الاطّلاع على كنه الجلال انبعث القلب و انزعج له و هاج إليه و تسمّى هذه الحاله فى الانزعاج شوقا.

و إذا غلب عليه الفرح فى القرب و كان نظره مقصورا على مطالعه ما أدركه من الجمال غير ملتفت إلى ما لم يدركه بعد استبشر القلب بملاحظه الجمال المدرك فيسمّى استبشاره انسا.

فمعنى الانس استبشار القلب و فرحه بمطالعه جمال الحق حتى أنه إذا تجرد عن ملاحظه ما غاب عنه عظم انبساطه و لذته، و من غلب عليه الانس لم تكن شهوته إلا فى الانفراد و الخلوه و الاعتزال عن الخلق كما قال بعضهم:

تركت للناس دنياهم و دينهم شغلا بذكرك يا دينى و دنيائى

و ذلك لأنّ الأنس بالله يلازمه التوحش عن غير الله قال الله عزّ و جلّ لداود عليه السلام:

كن لى مشتاقا و بى مستونسا و عن سواى مستوحشا.

قال عبد الواحد بن زيد: مررت براهب فقلت له: يا راهب لقد أعجبتك الوحده، فقال: يا هذا لو ذقت حلاوه الوحده لاستوحشت إليها من نفسك، الوحده رأس العباد، فقلت: يا راهب ما أقلّ ما تجده فى الوحده؟ قال: الراحة من مداراه الناس و السّلامه من شرّهم، قلت: يا راهب متى يذوق العبد حلاوه الذّوق بالله؟ قال: إذا صفا الودّ و خلص معامله، قلت: متى يصفو الودّ؟ فقال: إذا اجتمع الهمّ فصار همّا واحدا فى الطاعه.

و قال بعض الحكماء: عجا للخلايق كيف أرادوا بك بدلا، عجا للقلوب كيف استأنست بسواك عنك.

و بالجملة الأنس من آثار المحبّه، و المحبّه مستلزمه لكمال الانس بمناجاة المحبوب و كمال الالتذاذ بالخلوه به، و الاستيحاش من كلّ ما ينغص عليه الخلوه و يعوق عن لذّه المناجاة.

و قد ورد فى الحديث القدسى: كذب من زعم أنّه يحبّنى و هو ينام طول ليله، أليس كلّ حبيب يحبّ الخلوه مع حبيبه، يا ابن عمران لو رأيت المذنب يصلّون فى الدّجى و قد مثّلت نفسى بين أعينهم يخاطبونى و قد جللت عن المشاهده، و يكلمونى و قد عزّزت عن الحضور، يا ابن عمران هب لى من عينك الدّموع و من قلبك الخشوع ثم ادع لى فى ظلم اللّيلى تجدنى قريبا مجيبا.

فقد ظهر بذلك أنّه إذا غلب عليه الانس و الحبّ صارت الخلوه و المناجاة قرّه عينه، و ألذّ الأشياء عنده، كالذى يخاطب معشوقه و يناجيه، بل ربّما يستغرق

الانس و المحبّه قلبه حتّى لا يشعر من امور الدّنيا شيئا ما لم يتكرّر على سماعه مرارا، مثل العاشق الولهان، فأنّه يكلم النّاس بلسانه و انسه فى الباطن بذكر حبيبه، فالمحبّ من لا- يطمئنّ إلّا- بمحبوبه، و لا- يسكن إلّا- إليه كما قال تعالى «الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا- بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ» (و ان صبت عليهم المصائب لجئوا إلى الاستجاره بك) أى إن نزلت عليهم مصائب الدّهر و مكائده من الالام و الأسقام و نقص من الأموال و الأنفس و الثمرات و غيرها اعتصموا بك و استندوا إلى طلب الأمان منك فى دفعها و رفعها و الوقايه عنها و إنّما يلجئون اليه تعالى لما لهم من وصف التوكل عليه و الانقطاع عمّن سواه (علما) منهم (بأن أزمه الامور) الحادثه فى الملك و الملكوت كلّها و من جملتها المصائب المصوبه عليهم (بيد) قدرت (ك) و قبضه مشيتك (و مصادرها عن قضائك) كما اشير اليه فى قوله تعالى «وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَ مَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ» فالخزائن عباره عمّا كتبه القلم الأعلى أولا على الوجه الكلّى فى لوح القضاء المحفوظ عن التّبديل الّذى منه يجرى ثانيا على الوجه الجزئى فى لوح القدر الّذى فيه المحو و الاثبات مندرجا على التنزيل.

فالى الأوّل اشير بقوله «وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ» و بقوله «عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ» و الى الثّانى بقوله «وَ مَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ» و منه ينزل و يظهر فى عالم الشّهاده كما قال تعالى «تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَ الرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ» هذا.

و لمّا فرغ عليه السّلام من مقدّمات الدّعاء و المسأله شرع فى أصل غرضه منها فقال (اللهمّ إن فهت) أى عجزت و عييت (عن مسألتياو عمهت) أى تردّدت و تحيرت (عن طلبتى) أى مطلوبى و مرادى و هو كناية عن عدم اهتدائه إلى وجوه المصالح (فدلتنى على مصالحى) أى اهدنى إلى ما هو صلاح لى فى دنياى و آخرتى ممّا يقربنى عن رضاك و يجنبنى من سخطك (و خذ بقلبى إلى مراشدى) أى مل به و اصرفه إلى محالّ الرشاد و موارد الصّلاح و السّداد فى المبدأ و المعاد.

و هو فى معنى ما قاله السَّجَّاد عليه السَّلام فى دعائه «اللهم صلِّ على محمَّد و آلِه و اجعل همسات قلوبنا و حركات أعضائنا و لمحات أعيننا و لهجات ألسنتنا فى موجبات ثوابك حتَّى لا تفوتنا حسنه نستحقَّ بها جزاءك و لا تبقى لنا سيئه نستوجب بها عذابك (فليس ذلك بنكر من هداياتك و لا- ببدع من كفاياتك) أى دلالتى على مصالحى و أخذ قلبى إلى مرشدى ليس بمنكر أى غير معروف من هداياتك و لا- ببدع أى أوَّل ما تكفينى من كفاياتك، بل عاداتك التوفيق و الهدايه، و سجيَّتك الكرم و الكفايه.

قال الشَّارح البحرانى: هذا الكلام استعطاف بما فى العاده أن يستعطف به أهل العواطف و الرحمه من الكلام، أى أنَّ هداياتك لخلقك إلى وجوه مصالحهم و كفاياتك لهم ما يحتاجون إليه أمور متعارفه جرت عادتك بها و ألفها منك عبادك (اللهم احملى على عفوك و لا تحملنى على عدلك) قال الشَّارح البحرانى:

قد سأل عليه السَّلام أن يحمله على عفوه فيما عساه صدر عنه من ذنب و لا يحمله على عدله فيجزيه بما فعل حرمانا أو عقوبه، و هو من لطيف ما تعده النفس لاستئزال رحمه الالهيه، انتهى.

و محصَّيه أنَّ منتهى العفو الكرم و الثواب و مقتضى العدل الالهيه المؤاخذه و العقاب، فسأل عنه تعالى أن يعامله بعفوه و لا يعامله بعدله نظير ما ورد فى دعاء آخر: اللهم عاملنا بفضلك و لا تعاملنا بعدلك.

و قال سيِّد السَّاجدين عليه السَّلام فى دعائه فى اللِّجاء إلى الله تعالى من أدعيه الصَّحيفه الكامله: اللهم إن تشأ تعف عنا بفضلك و ان تشأ تعدِّبنا فبعدلك، فسَهِّل لنا عفوك بمنِّك و أجرنا من عذابك بتجاوزك، فانه لا طاقه لنا بفضلك، و لا نجاه لأحد منا دون عفوك.

تذييل

أحببت أن أورد بمناسبه المقام عدّه من الأدعيه النفيسه استطرفتها لجلاله

قدرها و عظم خطرها و عموم نفعها ضنا منى بتركها و شحاحه بخلو الشرح منها فمنها ما فى زهر الربيع للمحدث الجزائرى قال: دعاء منقول عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم من أراد أن لا يوقفه الله على قبيح أعماله و لا ينشر له ديوانا فليدع بهذا الدعاء فى دبر كل صلاة:

اللهم إن مغفرتك لى أرجى من عملى، و إن رحمتك أوسع من ذنبى، اللهم إن لم أكن أهلا- أن أبلغ رحمتك فرحمتك أهل أن تبلغنى لأنها وسعت كل شىء يا أرحم الراحمين.

و منها ما فى البحار من المكارم عن الحسين بن خالد قال: لزمى دين ببغداد ثلاثمأة ألف و كان لى دين أربعمائه ألف فلم يدعنى غرمائى اقتضى دينى و اعطيههم قال: و حضر الموسم فخرجت مستترا و أردت الوصول إلى أبى الحسن عليه السلام فلم أقدر فكتبت إليه أصف له حالى و ما على و مالى فكتب عليه السلام إلى فى عرض كتابى: قل فى دبر كل صلاة:

اللهم إنى أسألك يا لا إله إلا أنت بحق لا إله إلا أنت أن ترحمنى بلا إله إلا أنت اللهم إنى أسألك يا لا إله إلا أنت بحق لا إله إلا أنت أن تغفر لى بلا إله إلا أنت.

أعد ذلك ثلاث مرّات فى دبر كل صلاة فريضه فإن حاجتك تقضى إنشاء الله تعالى قال الحسين: فأدمتها فو الله ما مضت بى إلا أربعة أشهر حتى اقتضت دينى و قضيت ما على و اقتضت مائة ألف درهم.

و منها ما فى عدّه الداعى عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جدّه عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم أنّ جبرئيل نزل عليه بهذا الدعاء من السماء و نزل عليه ضاحكا مستبشرا، فقال:

السلام عليك يا محمّد، قال: و عليك السلام يا جبرئيل، فقال: إنّ الله عزّ و جلّ بعث إليك بهديه فقال: و ما تلك الهدية يا جبرئيل؟ قال: كلمات من كنوز العرش أكرمك الله بها، فقال: و ما هنّ يا جبرئيل؟ قال: قل:

يا من أظهر الجميل و ستر القبيح، يا من لم يؤاخذ بالجريه و لم يهتك الستر، يا عظيم العفو، يا حسن التجاوز، يا واسع المغفره، يا باسط اليدين بالرحمه، يا صاحب كلّ نجوى، و يا منتهى كلّ شكوى، يا كريم الصّ فح، يا عظيم المنّ، يا مبتدأ بالنعم قبل استحقاقها، يا سيّدنا يا ربّنا، يا مولينا، يا غايه رغبتنا، أسألك يا الله أن لا تشوّه خلقى بالنار.

فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم لجبرئيل: ما ثواب هذه الكلمات؟ قال: هيهات هيهات انقطع العمل لو اجتمع ملائكه سبع سماوات و سبع أرضين على أن يصفوا ذلك كما وصفوا إلى يوم القيامة ما وصفوا من كلّ ألف ألف جزء جزء واحدا. إذا قال العبد: يا من أظهر الجميل و ستر القبيح، ستره الله و رحمه فى الدّنيا و جمّله فى الاخره و ستر الله عليه سترا فى الدّنيا و الاخره.

و إذا قال: يا عظيم العفو، غفر الله له ذنوبه و لو كانت خطيئته مثل زبد البحر.

و اذا قال: يا حسن التّجاوز تجاوز الله عنه حتّى السّرقة و شرب الخمر و أهاويل الدّنيا و غير ذلك من الكبائر.

و اذا قال: يا واسع المغفره فتح الله له سبعين بابا من الرّحمه فهو يخوض فى رحمه الله عزّ و جلّ حتّى يخرج من الدّنيا.

و اذا قال: يا باسط اليدين بالرحمه بسط الله يده عليه بالرحمه.

و اذا قال يا صاحب كلّ نجوى و يا منتهى كلّ شكوى، أعطاه الله من الأجر ثواب كلّ مصاب و كلّ سالم و كلّ مريض و كلّ ضرير و كلّ مسكين و كلّ فقير و كلّ صاحب مصيبه إلى يوم القيامة.

و اذا قال: يا كريم الصّفح أكرمه الله تعالى كرامه الأنبياء.

و اذا قال: يا عظيم المنّ أعطاه الله يوم القيامة امتيته و امتيه الخلايق.

و اذا قال: يا مبتدأ بالنّعم قبل استحقاقها، أعطاه الله من الأجر بعدد من شكر نعماءه.

و اذا قال: يا رَبِّنا و يا سَيِّدنا قال اللّٰه تبارك و تعالى: اشهدوا ملائكتى اَنّى قد غفرت له و أعطيته من الأجر بعدد من خلّقه فى الجَنَّة و النَّار و السماوات السبع و الأرضين السبع و الشَّمس و القمر و النّجوم و قطر الامطار و أنواع الخلاق و الجبال و الحصى و الثّرى و غير ذلك و العرش و الكرسى.

و اذا قال: يا مولينا أَمَلّا اللّٰه قلبه من الايمان.

و اذا قال: يا غايه رغبنا أعطاه اللّٰه يوم القيامه رغبه مثل رغبه الخلاق و اذا قال: أسألك يا اللّٰه أن لا تشوّه خلقى بالنّار، قال الجبّار جلّ جلاله:

استعتقنى عبدى من النّار اشهدوا ملائكتى اَنّى قد اعتقته من النار و اعتقت أبويه و اخوته و اخواته و أهله و ولده و جيرانه و شفّعته فى ألف رجل مَمَّن و جبت لهم النار و اجرته من النّار، فعلمهن يا محمّد المتّقين و لا تعلّمه المنافقين فانها دعوه مستجابة لقائلهن إنشاء اللّٰه تعالى و هو دعاء أهل البيت المعمور حوله إذا كانوا يطوفون به.

و منها ما فى البحار عن المكارم عن معاذ بن جبل قال: أرسلنى رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلّم ذات يوم الى عبد اللّٰه بن سلام و عنده جماعه من أصحابه فحضر فقال النّبىّ صلّى اللّٰه عليه و آله و سلّم: يا عبد اللّٰه أخبرنى عن عشر كلمات علّمهنّ اللّٰه عزّ و جلّ ابراهيم يوم قذف فى النّار أتجدهنّ فى التّوراه مكتوبا؟ فقال عبد اللّٰه: يا نبىّ اللّٰه بأبى و امى هل انزل عليك فيهنّ شىء فأتى أجد ثوابها فى التّوراه و لا أجد الكلمات، و هى عشر دعوات فيهنّ اسم اللّٰه الأعظم فقال رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلّم: هل علّمهنّ اللّٰه تعالى موسى؟ فقال: ما علّمهنّ اللّٰه تعالى موسى غير ابراهيم الخليل فقال النّبىّ صلّى اللّٰه عليه و آله و سلّم: و ما تجدثوا بها فى التّوراه؟ فقال عبد اللّٰه: يا رسول اللّٰه و من يستطع أن يبلغ ثوابها غير أنى أجد فى التّوراه مكتوبا ما من عبد من اللّٰه عليه و جعل هؤلاء الكلمات فى قلبه إلّا جعل النور فى بصره، و اليقين فى قلبه، و شرح صدره للايمان، و جعل له نورا من مجلسه إلى

العرش يتلألأ- و يباهى به ملائكته فى كل يوم مرتين، و يجعل الحكمة فى لسانه و يرزقه حفظ كتابه، و لن لم يكن حريصا عليه، و يفقهه فى الدين، و يقذف له المحبة فى قلوب عباده، و يؤمنه من عذاب القبر، و فتنه الدجال، و يؤمنه من الفزع الأ-كبر يوم القيامة و يحشره فى زمرة الشهداء، و يكرمه الله و يعطيه ما يعطى الأنبياء بكرامته، و لا- يخاف إذا خاف الناس، و لا يحزن إذا حزن الناس، و يكتب عند الله من الصديقين و يحشر يوم القيامة و قلبه ساكن مطمئن، و هو مّمن يكسى مع ابراهيم يوم القيامة، و لا يسأل بتلك الدّعوات شيئا إلا أعطاه الله، و لو اقسم على الله لأبّر قسمه و يجاور الرحمن فى دار الجلال، و له أجر كل شهيد استشهد منذ يوم خلقت الدنيا.

قال النبى صلى الله عليه و آله و سلم: و ما دار الجلال؟ قال: جنة عدن و هو موضع عرش الرحمن ربّ العزّه و هو فى جوار الله.

قال ابن سلام: فعلمنا يا رسول الله و منّ علينا كما منّ الله عليك، قال النبى صلى الله عليه و آله و سلم خروا سجدا لله، قال: فخرّوا سجدا فلما رفعوا رؤوسهم قال النبى صلى الله عليه و آله و سلم قولوا:

يا الله يا الله يا الله أنت المرهوب منك جميع خلقك يا نور النور أنت الذى احتجبت دون خلقك فلا يدرك نورك نور، يا الله يا الله يا الله أنت الرّافع الذى ارتفعت فوق عرشك من فوق سمائك فلا يصف عظمتك أحد من خلقك، يا نور النور قد استنار بنورك أهل سمائك و استضاء بضوئك أهل أرضك، يا الله يا الله يا الله أنت الذى لا إله غيرك تعاليت عن أن يكون لك شريك، و تعظمت عن أن يكون لك ولد و تكرّمت عن أن يكون لك شبيه و تجبّرت عن أن يكون لك ضدّ، فأنت الله المحمود بكلّ لسان، و أنت المعبود فى كلّ مكان، و أنت المذكور فى كلّ أوان و زمان، يا نور النور كلّ نور خامد لنورك، يا مليك كلّ مليك يفنى غيرك، يا دائم كلّ حيّ يموت غيرك، يا الله يا الله يا الله الرحمن الرحيم ارحمنى رحمه تطفى بها غضبك، و تكفّ بها عذابك، و ترزقنى بها سعادته من عندك، و تحلّنى بها دارك التى تسكنها خيرتك من خلقك يا أرحم الراحمين

يا من أظهر الجميل و ستر القبيح يا من لم يؤاخذ بالجريه و لم يهتك السّر يا عظيم العفو يا حسن التجاوز يا واسع المغفره يا باسط اليدين بالرّحمه يا صاحب كلّ نجوى و يا منتهى كلّ شكوى يا كريم الصّفح يا عظيم المنّ يا مبتدأ بالنعم قبل استحقاقها يا ربّاه يا ربّاه و يا سيّده و يا أملاه و يا غايه رغبته أسألك يا الله يا الله يا الله أن لا تشوّه خلقى بالنّار.

قال: يا رسول الله و ما ثواب من قال هذه الكلمات؟ قال صلّى الله عليه و آله و سلّم هيهات هيهات انقطع القلم لو اجتمع ملائكه سبع سماوات و سبع أرضين على أن يصفوا ذلك إلى يوم القيامة لما وصفوا من ألف جزء جزءا واحدا. و ذكر عليه السّلام لهذه الكلمات ثوبا و فضائل كثيره لا- يحتمل ذكرها ههنا اقتصرنا على ذكر المقصود مخافه التّطويل و منها ما فى البحار من مهج الدّعوات قال: رويناه باسنادنا إلى سعد بن عبد الله قال: حدّثنا أحمد بن محمّد بن الحسن بن علىّ بن فضال عن الحسن بن الجهم عمّن حدّثه عن الحسن بن محبوب أو غيره عن معاويه بن وهب عن أبى عبد الله عليه السّلام قال:

إنّ عندنا ما نكتمه و لا يعلمه غيرنا أشهد على أبى أنّه حدّثنى عن أبيه عن جدّه قال: قال علىّ بن أبى طالب عليه السّلام:

يا بنى أنّه لا بدّ أن تمضى مقادير الله و أحكامه على ما أحبّ و قضى، و سينفذ الله قضاءه و قدره و حكمه فيك فعاهدنى أن لا تلفظ بكلام أسره إليك حتّى أموت و بعد موتى باثنى عشر شهرا، و اخبرك بخبر أصله عن الله تقول غدوه و عشيه فتشغل به ألف ألف ملك يعطى كلّ مستغفر قوّه ألف ألف متكلم فى سرعه الكلام، و يبنى لك فى دار السلام ألف بيت فى مائه قصر يكون لك جار جدك و يبنى لك فى جنّات عدن ألف ألف مدينه و يحشر معك فى قبرك كتابها هذا لا سبيل عليك للفرع و لا للخوف و لا الزّلازل و لا زلّات الصّيراط و لا لعذاب النار و لا تدعو بدعوه فتحبّ أن يجاب فى يومك فيمسى عليك يومك إلّا أتتك كائنه ما كان «نت ظ» بالغه ما بلغت فى أىّ نحو كانت و لا تموت إلّا شهيدا و تحيى ما حييت و أنت سعيد لا يصبك فقر أبدا و لا جنون و لا بلوى و يكتب لك فى كلّ يوم بعدد الثّقلين كلّ نفس ألف ألف حسنه، و يمحي عنك ألف

ألف سيئه، و يرفع لك ألف ألف درجه، و يستغفر لك العرش و الكرسي حتى تقف بين يدي الله عزّ وجلّ، و لا تطلب لأحد حاجه إلاّ قضاها، و لا تطلب إلى الله حاجه.

لك و لا لغيرك إلى آخر الدهر في دنياك و آخرتك إلاّ قضاها، فعاهدني كما أذكر لك.

فقال له الحسين عليه السلام: عاهدني يا أبا علي ما أحببت.

قال: أعاهدك على أن تكتم عليّ فاذا بلغ منيتك فلا تعلمه أحدا سوانا أهل البيت أو شيعتنا و أوليائنا و موالينا، فانك إن فعلت ذلك طلب الناس إلى ربهم الحوائج في كلّ نحو فقضاها فأنا أحبّ أن يتمّ الله بكم أهل البيت بما علّمني ممّا اعلمك ما أنتم فيه فتحشرون لا خوف عليكم و لا أنتم تحزنون.

فعاهد الحسين عليّا صلوات الله عليهما على ذلك ثمّ قال عليه السلام:

إذا أردت ذلك فقل:

سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلاّ الله و الله أكبر و لا حول و لا قوّه إلاّ بالله، سبحان الله في آناء الليل و أطراف النهار، سبحان الله بالغدوّ و الاصال، سبحان الله بالعشيّ و الابكار، سبحان الله حين تمسون و حين تصبحون و له الحمد في السموات و الأرض و عشيّا و حين تظهرون يخرج الحيّ من الميت و يخرج الميت من الحيّ و يحيى الأرض بعد موتها و كذلك تخرجون، سبحان ربّك ربّ العزه عمّا يصفون، و سلام على المرسلين و الحمد لله ربّ العالمين، و لا حول و لا قوّه إلاّ بالله العليّ العظيم، سبحان الله ذى الملك و الملكوت، سبحان الله ذى العزه و العظمه و الجبروت، سبحان الله الملك الحقّ القدّوس، سبحان الله الملك الحيّ المذى لا يموت، سبحان القائم الدائم، سبحان الحيّ القيوم، سبحان العليّ الأعلى، سبحانه و تعالى، سبّوح قدّوس ربّ الملائكه و الرّوح، اللهمّ إني أصبحت منك في نعمه و عافيه فأتمم على نعمتك و عافيتك لى بالنجاه من النّار، و ارزقني شكرك و عافيتك أبدا ما أبقيتني، اللهمّ بنورك اهتديت، و بنعمتك أصبحت و أمسيت، أصبحت اشهدك و كفى بك شهيدا

و أشهد ملائكتك و حملة عرشك و أنبيائك و رسلك و جميع خلقك و سماواتك و أرضك أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، و أن محمدا صلواتك عليه و آله عبدك و رسولك، و أنت على كل شيء قدير، تحيي و تميت و تميت و تحيي، و أشهد أن الجنة حق و النار حق و أن الساعة آتية لا ريب فيها و أن الله يبعث من في القبور، و أشهد أن علي بن أبي طالب عليه السلام و الحسن و الحسين و علي بن الحسين و محمد بن علي و جعفر بن محمد و موسى بن جعفر و علي بن موسى و محمد بن علي و علي بن محمد و الحسن بن علي و الامام من ولد الحسن بن علي الائمة الهداه المهديون غير الضالين و المضلين، و أنهم أولياؤك المصطفون، و حزبك الغالبون، و صفوتك و خيرتك من خلقك و نجاؤك الذين انتجتهم بولايتك و اختصاصتهم من خلقك و اصطفتيتهم على عبادك و جعلتهم حجة على خلقك، صلواتك عليهم و السلام، اللهم اكتب هذه الشهادة حتى تلقينها و أنت عني راض يوم القيامة، و قد رضيت عني أنك على كل شيء قدير، اللهم لك الحمد حمدا تضع لك السجاء أكنافها و تسبح لك الأرض و من عليها، و لك الحمد حمدا يصعد و لا ينفد، و حمدا يزيد و لا يبدا سرمد مددا لا انقطاع له و لا نفاذ أبدا، حمدا يصعد أوله و لا ينفد آخره، و لك الحمد علي و معي و في و قبلي و بعدي و امامي و لدني فاذا مت و فني و بقيت يا مولاي فلك الحمد إذا نشرت و بعثت، و لك الحمد و الشكر بجميع محامدك كلها على جميع نعمائك كلها، و لك الحمد على كل عرق ساكن و على كل أكلة و شربة و بطشه و حركة و نومه و يقظه و لحظه و طرفه و نفس و على كل موضع شعره، اللهم لك الحمد كله، و لك الملك كله، و بيدك الخير كله. و إليك يرجع الأمر كله، علانيته و سره، و أنت منتهى الشأن كله، اللهم لك الحمد على حلمك بعد علمك، و لك الحمد على عفوك بعد قدرتك، اللهم لك الحمد باعث الحمد، و وارث الحمد، و بديع الحمد، و مبتدع الحمد، و وافى العهد و صادق الوعد عزيز الجند قديم المجد، اللهم لك الحمد مجيب الدعوات، رفيع الدرجات، منزل الايات من فوق سبع سماوات، مخرج النور من الظلمات، مبدل السيئات الحسنات، و جاعل الحسنات

درجات، اللهم لك الحمد غافر الذنب، وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا أنت إليك المصير اللهم لك الحمد في الليل إذا يغشى، ولك الحمد في النهار إذا تجلّى، لك الحمد عدد كل نجم وملك في السماء، ولك الحمد عدد كل قطره نزلت من السماء إلى الأرض، ولك الحمد عدد كل قطره في البحار والعيون والأودية والأنهار، ولك الحمد عدد الشجر والورق والحصى والثرى والجنّ والانس والبهائم والطير والوحوش والانعام والسمّباع والهوام، ولك الحمد عدد ما أحصى كتابك وأحاط به علمك حمدا كثيرا دائما مباركا فيه أبدا، لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت ويميت ويحيى وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير عشر مرات أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه عشر مرات يا الله يا الله يا الله عشر مرات يا رحمن يا رحيم عشر مرات يا رحيم عشر مرات يا بدیع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام عشرا يا حنان يا منان عشرا يا حيّ يا قيوم عشرا يا لا إله إلا أنت عشرا اللهم صل على محمّد وآل محمّد عشرا باسم الله الرحمن الرحيم عشرا آمين آمين افعل بي كذا وكذا وتقول هذا بعد الصبح مرّه وبعد العصر اخرى ثمّ تدعو بما شئت.

و منها ما فى البحار من مهج الدعوات أيضا قال: روى عن أمير المؤمنين عليّ بن أبى طالب عليه السّلام عن النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: نزل جبرئيل و كنت أصلى خلف المقام قال: فلما فرغت استغفرت الله عزّ وجلّ لامّتى فقال لى جبرئيل: يا محمّد أراك حريصا على أمّتك والله تعالى رحيم بعباده، فقال النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لجبرئيل: يا أخى أنت حبيبى و حبيب امّتى علّمنى دعاء تكون امتى يذكرونى من بعدى، فقال لى جبرئيل أوصيك أن تأمر امّتك أن تصوموا ثلاثه أيام البيض من كلّ شهر: الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر، و أوصيك يا محمّد أن تأمر امّتك أن تدعو بهذا الدّعاء الشّريف و أنّ حملة العرش يحملون العرش ببركه هذا الدّعاء و ببركته انزل إلى

الأرض و أّصعد إلى السّماء، و هذا الدّعاء مكتوب على أبواب الجنّة و على حجراتها و على شرفاتها و على منازلها، و به تفتح أبواب الجنّة، و بهذا يحشر الخلق يوم القيامة بأمر الله عزّ و جلّ و من قرأه ينجيه من عذاب النار.

ثمّ سأل رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم جبرئيل عن ثواب هذا الدّعاء.

قال جبرئيل: يا محمّد قد سالتني عن شيء لا أقدر على وصفه و لا يعلم قدره إلّا الله.

يا محمّد لو صارت أشجار الدّنيا أقلاما و البحار مدادا و الخلايق كتابا لم يقدرُوا على ثواب قارى هذا الدّعاء، و لا يقرأ هذا عبد و أراد عتقه إلّا- أعتقه الله تبارك و تعالى و خلّصه من رقّ العبودية، و لا- يقرّعه مغموم إلّا- فرّج الله همّه و غمّه، و لا- يدعوه به طالب حاجه إلّا قضاه الله عزّ و جلّ له فى الدّنيا و الآخره إنشاء الله تعالى و يقيه الله تعالى موت الفجأه و هول القبر و فقر الدّنيا و يعطيه الله تبارك و تعالى الشفاعة يوم القيامة و وجهه يضحك و يدخله الله ببركه هذا الدّعاء دار السلام و يسكنه الله فى غرف الجنان و يلبسه من حلل الجنّة التى لا- تبلى، و من صام و قرء هذا الدّعاء كتب الله عزّ و جلّ له مثل ثواب جبرئيل و ميكائيل و اسرافيل و عزرائيل و ابراهيم الخليل و موسى الكليم و عيسى و محمّد صلّى الله عليهم أجمعين.

قال النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم: عجبت من كثرة ما ذكر جبرئيل عليه السّلام فى فضل هذا الدّعاء و شرفه و تعظيمه و ما ذكر فيه من الثواب لقارئ هذا ثمّ قال جبرئيل: يا محمّد ليس أحد من امتك يدعوه بهذا الدّعاء فى عمره مرّه واحده إلّا حشره الله يوم القيامة و وجهه يتلألأ مثل القمر ليله تمّه، فيقول الناس من هذا أنبىّ هذا؟ فتخبرهم الملائكه بأن ليس هذا نبىّ و لا ملك بل هذا عبد من عبيد الله من ولد آدم قرء فى عمره مرّه واحده هذا الدّعاء فأكرمه الله عزّ و جلّ بهذه ثمّ قال جبرئيل للنّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم من قرء هذا الدّعاء خمس مرّات حشر يوم القيامة و أنا واقف على قبره و معى براق من الجنه و لا أبرح واقفا حتّى يركب على ذلك

البراق ولا ينزل عنه إلا في دار النعيم خالد مخلد ولا حساب عليه في جوار إبراهيم وفي جوار محمد وأنا اضمن لقارى هذا الدعاء من ذكر أو أنثى أن الله تعالى لا يعذبه ولو كان عليه ذنوب أكثر من زبد البحر و قطر المطر و ورق الشجر و عدد الخلايق من أهل الجنة و أهل النار، و أن الله عز و جل يأمر أن يكتب بهذا الذى يدعو بهذا الدعاء حجه مبروره و عمره مقبوله.

يا محمد و من قرء هذا الدعاء وقت النوم خمس عشر مرّات على طهاره فأنه يراك في منامه و تبشّره الجنة، و من كان جايعا أو عطشانا و لا يجد ما يأكل و لا ما يشرب أو كان مريضا فيقرأ هذا الدعاء فإن الله عز و جل يفرج عنه ما هو فيه ببركته و يطعمه و يسقيه و يقضى له حوائج الدنيا و الآخرة، و من سرق له شىء أو أبق له عبد فيقوم و يتطهر و يصلّى ركعتين أو أربع ركعات و يقرأ كلّ ركعه فاتحه الكتاب مرّه و سوره الاخلاص و هى قل هو الله أحد مرّتين فاذا سلّم يقرأ هذا الدعاء و يجعل الصحيفة بين يديه أو تحت رأسه فان الله تعالى يجمع المشرق و المغرب و يردّ العبد الابق ببركه هذا الدعاء ان شاء الله تعالى، و ان كان يخاف من عدوّ فيقرأ هذا الدعاء على نفسه فيجعله الله في حرز حريز و لا يقدر عليه أعداؤه، و ما من عبد قرأه و عليه دين إلا قضاه الله عز و جلّ و سهّل له من يقضيه عنه إنشاء الله تعالى، و من قرأه على مريض شفاه الله تعالى ببركته، فان قرأه عبد مؤمن مخلص لله عز و جلّ على جبل يتحرّك الجبل باذن الله تعالى، و من قرأه بتيه خالصة على الماء لجمد الماء، و لا تعجب من هذا الفضل الذى ذكرته في هذا الدعاء فانّ فيه اسم الله تعالى الأعظم و أنّه إذا قرأه القارى و سمعه الملائكة و الجنّ و الانس فيدعون لقاريه و أن الله يستجيب منهم دعاءهم و كلّ ذلك ببركه الله عز و جلّ و ببركه هذا الدعاء، و أنّ من آمن بالله و برسوله و بهذا الدعاء فيجب أن لا يغاش قلبه بما ذكر في هذا الدعاء و أنّ الله تعالى يرزق من يشاء بغير حساب، و من حفظه و قرأه أو نسخه فألا «فلاظ» يبخل به على أحد من المسلمين.

و قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما قرأت هذا الدعاء في غزوه إلا ظفرت ببركه هذا الدعاء على أعدائي.

و قال صلى الله عليه وآله وسلم: من قرء هذا الدعاء أعطى نور الأولياء في وجهه و سهّل له كلّ عسير و يسير و يسّر له كلّ يسير.

و قال الحسن البصري: لقد سمعت في فضل هذا الدعاء أشياء ما لا أقدر أن أصفه و لو أنّ من يقرءه ضرب برجله على الأرض تحرّكت الأرض.

و قال سفيان الثوري: ويل لمن لا يعرف حقّ هذا الدعاء فإنّ من عرف حقّه و حرّمته كفاه الله عزّ و جلّ كلّ شدّه و سهّل له جميع الامور و وقاه كلّ محذور و دفع عنه كلّ سوء و نجاه من كلّ مرض و عرض و أزاح الهمّ و الغمّ عنه فتعلّموه و علّموه فإنّ فيه الخير الكثير و هو هذا الدعاء الموصوف:

سبحان الله العظيم و بحمده من إله ما أقدره، و سبحانه من قدير ما أعظمه، و سبحانه من عظيم ما أجله، و سبحانه من جليل ما أمجده، و سبحانه من ماجد ما أرأفه و سبحانه من رؤوف ما أعزّه، و سبحانه من عزيز ما أكبره، و سبحانه من كبير ما أقدمه، و سبحانه من قديم ما أعلاه، و سبحانه من عال ما أسنّاه، و سبحانه من سنّي ما أبهّاه، و سبحانه من بهّي ما أنوره، و سبحانه من منير ما أظهره، و سبحانه من ظاهر ما أخفاه، و سبحانه من خفيّ ما أعلمه، و سبحانه من عليم ما أخبره، و سبحانه من خير ما أكرمه، و سبحانه من كريم ما ألطفه، و سبحانه من لطيف ما أبصره، و سبحانه من بصير ما أسمع، و سبحانه من سميع ما أحفظه، و سبحانه من حفيظ ما أملاه، و سبحانه من ملّي ما أهداه، و سبحانه من هاد ما أصدق، و سبحانه من صادق ما أحمد، و سبحانه من حميد ما أذكره، و سبحانه من ذاكر ما أشكره، و سبحانه من شاكر ما أوفاه، و سبحانه من وفّي ما أغناه، و سبحانه من غنّي ما أعطاه، و سبحانه من معط ما أوسعه، و سبحانه من واسع ما أجوده، و سبحانه من جواد ما أفضله، و سبحانه من مفضل ما أنعمه، و سبحانه من منعم ما أسيده، و سبحانه من سيّد ما أرحمه،

و سبحانه من رحيم ما أرشده، و سبحانه من رشيد ما أقواه، و سبحانه من قوى ما أحكمه، و سبحانه من حكيم ما أبطشه، و سبحانه من باطش ما أقومه، و سبحانه من قيوم ما أحمده، و سبحانه من حميد ما أدومه، و سبحانه من دائم ما أبقاه و سبحانه من باق ما أفرده، و سبحانه من فرد ما أوحده، و سبحانه من واحد ما أصمده، و سبحانه من صمد ما أملكه، و سبحانه من مالك ما أولاه، و سبحانه من وليّ ما أعظمه و سبحانه من عظيم ما أكمله، و سبحانه من كامل ما أتمه، و سبحانه من تامّ ما أعجبه و سبحانه من عجيب ما أفره، و سبحانه من فاخر ما أبعده، و سبحانه من بعيد ما أقره، و سبحانه من قريب ما أمنعه، و سبحانه من مانع ما أغلبه، و سبحانه من غالب ما أعفاه، و سبحانه من عفوّ ما أحسنه، و سبحانه من محسن ما أجمله، و سبحانه من جميل ما أقبله، و سبحانه من قابل ما أشكره، و سبحانه من شكور ما أغفره و سبحانه من غفور ما أكبره، و سبحانه من كبير ما أجبره، و سبحانه من جبير ما أدينه، و سبحانه من ديّان ما أقضاه، و سبحانه من قاض ما أمضاه، و سبحانه من ماض ما أنفذه، و سبحانه من نافذ ما أرحمه، و سبحانه من رحيم ما أخلقه، و سبحانه من خالق ما أقهره، و سبحانه من قاهر ما أملكه، و سبحانه من مالك ما أقدره، و سبحانه من قادر ما أرفعه، و سبحانه من رفيع ما أشرفه، و سبحانه من شريف ما أرزقه، و سبحانه من رازق ما أقبضه، و سبحانه من قابض ما أبداه، و سبحانه من باء ما أقدسه و سبحانه من قدّوس ما أطهره، و سبحانه من طاهر ما أزكاه، و سبحانه من زكّى ما أبقاه، و سبحانه من باق ما أعوده، و سبحانه من عواد ما أفطره، و سبحانه من فاطر ما أوهبه، و سبحانه من وهّاب ما توبّه، و سبحانه من توّاب ما أسخاه، و سبحانه من سخىّ ما أبصره، و سبحانه من بصير ما أسلمه، و سبحانه من سلام ما أشفاه، و سبحانه من شاف ما أنجاه، و سبحانه من منجى ما أبرّه، و سبحانه من بارّ ما أطلبه، و سبحانه من طالب ما أدركه، و سبحانه من مدرّك ما أشدّه، و سبحانه من شديد ما أعطفه، و سبحانه من متعطّف ما أعدله، و سبحانه من عادل ما أتقنه، و سبحانه

من متقن ما أحكمه، و سبحانه من حكيم ما أكفله، و سبحانه من كفيل ما أشهده و سبحانه و هو الله العظيم و بحمده الحمد لله و لا- إله إلا- الله و الله أكبر و لله الحمد و لا- حول و لا- قوه إلا- بالله العلي العظيم دافع كل بليه و هو حسبي و نعم الوكيل قال سفيان الثوري: ويل لمن لا يعرف حرمه هذا الدعاء فإن من عرف حق هذا الدعاء و حرمة كفاه الله عز و جل كل شدة و صعوبه و آفه و مرض و غم فتعلموه و علموه ففيه البركه و الخير الكثير في الدنيا و الآخره إنشاء الله تعالى.

و منها ما في البحار أيضا من مهج الدعوات باسناده عن جابر بن يزيد الجعفي قال: قال أبو جعفر عليه السلام: من دعا بهذا الدعاء مره واحده في دهره كتب في رق العبوديه و رفع في ديوان القائم عليه السلام، فاذا قام قائمنا نادى باسمه و اسم أبيه ثم يدفع إليه هذا الكتاب و يقال له: خذ هذا الكتاب العهد الذي عاهدتنا في الدنيا و ذلك قوله عز و جل «إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا» و ادع به و أنت طاهر تقول:

يا إله الالهه يا واحد يا أحد يا آخر الآخرين، يا قاهر القاهرين، يا علي يا عظيم أنت العلي الأعلى علوت فوق كل علو، هذا يا سيدي عهدي و أنت منجز وعدى فصل يا مولاي وعدى و أنجز وعدى، آمنت بك و أسألك بحجابتك العربي و بحجابتك العجمي و بحجابتك العبراني و بحجابتك السرياني و بحجابتك الرومي و بحجابتك الهندي و اثبت معرفتك بالعنايه الاولى فانك أنت الله لا ترى و أنت بالمنظر الأعلى و أتقرب إليك برسولك المنذر صلى الله عليه و آله و سلم و بعلي أمير المؤمنين صلوات الله عليه الهادي، و بالحسن الشهيد و بالحسين الشهيد سبطي نبيك، و بفاطمه البتول، و بعلي بن الحسين زين الثنات، و محمّد بن علي الباقر عن علمك، و بجعفر بن محمّد الصادق الذي صدّق بميثاقك و ميعادك، و بموسى بن جعفر الحصور القائم بعهدك و بعلي بن موسى الرضا الراضي بحكمك، و بمحمّد بن علي الحبر الفاضل المرتضى في المؤمنين، و بعلي بن محمّد الأمين المؤتمن هادي المسترشدين، و بالحسن بن علي الطاهر الزكي خزانه الوصيّن، و أتقرب إليك بالامام القائم العدل المنتظر المهدي إمامنا و ابن إمامنا صلوات الله عليهم أجمعين، يا من جلّ فعظم و أهل ذلك فعفى

و رحم، یا من قدر فلطف أشکو إليك ضعفی و ما قصر عنه عملی من توحیدک و کنه معرفتک، و أتوجه إليك بالتسميه البيضاء و بالوحدانيه الكبرى التي قصر عنها من أدبر و تولى و آمنت بحجابك الأعظم و بكلماتك التامة العليا التي خلقت منها دار البلاء و أحللت من أحبت جنه المأوى، آمنت بالسابقين و الصديقين أصحاب اليمين من المؤمنين الذين خلطوا عملا صالحا و آخر سيئا ألا- توليني غيرهم، و لا- تفرق بيني و بينهم غدا إذا قدمت الرضا بفصل القضا آمنت بسرهم و علانيتهم و خواتيم أعمالهم فانك تختم عليها إذا شئت يا من أ تحفني بالاقرار بالوحدانية، و حباني بمعرفه الربوبيه، و خلصني من الشك و العمى، رضيت بك رباً، و بالأصفياء حججا و بالمحجوبين أنبياء، و بالرسل أدلاء، و بالمتقين أمراء، و سامعا لك مطيعا.

هذا آخر العهد المذكور كتب الله تعالى لنا في زمره المعاهدين المخلصين، و جعلنا من موالى أوليائه المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين و اللعنه على أعدائهم و ظالمهم و الشاكين فيهم إلى يوم الدين.

الترجمه

از دعاهاى آن بزرگوار است:

بار پروردگارا بدرستی که تو مونس ترین انس گیرندگانى از برای دوستان خود، و حاضرترین ایشان هستی با کفایت کردن حاجتها از برای توکل کنندگان بر تو، مشاهده مى فرمائی ایشان را در بواطن ایشان، و مطلع مى باشی بر ایشان در ضمائر ایشان، و مى دانی اندازهای بصیرت ایشان را، پس أصرار ایشان از برای تو هویدا و آشکار است، و قلبهای ایشان بسوی تو بی قرار، اگر مستوحش کند ایشان را غربت از وصل تو مونس ایشان گردد ذکر تو، و اگر ریخته شود بر ایشان مصائب روزگار ملتجی باشند بطلب أمان از تو بجهت علم ایشان باین که زمام جمیع کارها بيد قدرت تو است، و صدور آنها از قضا و قدر تو است بار خدایا پس اگر عجز برسانم از سؤال خودم یا متحیر باشم از طلب حاجت

خودم پس دلالت فرما مرا بمصالح من، و فراگیر قلب مرا بسوی موارد رشد و صلاح من، پس نیست این امر، غیر معروف از هدایت‌های تو، و نه عجب از کفایت‌های تو، بار إلهای معامله کن با من با عفو و بخشش خودت، و معامله مفرما با من با عدل و داد خود.

و من کلام له علیه السلام و هو المأتان و السادس و العشرون من المختار فی باب الخطب

اشاره

لله بلاد فلان فقد قوم الاود، و داوی العمدة، خلف الفتنة، و اقام السنه، ذهب نقى الثوب، قليل العيب اصاب خيرها، و سبق شرها، أدى إلى الله طاعته، و اتقاه بحقه، رحل و تركهم في طرق متشعبه، لا يهتدى فيها الضال، و لا يستيقن المهتدى.

اللغة

قوله (لله بلاد فلان) اللام للاختصاص و هو كلام يقال في معرض المدح مثل قولهم لله درّه و لله أبوه و لله نأديه أى البلاد التى تولد فيها مثله جديره بالانتساب إليه تعالى و تكون مخصوصه به عزّ و جلّ، و كذلك الشدى الذى ارتضع منه، و الأب الذى خرج من صلبه، و المجلس الذى ربى فيه و روى لله بلاء فلان أى عمل حسن.

و (اود) الشىء اودا من باب فرح اعوج و (عمد) البعير عمدا من باب فرح أيضا انفضح داخل سنامه من ركوب و حمل مع سلامه ظاهره و قوله (اتقاه بحقه) قال الطريحي: أى استقبله به فكأنه جعل دفع حقه إليه وقايه له من المطالبه

و قوله (و تركهم) فى نسخه الشارح المعتزلى و تركتم بدله بصيغه الخطاب، و البناء على المفعول.

الاعراب

قوله: لله بلاد فلان تقديم الخبر على المبتدأ مبالغه فى الحصر و التخصيص، و الباء فى قوله: اتّقاء بحقه، لئلا كما يوضحه ما نقلناه عن الطريحي آنفا، أى أخذ الوقايه منه لنفسه بأداء حقّه و استعانتة، و أمّا ما قاله الشارح المعتزلى من أنّ المراد أنّه اتّقى الله و دلّنا على أنّه اتّقاء بأداء حقّه فأداء الحقّ عله فى علّمنا بأنّه قد اتّقى الله سبحانه فتكلّف بارد، و الواو فى جمله و تركهم، تحتمل العطف و الحال و جمله لا يهتدى آه مجروره المحل على أنّها نعت لطرق.

المعنى

اشاره

اعلم أنّه قد اختلف الشارحون فى المشار إليه بهذا الكلام و المكنّى به عنه قال الشارح المعتزلى: المكنّى عنه عمر بن الخطاب، و قد وجدت النسخه التى بخط الرضى جامع نهج البلاغه و تحت فلان: عمر، حدّثنى بذلك فخار بن معد الموسوى.

و سألت عن النقيب أبا «أبى ظ» جعفر يحيى بن أبى زيد العلوى فقال لى: هو عمر، فقلت له أثنى عليه أمير المؤمنين هذا الثناء؟ فقال: نعم، أمّا الاماميّه فيقولون: إنّ ذلك من التقية و استصلاح أصحابه، و أمّا الصّالحيون من الزّيديه فيقولون: أنّه أثنى عليه حقّ الثّناء و لم يضع المدح إلّا فى موضعه و نصابه، و أمّا الجاروديّه من الزّيديه فيقولون: إنّ كلامه قاله فى أمر عثمان أخرجه مخرج الذّم و التنقص لاعماله كما يمدح الان الأمير الميّت فى أيام الأمير الحى بعده، فيكون ذلك تعريضا به، فقلت له: إلّا أنّه لا يجوز التعريض للحاضر بمدح الماضى إلّا إذا كان ذلك المدح صدقا لا يخالطه ريب و لا شبهه فاذا اعترف أمير المؤمنين بأنّه أقام السنّه و ذهب نقى الثوب

قليل العيب و أنه أدّى إلى الله طاعته و اتّقاء بحقه، فهذا غاية ما يكون من المدح فلم يجبنى بشيء و قال: هو ما قلت لك، قال:

و قال الزّاوندى إنّه عليه السّلام مدح بعض أصحابه بحسن السيره و أنّ الفتنة هي الّذى وقعت بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم من الاختيار و الاثره، و هذا بعيد، لأنّ لفظ أمير المؤمنين يشعر إشعارا ظاهرا بأنّه يمدح واليا ذا رعيّه و سيره.

ثمّ ذكر الشّارح مؤيّدات أخرى لكون المراد به عمر إلى أن قال في آخر كلامه:

و هذه الصّيفات إذا تأملها المنصف و أماط عن نفسه الهوى علم أنّ أمير المؤمنين لم يعن بها إلّا- عمر لو لم يكن قد روى لنا توفيقا و نقلا أنّ المعنى بها عمر فكيف و قد رويناه عمّن لا يتّهم في هذا الباب، انتهى.

و قال الشارح البحراني: إرادته لأبى بكر أشبه لإرادته لعمر، لما ذكر عليه السّلام في خلافه عمر و ذمّها به في الخطبه المعروفه بالشقشقيه، انتهى.

و أقول: أما ما قاله القطب الراوندى فاستبعاد الشارح المعتزلى له بموقعه، و كذلك ما زعمه الشارح البحرانى فانه أيضا بعيد، و تقرّيه له بأنه ذمّ خلافه عمر في خطبه الشقشقيه، فيه أنه عليه السّلام ذمّ هناك خلافه أبى بكر أيضا حسبما عرفت أيضا و لو لم يكن فيها إلّا- قوله عليه السّلام: فصبرت و فى العين قذى و فى الحلق شجى أرى ترائى نهبا، لكان كافيا فى الطعن و الانزواء المنافى للمدح و الثناء فضلا من المطاعن و المذامّ الوارده عنه عليه السّلام فى مقامات اخر فى حقّ الأوّل كالثانى المتجاوزة عن حدّ الاحصاء و طور الاستقصاء.

و أما ما زعمه الشارح المعتزلى من أنّ المراد به عمر و مبالغته فيه و استظهاره له بما فصله فى كلامه، ففيه أنه إن كان هذا الرّجل الجلف هو المراد به و أبقينا الكلام على ظاهره على ما توهمه الظاهر من كون عمر أهلا للأوصاف المذكوره لا غير، كان هذا الكلام مناقضا صريحا لما تقدّم عنه فى الخطبه الشقشقيه من مثالب

عمر و معایب خلافته، فلاحظ المقام و انظر ما ذا ترى.

بل كان منافيا لاصول مذهب الاماميه رضوان الله عليهم المتلقى عن ائمتهم سلام الله عليهم و لأخبارهم المتواتره المأثوره عن أهل بيت العصمه و الطهاره المفصحه عن كفر الأول و الثانى كليهما و كونهما منشأ جميع الشرور و المفساد و البدعات الجاریه فى الامه المرحومه إلى يوم القيامة.

قال كميث بن زيد الأسدى فيما رواه عنه فى البحار من الكافى: دخلت على أبى جعفر عليه السلام قلت: خبرنى عن الرجلين، قال: فأخذ الوساده و كسرها فى صدره ثم قال: و الله يا كميث ما اهريق محجمه من دم و ما اخذ مال من غير حلّه و ما قلب حجر من حجر إلا ذاك فى أعناقهما، و نحوه أخبار كثيره.

بل المستفاد من بعض الأخبار أنّ جميع الشرور و المفساد الواقعه فى الدنيا من ثمرات تلك الشجره الخبيثه، و قد مرّت طائفه منها فى شرح الخطبه المأه و الخمسين.

فبعد اللّيا و اللّتي فاللّازم على جعل المكنى عنه عمر كما زعمه الشّارح هو صرف الجملات الاتيه عن ظواهرها المفيده للمدح و الثّناء، لتطابق اصول الاماميه و قواعدهم المبتيه على الدّم و الانزواء، و على إبقائها على ظواهرها فلا بدّ من جعل المكنى عنه شخصا آخر له أهليه الاتّصاف بهذه الأوصاف.

و عليه فلا يبعد أن يكون مراده عليه السلام هو مالك بن الحرث الأشتر، فلقد بالغ فى مدحه و ثنائه فى غير واحد من كلماته.

مثل ما كتبه إلى أهل مصر حين ولى عليهم مالك حسبما يأتى ذكره فى باب الكتب تفصيلا إنشاء الله.

و مثل قوله عليه السلام فيه لما بلغ إليه خبر موته: مالك و ما مالك لو كان من جبل لكان فندا، و لو كان من حجر لكان صلدا، عقلت النساء أن يأتين بمثل مالك بل صرّح فى بعض كلماته بأنّه كان له كما كان هو لرسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و من هذا

شأنه فالبته يكون أهل لأن يتّصف بالأوصاف الاتيه بل بما فوقها.

و الحاصل أنّه على كون المكنّى عنه عمر لا بدّ من تأويل كلامه و جعله من باب الایهام و التّوريه على ما جرت عليها عادة أهل البيت عليهم السّلام فى أغلب المقامات فانّهم لما رأوا من النّاس جمهورهم إلّا النّادر من خواصّ أصحابهم الافتتان بمحبه صنمى قريش، و أنّهم اشربوا قلوبهم حبّ العجلين، و ولعوا بعباده الجبت و الطاغوت سلکوا فى کلماتهم كثيرا مسلک التّوريه و التقيّه حقنا لدمائهم و دماء شيعتهم، حيث لم يتمكّنوا من إظهار حقيقه الأمر.

و يشهد بذلك ما رواه فى البحار من الکافى باسناده عن فروه عن أبى جعفر عليه السّلام قال: ذاكرته شيئا من أمرهما فقال: ضربوكم على دم عثمان ثمانين سنه و هم يعلمون أنّه كان ظالما فكيف يا فروه إذا ذكرت صميمهم.

و فيه من تقريب المعارف لأبى الصّیلاح فى جمله كلام له قال: و رووا عن بشير بن دراکه النّبال قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن أبى بكر و عمر فقال: كهينه المستهزء به ما تريد من صنمى العرب أنتم تقتلون على دم عثمان بن عفّان فكيف لو أظهرتم البراءة منهما لما ناظروكم طرفه عين قال و رووا عن أبى الجارود قال: سئل محمّد بن عمر بن الحسن بن علیّ بن أبى طالب عن أبى بكر و عمر فقال: قتلتم منذ ستين سنه فى أن ذكرت عثمان فوالله لو ذكرت أبا بكر و عمر لكان دماؤكم أحلّ عندهم من دماء السنانير.

بل كثيرا ما كانوا يتکلمون عليهم السّلام بكلمات موهمه للمدح و الثّناء مما شاتا للنّاس و مداراتا لهم.

مثل ما روى من كتاب المثالب لابن شهر آشوب أنّ الصّادق عليه السّلام سئل عن أبى بكر و عمر، فقال: كانا إمامين قاسطين عادلين كانا على الحقّ، و ماتا عليه، فرحمه الله عليهما يوم القيامة، فلمّا خلى المجلس قال له بعض أصحابه: كيف قلت يا ابن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم؟ فقال: نعم أمّا قولى: كانا إمامين فهو مأخوذ من قوله تعالى

«وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النِّارِ» و أمّا قولى قاسطين فهو من قوله تعالى «وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا» و أمّا قولى: عادلين فهو مأخوذ من قوله تعالى:

«ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ» و أمّا قولى: كانا على الحقّ، فالحقّ علىّ عليه السّلام و قولى: ماتا عليه، المراد أنّه لم يتوبا عن تظاهرها عليه، بل ماتا على ظلمهما إيّاه، و أمّا قولى: فرحمه الله عليهما يوم القيامة فالمراد أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم ينتصف له منهما أخذاً من قوله تعالى «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ».

و إذا عرفت ذلك فاستمع لما يتلى عليك من وجوه التّوريه و التّأويل فى فقرات كلامه فأقول و بالله التّوفيق و العصمه.

قوله عليه السّلام (لله بلاد فلان) و إن كان بظاهره مفيداً للمدح حسبما بيّناه فى بيان اللّغه إلّا أنّه ليس بذلك، فإنّ اللّام فيه كاللّام فى قوله تعالى «لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» و الكنايه عن عمر بلفظه فلان مأخوذ من قوله تعالى «وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا» فقد فسّر السّبيل فى أخبار أهل البيت عليهم السّلام بأمر المؤمنين و الظالم بأبى بكر و فلانا بعمر.

قال على بن إبراهيم القمى فى تفسيره «وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ» قال:

الأوّل «يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا» قال أبو جعفر عليه السّلام يقول: يا ليتنى اتّخذت مع الرسول عليّاً «يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا» يعنى الثّانى «لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعِيدَ إِذْ جَاءَنِي» يعنى الولايه «وَكَانَ الشَّيْطَانُ» و هو الثّانى كان «لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا» و روى مثله عن حمّاد عن حريز عن رجل عن أبى جعفر عليه السّلام أنّه قال «يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ» الايه يقول الأوّل للثّانى.

و روى عن الرضا عليه السّلام أيضاً تفسير الايتين بالأوّل و الثّانى.

و قوله (فقد قوم الأود) و إن كان ظاهره يدلّ على أنّه أصلح و عدل ما خرج من امور المسلمين عن حدّ الاعتدال و انحرف عن السّداد، لكن المقصود به ترويجه

للاعوجاج من قولهم: قامت السوق أى نفقت و راجت، فإنَّ عمر لعدوله عن الصِّراط المستقيم الذى هو صراط أمير المؤمنين و غصبه للخلافه قد رَوَّج العوج عن الدِّين و الانحراف عن نهج الشرع المبين.

و يوضح ذلك ما رواه فى الطرايف عن قتاده عن الحسن البصرى قال: كان يقرأ هذا الحرف صراط علىَّ مستقيم، فقلت للحسن: ما معناه؟ قال: يقول: هذا طريق علىَّ بن أبى طالب و دينه طريق و دين مستقيم فاتَّبِعُوهُ و تمسَّكُوا به فانه واضح لا عوج فيه و على إبقاء تقويم الاود على ظاهره فلا ملازمه له لمدح عمر أيضا لأنَّ تقويم اعوجاج الناس و نظم أمر الرُّعيه إنما يكون ممدوحا شرعا إذا كان جاريا على وفق القوانين الشرعيه، و أما إذا لم يجر عليها كما هو رسم الجبابره و سلاطين الجور فلا كما يشير إلى ذلك قول أمير المؤمنين عليه السَّلام فى الكلام الثامن و السَّتين مخاطبا لأهل الكوفه، و إنَّى لعالم بما يصلحكم و يقيم اودكم و لكنَّى لا أرى إصلاحكم بافساد نفسى و لقد كان عمده نظر عمر فى أحكامه و سياساته إلى نظم أمر خلافته و استحكام أركان رياسته و إن كان مخالفا لقانون الشرع.

كما يشهد بذلك ما روته الخاصه و العامه من تسوُّره حايط بيت الرّجل الذى اتَّهمه بشرب الخمر حتى اعترض عليه صاحب البيت بقوله: إن كنت أخطأت فى واحده فقد أخطأت فى ثلاث قال الله «وَلَا تَجَسَّسُوا» و قد تجسَّست و قال «وَأُتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا» و قد تسوَّرت و قال «فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا» و ما سلَّمت، على ما تقدّم تفصيلا فى شرح الفصل الثانى من الخطبه الثالثه و غير ذلك مما رووا من سيره المخالفه للشريعه، و قد ذكر الشارح المعتزلى شطرا منها فى شرح هذا الكلام.

و قوله (و داوى العمد) ظاهره أنه أصلح ما فسد من الامور و خرج عن الصَّحه

و السداد بمعالجات تدابير، و باطنه أنه عالـج مرضه القـلبى الذى كان عليه، فقد استعير العمد الذى هو عبارـه عن انشداخ سنام البعير لمرض القلب كما يستعار لمرض العـشق يقال: فلان عميد القلب و معمود، قال قيس العامرى فى قصيده عشقيه مشحونه بأبيات العـشق و المحبه.

يلوموننى فى حب لىلى عواذل و لكننى من حبها لعميد

و الجامع بين المستعار منه و المستعار له كون كل منهما موجبا للألم و الأذى و المرض الذى كان فى قلب عمر هو المرض المزمى و الداء الدوى أعنى مرض الشك و النفاق و معاده النبى و الوصى عليهما السـلام فأن قـيح عداوتهما لا سيما عداوه أمير المؤمنين عليه السـلام و بغضه كان يغلى فى صدره كغلى القـيح فى سنام البعير لا يكاد يندمل حتى مضى النبى صلى الله عليه و آله و سلم إلى لقاء ربّه، فعالج مرضه و داوى عمده بما مهّده فى نفسه من صرف الخلافه عن أهل بيته و تغيير وصيته و إحراق بيت ابنته، و تبديل قوانين شريعته، فنال ما أبطن فى قلبه و بلغ غايه المراد و منتهى المرام.

و إلى هذا المرض اشير فى قوله تعالى «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ مَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ مَا يُخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَ مَا يَشْعُرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ » قال أمين الاسلام الطبرسى: المراد بالمرض فى الايه الشكّ و النفاق بلاـ خلاف و إنما سمى الشكّ فى الدين مرضا لأنّ المرض هو الخروج عن حدّ الاعتدال، فالبدن ما لم تصبه آفه يكون صحيحا سويا و كذلك القلب ما لم يصبه آفه من الشكّ يكون صحيحا، و قيل: أصل المرض الفتور فهو فى القلب فتوره عن الحقّ كما أنه فى البدن فتور الأعضاء و قال فى الصافى: قوله تعالى «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ » الايه أقول: كابن أبى و أصحابه و كالأول و الثانى و أضرابهما من المنافقين الذين زادوا على الكفر الموجب للختم و الغشاوه النفاق و لا سيّما عند نصب أمير المؤمنين عليه السّلام للخلافه و الامامه.

وقال أيضا قوله «فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» قيل: نفاق و شك و ذلك لأن قلوبهم كانت تغلى على النبى و الوصى و المؤمنين حقدا و حسدا، و فى تنكير المرض و ايراد الجملة ظرفيه إشاره إلى استقراره و رسوخه و إلا لقال مرض قلوبهم.

و قوله عليه السّلام (أقام السّينه) ظاهره إقامته لسنّه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم و طريقته قولاً و فعلاً و تقريراً و لكنّه توريه عن السّنين العمريه و هى بدعته و أحداثه الّتى سنّها قبال سنّه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم بمقتضى أهوائه الفاسده.

مثل تحريم المتعتين، و العول فى الفرائض، و صلاه الضّحى و صلاه التراويح و هى فعل نوافل شهر رمضان بالجماعه، و وضع الخراج على سواد العراق، و ترتيب الجزيه، و إسقاط حى على خير العمل من الأذان بيهامه أنّ هذه الكلمه تدعو النّاس إلى ترك الجهاد لأنهم يزعمون إنّ الصّلاه أفضل من ساير الأعمال و لكنّ الدّاعى الحقيقى له إلى الاسقاط غير ذلك.

و هو ما ورد فى روايه الصّادق عليه السّلام من أنّ عمر سمع من النبى صلى الله عليه و آله و سلّم أنّ خير العمل هو ولايه علىّ بن أبى طالب فمؤّه على النّاس فى تركه حتّى يترك، إلى غير هذه ممّا مرّ فى روايه الرّوضه المتقدّمه فى شرح الخطبه الخمسين فليراجع هناك، و ذكر شطرا منها الشّارح المعتزلى فى شرح هذا الكلام.

و قوله عليه السّلام (و خلّف الفتنه) قال الشّارح البحرانى: تخليفه للفتنه موته قبلها و وجه كون ذلك مدحا له هو اعتبار عدم وقوعها بسببه و فى زمنه لحسن تدبيره.

و أقول: هذا ظاهره و باطنه من أمض الذّم فأنّه توريه عن توريته الفتنه العظيمه الّتى انشعبت منها جميع الفتن و هى فتنه الشّورى كما صرّح به الشّارح المعتزلى أيضا فى شرح الكلام المأتين و الزّابع حسبما حكينا عنه هناك حيث قال: إنّ ما فعله عمر من أمر الشّورى سبب كلّ فتنه وقع و يقع إلى أن تنقضى الدّنيا.

و توضيحه أنّ عمر لو لم يجعل الخلافه شورى بين السّنّه لما أفضى الأمر إلى عثمان و لم تقع فتنه قتله حتّى يكون الطلب بدمه عنوانا لوقعه صفّين و فتن بنى اميه

الشوهاء المظلمه و لوقعه البصره و خروج الخاطئه المشار إليها في قوله تعالى «أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَيَحَابُّ الظُّلُمَاتُ بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا» و في قوله «وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا».

ثم من التحكيم في صفين نشأت فتنة المارقين و خروجهم إلى أن انجز إلى شهادته أمير المؤمنين و استيلاء معاويه على البلاد و إهراقه للدماء و استحلاله للأموال و فشت المعاداة بين بنى هاشم و بنى أمية حتى انتهت إلى الرزء الجليل و المصيبة العظمى و الداهية الدهياء المحرقة قلوب الشيعة إلى يوم القيامة و هي وقعة الطف و شهادته الحسين عليه السلام و أصحابه، بل النار الموقدة في الطف لاحتراق خيام آل الرسول من قبسات النار التي أوقدها عمر لاحتراق باب فاطمه سلام الله عليها.

و بالجمله فجميع هذه الفتن من ثمرات الشجرة الخبيثة التي غرسها عمر.

قال العلامة الحلي في كتاب نهج الحق: روى البلاذري قال: لما قتل الحسين كتب عبد الله بن عمر إلى يزيد بن معاويه لعنه الله عليهما و على أبيهما: أما بعد فقد عظمت الرزية و جلت المصيبة و حدث في الاسلام حدث عظيم و لا يوم كيوم الحسين فكتب إليه يزيد: أما بعد يا أحمق فاننا جئنا إلى بيوت مجدده و فرش ممهّده و سايد منضّده فقاتلنا عنها، فان يكن الحق لنا فعن حقنا قاتلنا، و إن كان الحق لغيرنا فأبوك أول من سنّ و ابتزّ و استأثر بالحق على أهله.

و قوله عليه السلام (ذهب نقى الثوب) قال الشارح البحراني استعار الثوب لعرضه و نقاه لسلامته عن دنس المدام.

و أقول: ربما يفرق بين النقى و التقى بأن التقى بالتاء من حسن ظاهره و النقى من حسن باطنه فيكون في اضافته النقى إلى الثوب توريه لطيفه عن أنّ اتّصافه بالنقاوه و النزاهه إنما كان بحسب ظاهره فقط، و أما في الباطن فقد كان مدنسا بأدناس

الجاهليته و أقذار الشك و النفاق و الحقد و الحسد و السيئ خيمه لكونه رئيس المنافقين الذين يظهرون بأفعالهم و يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم و الله أعلم بما يكتُمون و قد وصفهم عليه السلام فى الخطبه المأه و الثالثه و التسعين بهذا الوصف أى بحسن الظاهر و خبث الباطن حيث قال فى تعداد صفاتهم: قلوبهم رديّه و صفاحهم نقيّه.

و قوله عليه السلام (قليل العيب) أراد به قلّه عيوبه الظاهره بالاضافه إلى العيوب الكثيره التى فى عثمان لأخذه بظاهر أحكام الشريعة تخديعاً للناس و للتزوير و الحيله، و أمّا فى الباطن فقد كان غريقاً فى بحر العيوب مغموراً فى تيار الاثام و الذنوب حسبما أشرنا و نشير إليه.

و قوله عليه السلام (أصاب خيرها و سبق شرّها) قال البحرانى أصاب ما فى الخلافه من الخير المطلوب و هو العدل و إقامه دين الله اللّذى به يكون الثواب الجزيل فى الآخره و الشرف الجزيل فى الدنيا، و سبق شرّها أى مات قبل وقوع الفتنه فيها و سفك الدماء لأجلها.

و أقول: بل المراد به أنّه نال خير الخلافه و لذّه الرّياسه بما مهّده له أبو بكر من بساطها و صيرّها له من دون معارض و مصادم، فانقاد له الكلّ و أسلم له الجميع طوعاً و كرهاً و حصلت له الرّياسه العامه و فتح الأمصار و نفاذ الأحكام فى الأصقاع و البلدان كمثّل غيث أعجب الكفّار نباته ثمّ يهيج فتراه مصفّراً ثمّ يكون حطاماً و فى الآخره عذاب شديد.

و المراد بسبقه الشرّ الشرور و المفسد و الفتن التى ظهرت فى زمن عثمان عليه اللعنه و النيران من حملة بنى اميّة و مروان على رقاب الناس و خضمهم مال الله خضم الابل نبتة الرّبيع حسبما عرفت تفصيلاً فى الخطبه الشقشقيه و شرحها إلى أن انجرّ الأمر إلى قتله و هلاكه، و ظهرت فى خلافه أمير المؤمنين سلام الله عليه و آله أجمعين من الناكثين و القاسطين و المارقين لعنه الله عليهم ملاء السماوات و الأرضين و قد عرفت فى شرح قوله: و خلف الفتنه أنّ جميع هذه الشرور و المفسد من بركه البرامكه و ثمرات الشجره الخبيثه التى غرسها عمر.

وقوله عليه السّلام (أَدَى إِلَى اللَّهِ طَاعَتَهُ وَاتَّقَاهُ بِحَقِّهِ) أراد به مواظبته على مراسم الطاعة والتقوى وسلوكه مسالك الزهد والعبادة، ولقد كان مجدّاً فيها ظاهراً لما نذكره من النكته، وأمّا في الباطن فلم يرفع يده كصاحبه عن الكفر وعباده الصنم إلى أن مضى إلى سبيله.

ويشهد به ما رواه في البحار من كتاب سليم بن قيس الهلالي عن أمير المؤمنين في حديث طويل يذكر فيه شجاعته ونصرتة لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم وجن الثلاثة وربعهم عند الكريهه والقتال وساق الحديث إلى أن قال:

ولقد ناداه ابن عبد ود باسمه يوم الخندق فحاد عنه ولاذ بأصحابه حتّى تبسّم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم لما رأى به من الرّعب، وقال: أين حبيبي علىّ تقدّم يا حبيبي يا علىّ ولقد قال لأصحابه الأربعة أصحاب الكتاب: الرأى والله أن ندفع محمّداً برّمته ونسلم من ذلك حين جاء العدو من فوقنا ومن تحتنا كما قال الله تعالى «وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا»، و«تَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا»... «وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا» فقال صاحبه لا ولكن نتخذ صنماً عظيماً نعبده لأننا لا نأمن أن يظفر ابن أبى كبشه فيكون هلاكنا، ولكن يكون هذا الصّينم لنا ذخراً، فان ظهرت قريش أظهرنا عباده هذا الصنم وأعلمناهم أنّا لن نفارق ديننا، وإن رجعت دوله ابن أبى كبشه كنا مقيمين على عباده هذا الصنم وأعلمناهم أنّا لن نفارق سرّاً، فنزل جبرئيل فأخبر النّبي صلّى الله عليه وآله وسلم بذلك، ثمّ خبرنى به رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم بعد عمرو بن عبد ود، فدعاهما فقال: كم صنم عبدتما في الجاهليّه؟ فقالا: يا محمّد لا تعيرنا بما مضى في الجاهليّه، فقال: فكم صنم تعبدّا وقتكما هذا؟ فقالا: والذى بعثك بالحقّ نبياً ما نعبد إلّا الله منذ أظهرنا لك من دينك ما أظهرنا، فقال: يا علىّ خذ هذا السّيف فانطلق إلى موضع كذا وكذا فاستخرج الصنم الذى يعبدانه فاهشمه فان حال بينك وبينه أحد فاضرب عنقه، فانكبا على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم فقالا: استرنا سترك الله، فقلت أنا لهما أضمنّا لله ولرسوله ألاّ تعبدّا إلّا الله ولا تشركا به شيئاً، فعاهدا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم على هذا،

و انطلقت حتّى استخرجت الصنم من موضعه و كسرت وجهه و يديه و جزمت رجله ثم انصرفت إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، فو الله لقد عرفت ذلك فى وجههما حتّى ماتا و يشعر بما قلناه ما رواه العياشى عن الصادق عليه السّلام فى قوله تعالى «الَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» انه قال فأعداء على أمير المؤمنين هم الخالدون فى النار و إن كانوا فى أديانهم على غايه الورع و الزّهد و العباده.

إلى غير هذه من الروايات التى لا نطيل بذكرها المفيده لكون عباده هذا الرّجل لله و زهده و رياضته تزويرا و رياء و سمعه، بل الدلاله على أنه أبطن الكفر و أظهر الاسلام وصله بذلك إلى رياسه المسلمين و السلطنه عليهم و إلى ما أضمره فى قلبه من هدم أساس الدين و تخريب سوارى اليقين ضمنا بقدر الامكان و التمكن و إلى صرف الناس و اضلالهم عن الصراط المستقيم و المنهج القويم.

فانه لو لم يسلك مسلك العباده و الرياضه و الزهد و القشف و الضيق على نفسه و التوسعه على غيره و ترك اللذات و الشهوات رأسا لم يتمكّن من ذلك كما لم يتمكّن عثمان منه لعدم سلوكه هذا المسلك.

و قد صرّح نفسه بهذه النكته و أظهر هذا السر إلى بطانته المشارك له فى الكفر و الالحاد اللعين بن اللعين معاويه بن أبى سفيان فى العهد الطويل الذى رواه أصحابنا فى مؤلفاتهم و هو العهد الذى أخرجه يزيد الملعون من خزائنه و أبرزه لعبد الله بن عمر الملعونين لما جاء إلى الشام مستصرخا فى دم الحسين عليه السّلام و ثائرا فيه، فسكّته بذلك العهد الذى كان بخطّ أبيه عمر فانه بعد ما كتب فيه إلى معاويه صريحا كفره و إلحاده و بقاءه على عباده اللات و العزى و تكذيبه للرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم و لما جاء به و نسبته له إلى السحر و أبرز عداوته المكنونه له صلّى الله عليه و آله و سلّم و آله و شرح صرفه الخلافه بتدبيراته و حيله عن وصيّيه كتب فيه ما عين لفظه:

فبطل سحره - يعني سحر محمد صلى الله عليه وآله وسلم - وخاب سعيه وعلاها ابو بكر وعلوتها بعده و أرجو أن تكونوا معاشر بنى أميّه عيدان أطنابها، فمن ذلك قد وليتكم وقلدتكم إباحه ملكها، وعرفتكم فيها وخالفت قوله فيكم، وما ابالي من تعريف شعره ونثره أنه قال يوحى إليّ منزل من ربّي في قوله: والشجره الملعونه في القرآن فزعم أنّها أنتم يا بنى اميّه فيبين عداوته حيث ملك كما لم يزل هاشم وبنوه أعداء بنى عبد شمس وأنا مع تذكيري إياكم يا معاويه و شرحى لكم ما قد شرحته ناصح لكم ومشفق عليكم من ضيق عطنتكم و حرج صدركم وقله حلمكم أن تعجل فيما وصيتكم به ومكنتكم منه من شريعته محمّد و أمته أن تبدى لهم مطالبته بطعن أو شماته بموت أو ردّا عليه فيما أتى به أو استصغارا لما أتى به فتكون من الهالكين، فتخفف ما رفعت وتهدم ما بنيت، واحذر كلّ الحذر حيث دخلت على محمّد مسجده ومنبره و صدّق محمّدا في كلّ ما أتى به وأورده ظاهرا، وأظهر التحرّز والواقعه في رعيتكم وأوسعهم حلما وأعمهم بروايح العطايا، وعليكم بأقامه الحدود فيهم وتصنيف الجنايه منهم، لسبا محمّد من مالكم و رزقكم ولا ترهم أنكم تدع لله حقّا ولا تنقص فرضا ولا تغيّر لمحمد سنّه فتفسد علينا الامّه بل خذهم من مأنهم واقتلهم بأيديهم وأيديهم بسيوفهم وتطاولهم ولا تناجزهم، ولن لهم ولا تبخس عليهم، و افسح لهم في مجلسكم و شرفهم في مقعدكم، وتوصّل إلى قتلهم برئيسهم وأظهر البشر والبشاشه، بل اكظم غيظكم، واعف عنهم يجتوك ويطيعوك، فما آمن علينا وعليكم شوره على وشبليه الحسن والحسين، فان أمكنك في عدّه من الامه فبادر ولا تقنع بصغار الأمور، واقصد بعظيمها واحفظ وصيتي اليك وعهدي واخفه ولا تبده، وامثل أمرى ونهيى، وانهض بطاعتي وإياك والخلاف على واسلك طريق أسلافك، واطلب بئارك واقتص آثارهم فقد أخرجت إليك بسرّى وجهرى، و شفّعت هذا بقولى:

معاوى إنّ القوم جلت أمورهم بدعوه من عم البريه بالوتر

صبوت إلى دين لهم فأرابنى فأبعد بدين قد قصمت من ظهري

إلى أن قال:

توسل إلى التخليط في المله التي أتانا به الماضي و المموه بالسحر

و طالب بأحقاد مضت لك مظهرا لعله دين عم كل بنى النفر

فلست تنال الثار الابد منهم فتقتل بسيف القوم جند بنى عمر

فقد تحصّل بما ذكرنا كلّ أنّ طاعه الرّجل و رياضته و تضيقه على نفسه و توفيره الفئ و الغنايم على غيره لم يكن إلاّ خديعه و مكيدة و إطفاء لنور الله و هدماً لأساس الاسلام و إغواء للمسلمين.

كالشيطان الذى أراد إضلال عابد بنى إسرائيل و إغواءه فتقرّب إليه من جهه البرّ و العباده لما يئس من ساير العبادات فانطلق إلى منزله فأقام حذاءه يصلّى و كان العابد ينام و الشيطان لا- ينام، و هو يستريح و الشيطان لا يستريح، فتحوّل إليه العابد و قد تقاصرت إليه نفسه و استصغر عمله، فقال يا عبد الله بأى شىء قويت على هذه الصّلاه، فلم يجبه، ثمّ عاد إليه فلم يجبه، ثم عاد إليه فقال: إننى أذنبت ذنبا و أنا تائب منه فاذا ذكرت الذّنب قويت عليها، فاعتزّ العابد المسكين بما أتى به من الصّلاه، فلم يجبه، ثمّ عاد إليه فلم يجبه، ثم عاد إليه فقال: إننى أذنبت ذنبا و أنا تائب منه فاذا ذكرت الذّنب قويت عليها، فاعتزّ العابد المسكين بما أتى به من الصّلاه على أن يأتى بفاحشه و يتوب منها فتوصل بكثرة صلاته إلى إضلاله.

و هكذا كان حال الاعرابى الجلف فمثله كما قال الله تعالى «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ مَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ مَا يُخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَ مَا يَشْعُرُونَ » - إلى قوله - «وَ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَ إِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤْنَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَ يَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ » هذا.

و قوله (رحل و تركهم فى طرق متشعبه لا يهتدى فيها الصّال و لا يستيقن المهتدى) قال الشارح البحرانى: إنّ المراد رحيله إلى الاخره تاركا للناس بعده فى طرق متشعبه من الجهات لا يهتدى فيها من ضلّ عن سبيل الله، و لا يستيقن المهتدى فى سبيل الله أنّه على سبيله، لاختلاف طرق الصّال و كثرة المخالف له إليها.

أقول: هذا ظاهر معنى الكلام و أما باطنه فهو أنّ الأعرابي الجلف رحل عن الدّنيا و ترك النّاس حيارى و أوقعهم بما أبدعه من سننه و سيره و بدعاته و حيله و مكائده و تمويهاته فى الفتنة و الضّلال و الخزى و النكال، لا سيّما ما قرّره من الشّورى و جعلها بين السّنة أوجب تفرّق النّاس عن الصّراط المستقيم أيادى سبا و أيدي سبا.

فمنهم من قد كان اشرب قلبه حبّ الشيخين و استحوذ عليه الشيطان فأنساه ذكر ربّه فضلّ عن السّبيل المقيم و هوى أسفل درك الجحيم.

و منهم من كان طالبا للهدايه إلّا أنّه نظر إلى اختلاف طرق الضّلال و الهدى و كثره السالكين إلى الأولى و قلّتها إلى الاخرى فبقى تائها متحيّرا بين السّبيلين فلم يتمكّن من تحصيل السّبيل و رفع الشكّ و التّحير من البين كما أشار إلى ذلك فى الخطبه الخمسين بقوله:

إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتّبع و أحكام تبدع يخالف فيها كتاب الله و يتولّى عليها رجال رجالا على غير دين الله، فلو أنّ الباطل خلص من مزاج الحقّ لم يخف على المرتادين و لو أنّ الحقّ خلص من لبس الباطل انقطعت عنه ألسن المعاندين، و لكن يؤخذ من هذا ضغث و من هذا ضغث فهناك يستولى الشيطان على أوليائه و ينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى و الحاصل أنّ عمر بتليسه الحقّ بالباطل و الباطل بالحقّ و خلطه الصّالح بالسيّء و ايقاعه الاشتباه بينهما أوقع النّاس فى الشكّ و الضّلال خصوصا جعله أمير المؤمنين و باب علم النّبيين قرينا للخمسه الاولاد، و ترشيحه كلاً منهم بأهليّته الخلافه ألقى التفرقه بين الامّه و شقّ عصا الجماعه و اختلف بذلك الاراء و تشّتت الأهواء و تشعب الطّرق و تفرّقت السبل.

و يدلّ على ذلك صريحا ما نقله العلامة الحلى فى كتاب نهج الحقّ من كتاب العقد لابن عبد ربّه أنّ معاويه قال لابن أبى الحصين: أخبرنى ما الذى شتّت أمر

المسلمين و جماعتهم و فرّق ملأهم و خالف بينهم؟ فقال: قتل عثمان، قال: ما صنعت شيئا قال: فسير على عليه السلام إليك قال ما صنعت شيئا قال: ما عندي غير هذا يا أمير المؤمنين فقال: فأنا اخبرك أنه لم يشتت بين المسلمين و لا فرّق أهواءهم إلا الشورى التي جعلها عمر في سته.

ثم فسّر معاويه ذلك في آخر الحديث فقال: لم يكن من السته رجل إلا رجاها لنفسه و رجاها لقومه و تطلعت إلى ذلك أنفسهم و لو أن عمر استخلف كما استخلف أبو بكر ما كان في ذلك اختلاف، انتهى.

فقد تحصل بما ذكرنا كله أن المراد بتركه لهم في طرق متشعبه اثارته الفتنه العامه بين المسلمين و الضلاله العمياء التي لم ينج منها أحد إلا المخلصين فإن عباد الله المخلصين ليس له سلطان عليهم كأخيه الشيطان اللعين و إنما سلطانه على الذين يتولونه و هم به مقتدون، و هو الهادي و أنهم المهتدون، لعنه الله و من تبعه من الملعونين المردودين.

تنبيهان

اشاره

:

الاول

اعلم أن الشارح المعتزلى قد أطال الكلام في شرح هذا الكلام لأمر المؤمنين عليه السلام و ذكر من مناقب عمر على زعمه و مثالبه و مطاعنه و الأخبار العاميه الوارده في شأنه و من سيره و أخلاقه و كلماته فصلا طويلا أورث الاطناب الممل للناظرين حتى صار شرح هذا الكلام مجلدا منفردا من مجلدات شرحه للنهج و هو المجلد الثانى عشر منه.

و لما رأيت أن نقل ما أتى به و جرحه و الاعتراض عليه حسبما جرت عليه عادتنا في الشرح يحتاج إلى مجلد مستقل و بسط بسيط يشتمل منه الطباع و يمل الأذهان طويلا عن التعرض له كشحا و لكننى أقول إجمالا:

أما سير عمر و أخلاقه و أطواره فالعمر أعزّ و أنفس من أن يصرف إلى ذكرها و يضيع في بيان مثلها.

و أمّا مطاعنه و مثالبه فهي صحيحة لا ريب فيها و أجوبه قاضى القضاء عنها مندفعه بما اعترض به المرتضى عليها فى الشافى حسبما حكاه تفصيلا.

و أمّا مناقشه الشارح فى بعض تلك الاعتراضات فقد رواها العلامة المجلسى «ره» فى مجلّد الفتن من البحار و لا حاجة لنا إلى نقلها و من أراد الاطلاع عليها فليراجع إلى محالّه التى تبّهنا عليها.

و أمّا الأحاديث التى رواها فى فضل عمر موضوعه مجهوله مجعوله، و آثار الوضع عليها ظاهره واضحه و قد مرّ الاشاره إلى بعضها فى شرح الكلام المأتين و التاسع نعم قد ذكر الشارح فى تضاعيف كلامه فى المقام أخبارا عاميه صريحه فى حقّه خلافه أمير المؤمنين عليه السلام و بطلان خلافه غيره، و اتبعها بكلام طويل جرى بينه و بين النّقيب أبى جعفر و هو كلام لطيف كاشف عن سوءات عمر و فضايحه و عن كفره و نفاقه و كونه فى مقام الاعتراض على ما يقوله رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و المعارضه له و عن أنّ عمده نظره فيما أسسه و أتى به إنّما كانت إلى حبّ السلطنه و الرّياسه لا الاشفاق على الاسلام و الامّه كما يزعمه العامّه، فأحببت نقل هذا الكلام على طوله لأنّه من لسان من هواه مع عمر أثبت و أقوى و ألذّ و أحلى فأقول:

قال الشارح بعد ما ذكر طائفه من الأخبار الدّاله على خلافه أمير المؤمنين ما هذا لفظه:

سألت النّقيب أبى «أباط» جعفر يحيى بن محمّد بن أبى زيد و قد قرأت عليه هذه الأخبار فقلت له: ما أراها إلّا تكاد تكون دالّه على النصّ و لكنّى أستبعد أن يجتمع الصحابه على دفع نصّ رسول الله على شخص بعينه كما استبعدنا من الصحابه على ردّ نصّه على الكعبه و شهر رمضان و غيرهما من معالم الدّين.

فقال: أبيت إلّا ميلا إلى المعتزله.

ثمّ قال: إنّ القوم لم يكونوا يذهبون إلى أنّها من معالم الدّين و أنّها جاريه مجرى العبادات الشرعيه كالصّلاه و الصّوم و لكنّهم كانوا يجرونها مجرى الامور

الدنيويّه مثل تأمير الأمراء و تدبير الحروب و سياسته الرعيه و ما كانوا بهذا الأمر و أمثال هذا من مخالفه نصوصه صَلَّى الله عليه و آله و سَلَّمَ إذا رأوا المصلحه فى غيرها ألا- تراه كيف نصّ على إخراج أبى بكر و عمر فى جيش اسامه و لم يخرجها لما رأى أنّ فى مقامهما مصلحه لله و له صَلَّى الله عليه و آله و سَلَّمَ و للملّه و حفظا للبيضة و دفعا للفتنه.

و قد كان رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سَلَّمَ يخالف و هو حيّ فى أمثال ذلك فلا ينكره و لا يرى به بأسا.

أ لست تعلم أنّه نزل فى غزوه بدر منزلا على أن يحارب قريشا فيه فخالفته الأنصار و قالت له: ليس الرأى فى نزولك هذا المنزل فاتركه و أنزل فى منزل كذا فرجع إلى آرائهم.

و هو الذى قال للأنصار عام قدم إلى المدينه: لا توبروا النخل، فعملوا على قوله فخاست نخلهم فى تلك السنه و لم تثمر حتّى قال لهم أنتم أعرف بأمر دنياكم و أنا أعرف بأمر دينكم و هو الذى أخذ الفداء من اسارى بدر فخالفه عمر فرجع إلى تصويب رأيه بعد أن فات الأمر و خلص الاسارى و رجعوا إلى مكّه.

و هو الذى أراد أن يصلح الأحزاب على ثلث تمر المدينه فرجعوا عنه فأتى سعد بن معاذ و سعد بن عباد و خالفاه فرجع إلى قولهما.

و قد كان قال صَلَّى الله عليه و آله و سَلَّمَ لأبى هريره: اخرج فناد فى الناس من قال لا إله إلا الله مخلصا بها قلبه دخل الجنّه، فأخبر أبو هريره عمر بذلك فدفعه فى صدره حتى وقع على الأرض فقال: لا تقلها فأنك إن تقلها يتكلوا عليها و يدعوا العمل فأخبر أبو هريره رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سَلَّمَ بذلك فقال: لا تقلها و خلّهم يعملون فرجع إلى قول عمر.

و قد أطبقت الصّحابه إطباقا واحدا على ترك كثير من النصوص لما رأوا المصلحه فى ذلك كاسقاطهم سهم ذوى القربى و إسقاطهم سهم المؤلفه قلوبهم و هذان الأمران أدخل فى باب الدّين منهما فى باب الدّنيا.

و قد عملوا بارائهم امورا لم يكن لها ذكر فى السنّه، كحدّ الخمر فانهم عملوه اجتهدا و لم يحدّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم شاربى الخمر و قد شربها الجّم الغفير فى زمانه بعد نزول آيه التحريم، و لقد كان أوصاهم فى مرضه أن اخرجوا نصارى نجران من جزيره العرب فلم يخرجوهم حتّى مضى مده من خلافه عمر و عملوا فى أيام أبى بكر برأيهم فى ذلك و استصلاحهم، و هم الذين هدموا المسجد بمدينه و حوّلوا المقام بمكّه و عملوا بمقتضى ما يغلب فى ظنونهم من المصلحه و لم يقفوا مع موارد النص حتى اقتدى بهم الفقهاء من بعد، فرجّح كثير منهم القياس على النص حتى استحالت الشريعه و صار أصحاب القياس أصحاب شريعه جديده.

قال النقيب: و اكثر ما كانوا يعملون بارائهم فيما يجرى مجرى الولايات و التأمير و التدمير و تقرير قواعد الدوله و ما كانوا يقفون مع نصوص رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و تدبيراته اذا رأوا المصلحه فى خلافها، كانهم يقيدون نصوصه المطلقه بقيد غير مذكور لفظا و لأنهم كانوا يفهمونه من قرابين أحواله و تقدير ذلك القيد افعلوا كذا إن رأيتموه مصلحه.

فأما مخالفتهم فيما هو محض الشرع و الدّين و ليس بمتعلق بامور الدّنيا، فانه يقل جدّا نحو أن يقول: الوضوء شرط فى الصلاه، فيجمعوا على ردّ ذلك و يجيزوا الصلاه من غير وضوء، أو يقول: صوم شهر رمضان واجب، فيطبقوا على مخالفه ذلك و يجعلوه شوالا- عوضا عنه، فانه بعيد إذ لا غرض لهم فيه و لا يقدرّون على اظهار مصلحه عثروا عليها خفيت عنه صلّى الله عليه و آله و سلّم.

و القوم الذين كانوا قد غلب على ظنونهم أنّ العرب لا تطيع عليا، فبعضها للحسد، و بعضها للوتر و الثار، و بعضها لاستحداثهم سنه عليه السّلام، و بعضها لاستطالته عليهم و رفعه عنهم، و بعضها كراهيه اجتماع النبوه و الخلافه فى بيت واحد، و بعضها للخوف من شدة وطئه و شدته فى دين الله، و بعضها لرجاء تداول قبائل العرب الخلافه اذا لم يقتصر بها على بيت مخصوص عليه فيكون رجاء كل حىّ لوصولهم إليها ثابتا

مستمراً، و بعضها يبغضه لبغضهم من قرابته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و هم المنافقون من الناس و من فى قلبه زيغ من أمر النبوه.

فأصفق الكلّ اصفافاً واحداً على صرف الأمر لغيره، فقال رؤساؤهم بأنّا خفنا الفتنة و علمنا أنّ العرب لا تطيعه و تتركه و تأولوا عند أنفسهم النصّ و قالوا إنّ النصّ و لكن الحاضر يرى ما لا يرى الغائب و الغائب قد يترك لأجل المصلحه الكليه.

و أعانهم إلى ذلك مسارعه الأنصار إلى ادّعائهم الأمر و إخراجهم سعد بن عباد من بيته و هو مريض لينصبوه خليفه فيما زعموا، و اختلط الناس و كثر الخبط و كادت الفتنة أن يضطرم نارها فوثب رؤساء المهاجرين و بايعوا ابا بكر و كانت فلتة كما قال قائلهم و زعموا أنّهم أطفئوا نائره الأنصار.

فمن سكت من المسلمين و اغضى و لم يتعرض فقد كفاهم أمر نفسه، و من قال سرّاً أو جهراً أو فلاناً قد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذكره أو نصّ عليه أو أشار إليه أسكتوه فى الجواب بأنّا بادرنا إلى عقد البيعه مخافه الفتنة.

و اعتذروا عنده ببعض ما تقدّم، إما أنّه حديث السنن، أو تبغّضه للعرب لأنّه وترها و سفك دماءها، أو لأنّه صاحب زهو و تيه، أو كيف يجتمع الخلافه و النبوه فى غرس واحد.

بل قد قالوا فى العذر ما هو أقوى منها و أكد قالوا: أبو بكر أقوى على هذا الأمر منه لا سيّما و عمر يعضده و يساعده و العرب يحبّ ابا بكر و يعجبها لينه و رفقه و هو شيخ مجربّ للأمور لا يحسده أحد و لا يحقد عليه أحد و لا يبغضه أحد، و ليس بذى شرف فى النسب فيشمخ على الناس بشرفه، و لا ذى قربي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيدلّ بقربه و دع ذا كلّ فأنّه فضل مستغنى عنه.

قالوا: لو نصبنا عليّاً ارتدّ الناس عن الاسلام و عادت الجاهليّه كما كانت فأيّما أصلح فى الدّين الوقوف مع النصّ المفضى إلى ارتداد الخلق و رجوعهم إلى الأصنام و الجاهليه؟ أم العمل بمقتضى الأصلح و استبقاء الاسلام و استدامه العمل بالدّين و إن

كان فيه مخالفه النص؟ قال: و سكت الناس عن الانكار لأنهم كانوا متفرقين.

فمنهم من هو مبغض شائى لعلى فالذى ثم من صرف الأمر عنه قرّه عينه و برد فؤاده.

و منهم ذو الدين و صحّه اليقين إلا أنّه لما رأى كبراء الصحابه قد اتفقوا على صرف الأمر عنه ظنّ أنهم إنما فعلوا ذلك خلاف النصّ من رسول الله بنسخ ما قد كان سمعه من النصّ على أمير المؤمنين لا سيما ما رواه أبو بكر من قول النّبي صلّى الله عليه و آله و سلّم الأئمه من قريش، فإنّ كثيرا من الناس توهموا أنه ما ينسخ النصّ الخاص و أنّ معنى الخبر أنكم مجازون فى نصب إمام من قريش من أى بطون قريش كان فانه يكون إماما.

و اكد أيضا فى نفوسهم رفض النصّ الخاصّ ما سمعوه من قول رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم ما رواه «رءاه ظ» المسلمون حسنا فهو عند الله حسن، و قوله: سألت الله أن لا يجمع امتى على ضلال فأعطانيها فأحسنوا الظنّ بعاقدى البيعه و قالوا: هؤلاء أعرف بأغراض رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم من كلّ أحد فأمسكوا و كفّوا عن الانكار.

و منهم فرقه اخرى و هم أكثر من الأعراب و جفاه طغام أتباع كلّ ناعق يميلون مع كل ربيع، فهؤلاء مقلدون لا يسألون و لا ينكرون و لا يبحثون و هم مع امرائهم و ولاتهم لو أسقطوا عنهم الصّلاه الواجبه لتركوها.

فلذلك محق النصّ و خفى و درس و قويت كلمه العاقدين لبيعه أبى بكر.

و قواها زياده على ذلك اشتغال على و بنى هاشم برسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و اغلاق بابهم عليهم و تخليتهم الناس يعملون ما شاءوا و أحبّوا من غير مشاركهم فيما هم فيه، لكنهم أرادوا استدراك ذلك بعد ما فات، و هيهات الفايه لا رجعه له.

و أراد على بعد ذلك نقض البيعه فلم يتم له ذلك، و كانت العرب لا ترى الغدر و لا ينقض البيعه صوابا كانت أو خطاء، و قد قالت له الأنصار و غيرها: أيها الرّجل لو دعوتنا

إلى نفسك قبل البيعه لما عدلنا بك أحدا و لكننا قد بايعنا فكيف السبيل إلى نقض البيعه بعد وقوعها.

قال الثَّقِيب: و ممّا جَرء عمر على بيعه أبى بكر و العدول عن علىّ عليه السَّلام مع ما كان يسمعه من الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم فى أمره أنه أنكر مرارا على رسول الله أمورا اعتمدها فلم ينكر عليه رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم إنكاره بل رجع فى كثير منها إليه أشار عليه بأمر كثيره نزل القرآن فيها بموافقته فأطمعه ذلك فى الاقدام على اعتماد كثير من الامور التى كان يرى فيها المصلحه ممّا هى خلاف النصّ.

و ذلك نحو إنكاره الصّلاه على عبد الله بن ابى المنافق، و إنكاره فداء اسارى بدر، و إنكاره عليه تبرّج نسائه للنّاس، و إنكاره قضيه الحديبيه، و إنكاره أمان العباس لأبى سفيان بن حرب، و إنكاره واقعه أبى حذيفه بن عتبّه، و إنكاره أمره صلّى الله عليه و آله و سلّم بالنّداء من قال: لا إله إلا الله دخل الجنّه، و إنكاره أمره صلّى الله عليه و آله و سلّم بذبح التّواضح، و إنكاره على النساء هيبتهنّ له دون رسول الله إلى غير ذلك من أمور كثيره تشتمل عليها كتب الحديث.

و لو لم يكن إلّا- إنكاره قول رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فى مرضه: ائتوني بدواه و كتب أكتب لكم ما لا- تضلّون بعدى، و قوله ما قال و سكوت رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم عنه و أعجب الأشياء أنّه قال ذلك اليوم: حسّنا كتاب الله، فافترق الحاضرون من المسلمين فى الدّار فبعضهم يقول: القول ما قال عمر، فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و قد كثر اللّغط و علت الأصوات: قوموا عنيّ فما ينبغى لنبيّ أن يكون عنده هذا التّنازع.

فهل بقى للنّبوه مزيه أو فضل إذا كان الاختلاف قد وقع بين القولين و ميل المسلمين بينهما فرجّح قوم هذا و قوم هذا أليس ذلك دالا- على أنّ القوم سوّوا بينه و بين عمر و جعلوا القولين مسأله خلاف ذهب كلّ فريق منهم إلى نصره واحد منهما كما يختلف اثنان من عرض المسلمين فى بعض الأحكام فينصر قوم هذا و ينصر ذاك آخرون

فمن بلغت قوّته و همّته إلى هذا كيف ينكر منه أن يبايع أبا بكر لمصلحه رآها و يعدل عن النصّ و من الّذى ينكر عليه ذلك و هو فى القول الّذى قاله للرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم فى وجهه غير خائف من الأنصار و لا أنكر عليه رسول الله و لا غيره و هو أشدّ من مخالفه النصّ فى الخلافه و أفضع و أشنع.

قال التّقيب: على أنّ الرّجل ما أهمل أمر نفسه بل أعدّ أعدارا و أجوبه.

و ذلك لأنّه قال لقوم عرضوا له الحديث النصّ أنّ رسول الله رجّع عن ذلك باقامته ابا بكر فى الصّلاه مقامه و أوهمهم أنّ ذلك جار مجرى النصّ عليه بالخلافه، و قال يوم السّقيفه: أيّكم يطيب نفسا أن يتقدّم قدمين قدّمهما رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فى الصّلاه.

ثمّ أكّد ذلك بأن قال لأبى بكر و قد عرض عليه البيعه: أنت صاحب رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فى المواطن كلّها شدّتها و رخاتها، رضيك لديننا أفلا نرضاك لدينانا.

ثمّ عاب عليّا بخطبه بنت أبى جهل فأوهم أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم كرهه لذلك و وجد عليه و أرضاه عمرو بن العاص فروى حديثا افتعله و اختلقه على رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم قال: سمعته يقول: إنّ آل أبى طالب ليسوا لى بأولياء إنّما وليّى الله و صالح المؤمنين فجعلوا ذلك كالنّاسخ لقوله صلّى الله عليه و آله و سلّم من كنت مولا فلهذا مولا.

قلت للتّقيب: أيصّح النّسخ فى مثل هذا أليس هذا نسخا للشّىء قبل تقضّى وقته؟ فقال: سبحان الله من أين تعرف العرب هذا و أنّى لها أن يتصوّره فضلا عن أن تحكم بعدم جوازه فهل يفهم حذاق الأصوليين هذه المسأله فضلا عن حمقى العرب؟ هؤلاء قوم ينخدعون بأدنى شبهه و يستمالون بأضعف سبب و يبنى الامور معهم على ظواهر النّصوص و أوائل الأدلّه و هم أصحاب جمل و تقليد لا أصحاب تفصيل و نظر.

قال: ثمّ أكّد حسن ظنّ النّاس بهم أن خلعوا أنفسهم عن الأموال و زهدوا فى

فى متاع الدّنيا و زخرفها و سلّكوا مسلك الرّفص لزيّنتها و الرّغبه و القناعه بالتّطفيّف التّزر منها و أكلوا الخشن و لبسوا الكرايس.

و لما ألت إليهم أفلا ذ كبدها وفّروا الأموال على النّاس و قسّموها بينهم لم يتدنّسوا منها بقليل و لا كثير فمالت إليهم القلوب و أحبّتهم النّفوس، و حسنت فيهم الظّنون و قال من كانت فى نفسه شبهه منهم أو وقفه فى أمرهم: لو كانت هؤلاء قد خالفوا النّص لهوى أنفسهم لكانوا أهل الدّنيا و بسط عليهم الميل إليها و الرغبه فيها و الاستيثار بها، و كيف يجمعون على أنفسهم بين مخالفه النّص و ترك لذات الدنيا و ماربها، فيخسروا الدّنيا و الاخره، و هذا لا يفعله عاقل و ذو لباب و آراء صحيحه.

فلم يبق عند أحد شكّ فى أمرهم و لا- ارتياب لفعلهم و ثبت العقائد على ولائهم و تصويب أفعالهم و نسو الدّه الرياسه و أن أصحاب الهمم العاليه لا يلتفتون إلى الماكل و المشرب و المنكح و إنّما يريدون الحكم و الرياسه و نفوذ الأمر كما قال الشاعر:

و قد رغبت عن لدّه المال أنفس و ما رغبت عن لدّه الأمر و النهى

قال: و الفرق بين الرّجلين و بين الثالث ما اصاب الثالث و قتل تلك القتل و خلعه النّاس و حصروه و ضيّقوا عليه بعد أن توالى إنكارهم أفعاله فى وجهه و فسّيقوه و ذلك لأنّه استأثر هو و أهله بالأموال و انغمسوا فيها و استبدّوا بها فكانت طريقته و طريقتهم مخالفه لطريقى الأوّلين، فلم تصبر العرب على ذلك.

و لو كان عثمان سلّك مسلك عمر فى الزّهد و جمع النّاس، و ردع الأمراء و الولاه عن الأهوال، و تجنب استعمال أهل بيته، و وفّر أعراض الدّنيا و ملاذها و شهواتها على النّاس زاهدا فيها تاركا لها معرضا عنها لما ضرّه شىء قطّ و لا أنكر عليه أحد قطّ و لو حوّل الصّلاه من الكعبه إلى بيت المقدس بل لو أسقط عن النّاس إحدى الصلاه الخمس و اقتنع منهم بأربع.

و ذلك لأنّ همم النّاس مصروفه إلى الدّنيا و الأموال فاذا وجدوها سكتوا و إذا نفذوها هاجوا و اضطربوا.

أَلست ترى رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم كيف قَسَمَ قَسَايِمَ هو اذن على المنافقين و على أعدائه الَّذِينَ يَتَمَنُونَ قَتْلَهُ و موته و زوال دولته فَلَمَّا اعطوه أَحَبُّوهُ إِمَّا كُلَّهُم أو أَكْثَرَهُم، و من لم يَحِبَّهُ مِنْهُمْ بقلبه جاهله و داره و كَفَّ عن إظهار عداوته و الاجلاب عليه.

و لو أَنَّ أمير المؤمنين عليه السَّلام صانع أصحابه بالمال و إعطاء الوجوه و الرُّؤساء لكان أمره إلى الانتظام أقرب، و لكنَّه رفض جانب التَّيْدِير الذي بنوا و آثر لزوم الدِّين و تمسَّك بأحكام الشَّريعة، و الملك أمر آخر غير الدِّين فاضطرب عليه أصحابه و هرب كثير منهم إلى عدوِّه.

قال الشَّارح المعتزلى: و قد ذكرت فى هذا الفصل خلاصه ما حفظته عن النقيب أبى جعفر و لم يكن إمامى المذهب و لا كان يبرء من السَّيْلَف و لا يرتضى قول المسرفين من الشَّيعه، و لكنَّه كلام أجراه على لسانه البحث و الجدل بينى و بينه على أَنَّ العلوى لو كان كراميا لا بدَّ أن يكون عنده نوع من تعصُّب و ميل على الصحابه و إن قلَّ، انتهى.

و أقول: لله درَّ النقيب فلقد أجاد فيما أفاد و جانب العصبية و العناد و أبان عن مَخِّ ما يقوله الفرقة الحقَّة الامامية و تذهب إليه و تدين به ببيان ليس فوقه بيان، و قد اتَّضح بما ذكره كلَّ الوضوح أَنَّ عمر كان دائما فى مقام المعارضة لرسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سَلَّمَ و الطعن و الانزراء عليه و الرَّد لأقواله و أفعاله فى حياته صَلَّى الله عليه و آله و سَلَّمَ و بعد موته، و أنه أنكر النصَّ على خلافة أمير المؤمنين عليه السَّلام و أوَّله بتأويلات سخيْفه بأحاديثه المختلقه المجعوله و معاذيره الباطله، كما اتَّضح أَنَّ نكته زهده فى الدُّنيا إنما كانت حبَّ الملك و الرِّياسه و نفوذ الأمر لا الزَّهد الحقيقى الذى أوهمه للناس و ظنه فى حقِّه الهمج الرِّعاء، فويل له ثمَّ ويل له من دِيان يوم الدِّين، و لعنه الله على جميع الظالمين و الغاصبين لحقَّ آل محمَّد سلام الله عليهم أجمعين.

قد ظهر لك بما حققناه و اتّضح لك كلّ الوضوح أن هذا الكلام الذي نحن في شرحه إن كان نظره عليه السّلام فيه إلى عمر فليس هو ثنائه كما توهمه الشارح المعتزلي وغيره، وإن كان إشاره إلى أبي بكر كما زعمه الشارح البحراني فلا يكون ثناء له أيضا.

و أقول تأكيداً لهذا المعنى: كيف يمكن أن يمدحهما أمير المؤمنين مع ما صدر عنهما من الالحاد و الارتداد و الشقاق و النفاق و المحاذة لله عزّ و جلّ و لرسوله صلّى الله عليه و آله و سلّم و لأوليائه عليهم السّلام و اتيانه من الكبائر و الجرائر العظيمة التي لا يحصيها الألسنه و الأفواه و لا يحيط بها الدفاتر و الأقلام و قد أفصح عنها أئمتنا الأطهار في أخبارهم و صرح بها علماؤنا الأبرار في زبرهم و آثارهم.

و أول من أبدى سوا آتئهما بعد الله و بعد رسوله هو أمير المؤمنين عليه السّلام فاحتذى حذوه ذريته البرره و شيعة الطيّبه و سلكوا مسلكه و كلماته المتضمّنه للعنهما و الطعن و القدح و الازراء عليهما و التّظلم و الشكوى منهما في التّهج و غيره كثيره جداً.

و أكثرها احتواءً لذلك دعاؤه المعروف بدعاء صنمى قريش الذي كان يواظب عليه السّلام عليه في قنوته و سائر أوقاته، و قد رواه غير واحد من أصحابنا قدّس الله أرواحهم في مؤلفاتهم، و أحببت نقله هنا لكونه أنقض لظهر النّاصبين و أرغم أنف المعاندين و أبطل لزعم من توهم ثناء أمير المؤمنين لهذين الذين لا حريجه لهما في الدّين.

فأقول و بالله التوفيق:

في كتاب البلد الأمين و جنّه الأمان الواقيه المشتهر بالمصباح للشيخ العالم الفاضل الكامل إبراهيم بن على بن الحسن بن محمّد الكفعمي رضي الله عنه إنّ هذا الدّعاء رفيع الشّأن عظيم المنزله، و رواه عبد الله بن عباس عن على عليه السّلام أنّه كان يقنت به و قال: إنّ الدّاعي به كالرّامي مع النّبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم في بدر و احد و حنين بألف ألف سهم و هو:

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَالعن صنمى قريش وجبتيها و طاغوتيها و افكيها و ابنتيها اللّذين خالفا أمرك، و أنكرا وحيك و جحدا أنعامك، و عصيا رسولك، و قلبا دينك، و حرفا كتابك، و عطلا أحكامك، و أبطلا فرائضك، و ألحدا فى آياتك و عاديا أولياءك، و واليا أعداءك، و خربا بلادك، و أفسدا عبادك.

اللَّهُمَّ العنهما و اتباعهما و أولياءهما و أشياعهما و محبيهما فقد أخربا بيت النبوة و ردما بابه و نقضا سقفه، و ألحقا سماءه بأرضه و عالیه بسافله، و ظاهره بباطنه، و استأصلا أهله، و أبادا أنصاره، و قتلا أطفاله، و أخليا منبره من وصيّه، و داريا علمه، و جحدا إمامته، و أشركا برّبهما، فعظّم ذنبهما، و خلدهما فى سقر، و ما أدريكم ما سقر لا تبقى و لا تذر.

اللَّهُمَّ العنهم بعدد كلّ منكر أتوه، و حقّ أخفوه، و منبر علوه، و مؤمن ارجوه، و منافق ولوه، و وليّ آذوه، و طريد آووه، و صادق طردوه، و كافر نصره و إمام قهره، و فرض غيروه، و أثر أنكره، و شرّ آثروه، و دم أراقوه، و خبر بدّلوه، و كفر نصبوه، و إرث غصبوه، و فىء اقتطعوه، و سحت أكلوه، و خمس استحلّوه، و باطل أسّسوه، و جور بسطوه، و نفاق أسّروه، و غدر أضمره، و ظلم نشره، و وعد أخلفوه، و أمان خانوه، و عهد نقضوه، و حلال حرّموه، و حرام أحلّوه، و بطن فتقوه، و جنين أسقطوه، و ضلع دّقوه، و صكّ مزقوه، و شمل بدّدوه و عزيز أذلّوه، و ذليل أعزّوه، و حقّ منعه، و كذب دلّسوه، و حكم قلبوه، و إمام خالفوه.

اللَّهُمَّ العنهم بكلّ آيه حرّفوها، و فريضه تركوها، و سنّه غيروها، و رسوم منعوها، و أحكام عطّلوها، و بيعه نكثوها، و دعوى أبطلوها، و بينه أنكروها، و حيله أحدثوها، و خيانه أوردوها، و عقبه ارتقوها، و دباب دحرجوها، و ازياف لزموها، و شهادات كتموها، و وصيّه ضيّعوها اللَّهُمَّ العنهما فى كمون السرّ و ظاهر العلانيه لعنا كثيرا أبدا دائما دائما

و كانوا كما قال سبحانه «كَلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ».

و أمّا «عصيانهما الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسلم» فلقوله صَلَّى الله عليه وآله وسلم: يا عليّ من أطاعك فقد أطاعني و من عصاك فقد عصاني، و أمّا «قلبهما الدّين» فهو إشارة إلى ما غيراه من دين الله كتحريم عمر المتعتين و غير ذلك ممّا لا يحتمله هذا المكان.

و قوله «و حرّفا كتابك» يريد به حمل الكتاب على خلاف مراد الشّرع و ترك أوامره و نواهيه، «و محبتهم الأعداء» إشارة إلى الشجرة الملعونة بنى امية و محبتهم لهم حتّى عهدا لهم أمر الخلافه من بعدهما، و جحدهما الالاء كجحدهما النّعماء و قد مرّ ذكره، و «تعطيلهما الأحكام» يعلم ممّا تقدّم و يأتي و كذا إبطال الفرائض.

و «الالحاد فى الدّين» الميل عنه و «معاداتهما الأولياء» إشارة إلى قوله تعالى «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» - الايه، و «تخريبهما البلاد و إفسادهما العباد» بما هدموا من قواعد الدّين و تغييرهم أحكام الشّريعة و أحكام القرآن و تقديم المفضول على الأفضل.

و قوله «فقد أخربا بيت النّبوه» إشارة إلى ما فعله الأوّل و الثّانى مع عليّ و فاطمه من الايذاء و أرادا إحراق بيت عليّ بالنار و قاده قهرا كالجمل المخشوش و ضغطا فاطمه فى بابها حتّى اسقطت بمحسن و أمرت أن تدفن ليلا لثلا يحضر الأوّل و الثّانى جنازتها و غير ذلك من المناكير.

و عن الباقر عليه السّلام ما اهرقت محجمه دم إلّا و كان وزرها فى أعناقهما إلى يوم القيامة من غير أن ينتقص من وزر العالمين شىء، و سئل زيد بن عليّ بن الحسين و قد أصابه سهم فى جبينه: من رماك به؟ قال: هما رمياني هما ضلاني.

و أمّا «المنكرات التى أتوها» فكثيره جدّا و غير محصوره عدّا حتى روى

أنَّ عمر قضى في الجَدِّه بسبعين قضيه غير مشروعه، وقد ذكر العلامة قدس الله سره في كتاب كشف الحق و نهج الصدق فمن أراد الاطلاع على جملة من مناكرهم و ما صدر من الموبقات من أولهم إلى آخرهم فعليه بالكتاب المذكور و كذا كتاب الاستغاثه في بدع الثلاثه، و كذا كتاب مطالب العواصب في مثالب النواصب، و كتاب الفاضح و كتاب صراط المستقيم و غير ذلك ممَّا لا يحتمل المكان ذكر الكتب فضلا عما فيها.

و «الحق المخفى» إشاره إلى فضائل علي عليه السلام و ما نصَّ عليه النبي صلى الله عليه و آله و سلم في الغدير و كحديث الطائر و قوله صلى الله عليه و آله و سلم لأعطين الزايه غدا الحديث و حديث السطل و المنديل و هوى النجم في داره و نزول هل أتى فيه و غير ذلك ممَّا لا يتسع لذكره هذا الكتاب.

و «ارجاؤهم المؤمن» إشاره إلى أصحاب علي عليه السلام كسلمان و مقداد و عمار و أبي ذر، و الارجاء التأخير و منه قوله تعالى «أَرْجِهْ وَأَخَاهُ» مع أنَّ النبي صلى الله عليه و آله و سلم كان يقدم هؤلاء و أشباههم على غيرهم.

و «توليتهم المنافق» إشاره إلى معاويه و عمرو بن العاص و المغيرة بن شعبه و الوليد بن عقبة و عبد الله بن أبي سرح و النعمان بن بشير، و «ايذاؤهم الولي» يعني عليا عليه السلام و «ايواؤهم الطريد» هو الحكم بن أبي العاص طرده النبي صلى الله عليه و آله و سلم فلما تولَّى عثمان آواه، و «طردهم الصادق» إشاره إلى أبي ذر و طرده عثمان إلى الرَبْذَه و قد قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم في حقه: ما أظَلَّت الخضراء و لا أقلت الغبراء الحديث و «نصرهم الكافر» إشاره إلى كلِّ من خذل عليا و حادَّ الله سبحانه و رسوله و هو سبحانه يقول «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» الايه و «الامام المقهور» منهم يعني نفسه عليه السلام.

قوله عليه السلام: «و فرض غيروه» تغييرهم الفرض اشاره إلى ما روى عنه صلى الله عليه و آله و سلم أنه رأى ليلة الاسرى مكتوبا على ورقه من آس: أنى افترضت محبه علي على امتك فغيروا فرضه و مهَّدوا لمن بغضه و سبَّه حتى سبَّوه على منابرهم ألف شهر.

و «الاثر الذي أنكروه» إشاره إلى استيثار النبي عليا من بين أفاضل أقاربه و جعله أخا و وصيا و قال له أنت منى بمنزله هارون من موسى أو غير ذلك، ثم بعد

ذلك كله أنكروه.

و «الشّرّ الذى آثروه» هو ايثارهم الغير عليهم و هو ايثار شرّ مجهول متروك على خير مأخوذ و معلوم هذا مثل قوله صلى الله عليه و آله و سلّم: على خير البشر من أبى فقد كفر.

و «الدّم المهرّاق» هو جميع ما قتل من العلويين لأنهم أسيسوا ذلك كما ذكرنا من قبل من كلام الباقر عليه السّلام ما اهرقت محجمه دم آه حتّى قيل: اريتكم إنّ الحسين اصيب فى يوم السقيفه.

و «الخبر المبدّل» منهم عن النّبى صلى الله عليه و آله و سلّم كثير كقولهم: أبو بكر و عمر سيّدا كهول أهل الجنّه و غير ذلك ممّا هو مذكور فى مظانّه، و «الكفر المنصوب» هو أنّ النّبى صلى الله عليه و آله و سلّم نصب عليا علما للناس و هاديا فنصبوا كافرا و فاجرا، و «الارث المغصوب» هو فدك فاطمه و إرثها من أبيها، و كذا «الفىء المقتطع» هو فدك و «السّيح المأكول» هى التصرفات الفاسده فى بيت مال المسلمين، و كذا ما حصلوه من ارتفاع فدك من التمر و الشعير فانها كانت سحتا محضا.

و «الخمس المستحلّ» هو الذى جعله سبحانه لال محمّد فمنعهم إياه و استحّلوه حتى اعطى عثمان مروان بن الحكم خمس إفريقيا و كان خمسمائه ألف دينار بغيا و جورا، و «الباطل المؤسّس» هى الأحكام الباطلة التى أسّسوها و جعلوها قدوده لمن بعدهم و «الجور المبسوط» هو بعض جورهم الذى مرّ ذكره.

و «النفاق الذى أسروه» هو قولهم فى أنفسهم لما نصب النّبى صلى الله عليه و آله و سلّم عليا علما للخلافه قالوا: و الله لا نرضى أن يكون النبوّه و الخلافه فى بيت واحد، فلما توفّى النّبى صلى الله عليه و آله و سلّم أظهروا ما أسروه من النفاق، و لهذا قال على عليه السّلام: و الذى فلق الحبّه و برء النسمة ما أسلموا و لكن استسلموا أسروا الكفر فلما رأوا أعوانا عليه أظهروه.

و أما «الغدر المضمّر» فهو ما ذكرناه من اسرارهم النفاق، و «الظلم المنشور» كثير أوّله أخذهم الخلافه منه عليه السّلام بعد فوت النّبى صلى الله عليه و آله و سلّم «و الوعد المخلف» هو ما وعدوا النّبى صلى الله عليه و آله و سلّم من قبولهم ولايه على و الايتمام به فنكثوه و «الأمان الذى خانوه»

هو ولايه عليّ في قوله تعالى: إِنَّا عرضنا الأمانه على السموات والأرض الأيه، و الانسان فيها هم لعنهم الله، و «العهد المنقوض» هو ما عاهدهم به النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم يوم الغدير على محبه عليّ و ولايته فنقضوا ذلك و «الحلال المحرّم» كتحريم المتعتين، و عكسه كتحليل الفقاع و غير ذلك.

و «البطن المفتوق» بطن عمار بن ياسر ضربه عثمان على بطنه فأصابه الفتق و «الجنين المسقط» هو محسن و «الضلع المدقوق و الصكّ الممزوق» إشاره إلى ما فعلاه مع فاطمه عليهما السّلام من مزق صكّها و دقّ ضلعها، و «الشمّل المبدّد» هو تشتيت شمل أهل البيت و كذا شتتوا بين التأويل و التنزيل و بين الثقيلين الأكبر و الأصغر.

و «إعزاز الدّليل» و عكسه معاويه و كذا الحقّ الممنوع قد تقدّم ما يدلّ عليه و «الكذب المدلّس» مرّ معناه في قوله: و خبر بدّلوه و «الحكم المقلّب» مرّ معناه في أوّل الدّعاء في قوله عليه السّلام و قلبا دينك.

و «الايه المحرّفه» مرّ معناه في قوله: و حرّفا كتابك «و الفريضة المتروكه» هي موالاه أهل البيت لقوله تعالى: «قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» و «السنة المغيره» كثيره لا تحصي و «الرّسوم الممنوعه» هي الفىء و الخمس و نحو ذلك و «تعطيل الأحكام» يعلم ممّا تقدّم، و «البيعه المنكوته» هي نكثهم بيعته كما فعل طلحه و الزّبير و «الدّعوى المبطله» إشاره إلى دعوى الخلافه و فدك، و «البينه المنكره» هي شهاده عليّ و الحسنين عليهم السّلام و أمّ أيمن لفاطمه فلم يقبلوها.

و «الحيله المحدثه» هي اتّفاقهم أن يشهدوا على عليّ بكبيره توجب الحدّ إن لم يبايع.

قوله «و خيانه أوردوها» إشاره إلى يوم السّقيفه لما احتجّ الأنصار على أبى بكر بفضايل، عليّ عليه السّلام و أنّه أولى بالخلافه فقال أبو بكر: صدقتم ذلك

و لكنّه نسخ بغيره لأنّى سمعت النّبىّ صلّى الله عليه وآله وسلم يقول: إنّ أهل بيت أكرمنا الله بالنّبوه و لم يرض لنا الدّنيا و إنّ الله تعالى لا يجمع لنا بين النّبوه و الخلافه و صدّقه عمر و أبو عبيده و سالم مولى حذيفه على ذلك و زعموا أنّهم سمعوا هذا الحديث من النّبىّ صلّى الله عليه وآله وسلم كذبا و زورا فشبّهوا على الأنصار و الائمّه و النّبىّ صلّى الله عليه وآله وسلم قال: من كذب علىّ متعمّدا فليتبوّء مقعده من النار.

و قوله «و عقبه ارتقوها» إشاره إلى أصحاب العقبه و هم أبو بكر و عمر و عثمان و طلحه و الزّبير و أبو سفيان و عتبه بن أبى سفيان و أبو الأعور السّلمى و المغيرة بن شعبه و سعد بن أبى وقاص و أبو قتاده و عمرو بن العاص و أبو موسى الأشعرى لعنهم الله جميعا اجتمعوا فى غزوه تبوك على كؤد لا- يمكن أن يجتاز عليها إلّا فرد رجل أو فرد جمل، و كان تحتها هوّه على مقدار ألف رمح من تعدّى عن المجرى هلك من وقوعه فيها، و تلك الغزوه كانت فى أيام الصّيف و العسكر تقطع المسافه ليلا فرارا من الحرّ فلما وصلوا إلى تلك العقبه أخذوا دبابا كانوا هيئوها من جلد حمار و وضعوا فيها حصى و طرحوها بين يدي ناقه النّبىّ صلّى الله عليه وآله وسلم لينفروها به فتلقاه فى تلك الهوّه فيهلك فنزل جبرئيل على النّبىّ صلّى الله عليه وآله وسلم بهذه الايه: يحلفون بالله ما قالوا و لقد قالوا كلمه الكفر و كفروا بعد إسلامهم و همّوا بما لم ينالوا، الايه و أخبره صلّى الله عليه وآله وسلم بمكيده القوم فأظهر الله تعالى برقا مستطيلا دائما حتى نظر النّبىّ صلّى الله عليه وآله وسلم إلى القوم فعرفهم.

و إلى هذه الدّباب التى ذكرناها أشار بقوله «و دباب دحرجوها» و سبب فعلهم هذا مع النّبىّ صلّى الله عليه وآله وسلم كثره نصّه على على عليه السّلام بالولايه و الامامه و الخلافه و كانوا من قبل نصّه أيضا يسبونّه لأنّ النّبىّ صلّى الله عليه وآله وسلم سلّطه على كلّ من عصاه من طوايف العرب فقتل مقاتليهم و سبى ذراريهم فما من بيت إلّا و فى قلبه (1) فانتهزوا فى هذه الغزوه الفرصه و قالوا إذا هلك محمّد رجعنا إلى المدينه و نرى رأينا فى هذا الأمر من بعده، و كتبوا بينهم كتابا فعصم الله نبيّه منهم و كان من فضيحتهم ما ذكرناه.

ص: ٤٠٤

و قوله «و أزياف لزموها» الأزياف جمع زيف و هو الدرهم الردى غير المسكوك الذى لا ينتفع به أحد شبه أفعالهم الرديه بالدرهم الزيف الذى لا يظهر فى البقاع و لا يشتري به متاع فلافعالهم الفظيعة و أقوالهم الشنيعة ذكرهم الله تعالى فى قوله و الذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعه، الايه و «الشهادات المكتومه» هى ما كتموا من فضائله و مناقبه الذى ذكره النبى صلى الله عليه و آله و سلم و هى كثيره جدًا و غير محصوره عدًا و «الوصيه المضيعه» هى قول النبى صلى الله عليه و آله و سلم: أوصيكم بأهل بيتي خيرا و أمرهم بالتمسك بالثقلين و أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، و أمثال ذلك، انتهى كلامه رفع الله مقامه.

اقول: و قد كان الشارح ذكر شرح فقرات الدعاء بلا مراعاة الترتيب بينها فأوردته على ترتيب تسهيلا للأمر بلا تغيير و تبديل فيما أتاه، هذا.

و قال المحدث العلامة المجلسي فى قوله: و أزياف لزموها، فى بعض النسخ بالراء المهمله جمع ريف بالكسر و هى أرض فيها زرع و خصب و السعه فى المأكل و المشرب و ما قارب الماء من أرض العرب أو حيث الماء و الخضر و الزرع و لا يخفى مناسبه الكل.

الترجمه

از جمله کلام بلاغت نظام آن حضرتست می فرماید:

خدا راست شهرهای فلان شخص - بقول بعض شارحین مراد از این عمر بن الخطاب است، و بقول بعضی غیر اوست - پس بتحقیق که راست گردانید کجی را و مداوا نمود مرض را، و برپا داشت سنت را، و باز پس انداخت فتنه را، رفت بزیر خاک در حالتی که پاک لباس بود و کم عیب، رسید بخیر خلافت، و سبقت نمود بشر خلافت، ادا کرد بسوی خدای تعالی طاعت و عبادت او را، و پرهیز کرد از او با

أدا کردن حقّ او، و رحلت نمود از دنیا و واگذاشت مردمان را در طرق مختلفه و راههای متفرقه که هدایت نمی یابد در آنها شخص گمراه، و یقین تحصیل نمی تواند بکند شخص طالب هدایت.

شارح گوید: اگر نظر إمام علیه السّلام در این کلام بعمر باشد و لفظ فلان کنایه از او باشد چنانچه بعض شراح همچنین فهمیده اند باید بتوریه حمل نمود چنانچه عادت أئمه علیهم السّلام در کلماتی که در حقّ خلفای جور وارد شده بر این جاریست.

و من کلام له علیه السّلام و هو المأتان و السابع و العشرون من المختار فی باب الخطب

اشاره

فی وصف بیعتیه علیه السّلام بالخلافه و قد تقدّم مثله بألفاظ مختلفه و بسطتم یدی فکففتها، و مددتموها فقبضتها، ثمّ تداککتم علیّ تداکک الابل الهمیم علی حیاضها یوم وردها، حتی انقطعت النّعل، و سقطت الرّداء، و وطئ الضّعیف، و بلغ من سرور النّاس بیعتهم إیای أن ابتهج بها الصّغیر، و هدج إليها الکبیر، و تحامل نحوها العلیل، و حسرت إليها الکعاب.

اللفه

(التّداکک) الازدحام الشدید مأخوذ من الدّک و هو الدّق و (الهمیم) بالکسر

العطاش و (الورد) بالكسر الشرب أو الاشراف على الماء دخله أو لم يدخله، و فى بعض النسخ يوم ورودها و (هدج) يهدج من باب ضرب مشى مشيا ضعيفا مرتعشا قال الفيروز آبادى: الهدجان محرّكه و كغراب مشيه الشيخ و (تحامل) فى الأمر تكلفه على مشقه و (حسرت) أى كشفت عن وجهها و فى نسخه الشّارح البحرانى و حسرت عن ساقها الكعاب و (كعب) الجاربه تكعب من باب ضرب و قعد كعوبا نهّد ثديها، و جاربه كعاب وزان سحاب النّاهده الثدى و الجمع كواعب قال تعالى «وَ كَوَاعِبَ أَثْرَابًا».

الاعراب

فاعل بلغ محذوف و قوله: أن ابتهج أن مصدرية و مدخولها فى تأويل المصدر و محلّ النّصب بنزع الخافض، و مفعول حسرت محذوف بقرينه الكلام و قوله: اليها متعلّق بقوله حسرت على تضمين معنى الشوق والرّغبة.

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام كما قال الرّضىّ وارد (فى وصف بيعته عليه السّلام بالخلافه و قد تقدّم مثله بألفاظ مختلفه) الظاهر أنّ مراده بما تقدّم ما مرّ فى الكلام الماء و السّابع و الثّلاثين من قوله: قبضت يدي فبسطتموها و نازعتكم يدي فجاذبتموها، و يحتمل أن يكون مراده به ما مرّ فى الخطبه الثالثه و الخمسين من قوله: فتداكّوا على تداكّ الابل الهيم يوم ورودها، و لم يتقدّم فى الكتاب ما يشبه ألفاظ هذا الكلام غير هذين.

نعم تقدّم منّا فى شرح الخطبه السّادسه و العشرين روايه طويله عن كتاب الغارات لابراهيم الثّقفى و الأشبه أن يكون هذا الكلام ملتقطا منها لكنّها مختلفه الألفاظ جدّا كما يظهر بالرّجوع إلى ما تقدّم.

و كيف كان فهذا الكلام منه عليه السّلام وارد مورد الاحتجاج على النّاكثين لبيعه

و محصّيه أنكم قد كنتم على غايه الحرص و الميل إلى بيعتي مع إباء مني فمن كان هذا حاله فكيف ينكت و أشار إلى مزيد حرصهم عليها بقوله (و بسطتم يدي فكففتها) شوقا منكم إلى البيعه و تمانعا مني (و مددتموها فقبضتها) رغبه منكم إليها و استنكافا مني (ثم تداككتم على تداكّ الابل الهيم على حياضها يوم وردها) و هو من تشبيه المحسوس بالمحسوس أى ازدحمت ازدحاما شديدا يدك بعضكم بعضا كما يدكّ الابل العطاش بعضها لبعض على الحياض عند شربها و وجه الشبه مزيد الازدحام.

قال الشّارح البحراني: و يمكن أن يلاحظ في وجه الشبه كون ما عنده من الفضائل الجمّه العلميه و العمليه تشبه الماء و كون المزدحمين عليه في حاجتهم و تعطّشهم إلى استفاده تلك الفضائل النّافعه لعلّتهم كالعطاش من الابل يوم ورودها انتهى، و الأوّل أظهر و أشبه (١).

أقول: و في تخصيص الصغير و الكبير و العليل و الكعاب بالذّكر زياده توكيد و تقرير للغرض المسوق له الكلام، فإنّ من شأن الصّغير على ماله من عدم التميز عدم الالتفات و التّوجه إلى كثير من الامور، و من شأن الكبير على ما به من ضعف الكبير عدم المشى إليها، و كذلك المريض على ما فيه من ثقل المرض و من شأن الكعاب الاستحياء عن كشف وجهها لا سيّما في متدى الرّجال و بين ملاء النّاس فسرور الأوّل بالبيعه و سعى الثّانين إليها بالتكلّف و المشقّه، و حسر الرابعه إليها كاشف عن فرط رغبه العامّه و حرصهم عليها فالبيعه الواقعه على هذا الوجه ليس لأحد أن يتخلّف أو ينكت عنه.

كما أشار عليه السّلام إلى ذلك في كلامه الذي رواه في الارشاد عن الشعبي قال:

لما اعتزل سعد بن أبي وقاص و عبد الله بن عمر و محمّد بن سلمه و حسن بن ثابت و اسامه بن زيد أمير المؤمنين و توقفوا عن بيعته حمد الله و أثنى عليه ثم قال:

أيّها النّاس إنكم بايعتموني على ما بويع عليه من كان قبلي، و أنّما الخيار

ص: ٤٠٨

لِّلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَبَايَعُوا فَإِذَا بَايَعُوا فَلَا خِيَارَ لَهُمْ، وَ إِنَّ عَلَى الْإِمَامِ الْإِسْتِقَامَةَ وَ عَلَى الرَّعِيَّةِ التَّسْلِيمَ، وَ هَذِهِ بَيْعُهُ عَامَّةً مِنْ رَغْبِ عَنْهَا رَغْبَ عَنْ دِينِ الْإِسْلَامِ وَ اتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ أَهْلِهِ وَ لَمْ تَكُنْ بِيَعْتَكُمْ إِلَّا بِأَيِّ فِلْتَةٍ، الْحَدِيثُ، هَذَا وَ قَدْ تَقَدَّمَ تَفْصِيلُ كَيْفِيَّةِ بَيْعَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي شَرْحِ الْكَلَامِ الْوَاحِدِ وَ التَّسْعِينَ فَلْيَرَأِجِعْ ثَمَّ.

الترجمه

از جمله کلام بلاغت نظام آن حضرتست در تعریف بیعت کردن خلق باو بخلافت می فرماید:

و گشادید دست مرا بجهت بیعت پس نگاه داشتم من آنرا، و کشانید آنرا بسوی خودتان پس بر چیدم من آن را، بعد از آن ازدحام کردید بر من مثل ازدحام نمودن شتران عطشان بر سر حوضهای خود وقت آب خوردن آنها تا این که گسیخت بند کفشهای من و از دوش افتاد عبای من و زیر پا ماند ضعیفان و رسید کار از شدت شادی مردمان به بیعت من بمقامی که خوشنود شد بان بیعت بچهها، و مشی مرتعشانه نمود بسوی آن پیرها، و مشی نمود با مشقت و زحمت بطرف آن مریض ها، و نقاب از رو برداشت بجهت زیادی میل و رغبت بان دختران نارپستان، و الله أعلم بالصواب

و من خطبه له علیه السلام و هی المأتان و الثامنه و العشرون من المختار فی باب الخطب

اشاره

فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ، وَ ذَخِيرَةُ مَعَادٍ، وَ عَتَقَ مِنْ كُلِّ

ص: ۴۰۹

ملكه، و نجاه من كل هلكه، بها ينجح الطالب، و ينجو الهارب و تنال الرغائب، فاعملوا و العمل يرفع، و التوبه تنفع، و الدعاء يسمع، و الحال هادئه، و الاقلام جاريه، و بادروا بالأعمال عمرا ناكسا و مرضا حابسا، أو موتا خالسا، فإن الموت هادم لذاتكم، و مكدر شهواتكم، و مباعد طياتكم، زائر غير محبوب، و قرن غير مغلوب، و واطر غير مطلوب. قد أعلقتكم حباله، و تكتفتكم غوائله، و أقصدتكم معابله، و عظمت فيكم سطوته، و تتابعت عليكم عدوته، و قلت عنكم نبوته فيوشك أن تغشيكم دواجي ظلمه، و احتدام عله، و حنادس غمراته، و غواشى سكراته، و أليم إرهابه، و دجو أطباقه، و جشوبه مذاقه، فكأن قد أتاكم بغته فأسكت نجيكم، و فرق نديكم، و عفى آثاركم، و عطل دياركم، و بعث وراثكم، يقتسمون تراثكم بين حميم خاص لم ينفع، و قريب محزون لم يمنع، و آخر شامت لم يجزع. فعليكم بالجد و الاجتهاد و التأهب و الاستعداد و التزود فى منزل الزاد، و لا تغرنكم الحياه الدنيا كما غرت من كان قبلكم من الامم

الماضيهِ و القرون الخاليه الَّذِينَ احتلبوا درَّتْها، و أصابوا غرَّتْها، و أفنوا عَدَّتْها و أخلقوا جدَّتْها، أصبحت مساكنهم أجداثا، و أموالهم ميراثا، لا- يعرفون من أتاها، و لا- يحفلون من بكاهم، و لا- يجيئون من دعاهم، فاحذروا الدُّنيا(1) فإنَّها غَدَّاره غَزَّاره خدوع، معطيه منوع، ملبسه نزوع، لا يدوم رخائها، و لا ينقضى عنائها، و لا يركد بلائها. منها فى صفه الزهاد كانوا قوما من أهل الدُّنيا و ليسوا من أهلها، فكانوا فيها كمن ليس منها، عملوا فيها بما يبصرون، و بادروا فيها ما يحذرون، تقلَّب أبدانهم بين ظهراى أهل الاخره، يرون أهل الدُّنيا يعظَّمون موت أجسادهم و هم أشدَّ إعظاما لموت قلوب أحيائهم.

اللغة

(السَّيِّدُ) بالفتح الصَّيَّوَاب من القول و العمل و (ملكه) يملكه من باب ضرب ملكا مثله و ملكه بالتحريك احتواه قادرا على الاستبداد به و (النَّجَح) بالضم الظفر بالمطلوب و أنجحه الله أى أظفر به و (الرَّغَائِب) جمع الرَّغِيْبِه و هو الأمر المرغوب فيه و العطاء الكثير و (هَدْء) هَدْءا من باب منع سكن و (نكسه)

ص: ٤١١

١- (١) - من قوله (عليه السلام): «كما غرت» إلى قوله «فاحذروا الدُّنيا» هذه الجملات كانت ساقطة من النسخه فى الطبعة الاولى و كم له فى هذا الجزء من نظير أصلحناه، نبهنا عليه فى بعض المقام. المصحح.

قَلْبَهُ عَلَى رَأْسِهِ كَنَكْسِهِ بِالتَّشْدِيدِ وَ النِّكْسِ بضمّتين المدرهمون من الشيوخ بعد الهرم أى الساقطون كثيرا قال تعالى «وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ».

و (خلست) الشئ اختطفته و (الطيه) بالكسر كالتيه لفظا و معنى و قال الشارح المعتزلى: هى منزل السيف و (القرن) بالكسر كفوك فى الشجاعه.

و (الواتر) القاتل و الموتور القتل الذى لم يدرك دمه مأخوذان من الوتر بالكسر و الفتح و هى الجنايه التى يجنيها الرجل على غيره من قتل أو نهب أو سبى و قد وتره يتره و ترا و ترا وتره أفزعه و أدركه بمكروه، و تره ماله نقصه إياه.

و (اعانتكم) فى بعض النسخ بغير همزه و (المعابل) جمع معبله و زان مكنسه و هو النصل العريض الطويل و (العدوه) التعدى و (نبا) السيف عن الضربه نبوا و نبوه كلّ و لم يؤثر و (يوشك) الأمر أن يكون و أن يكون الأمر بكسر الشين أى يقرب و لا تفتح شينه إلا فى لغه رديه و (الظلل) جمع ظلّه و هى السحاب و (احتدم) النار التهبت و اشتدّ حرّها و (الحنادس) جمع حندس و زان زبرج الظلمه.

و (إرهاقه) بالراء المهمله مصدر أرهاقته أى أعجلته و يقال أرهاقه طغيانا أغشاه إياه و الحق ذلك به، و فى بعض النسخ بالراء المعجمه من زهق الشئ بطل و (أطباقه) بالفتح جمع الطبق بالتحريك غطاء كلّ شئ و فى بعض النسخ بالكسر مصدر أطبقه أى غطاه.

و (جشب) الطعام من باب ضرب جشوبه صار جشيبا و هو السئىء الماكل و الخشن الغليظ البشع من كلّ شئ و الجشب بالضم قشور الزمان، و فى بعض النسخ و خشونه مذاقه بالخاء المعجمه و النون و (الدره) بالكسر كالدر بالفتح اللبن و كثرته و (الجده) بكسر الجيم كالجد الرزق و العظمه و (حفل) القوم حفلا اجتمعوا و المحفل و زان مجلس و مقعد محل الاجتماع، و الاحتفال بالشئ

الاعتناء به و المبالغة فيه.

و (تقلب) فى بعض النسخ على البناء على الفاعل من باب التفعّل و حذف إحدى التائين و فى بعضها على البناء على المفعول و فلان بين ظهري القوم و (ظهريهم) بفتح النون و بين أظهرهم أى فى وسطهم و فى معظمهم.

الاعراب

قوله: مفتاح سداد(1) و قوله: بها متعلّق بقوله ينجح و تقديمه عليه لقصد الحصر و الفاء فى قوله فاعملوا فصيحه، و جمله و العمل يرفع فى محلّ النصب على الحال و الباء فى قوله بالأعمال للمصاحبه، و الفاء فى قوله: فإنّ الموت للتعليل، و قوله:

زائر خبر رابع لأنّ تركّ العاطف لحسن الوصف الذى هو من صناعه البلاغه.

و جمله قد أعلقتكم فى محلّ الانتصاب على الحال و قوله: فكأنّ قد أتاكم مخففه من المثقله مفيده للتقريب و اسمها ضمير شأن مستتر، و قوله: بين حميم متعلّق بقوله يقتسمون لا بقوله أتاكم بغته كما توهمه الشارح البحرانى و قوله: فعليكم بالجدّ اسم فعل أى خذوه و الزموه قال نجم الأئمه الرضى: يقال عليك زيدا أى خذه كان الأصل عليك أخذه و قوله: أصبحت مساكنهم فعل ناقص بمعنى صارت و الجملة استينافيه بيانيه و مثلها جمله لا يعرفون من أتاكم.

المعنى

إشارة

اعلم أنّ هذه الخطبه الشريفه من محاسن خطبه عليه السّلام و فيها من نكات البلاغه و فنون البديع ما لا يخفى على المصقع البارع، و مدارها على فصلين:

الفصل الاول منها

فى الحثّ على البرّ و التقوى و أخذ الزاد ليوم المعاد بالتذكير بالموت

ص: ٤١٣

الذى هو هادم اللذات و قاطع الامنيات و التحذير من الدنيا التى هى دار الغرور و المكاره و الافات و هو قوله:

(فان تقوى الله مفتاح سداد و ذخيره معاد) و قد تقدم تحقيق معنى التقوى و ما يترتب عليها من الثمرات الدنيويه و الاخرويه فى شرح الخطبه الرابعه و العشرين و غيرها فليراجع هناك و أقول هنا توضيحا لكلامه عليه السلام: إن التقوى لما كانت عبارة عن اتّخاذ الوقايه من العقوبات و الحذر من الموبقات الاخرويه و بها يحصل التجنب من المعاصى و الاتيان بالواجبات المتّصفه بالصالح و السداد لا جرم استعار لها المفتاح الذى يوصل به إلى ما فى البيت قال تعالى «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ قُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَ يُغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا».

قال أمين الاسلام الطبرسى أمر الله سبحانه أهل الإيمان و التوحيد بالتقوى و القول السديد فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ» أى اتّقوا عقاب الله باجتناّب معاصيه و فعل واجباته «وَ قُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا» أى صوابا بريّا من الفساد خالصا من شائب الكذب و اللغو موافق الظاهر للباطن، و قال الحسن و عكرمه صادقا يعنى كلمه التوحيد لا إله إلا الله «يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ» معناه إن فعلتم ذلك يصلح لكم أعمالكم بأن يطف لكم فيها حتى تستقيموا على الطريقه المستقيمه السليمه من الفساد و يوفقكم لما فيه الصلاح و الرشاد «وَ يُغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ» باستقامتكم فى الأقوال و الأفعال «وَ مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» فى الأوامر و النواهي «فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا» أى فقد أفلح افلاحا عظيما، و قيل فقد ظفر برضوان الله و كرامته.

و أما انها ذخيره معاد فواضح لأنها أنفس ذخيره معدّه لفاقه الاخره و بها ينجى من أليم العذاب و يفاز عظيم الثواب قال تعالى «وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ وَ يُنَجِّى اللَّهُ»

«الَّذِينَ اتَّقَوْا يَمْفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمْ الشُّوْءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» وقال «لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ».

(و عتق من كل ملكه) قال الشَّارح البحراني: استعار لفظ العتق لخلاص النفس العاقله من استيلاء حكم شياطينها المطبقه بها كخلوص القلب من استيلاء سيده ثم جعل التقوى نفسها عتقا إطلاقاً لاسم السبب على المسبب انتهى و محصله أنَّ التقوى سبب الخلاص من قيد رقيته نفس الأماره و عبوديه الهوى و مملوكيه الشيطان فانه ليس له سلطان على الذين آمنوا و على ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه و الذينهم به مشركون.

(و نجاه من كل هلكه) أى سبب للنجاه من الهلكات الدنيويّه و الاخرويّه فاطلق عليها النجاه مبالغه من قبيل زيد عدل قال تعالى «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» أى مخرجاً من كل كرب فى الدنيا و الاخره.

و فى مجمع البيان عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم أنه قرأها و قال: مخرجاً من شبهات الدنيا و من غمرات الموت و شدائد الاخره.

و فى البحار من الدعوات للزوائد قال النبى صلى الله عليه و آله و سلم: من اتقى الله عاش قويا و صار فى بلاد عدوه آمناً.

(بها ينجح الطالب) للاخره أى يفوز بمطلبه قال تعالى «إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْتَعَةٍ لَهُمُ الْأَبْوَابُ» و قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: خصله من لزمها أطاعته الدنيا و الاخره و ربح الفوز بالجنّه، قيل: و ما هى يا رسول الله؟ قال: التقوى من أراد أن يكون أعز الناس فليتق الله عزّ و جلّ ثم تلا «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ» الآية.

(و ينجو الهارب) (١) الراهب من سخط الله و عقابه فإنّ أولياء الله لا خوف عليهم و لا هم يحزنون، و من يتق الله يكفر عنه سيئاته و يعظم له أجراً.

(و تنال الرغائب) أى العطايا الكثيره و الخيرات الدنيويه و الاخرويّه التى ترغب إليها النفوس.

ص: ٤١٥

١- (١) - لا- يخفى أن بين هذه الفقره و سابقتها من محاسن البديع حسن الطباق و الجناس اللاحق و السجع المتوازى و مثلها الفقرتان السابقتان عليها و أما الاوليان ففيهما السجع المتوازى فقط، منه.

أَمَّا الدُّنْيَا فَقَدْ قَالَ الصِّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ أَخْرَجَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذَلِّ الْمَعْصِيَةِ إِلَى عِزِّ التَّقْوَى أَغْنَاهُ اللَّهُ بِهَا مَالًا، وَاعَزَّهُ بِهَا عَشِيرَةً، وَانْسَه بِهَا بَشَرًا، أَيْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْأَلَ مِنَ الْبَشَرِ بَلَّ اللَّهُ مَوْنَهُ.

وَأَمَّا الْآخِرُونَ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى «مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ» وَقَالَ عِزٌّ وَجَلَّ «ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصَفَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» هَذَا وَلَمَّا نَبَّهَ عَلَى ثَمَرَاتِ التَّقْوَى وَكَانَتْ التَّقْوَى مُلَازِمَةً لِلْعَمَلِ وَرَتَّبَ عَلَيْهِ الْحَثَّ عَلَى الْعَمَلِ فَقَالَ (فَاعْمَلُوا وَالْعَمَلُ يَرْفَعُ) أَيْ اعْمَلُوا صَالِحًا فَإِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ، وَمَعْنَى قَوْلِهِ: وَالْعَمَلُ يَرْفَعُ إِنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ يَرْفَعُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَيَقْبَلُهُ مِنْ فَاعِلِهِ.

وَقَدْ أَشِيرَ إِلَى ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ عِزٌّ وَجَلَّ «إِلَيْهِ يَصْطَعِدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ» قَالَ أَمِينُ الْإِسْلَامِ الطَّبْرَسِيُّ: مَعْنَى الصَّعُودِ الْقَبُولِ مِنْ صَاحِبِهِ وَالْإِثَابَةِ عَلَيْهِ، وَكَلِمًا يَقْبَلُهُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ مِنَ الطَّاعَاتِ يُوصَفُ بِالرَّفْعِ وَالصَّيْعُودِ لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ يَكْتُبُونَ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ وَيَرْفَعُونَهَا إِلَى حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ «إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبِيَاءِ لَفِي عِلِّيِّينَ» وَالْكَلِمُ الطَّيِّبُ الْكَلِمَاتُ الْحَسَنَةُ مِنَ التَّعْظِيمِ وَالتَّقْدِيسِ وَأَحْسَنُ الْكَلِمِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ قِيلَ فِيهِ وَجُوهٌ: أَحَدُهَا أَنَّ الْكَلِمَ الطَّيِّبَ يَرْفَعُهُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فَالضَّمِيرُ يَعُودُ إِلَى الْكَلِمِ، وَالثَّانِي أَنَّهُ عَلَى الْقَلْبِ مِنَ الْأَوَّلِ (١).

ص: ٤١٦

١- (١) - هَذَا آخِرُ مَا وَفَّقَ الشَّارِحُ الْمُصَنِّفَ الْعَلَامَةَ الْهَاشِمِيَّ الْخَوَثِيَّ أَعْلَى اللَّهِ مَقَامَهُ بِشَرْحِهِ وَبَرَزَ مِنْ قَلَمِهِ الشَّرِيفِ وَآخِرُ الْمَجْلَدِ السَّابِعِ حَسَبَ تَجْزِئَاتِهِ «قَدْ» عَلَى مَا فِي الطَّبْعَةِ الْأُولَى، وَتَتِمُّ مَا نَقَلَهُ هُنَا عَنِ الطَّبْرَسِيِّ «قَدْ» هَكَذَا: أَيْ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ، وَالْمَعْنَى أَنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ لَا يَنْفَعُ إِلَّا- إِذَا صَدَرَ عَنِ التَّوْحِيدِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَالثَّالِثُ أَنَّ الْمَعْنَى الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ، أَيْ يَقْبَلُهُ عَنْ قِتَادِهِ، وَ عَلَى هَذَا فَيَكُونُ ابْتِدَاءُ أَخْبَارِ لَا يَتَعَلَّقُ بِمَا قَبْلَهُ. الْمَصْحُوحُ.

بسم الله الرحمن الرحيم بعد الحمد والصلاة على رسوله وآله يقول العبد المحتاج إلى رحمه ربه أبو الحسن المدعو بالشعراني عفى عنه إنني لما وقفت على هذا الشرح النفيس الجامع لشتات اللطائف، الحاوي لطرايف الظرائف و رأيت أن صاحبه لم يتمكن من اتمامه و توقّف على شرح كلام أمير المؤمنين عليه السلام: والعمل يرفع، علمت أن عاقبته إلى رفع العمل و القبول كما ان ختم كلامه إليه و هذا و ان كان فالأحسن للشارح لكن الناظرين يرون عمله أبتز إذ لم يكمل شرح الكتاب بل الخطبه التي شرع في شرحها فرأيت أن اعلق عليه شيئاً يتم به شرح الخطبه الأخيره و أضمت عملي إلى عمله المقبول و أتطفل في تحصيل الثواب الحاصل له و سلكت فيه مسلكه من الاقتصار على ما يسهل تناوله بعون الله و حسن توفيقه و أقول (و العمل يرفع) في كلام أمير المؤمنين عليه السلام جملة حاله في محلّ النصب و كذلك ما يتلوها إلى قوله عليه السلام: و الأقلام جاريه أى اعملوا في هذا الوقت الذى يرفع العمل و أنتم أحياء في دار الدنيا و أما بعد ذلك فلا يرفع العمل إذ لا عمل بعد الموت حتّى يرفع و هذا طريقه العرب في كلامهم يقول شاعرهم: على لا حب لا يهتدى بمناره يعنى على طريق لا منار فيها حتى يهتدى به.

قوله (و التوبه تنفع) أى اعملوا في هذه الحال التي تنفع التوبه قبل الموت فاذا مات ابن آدم انقطع عمله و لم يقبل منه التوبه إذ لا تقع منه حتّى تقبل (و الدعاء يسمع) في حال الحياه يسمع الدعاء، و أمّا بعد الموت فلا يسمع و المقصود الدعاء الذى يصير سبباً للنجاح و السعاده و غفران الذنوب و رفع الدرجات.

و أمّا الدعاء بمعنى آخر فقد يقع فى الآخره و يسمع و قد ورد فى القرآن

الكريم(و الحال هادئه)فى الحياه الدّنيا و سكون الحال كنايه عن السلامه و القدره و الاختيار بحيث يتمكن من فعل الخيرات (و الأقدام جاريه) و الملائكه تكتب أعمال العباد فى الحياه الدّنيا أى اغتنموا الحياه و اعملوا فيها ثمّ أكّد عليه السّلام ذلك بقوله (و بادروا بالأعمال عمرا ناكسا) يعنى لا يتمكّن أحد من العمل فى الحياه إذا هرم و شاخ و ضعف فبادروا بالعمل قبل أن يمنعكم منه الهرم (و مرضا حابسا) يسلبكم النشاط (أو موتا خالسا) يعرض بغته فلا يبقى لكم فرصه التوبه و الاستغفار (فانّ الموت هادم لذاتكم و مكدر شهواتكم) الدنيويه (و مباعدا طياتكم) و الطيه ما يطويه الانسان فى ضميره من العزائم و النيات يعنى عليه السّلام يباعد الموت عنكم نياتكم و عزائمكم فكم عزم للانسان يريد نفاذه و حال بينه و بين عزمه الموت و إن فسر الطيات بمنازل السفر فالمعنى يرجع إلى ما ذكر أيضا.

(زائر غير محبوب و قرن غير مغلوب و واطر غير مطلوب) أى قاتل لا يطلبه أحد حتى يقتصّ منه(قد أعلقتكم حباله)شبه الانسان و عدم قدرته على التخلص من الموت بطير وقع فى حباله الصياد و قد علق برجله و عنقه الحبل (و تكنفتكم غوائله) أحاطت بكم مصائبه (و أقصدتكم معابله) أصابتكم نصال الموت و معبله بالفارسيه پيكان - (و عظمت فيكم سطوته) واضح(و تتابعت عليكم عدوته)أى تراكمت عليكم الظلمه فوق الظلمه و هو كنايه عن شدّه الهول و المصيبه أو تكرّر منه التعدى و المجاوزه على أحبابكم و أصدقائكم و أقاربكم و المعنى الأول أنسب و أولى (و قلّت عنكم نبوته) قل أن يتفق لأحدكم أن يعرض له الموت و يبدو عليه آثاره ثمّ يفلت عنه فان انفلت فسوف يعترض ثانيه.

(فيوشك أن تغشاكم دواجى ظلل) الموت قريب منكم كاد أن يحيط بكم ظلمات من ظلل الموت و الظله هى السحاب (و احتدام علله) و يحيط بكم التهاب أمور لا بدّ للموت أن ينزل معها (و حنادس غمراته) ظلمات يكتنفكم من غمرات الموت (و غواشى سكراته) السكره حاله كالغشى تعرض عند الاحتضار (و أليم ارهاقه) مجيئه عاجلا أليم (و دجّو اطباقه) الدجّو الدّجى و الظلمه و المعنى تراكم

الظلمات طبقا بعد طبق (و جشوبه مذاقه) طعم الموت غير مطبوع لو فرض كونه مذوقا.

(فكأن قد أتاكم بغته فأسكت نجيتكم) أسكت متكلمكم فينما هو يتكلم إذا سكت (و فزق نديكم) أى محفلكم (و عفى آثاركم) العفا فى الأصل التراب و هنا كناية عن الاندراس و المحو لأن المنزل إذا رحل عنه سكانه عملت الرياح و التراب فى محو آثارهم (و عطل دياركم) الديار جمع الدار و تعطيلها خلوها عن أهلها.

(و بعث وراثكم) نسبه البعث إلى الموت مجاز لأنه سبب لبعث الوراثة نظير بنى الأمير المدينه (يقتسمون تراثكم بين حميم خاص لم ينفع) الوراثة على ثلاثة أقسام بعضهم حميم قريب من أقربائكم يحبكم و يريد دفع الموت عنكم و لا- يقدر عليه كالأب و الأم (و) الثانى (قريب محزون لم يمنع) يهمله أمركم و يحزنه موتكم لكن لا- مثل الأول كالأخ و الأخت و العم و لا يقدر أن يمنع عنكم الموت و الثالث قوله (و آخر شامت لم يجزع) يفرح لموتكم و لا- يجزع عليكم كالولد العاق ينتظر موت أبيه الهرم حتى يفوز بميراثه و يتخلص من القيام بخدمته خصوصا إذا طال مرضه و لو لم يكن هذا تقسيما للوراثة فقط بل لجميع من يعرفك و تعرفه كان المعنى أنهم على ثلاثة: الصديق و القريب و العدو (فعليكم بالجد و الاجتهاد) و لعل الفرق بين الجد و الاجتهاد أن الأول صفة للعزم و النية و الثانى للعمل (و التأهب و الاستعداد) الفرق بينهما نظير الفرق بين الجد و الاجتهاد فالتأهب للعزم و الاستعداد للعمل (و التزوّد فى منزل الزاد و لا- تغرّنكم الدنيا كما غرت من كان قبلكم من الأمم الماضيه و القرون الخاليه) معناه ظاهر (الذين احتلبوا درتها) الدرّه اللبن استعاره للمنافع و الاحتلاب إخراج اللبن من الضرع و الثدى استعاره للفوز و الانتفاع (و أصابوا غرتها) أى اغتنموا فرصه غفله الدنيا عنهم فاستمتعوا بمنافعها و لو لم تكن غافله عنهم لا- ختطفتهم، شبههم بسارق ينتظر غفله صاحب المتاع عن متاعه فيختلسه حين غفلته كذلك هؤلاء انتظروا

غفله الدّنيا و أصابوا وقت غفلتها فانتفعوا بها (و أفنوا عدّتها) الافناء عبارته عن الانتفاع اذ لا ينتفع غالبا بما فى الدّنيا إلّا بافئائه فأفنوا عده منافعها (و أخلقوا جدّتها) و هذا أيضا عبارته عن الانتفاع ببعض متاع الدنيا كاللباس الجديد يخلق بالاستعمال.

(أصبحت مساكنهم أجداثا) أى قبورا (و أموالهم ميراثا) و هو ظاهر (لا يعرفون من أتاها و لا يحفلون من بكاهم و لا يجيبون من دعاهم) معناه واضح فان قيل: كيف الجمع بين هذا الكلام و ما روى فى التلقين و زياره القبور فقد قال أبو عبد الله عليه السّلام على ما روى فى الكافى و التهذيب و الفقيه «إذا افرد الميت فليتلخّف عنده أولى الناس به فيضع فمه عند رأسه ثم ينادى بأعلى صوته يا فلان بن فلان أو يا فلانه بنت فلان هل أنت على العهد الذى فارقتنا عليه من شهادته أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له و أنّ محمّدا عبده و رسوله سيّد النبيّين و أنّ عليّا أمير المؤمنين و سيّد الوصيّين و أنّ ما جاء به محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم حقّ و أنّ الموت حقّ و أنّ البعث حقّ و أنّ الله يبعث من فى القبور فيقول منكر لنكير انصرف بنا عن هذا فقد لقن حجّته انتهى و فى معناه أخبار اخر.

و لو لم يكن إلّا هذا لسهل الجمع لكن ورد فى زياره القبور فى الكافى عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: إنّهم يأنسون بكم فاذا غبتم عنهم استوحشوا و هذا ينافى بظاهره قول أمير المؤمنين عليه السّلام: لا يعرفون من أتاها.

و روى فى الفقيه عن محمّد قال قلت لأبى عبد الله عليه السّلام الموتى نزورهم؟ فقال نعم، فقلت: فيعلمون بنا إذا أتيناهم؟ فقال: إى و الله إنّهم يعلمون بكم و يفرحون بكم و يستأنسون إليكم قال: قلت: فأى شىء نقول آه.

و فى الكافى عن إسحاق بن عمار عن أبى الحسن عليه السّلام قال قلت: المؤمن يعلم من يزور قبره؟ قال: نعم لا يزال مستأنسا به ما دام عند قبره فاذا قام و انصرف عن قبره دخله من انصرافه عن قبره وحشه.

و فى الفقيه قال الصادق عليه السّلام إذا قبضت الرّوح فهى مظله فى الجسد روح

المؤمن وغيره ينظر إلى كل شيء يصنع به فإذا كفن ووضع على السرير وحمل على أعناق الرجال عادت الرُّوح ودخلت فيه فيمد له في بصره فينظر إلى موضعه من الجنة أو من النار فينادى بأعلى صوته إن كان من أهل الجنة: عجلوني عجلوني، وإن كان من أهل النار ردوني ردوني وهو يعلم كل شيء يصنع به ويسمع الكلام، انتهى.

و ردّ الرُّوح إلى الجسد المحمول على الجنازة نظير ردّ الرُّوح إليه في القبر لسؤال منكر ونكير ولا ينبغي أن يتعجب من خفاء ذلك عن الأحياء كالمشيّعين.

كما روى في الكافي في حديث عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام بعد أن نقل تكلم الميت لحملته قال ضمّره وهو أحد الحاضرين: يا أبا الحسن إن كان هذا يعنى الميت يتكلم بهذا الكلام يوشك أن يشب على أعناق الذين يحملونه قال: فقال عليّ بن الحسين عليهما السّلام: اللهم إن كان ضمّره هزء من حديث رسولك صلى الله عليه وآله وسلم فخذة أخذه اسف، قال: فمكث أربعين يوما ثم مات فحضره مولى له فلما دفن أتى عليّ بن الحسين عليهما السّلام فجلس إليه فقال له: من أين جئت يا فلان؟ قال: جئت من عند قبر ضمّره فوضعت وجهي عليه حين سوى عليه فسمعت صوته والله أعرفه كما كنت أعرفه وهو حيّ يقول: ويلك يا ضمّره بن معبد اليوم خذلك كلّ خليل وصار مصيرك إلى الجحيم فيها مسكنك ومبيتك والمقيل قال: فقال عليّ بن الحسين عليهما السّلام: أسأل الله العافيه هذا جزاء من يهزء من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومثل ذلك كثير في الروايات فما وجه كلام أمير المؤمنين عليه السّلام؟ والجواب أنّ كلامه عليه السّلام لأهل الدّنيا المغترّين بها، وغرضه عليه السّلام قطع طمعهم عن الدّنيا وبيان انقطاع لذاتها وانصرام شهواتها ومفارقة الخلان فيها، ولا ريب أنّ الموت يهدم اللذات ويفرق بين الجماعات ولا يحسّ الأموات بسمعهم الدنيوي وأبصارهم الجسمانيه شيئا من هذا العالم المادّي، بل الميت جماد مثل سنك إذا قلعت وشعر رأسك إذا حلق، وأظافيرك إذا قصت وبهذا الاعتبار قال أمير المؤمنين عليه السّلام:

لا يعرفون من أتاها ولا يحفلون من بكاهم

و أمّا بالنظر إلى أنّ للانسان حسّاً برزخيا يسمع و يبصر و يتلذّذ و يتألّم به من غير وساطه عصب و دماغ و جرحه و لا يمنعه حجاب اللحد و ظلمه القبر و بعد المنازل شرّع التلقين و ورد ما ورد من الروايات ذكرناها أو لم نذكرها.

و بالجمله فكلام أمير المؤمنين عليه السّلام ناظر إلى الحسّ الدّنيوى و ما ورد فى تلك الروايات ناظر إلى الادراك الاخرى و لا منافاه بينهما و لا يريدون أنّ الميّت لم يمت و لا أنّه إذا مات فات و الروح مدرك بذاته و البدن مدرك بالروح و المدرك بالذات أقوى و أشدّ فى الادراك من المدرك بالغير كما فى كلّ صفه.

و الطبيعىون يزعمون أنّ الادراك عبارته عن تأثر العصب من المحسوس الخارجى كتأثر عصب البصر عن النور، فاذا لم يكن عصب لم يكن إدراك و لذلك إذا خدر الأعصاب بالأدويه المخدّره زال البصر و كلّ حس آخر.

و الجواب أنّه لو كان الأمر كذلك لم يكن الله تعالى و الملائكه المقربون مدركين عالمين بشىء إذ لا عصب لهم و لا انفعال و العصب لا يستطيع أن يدرك إلّا بواسطه الروح و إذا تقطعت العلاقه بين العصب و الروح زال الادراك عن العصب لا عن الروح كالشمس إذا غاب عن الجدران زال الضوء عن الجدران لا عن الشمس فلم يزل الادراك عن الميّت مطلقا بل بمقدار أن لا يكون دفنه فى التراب أو القائه فى البحر ظلما و اجحافا عليه و تعذيبا له كالقاء الاحياء فى البحر.

(فاحذروا الدّنيا فانها غدّاره غرّاره خدوع معطيه منوع ملبسه نزوع) وزن فعول إذا كان بمعنى الفاعل يستوى فيه المذكر و المؤنث و لذلك وصف به الدّنيا (لا يدوم رخاؤها و لا ينقضى عناؤها و لا يركد بلاؤها) و هذا الكلام بالغ فى البلاغه غايتها فى وصف الدّنيا و التزهيد عنها و الوصف بعينه مما يعرفه أصحاب الهوى و القائلون بالطباع و أمثالهم و يجعلونه عذرا فى لزوم اللذات و متابعه الشهوات و يقولون إذا كانت الدّنيا منقلبه غير ثابتة لا تدوم أحوالها و جب اغتنام الفرصه مهما أمكن فى الاستمتاع باللذات و المبادره إلى الشهوات لئلا يفوت الفرصه و يحرم الانسان منها فما دام حيا شابا ذا قدره و مقدره يتسرّع إلى ما لا يتمكن منه بعد ذلك و أمّا

أمير المؤمنين عليه السّلام جعل هذه الصفه بعينها موجبا لتنفير الناس و سببا لترهيدهم قال طرفه:

ألا أيّ هذا اللائمي احضر الوغى و ان اشهد اللّذات هل أنت مخلدى

يعنى إذا لم يكن الانسان خالدا فى الدّنيا فعليه أن يشهد اللذات لئلا يفوته و أن يحضر الوغى ليتنقم عن أعدائه و يظفر بالمال بالاغاره و مثله كثير فى أشعارهم بالعربيه و الفارسيه خصوصا فى أشعار الخيام، و قال أمير المؤمنين عليه السّلام إنها غزّاره خدوع و لذاتها ليست لذّه بل عذاب أليم و يخدع بها الجهال و ليس شيء منها دائما فلا ينبغى أن يعرج العاقل عليه.

و كلام أمير المؤمنين عليه السّلام يفيد أرباب العقول و أصحاب الأديان القائلين بالآخره و الحياه الدّائمه فيها يستبدلون اللّذه الخالصه الباقيه باللّذه المكدره الفانيه و أمّا أصحاب الطبائع الذين لا يعترفون بالآخره يقولون: اللّذه الفانيه غير الدائمه أولى من عدم اللّذه مطلقا.

و مما يناسب ذلك فى أنّ خصله واحده يجعلها كلّ أحد دليلا على شيء يقتضيه طباعه الحديث المروى عن الحسن بن علىّ عليهما السّلام: اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا، حمله أهل الدّين على الأمر بالمسامحه و التعلّل و عدم الحرص فى الدّنيا، لأن من يزعم أنه يعيش أبدا لا يتعجّل فى الامور، و حمله أهل النفاق و المتجدون على الأمر بالحرص فى الدّنيا لأنّ الذى يعلم أنّه يعيش أبدا يسعى فى جمع المال و عماره مسكنه و تدبير ماله و اجاده معاشه أكثر ممن يعلم أنه سيرحل عن منزله.

الفصل الثانى

(منها فى صفه الزهاد: كانوا قوما من أهل الدّنيا و ليسوا من أهلها فكانوا فيها كمن ليس منها) و منه اخذ أبو على بن سينا كلامه فى وصف العارفين: فكانهم و هم فى جلايب أبدانهم قد نضوها و تجرّدوا عنها و قال السعدى:

ص: ٤٢٣

هرگز وجود حاضر و غائب شنیده من در میان جمع و دلم جای دیگر است

(عملوا فيها بما يبصرون) الفرق بين أهل الدّنيا و أهل الآخرة أنّ بناء الأولين على الشكّ و بناء الآخرين على اليقين كما قال تعالى في صفة الدهريّة:

«وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ» فانهم يشكّون في الله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر و الجنّة و النّار و يعملون عمل المستيقن بالعدم و الشاك في شيء حقّه أن يحتاط كمن يشكّ في وجود سبع في الطريق أو بئر في ظلمه إذ لا يجوز له العقل الاقتحام في المهلكه و أصحاب الدّهر ما لهم علم بالعدم إن هم إلا يظنون و دليلهم انا لا نؤمن بما لا نحسّ مع أنّ عدم الوجدان لا يدلّ على عدم الوجود و هذا بخلاف أهل الآخرة فانهم آمنوا بالدليل اليقيني و البرهان العلمي فعملوا بما يبصرون.

(و بادروا فيها ما يحذرون) سبقوا الموت إلى فعل الخيرات أى خافوا أن يفجأهم الموت فبادروا (تقلب أبدانهم بين ظهرائى أهل الآخرة) لا يجالسون غيرهم و لا يخالطون أحدا سواهم (يرون أهل الدّنيا يعظمون موت أجسادهم) يعدون موتهم عظيما شديدا إذ يسلبهم مشتهياتهم و يمنعهم التمتع بلبذاتهم (و هم) أهل الآخرة (أشدّ إعظاما لموت قلوب أحيائهم) إذ يسلبهم مشتهياتهم الحقيقيه و يمنعهم التمتع باللذات الدّائمه.

و اعلم أنّ أهل الدّنيا يظنون أن لا موجود وراء الجسم و لا دليل على شيء غير الحسّ و يكدون كلّ كدّهم و يجدون جدّهم لعمارتها و التمتع بها، و العقلاء عرفوا بعقولهم و بما أخبرهم أصحاب الوحي أنّ وراء هذا العالم المحسوس عالما آخر بل عوالم اخرى لا يحصى عددها إلا الله.

و نظير ذلك أنّ جماعه زعموا أنّ الشمس واحده، و قد ورد في الأخبار و أثبت الارصاد أن وراء هذه الشمس شموسا لا يحصى عددها إلا الله تعالى و قد فتح الله على عقول المتوسطين بابا إلى بعض تلك العوالم غير المحسوسه و هى باب الرؤيا الصادقه فإنّ الانسان فى منامه قد يطلع على امور غائبه لا يمكن

أن يطلع عليها أحد بحواسه و عقله لعدم وجودها بعد، كموت زيد بعد سنه مثلا و ليس العلم به و انتقاش ذهن أحد بمثله ممكنا فى زمان الرؤيا إلاّ- أن يكون صورا و نقوشا مسطوره فى ذهن عال من موجود عالم بالغيب غيرنا و غير من فى عالمنا، فيدرك الانسان بعقله أن فى الوجود عالما غير عالمنا و فى ذلك العالم علماء بما لم يوجد بعد و ليس ما رآه النَّائم فى منامه إلاّ مأخوذا من ذلك العالم و ليست الرؤيا أوهاما و خيالات باطله لا أصل لها دائما إذ لو كان كذلك لم يكن ينطبق على الحقيقه و لم يكن للرؤيا تعبير أصلا و بالجملة أدرك الانسان بحسّه المشترك عالما آخر غير هذا العالم الجسمانى، و عرف أنّ نفسه يناسب ذلك العالم فى الجملة حيث يرتبط به و يأخذ منه، و هذا باب واسع حقّقه الحكماء خصوصا الشيخ أبو عليّ بن سينا فى الاشارات.

ثمّ بعد الاعتقاد بوجود عالم ما غير هذا العالم المادى المحسوس زال الاستعجاب من كلّ ما أخبرنا به الأنبياء و أصحاب النواميس الالهيه من بقاء الرّوح و دخولها فى عالم آخر و تمتّعها بالذات و انتفاعها بالمشتهايات هناك و لا يتصوّر أن يكون سعادته الموجود الكامل الرّوحانى أدنى و أقلّ من الانسان المخلوط من الرّوح و الجسم كما أنّ سعادته الانسان المخلوط ليس أقلّ من سعادته الجمادات، فان عرف الانسان انه مستعدّ لادراك تلك السعاده العظمى اشتدّت حسرته من فواته و خاف من موت قلبه المانع من النيل بتلك السعاده أشدّ من خوف أهل الدّنيا من الموت الطبيعى، و لذلك قال أمير المؤمنين عليه السّلام عليهم: و هم أشدّ إعظاما لموت قلوب احيائهم.

و إذا انتهينا إلى ذلك حقّ لنا أن نختم الكلام بالدّعاء لجميع من تصدّى لترويج الدين و تعليم المؤمنين بالتوفيق و السداد، و لم نذكر مما اختلج فى الدّهن حين قراءه الخطبه من نكته علميه و دقّه عقليه لئلا نخرج من سياق الكتاب، فإنّ الشّارح رحمه الله اكتفى بما هو سهل الوصول قريب المأخذ من روايه تاريخيه و حكايه أدبيه او حديث فى الأخلاق و تفسير يتعلّق بظواهر الألفاظ و غير ذلك مما يفيد أكثر الناس

الترجمه

بدرستی که پرهیزکاری کلید صلاح است و توشه آخرت و آزادی از بند بندگی و رهائی از دام هلاکت، آنکه خواهنده خیر است بتقوی بمقصود نائل آید و آنکه از شر گریزان است بتقوی از آن رهائی جوید مقاصد مردمان بتقوی حاصل گردد پس اکنون که عمل صالح بدرگاه الهی بالا- می رود و گناهکاران را توبه سود دارد آرامش حال برقرار و قلم فرشتگان بنوشتن اعمال بندگان روان است بکوشید و بشتابید پیش از آنکه عمر از شما روی بگرداند و پشت کند و بیماری مانع عمل شود و مرگ ناگهان فرود آید.

مرگ لذات شما را تباه سازد و شهوات شما را مکدر کند و شما را از مقاصد خود باز دارد، بدیدن آید آنکه دوستش ندارید، و با شما بکشتی در آویزد آنکه هرگز پشتش بزمین نیاید، خون ریزد و کسی بکین او برنخیزد دام های او در شما آویخته و مصائب او شما را احاطه کرده است پیکان او بنشانه رسیده و حمله او بر شما گران است و تاختن او پی در پی، کم افتد که ضربت او نافذ نشود بزودی ابرهای تیره مرگ شما را فراگیرد و بیماری ها از جوانب در آیند و امواج تاریک آن بر گرد شما احاطه کند و سكرات موت شما را از خود باز گیرد و بشتاب ببرد و بحسرت براند در میان طبقات تاریک و طعم آن بسیار ناگوار است، گوئی اینک شما را دریافته گوینده شما را خاموش کرد و انجمن شما را پراکنده ساخت و آثار شما را محو کرد و سراهای شما را خالی گذاشت وارثان را برانگیخت تا میراث شما را تقسیم کردند، یکی دوست نزدیک شماست اما سود بحال شما ندارد، دیگری خویش است و از مرگ شما اندوهناک اما دفع مرگ نمی تواند کرد، و سیمی از مرگ شما شاد است و جزع نمی کند.

بر شما است که بجان بکوشید و آماده گردید و در جایی که باید توشه

گرفت توشه گیرید و زندگی دنیا شما را فریب ندهد چنانکه پیش از شما بسیار فریب داد، از پستان او شیر خوردند و در غفلت او فرصت جستند و آنچه آماده کرده بود تباه ساختند و جامه های نو آنرا کهنه و فرسوده کردند آخر مسکن آنها گور شد و مال آنها را بمیراث بردند.

بی وفاست و مکار و فریبنده، می دهد و می ستاند، می پوشاند و برهنه می سازد آسایش او پیوسته نماند و سختی آن نگذرد و بلای آن ثابت نماند.

و در صفت زاهدان فرمود: گروهی بودند از اهل دنیا اما اهل دنیا نبودند در دنیا بودند مانند کسی که در دنیا نبود به آن چه دیدند و دانستند عمل کردند و از آنچه می ترسیدند در گذشتند تن آنها میان اهل آخرت می گردد چون دیدند مردم این جهان از مرگ تن می ترسند آنها از مرگ دل در حال زندگی ترسان گشتند ثم إنّ حضره الفاضل الأديب العالم الأريب الجامع بين العلوم العقلية و النّقلية و الحائز للملكه العلميه و العمليه الشيخ المؤتمن الشيخ حسن الاملى ضاعف الله قدره و أجزل أجره تصدّى لشرح باقى كتاب نهج البلاغه و هو الحرى به و المتوقع منه و هو كما قال بعض الأنصار كما قيل: عذيقها المرجب و جذيلها المحكك فقد جرّبه سنوات عند قراءه مختلف العلوم على حتى حاز الرتبه القصوى و فاز بالقدح المعلى و نرجو من الله له التوفيق و لنا العبد أبو الحسن الشعرانى هذا آخر المجلد الرابع عشر من هذه الطبعه الجديده القيمه، و تم تصحيحه و ترتيبه و تهذيبه بيد العبد - السيد ابراهيم الميانجى - عفى عنه و عن والديه و ذلك فى - ٢٥ - من الربيع المولود - ١٣٨٣ - و يليه انشاء الله الجزء الخامس عشر و أوله:

«و من خطبه له (عليه السلام) خطبها بذى قار» و الحمد لله ربّ العالمين

بسمه تعالی

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

آیا کسانی که می‌دانند و کسانی که نمی‌دانند یکسانند؟

سوره زمر / ۹

مقدمه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان، از سال ۱۳۸۵ هـ. ش تحت اشراف حضرت آیت الله حاج سید حسن فقیه امامی (قدس سره الشریف)، با فعالیت خالصانه و شبانه روزی گروهی از نخبگان و فرهیختگان حوزه و دانشگاه، فعالیت خود را در زمینه های مذهبی، فرهنگی و علمی آغاز نموده است.

مرامنامه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان در راستای تسهیل و تسریع دسترسی محققین به آثار و ابزار تحقیقاتی در حوزه علوم اسلامی، و با توجه به تعدد و پراکندگی مراکز فعال در این عرصه و منابع متعدد و صعب الوصول، و با نگاهی صرفاً علمی و به دور از تعصبات و جریانات اجتماعی، سیاسی، قومی و فردی، بر مبنای اجرای طرحی در قالب «مدیریت آثار تولید شده و انتشار یافته از سوی تمامی مراکز شیعه» تلاش می نماید تا مجموعه ای غنی و سرشار از کتب و مقالات پژوهشی برای متخصصین، و مطالب و مباحثی راهگشا برای فرهیختگان و عموم طبقات مردمی به زبان های مختلف و با فرمت های گوناگون تولید و در فضای مجازی به صورت رایگان در اختیار علاقمندان قرار دهد.

اهداف:

۱. بسط فرهنگ و معارف ناب ثقلین (کتاب الله و اهل البيت عليهم السلام)
۲. تقویت انگیزه عامه مردم بخصوص جوانان نسبت به بررسی دقیق تر مسائل دینی
۳. جایگزین کردن محتوای سودمند به جای مطالب بی محتوا در تلفن های همراه ، تبلت ها، رایانه ها و ...
۴. سرویس دهی به محققین طلاب و دانشجو
۵. گسترش فرهنگ عمومی مطالعه
۶. زمینه سازی جهت تشویق انتشارات و مؤلفین برای دیجیتالی نمودن آثار خود.

سیاست ها:

۱. عمل بر مبنای مجوز های قانونی
۲. ارتباط با مراکز هم سو
۳. پرهیز از موازی کاری

۴. صرفاً ارائه محتوای علمی

۵. ذکر منابع نشر

بدیهی است مسئولیت تمامی آثار به عهده ی نویسنده ی آن می باشد .

فعالیت های موسسه :

۱. چاپ و نشر کتاب، جزوه و ماهنامه

۲. برگزاری مسابقات کتابخوانی

۳. تولید نمایشگاه های مجازی: سه بعدی، پانوراما در اماکن مذهبی، گردشگری و...

۴. تولید انیمیشن، بازی های رایانه ای و ...

۵. ایجاد سایت اینترنتی قائمیه به آدرس: www.ghaemiyeh.com

۶. تولید محصولات نمایشی، سخنرانی و...

۷. راه اندازی و پشتیبانی علمی سامانه پاسخ گویی به سوالات شرعی، اخلاقی و اعتقادی

۸. طراحی سیستم های حسابداری، رسانه ساز، موبایل ساز، سامانه خودکار و دستی بلوتوث، وب کیوسک، SMS و...

۹. برگزاری دوره های آموزشی ویژه عموم (مجازی)

۱۰. برگزاری دوره های تربیت مربی (مجازی)

۱۱. تولید هزاران نرم افزار تحقیقاتی قابل اجرا در انواع رایانه، تبلت، تلفن همراه و... در ۸ فرمت جهانی:

۱. JAVA

۲. ANDROID

۳. EPUB

۴. CHM

۵. PDF

۶. HTML

۷. CHM

۸. GHB

و ۴ عدد مارکت با نام بازار کتاب قائمیه نسخه :

۱. ANDROID

۲. IOS

۳. WINDOWS PHONE

۴. WINDOWS

به سه زبان فارسی ، عربی و انگلیسی و قرار دادن بر روی وب سایت موسسه به صورت رایگان .

در پایان :

از مراکز و نهادهایی همچون دفاتر مراجع معظم تقلید و همچنین سازمان ها، نهادها، انتشارات، موسسات، مؤلفین و همه

بزرگوارانی که ما را در دستیابی به این هدف یاری نموده و یا دیتاهای خود را در اختیار ما قرار دادند تقدیر و تشکر می
نماییم.

آدرس دفتر مرکزی:

اصفهان - خیابان عبدالرزاق - بازارچه حاج محمد جعفر آباده ای - کوچه شهید محمد حسن توکلی - پلاک ۱۲۹/۳۴ - طبقه
اول

وب سایت: www.ghbook.ir

ایمیل: Info@ghbook.ir

تلفن دفتر مرکزی: ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

دفتر تهران: ۰۲۱ - ۸۸۳۱۸۷۲۲

بازرگانی و فروش: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور کاربران: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

مرکز تحقیقات رایانگی

اصفهان

گامی

WWW



برای داشتن کتابخانه های تخصصی
دیگر به سایت این مرکز به نشانی

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

مراجعه و برای سفارش با ما تماس بگیرید.

۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹

